مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي
Liban –Tripoli: Branche Abou Samra P.O. Box 8 - jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com

العام الثاني - العدد العاشر : أغسطس 2015

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية – العام الثاني: العدد العاشر أغسطس 2015

جميع الحقوق محفوظة

لمركز جيل البحث العلمي © 2015

ISSN 2311-5181

بسم الله الرحمن الرحيم

المشرفة العامة: د.سرور طالبي

المؤسس ورئيس التحرير: أ.جمال بلبكاي

jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com

ISSN 2311-5181

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة تصدر دوريًا عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دوريا في كل عدد.

اهتمامات المجلة و أبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية. تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر موقعها وكذا مركز جيل البحث العلمي، مع إضافتها لفهارس أغلب محركات البحث الجامعية، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية:

علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات كافة من داخل الجامعات الجزائرية ومن خارج الجزائر مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

هيئة التحرير:

د. مراد نعموني ، جامعة سعد دحلب، البليدة ،الجزائر.

د.عبد الحميد بعيطيش،جامعة باتنة ،الجزائر.

د.ساسي سفيان،جامعة الطارف ،الجزائر.

د. لطفية علي الكميشي ،جامعة طرابلس ،ليبيا.

أ .غزلان هاشمي،جامعة سوق أهراس، الجزائر.

رئيس اللجنة العلمية:

د.سامية سامية ابريعم، جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي ،الجزائر.

اللجنة العلمية :

أ.د.داتؤ ذو الكفل محمد يوسف ،جامعة ملايا ، ماليزيا .

أ.د. أمل المخزومي ، جامعة ويلز ، بريطانيا

د. عبد الستار رجب، المعهد العالي للشغل والدراسات الاجتماعية، تونس.

د. عبد الفتاح عبد الغني مصطفى الهمص ،الجامعة الإسلامية ، غزة ، فلسطين.

د.سعاد عبد العزيز الفريح (جامعة الكويت).

د. نسيسة فاطمة الزهراء، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة،الجزائر.

د.فوزية إبراهيم العوضي (جامعة الكويت).

د.بهلول لطيفة ،جامعة تبسة، الجزائر.

د. رحاب يوسف،جامعة بني سويف ،مصر.

د.محمد كريم فريحة،جامعة باجي مختار عنابة،الجزائر.

أعضاء لجنة التحكيم الاستشارية لهذا العدد:

د. محمد درويش (جامعة أحمد زبانة غليزان، الجزائر).

د. أسماء سالم علي عريبي(الجامعة الأسمرية، ليبيا).

د. إخلاص محمد عبد الرحمن (جامعة ود مدني الأهلية، السودان).

أ.م.د. إخلاص محمد عيدان (جامعة بغداد،العراق).

د.خيرة قول (جامعة الجلفة).

د.أميرة سامي محمود حسين (مصر).

أ.م.د.محمد حسين علي جودة السويطي (جامعة واسط،العراق).

أ.م.د. صالح نهير راهي (جامعة واسط،العراق).

د.مروان معزي (جامعة الجزائر١).

أ.م.د.صلاح كاظم هادي العبيدي (جامعة بغداد،العراق).

أ.عبد الكريم كدور لي (جامعة وهران، الجزائر).

أ.بن سولة نور الدين (جامعة مستغانم ،الجزائر).

التدقيق اللغوي:

د.بوزيد مومني (جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل،الجزائر).

د. بشرى سعيدي (جامعة مولاي اسماعيل ،المغرب).

شروط النشر

تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

ISSN 2311-5181

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة ، أو مؤتمر في الوقت نفسه ، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

- عنوان البحث.

- اسم الباحث ودرجته العلميَّة، والجامعة التي ينتمي إليها.

- البريد الإلكتروني للباحث.

- ملخَّص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12.

- الكلمات المفتاحية بعد الملخص.

- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية
- أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

- اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن ، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).

- اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).

- تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.

- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الالكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة:

social@jilrc-magazines.com

الفهرس

الصفحة

- الافتتاحية 7
- التحضر وتغير بنية الأسرة في مدينة برج بوعريريج، أ.عباس عمر/جامعة الجزائر٢ ٠ 9
- المعتقدات الثقافية وتأثيرها على البنى الاجتماعية في منطقة متيجة، د. نسيسة فاطمة الزهراء/ جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر. 25
- الطّرق التّجارية في المغرب الأوسط ودرورها في تنشيط الحركة التّجارية، أ.سمير مزرعي/جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان،الجزائر 33
- مستلزمات التجديد التربوي في زمن العولمة، أ.د. علي صباغ/جامعة قسنطينة٢ ،الجزائر 53
- كيفيات شغل الذوات الاجتماعية لفضائها المديني الخاص :المدينة التاريخية "الحفصية " نموذجًا، د.شهاب اليحياوي/مدير مركز جهوي للتربية والتكوين المستمر،تونس. 67
- دور ضغوط العمل في تفشي المشكلات الاجتماعية والمهنية لدى الشباب الجزائري، أ.رانية هادف/جامعة باجي مختار عنابة،الجزائر. 89
- تزايد دور مؤسسات المجتمع المدني في ظل ضعف قدرة الدولة وانتشار مبادئ الحوكمة، أ نصيرة صالحي/جامعة باتنة،الجزائر. 101
- مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً: دراسة حالة المعاقين بصرياً باتحاد المكفوفين بودمدني، ولاية الجزيرة، السودان، د.إخلاص محمد عبد الرحمن جامعة ود مدني الأهلية،السودان. 111
- واقع الهجرة من الريف إلى المدينة:دراسة ميدانية بمدينة الأغواط أ.تهامي محمد/جامعة عمار ثليجي،الأغواط،الجزائر 129
- أسباب صعوبات التعلم و انعكاساتها على التلميذ و أسرته أ.كوثر زيادة/جامعة قسنطينة٢ ٠ ،الجزائر 145
- الصناعة السياحية من البدائل الممكنة للريع الاقتصادي- حالة الجزائر- أ.ربطاب عزالدين/جامعة قسنطينة١ ،الجزائر 159
- الأفكار العقلانية و اللاعقلانية حسب نظرية أليس (Ellis) أ.ضيف حليمة/جامعةسطيف٢ ،الجزائر 173
- دور الإعلام في التنشئة الاجتماعية للطفل أ.آمنة لطروش/جامعة عبد الحميد بن باديس،مستغانم،الجزائر 187
- إسهامات التدريب في نجاح عملية التجديد في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الجزائرية- دراسة ميدانية ، أ.ليليا عين سوية/جامعة باجي مختار،عنابة،الجزائر. 203
- الدور الوظيفي للأواني الحجرية د.زينب عبد التواب رياض/جامعة أسوان،مصر 217

الإفتتاحية

الحمد لله الذي عَلَّم بالقلم،عَلّم الإنسانَ ما لم يَعلَم، نحمده حمد الشاكرين ونثني عليه بما هو أهله، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير أما بعد:

لهو من فضل الله أن يرى العدد العاشر النور في حلة بهية تحمل ألواناً علميةً متنوعةً كلها تضفي نورًا على موضوعات معتمة في مجال النشر، حيث ضم هذا العدد من مجلة "جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية"جملةً متنوعةً من المواضيع التي تتكامل فيما بينها لتعالج إشكاليات آنية ومهمة، بحيث يعكس هذا التنوع الأهداف المسطرة التي تطمح المجلة لتحقيقها، وهذه الأخيرة تعتبر وسيلةً لنشر الأوراق العلمية المحكمة من قبل أصحاب الاختصاص من مختلف الدول، كل ذلك قصد المساهمة في تطوير البحث العلمي.

تناول العدد العاشر العديد من المجالات المهمة في "مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية"، وذلك إن دل يدل على اهتمام الباحثين في هذا المجال، والسعي التام من طرف طاقم المجلة لتغطية جل المواضيع القيمة.

وفي آخر الكلام لختم افتتاحية العدد نؤكد على قاعدة مهمة، المجلة ترتقي بملاحظاتكم وتنجح بمشاركاتكم ومقترحاتكم، لذلك فالمبدأ الأساسي لها خدمة العلم بأبواب مفتوحة في كل الأوقات.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾

آل عمران: 08

رئيس التحرير / أ. جمال بلبكاي

تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز

جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي © 2015

التحضر وتغير بنية الأسرة في مدينة برج بوعريريج

أ.عباس عمر/جامعة الجزائر ٢ ٠

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم إطار نظري وتحليل للتغيرات التي طرأت على بنية الأسرة في مدينة برج بوعريريج، وكذا الكشف عن تأثير الشروط الاقتصادية والاجتماعية في هذا التغير. إضافة إلى إبراز أثر التحضر في تغير بنية الأسرة والعوامل التي ساهمت إلى جانبه في ذلك، كما تهدف هذه الدراسة أيضا لإلى فهم ظاهرة التحضر في الجزائر، خصائصها وأسبابها. **وقد خلصت هذه الدراسة** إلى أن الشروط الاقتصادية والاجتماعية التي نتجت عن التنمية الاقتصادية في مدينة برج بوعريريج قد ساهمت في تغير بنية الأسرة،كما خلصت الدراسة أيضا إلى أن التحضر قد أثر في تغير بنية الأسرة من حيث شكلها وحجمها، وكذا السلطة والنظام المقرر داخلها، إضافة إلى تغير في الأدوار ةمكانة المرأة، وكذا تغير في العلاقات التقليدية للأسرة.

الكلمات المفتاحية: التحضر، الحضرية ، الأسرة، بنية الأسرة، التغير الاجتماعي.

مقدمة:

يعتبر التحضر من أهم مظاهر التغير الاجتماعي، حيث يترتب عنه تغير في التركيب السكاني للمدن، وذلك من خلال انتقال الأفراد من الريف إلى الوسط الحضري، وما يصاحبه من تغير اجتماعي وثقافي، هذا التغير الذي يدعم الفردية في علاقات الأشخاص ببعضهم، وتحولها إلى علاقات ثانوية، كما يترتب عنه تكيف مع نمط الحياة الحضرية، فقد ينطوي مفهوم التحضر على أبعاد اقتصادية، ثقافية واجتماعية، ترافق عملية الانتقال أو تليها بعد حين.

لقد ارتبطت ظاهرة التحضر في الجزائر أساسا بالهجرة الريفية نحو المدن، فموجات الهجرة الريفية أدت إلى حدوث تحولات وتغيرات مست المجتمع الجزائري في شتى مجالات الحياة، حيث أن هذه التحولات والتغيرات انعكست مباشرة على الأسرة، باعتبارها الخلية الأولى التي يتكون منها المجتمع، كما أنها تعتبر نواة الحياة الاجتماعية، وباعتبار أنها محور الحياة الإنسانية، فإنها عرضة لموجات التغير المستمر من ناحية بنيتها وتكوينها، توجهاتها وعلاقاتها، فهذه التغيرات التي تطرأ عليها جاءت كنتيجة لعملية التحضر التي مستها، خاصة بعد انتقالها من الحياة الريفية إلى الحياة الحضرية.

فالانتقال من الريف إلى الوسط الحضري يفرض على الفرد التكيف مع النظم والقيم السائدة في المدينة، هذه الضرورة في التكيف أدت إلى تغير بنية الأسرة الجزائرية، كما أن تغير القيم والعادات والتقاليد والاتجاهات، واكتساب قيم جديدة، أدت إلى زوال السلطة المطلقة للأب، وعوضتها المسؤولية المشتركة بين الأب والأم، كما أخذت الأسرة الجزائرية أساليب الحياة الحضرية، حيث بدأت صلة أفراد الأسرة القرابية بالأعمام والأخوال تضعف، وسيادة نوع من العلاقات لا تبرز بوضوح إلا في المناسبات والأعياد، أو وجود مصالح مشتركة، حيث أن الحياة الحضرية أدت إلى سيادة النزعة الفردية.

إن الاهتمام بدراسة التحضر وعوامله وآثاره لا يرجع فقط إلى أن التحضر أصبح ظاهرة عالمية، لكن يرجع كذلك إلى تأثيره على البناء الاجتماعي بكل أنساقه ونظمه، والأسرة باعتبارها نظاما اجتماعيا هي أحد مكونات البناء الاجتماعي للمجتمع، وبالتالي فإنها انعكاس للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يتعرض لها المجتمع، مما يؤدي إلى تغير

في بنيتها ووظائفها، والعلاقات التي تربط بين أعضائها، هذا التغير كان كنتيجة حتمية لآثار التحضر، حيث أدى إلى تغير في بنية الأسرة وتقلص حجمها، كما فقدت بعضا من قيمها وعاداتها، وظهرت اتجاهات أثرت على علاقاتها التقليدية.

وعلى هذا الأساس، جاءت دراستنا هذه **"التحضر وتغير بنية الأسرة"** كمحاولة منا للكشف عن التغير الذي طرأ على بنية الأسرة وعلاقاتها التقليدية، إضافة إلى الكشف عن أهم الأسباب والعوامل التي أدت إلى ذلك.

المحور الأول: إشكالية الدراسة وأهدافها.

١- إشكالية الدراسة:

يشهد المجتمع الجزائري تحولات وتغيرات هامة على كل مستويات ومجالات الحياة، انعكست نتائجها على النظم والمؤسسات الاجتماعية، ولقد كانت الأسرة أهم مؤسسة تأثرت بهذه التغيرات والتحولات، باعتبار أنها الخلية الأولى في بناء المجتمع فهي تعتبر نواة الحياة الاجتماعية الإنسانية، كما أنها الخلية الأساسية التي تكون البناء الاجتماعي، وإذا كانت الأسرة هي المحور الأساسي للحياة الإنسانية فإنها عرضة لموجات التغير المستمر من حيث تكوينها وتوجهاتها وحجمها وكذا أشكال العلاقات والتفاعلات والوظائف.

تعرضت الأسرة لتلك التغيرات بفعل عملية التحضر، والذي نتج أساسا في الجزائر عن الهجرة الريفية، وقد ارتبط بفترات تاريخية متميزة شكلت محطاته الرئيسية، غير أن الهجرة الريفية تجاه المدن كانت متفاوتة حسب نمط هذه المدن، فالمدن الصغرى هي التي استقبلت أكبر نسبة، والتي بلغت (٦٧ %) من مجموع الوافدين، والتي قدرت بما يزيد عن (١.٦٦٠.٠٠٠) نسمة في المرحلة الممتدة ما بين ١٩٦٦ و١٩٨٧، في حين استقبلت المدن المتوسطة (٣٦ %)، واستقرت منهم نسبة (٠٧ %) في المدن الكبرى[1].

تعتبر **مدينة برج بوعريريج من** المدن الداخلية الصغيرة التي استهدفتها موجات الهجرة الريفية، وذلك لأنها عرفت تنمية اقتصادية كبيرة، جعلتها قبلة لهذه الموجات، ولعل أهم ما ساعد على ذلك تدهور الأوضاع المعيشية في الريف وتراجع الإنتاج الزراعي الذي لم يعد يسد حاجة سكان الريف في مقابل تحسن مستوى المعيشة في المدينة، من خلال ما خلقته التنمية الاقتصادية من شروط اقتصادية واجتماعية، تمثلت أساسا في توفر فرص الشغل، خاصة في مجال الصناعة الالكترونية، بعد أن أصبحت المدينة قطبا صناعيا هاما في هذا المجال، وكذا توفر السكن وتحسن نوعيته وتوفر فرص التعليم والصحة والخدمات، إلى غير ذلك من الشروط التي تساعد على الاستقرار داخل المدينة. وما يمكن أن نلاحظه أن موجات الهجرة الريفية لم تكن لأفراد فقط وإنما لأسر بأكملها.

فالأسرة بعد انتقالها إلى الوسط الحضري تخلت عن النظام الاقتصادي القائم على الزراعة في الريف، والذي يساعد على بقاء واستمرار نظام الأسرة الممتدة من خلال التعاون والتضامن الجماعي في الإنتاج والاستهلاك، وبزوال هذا النظام في المدينة فإنه تزول معه الأسرة الممتدة وتحل محلها الأسرة النووية المستقلة اقتصاديا والقائمة على نظام تقسيم العمل ونظام الأجور، كما أن الحياة الحضرية تؤثر على الأسرة من حيث بنيتها ووظائفها التقليدية، فالمدينة تضم مؤسسات صناعية وتجارية تستخدم المهاجر إليها على أساس كفاءته، كما تسمح للأسرة بالتحرك في السلم الاجتماعي والاقتصادي[2]. كما أن السلطة التي كانت ترتبط بالقيم والعادات والتقاليد في الريف، والتي غالبا ما تتركز في كبار السن، فإنها في الوسط الحضري ترتبط بالوضع الاقتصادي وبالمركز الاجتماعي، إضافة إلى تغير مركز المرأة، بحيث لم

---

[1] بشير التجاني: "**التحضر والتهيئة العمرانية في الجزائر**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٠، ص٣٧.

[2] محمد السويدي: "مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٤، ص٨٨.٨٩.

تعد السلطة مركزة في يد الزوج، فخروج المرأة إلى العمل سمح لها بممارسة سلطات أوسع مقارنة مع ما كانت عليه في الريف، كما تحول وضع الأب من مسيطر على الأسرة إلى وضع يتميز بعدالة أكبر وتساو مع أبنائه، حيث تحول من رئيس تسلطي إلى رئيس ديمقراطي، كما أن المسؤولية أصبحت مشتركة بينه وبين الأم [1]. إضافة إلى أن الأسرة الحضرية تخفف من سيطرتها المطلقة على أفرادها، كما تخفف من التزاماتها نحو الأقارب، حيث تسودها الروح الفردية مما يؤدي إلى الخروج إلى التحررية، حيث يؤدي هذا التغير إلى التحلل من بعض الالتزامات نحو الأقارب.

إن الانتقال من الوسط الريفي إلى الوسط الحضري، وبالتالي من الحياة الريفية إلى الحياة الحضرية يؤدي إلى تغير بنية الأسرة، فالتحضر يفرض على الفرد أن يتكيف مع النظم والقيم التي تميز المدينة وبالتالي مسايرة الحياة الحضرية، ففي هذا السياق اتجهت الأسرة الجزائرية لتأخذ طابع الأسرة النووية قائمة بذاتها اقتصاديا واجتماعيا، وتتصل بالأسرة الكبيرة من حيث العلاقات القرابية الثانوية التي تمتاز بالضعف والوهن فهي غير مفروضة على الفرد قد يقبلها وقد يرفضها دون أي ضغط أو إلزام [2].

وبناء على هذا كله فإننا سنقوم من خلال دراستنا هذه بالإجابة على السؤال الرئيسي التالي: **ما الذي أدى إلى تغير بنية الأسرة في مدينة برج بوعريريج** ؟ والذي يتفرع منه السؤالين الفرعيين التاليين:

- هل ساهمت الشروط الاقتصادية والاجتماعية التي نتجت عن التنمية الاقتصادية في مدينة برج بوعريريج في حدوث تغير في بنية الأسرة ؟.

- هل أثّر التحضر في تغير بنية الأسرة في مدينة برج بوعريريج ؟.

٢- أهداف الدراسة:

إن **الهدف** من الدراسات العلمية في مجال علم الاجتماع الحضري يتمثل في تسليط الضوء على مختلف الظواهر التي يشهدها الوسط الحضري، من أجل الكشف عنها، وكذا إثراء الدراسات الحضرية، هذا الهدف العلمي لكل دراسة، أما **الأهداف العملية** لدراستنا فتتمثل فيما يلي:

أ – تقديم إطار نظري وتحليل للتغيرات التي طرأت على بنية الأسر الجزائرية، فيما يتعلق بشكلها وحجمها، وكذا علاقاتها القرابية والاجتماعية.

ب – محاولة الكشف عن تأثير الشروط الاقتصادية والاجتماعية التي خلقتها التنمية الاقتصادية في تغير بنية الأسرة.

ج – محاولة الكشف عن التغيرات التي طرأت على بنية الأسرة بفعل ظاهرة التحضر.

د – محاولة فهم ظاهرة التحضر في الجزائر، وكذا خصائصها وأسبابها.

هـ – الكشف عن العوامل التي تساهم إلى جانب التحضر في تغير بنية الأسرة.

٣- الفرضيات:

[1] مصطفى بوتفنوشت: "**العائلة الجزائرية، التطور والخصائص الحديثة**"، ترجمة: دمري أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٤، ص ٢٥٦.

[2] عائشة بن قطيب:"**التحضر وتغير بناء العائلة الجزائرية**"،رسالة لنيل شهادة الماجستير، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر،١٩٨٨،١٩٨٧، ص١٩.

توصلنا إلى صياغة الفرضية الرئيسية التالية: " **يساهم التحضر إلى جانب الشروط الاقتصادية والاجتماعية التي نتجت عن التنمية الاقتصادية في تغير بنية الأسرة في مدينة برج بوعريريج**". والتي تنبثق عنها **الفرضيتين الجزئيتين** التاليتين:

١- ساهمت الشروط الاقتصادية والاجتماعية التي نتجت عن التنمية الاقتصادية في مدينة برج بوعريريج في حدوث تغير في بنية الأسرة.

٢- يؤثر التحضر في تغير بنية الأسرة في مدينة برج بوعريريج.

٤- أهم مفاهيم الدراسة:

يعتبر تحديد المفاهيم أمرا ضروريا لكل بحث علمي، وذلك لأن الكثير من المفاهيم تحمل معاني مختلفة وتختلف من باحث إلى آخر.

١- التحضر:

يعرف **قاموس علم الاجتماع التحضر** بأنه الانتقال من الحياة الريفية إلى المدن للعيش فيها، ويكون هذا الانتقال بسبب الهجرة، حيث ينبغي على الشخص أو الجماعة أن تتكيف مع النظم والقيم السائدة في المدينة، وقد يترتب على حالة انعدام التكيف تدهور الحالة المادية والمعنوية، ومن هناك العودة إلى القرية[1].

كما يعرف "**محمود الكردي**" مفهوم التحضر بصورة شاملة ويرى أنه الاتجاه العام نحو الإقامة في المراكز الحضرية، والعمل على تعميرها وتوسيع نطاقها الحضري، وهو موقف نجده سائدا عالميا، وغير مقتصر على منطقة معينة دون غيرها، رغم التفاوت الواضح بين مناطقها من حيث التباين في الدرجة أو المستوى[2].

ويذهب كل من "**عبد الإله أبو عياش**" و "**إسحاق يعقوب**" في تعريفهما للتحضر إلى أنه يشير إلى عملية من عمليات التغير الاجتماعي يتم من خلالها انتقال أهل الريف إلى المدن، واكتسابهم تدريجيا أنماط الحضر، ويحدث التكيف الحضري إذا ما اكتسبوا أنماط الحياة الحضرية[3].

ويتفق هذا التعريف مع ما جاء به "**عبد المنعم نور**" في كتابه "**الحضارة والتحضر**"، حيث يرى أن المقصود بالتحضر الدلالة على تمام عملية من عمليات التغير الاجتماعي، عن طريق انتقال أهل البادية أو الريف إلى المدينة وإقامتهم بمجتمعها المحلي، ومن ثم يكتسبون تدريجيا أنماط الحضر، فإذا تم لهم امتصاص الأنماط الحضرية قيل أنهم تكيفوا حضريا، أو بمعنى آخر تحولت أساليب معيشتهم إلى طريقة أهل المدن[4].

كذلك يشير المعنى العام للتحضر إلى أنه ظاهرة اجتماعية جغرافية ينتقل السكان في ظلها من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية، وبعد انتقالهم يتكيفون بالتدريج مع طرق الحياة وأنماط المعيشة الموجودة في المدن، وهو أساسا يعني

---

[1] محمد عاطف غيث: "**قاموس علم الاجتماع**"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص٥٩٩.

[2] محمود الكردي: "**التحضر دراسة اجتماعية، الكتاب الأول**"، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦، ص٣٢.

[3] محمد بوخلوف: "**التحضر**"، شركة دار الأمة، الجزائر، ط١، ٢٠٠١، ص٢٣.

[4] محمد عبد المنعم نور: "**الحضارة والتحضر، دراسة أساسية لعلم الاجتماع الحضري**"، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط١، ١٩٨٤، ص٥٦.

تمركز السكان في المدن ويؤدي إلى تغير اجتماعي وثقافي، وتدعيم الروح الفردية في العلاقات التي تصبح ثانوية بعدما كانت أولية في القرية[1].

وبناء على ما ورد سابقا، يمكن **تقديم تعريف إجرائي للتحضر** كما يلي: "التحضر هو تلك الظاهرة الاجتماعية والديموغرافية التي ينتقل بمقتضاها السكان من الوسط الريفي إلى الوسط الحضري، وما يصاحب ذلك الانتقال من تغير اجتماعي وثقافي من أجل التكيف مع نمط وطريقة الحياة الحضرية".

٢- التغير الاجتماعي:

يرى **"بارسونز"** أن التغير ظاهرة سليمة ومستمرة ودائمة في حياة كل نظام، وهناك تغير البناء نتيجة عوامل خارجية وداخلية قوية، والضغط الذي يمارس من الداخل والخارج على النظام، والتغير يستهدف أساسا إحداث تعديل في السلوك الإنساني، كما يعتبر التغير حل توازن محل توازن آخر دون تحول أو تغير النظام، أو ظهور توازن تبعا للتحولات الطارئة على بعض أجزاء النظام[2].

كذلك يعني التغير الاختلاف ما بين الحالة الجديدة والحالة القديمة، أو اختلاف الشيء عما كان عليه خلال فترة من الزمن، أما التغير الاجتماعي فهو التحول الذي يطرأ على البناء الاجتماعي والوظائف والقيم والأدوار الاجتماعية خلال فترة من الزمن، وقد يكون هذا التغير ايجابيا أي تقدما وقد يكون سلبيا أي تخلفا، أي ليس هناك أي اتجاه محدد للتغير[3].

ويري **"ولبرت مور"** أن التغير الاجتماعي يعني التبدل الذي يحدث في الأنساق الاجتماعية، بما يتضمنه من نتائج مترتبة عنه في القواعد والقيم والناتج الحضري، والتغير الذي يحدث في المجتمعات لا يقف عند حد المظاهر المادية فحسب، ولكنه يتعدى ذلك إلى القيم والمثل والعادات وطرق التفكير[4].

فالتغير الاجتماعي يدل على العملية التي تحدث من خلالها تغيرات جوهرية في البناء الاجتماعي والمهام الخاصة بالأجهزة الاجتماعية، ويقصد بهذا التغير في البناء تلك التغيرات التي تحدث في أنماط التفاعل بين الأفراد، والعلاقات الاجتماعية بينهم والتي تحكمها المعايير الاجتماعية، وعليه فالتغير الاجتماعي هو ذلك التحول الذي يقع في البناء الاجتماعي من حيث القيم والمعايير، والإنتاج الثقافي المعنوي والمادي[5].

ومن خلال ما ذكرنا يمكن أن نستخلص **تعريفا إجرائيا للتغير الاجتماعي** كما يلي: "التغير الاجتماعي هو ذلك التحول الذي يحدث في النظام الاجتماعي، من حيث بنيته ووظيفته، خلال فترة زمنية معينة، ويحدث تحت تأثير عوامل داخلية أو خارجية، هذا التحول الذي لا يقف عند المظهر المادي، بل يتعداه إلى القيم والاتجاهات والأفكار".

---

[1] فوزي رضوان العربي: "**دراسات في المجتمع العربي**" ، اتحاد الجامعات العربية، الأمانة العامة، ط١، ١٩٨٥، ص١٥٦.

1 Guy Rocher**: Introduction à la sociologie général,** Edition HMH, 1968, p19

[3] محمد الدقس: "**التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق**"، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٨٧، ص١٥.

[4] محمد مصطفى زيدان: "**التغير الاجتماعي**"، في: المجلة الجزائرية لعلم النفس وعلوم التربية، العدد ٢، ١٩٨٦، ص١٥.

[5] محمد الدقس: المرجع السابق، ص٢٧.

٣- الأسرة:

يعرف "**أوجست كونت**" **الأسرة** بقوله: "هي الخلية الأولى في جسم المجتمع، وهي النقطة الأولى التي يبدأ منها التطور، ويمكن مقارنتها في طبيعتها وجوهر وجودها بالخلية الحية في التركيب البيولوجي للكائن الحي، وهي وسط طبيعي واجتماعي نشأ فيه الفرد وتلقى فيه المكونات الأولى لثقافته ولغته وتراثه الاجتماعي"[1].

كما يعرفها "**محمد حسن**" بأنها عبارة عن جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك، وتعاون اقتصادي، ووظيفة تكاثرية، ويوجد بين اثنين من أعضائها على الأقل ذكر بالغ وأنثى بالغة وطفل، سواء كان من نسلها أو عن طريق التبني[2].

وعرفها "**بيرتراند**" بقوله: أن الأسرة جماعة اجتماعية مكونة من أفراد ارتبطوا ببعضهم البعض برباط الزواج أو روابط الدم والتبني، وهم غالبا يشتركون مع بعضهم البعض في عادات عامة ويتفاعلون مع بعضهم تبعا للأدوار الاجتماعية المحددة لهم من قبل المجتمع[3]. ويرى "**مصطفى بوتفنوشت**" أن العائلة هي المؤسسة التي تشمل رجلا أو عددا من الرجال يعيشون زواجيا مع امرأة أو عدد من النساء معهم الخلف الأحياء وأقارب آخرين وكذا الخدم[4].

في حين اعتبر "**علي الحوات**" الأسرة بأنها وحدة اجتماعية صغيرة تتكون من الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين، وأحيانا المتزوجين كما هو الحال في الأسرة الممتدة، وهذه الأسرة لها وظائف محددة ترتبط بالمجتمع ومؤسساته الاجتماعية المختلفة[5].

أما **تعريفنا الإجرائي للأسرة** فهو: " الأسرة جماعة اجتماعية تتكون من الزوج والزوجة وأبنائهما غير المتزوجين، وفي بعض الأحيان أبنائهما المتزوجين وبعض الأقارب، يقيمون في بيت واحد ".

٤- بنية الأسرة:

تمثل بنية الأسرة المظهر الثابت للتنظيم الاجتماعي، ويعتبر في الغالب مستقرا، ضعيف التطور، لكن في الحقيقة هي ذات ديناميكية خاصة تظهر عبر مراحل متباعدة من خلال التحولات الاجتماعية المختلفة. ونقصد ببنية الأسرة شكلها وحجمها، وكذا الروابط القائمة بين أفرادها، والنظام القائم داخلها، وأدوار الأفراد فيها، إضافة إلى العلاقات الاجتماعية الداخلية والخارجية للأسرة.

المحور الثاني: الإطار النظري للدراسة.

١- مفهوم التحضر:

يعتبر **مفهوم التحضر من المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع الحضري**، فالتحضر يعتبر من العمليات الاجتماعية الهامة التي عرفها المجتمع، والتي لفتت انتباه العلماء والباحثين في شتى ميادين المعرفة.

---

[1] مصطفى الخشاب: "**دراسات في علم الاجتماع العائلي**"، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥، ص٣٢.

[2] عبد الباسط محمد حسن: "**علم الاجتماع الصناعي**"، مكتبة الأنجلومصرية، مصر، ١٩٧٢، ص٢٠.

[3] إحسان محمد الحسن: "**العائلة والقرابة والزواج**"، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٥، ص١٣

[4] مصطفى بوتفنوشت: المرجع السابق، ص٢٢٨.

[5] علي الحوات: "**مبادئ علم الاجتماع**"، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ١٩٩٥، ص٢٢٨.

حيث يشير التحضر في مفهومه العام إلى تلك الظاهرة الاجتماعية الجغرافية التي ينتقل بمقتضاها سكان الريف إلى المناطق الحضرية، وما يترتب عن هذا الانتقال من تغير في طرق الحياة وأنماط المعيشة، فهو يعني أساسا تمركز السكان داخل الأوساط الحضرية، مما يؤدي إلى تغير اجتماعي وثقافي، وهذا ما يؤدي إلى غلبة الروح الفردية في العلاقات، فمفهوم التحضر يشير إلى مجموعة من العمليات الاجتماعية والتي تتمثل أساسا في الحراك المجالي للسكان وتمركزهم في المدن، ثم التكيف التدريجي مع نمط الحياة السائد في المدينة، مما يؤدي إلى تحول في العلاقات الاجتماعية من علاقات أولية إلى علاقات ثانوية، وبالتالي سيطرة الفردية[1].

كما يشير مفهوم التحضر أيضا إلى زيادة سكان المدن عن طريق تغير الحياة في الريف من حياة ريفية إلى حياة حضرية، أو عن طريق هجرة سكان الريف نحو المدن، وما ينتج عنه من تغيرات تحدث في طبائعهم وعاداتهم وطرق معيشتهم بما يتكيف مع نمط المعيشة في المدن[2].

أما **التحضر بمعناه الجغرافي** فيشير إلى اتساع رقعة التجمع السكني الحضري، هذا الاتساع يكون إما عن طريق توسع التجمع الحضري على حساب المناطق الريفية المحيطة به، وإما عن طريق تحول المناطق الريفية إلى تجمعات حضرية كنتيجة لما يطرأ عليها من تحول اقتصادي وإداري، وقد يكون عن طريق ظهور تجمعات حضرية جديدة، أما معناه الديموغرافي فيشير إلى زيادة عدد السكان في التجمع الحضري، هذه الزيادة التي تكون ناتجة أساسا عن عمليتين ديموغرافيتين، أولاهما عن طريق النمو الطبيعي للسكان، وثانيها النمو السكاني الناتج عن الهجرة الريفية نحو المدن[3].

فالتحضر عبارة عن ظاهرة اجتماعية متصلة بالتغير الاجتماعي، ينتج عنها زيادة في عدد سكان المدن كنتيجة للهجرة الريفية، فالحياة الحضرية تؤدي إلى تغير في أسس التماسك الاجتماعي مما يؤدي مما يؤدي إلى ضعف العلاقات الاجتماعية، والتحول في النظم والأنساق، فالحياة في المدينة تدفع بالفرد إلى الانضمام في جماعات منظمة تربطها المصالح المشتركة، هذه الجماعات التي لم تكن موجودة في النمط التقليدي، فالحياة الحضرية هي أساس قيام العلاقات الاجتماعية بين السكان، هذه الحياة التي تدعم الفردية وتبرز أهمية المصلحة.

فعملية التحضر مرتبطة أساسا بنزوح الريفيين إلى المدن، وتخليهم عن النشاط الزراعي، وتعويضه بالنشاط الصناعي والتجارة، ومنه اكتساب خصائص الحضرية، هذا النزوح لم يكن لأفراد فقط وإنما لعائلات وأسر بأكملها، خاصة بعد فقدانها ملكية الأرض وتدهور أوضاعها المعيشية، مما جعلها تترك الريف وتنتقل إلى المدينة بحثا عن فرص عيش أفضل وتحسين أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية.

٢- مفهوم الحضرية:

إذا كان مفهوم التحضر يشير إلى **"العملية"**، وقد ارتبط هذا المفهوم بمعاني كثيرة منها الإشارة إلى حركة السكان من الريف إلى المدينة، وما يتبع ذلك من زيادة في عدد سكان المدن مقارنة بسكان الريف، كما يشير أيضا إلى انتشار أنماط السلوك وأساليب الفكر الحضرية، فإن الحضرية تشير إلى حالة أو كيفية أو طريقة الحياة، وتعتبر خاصية مميزة للمدينة أو المجتمع الحضري، ويعود الفضل في استعمال هذا المفهوم إلى **"لويس ويرث"** حيث عرفها بأنها نمط أو أسلوب حياة، حيث يرى أن إيكولوجية المدينة بما تفرضه من تفاعلات وعلاقات تكون نتيجتها سلوكات تميز حياة

---

[1] محمد بوخلوف: المرجع السابق، ص٢٣.

[2] عبد المنعم شوقي: "**مجتمع المدينة، الاجتماع الحضري**"، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط٧، ١٩٨١، ص٢٣.

[3] محمد بوخلوف: المرجع السابق، ص٢٥.

الإنسان الحضري وتكسبه ثقافة خاصة تنعكس على سلوكه، يمكن أن نطلق عليها اسم الثقافة الحضرية يكتسبها الفرد من خلال إقامته في المدينة[1].

لقد أجمعت محاولات كل من "**زيمل**"، "**سوروكين**"، "**زيمرمان**" و"**ويرث**"على محاولة تحديد خصائص الحضرية كطريقة للحياة، حيث أجمعت هذه المحاولات على تحديد الخصائص التالية للحضرية:

- تطوير نسق أكثر تعقيدا لتقسيم العمل.

- ارتفاع معدلات الحراك الاجتماعي والمكاني.

- الاعتماد الوظيفي والتساند المتبادل بين الأفراد.

- انتشار وسيطرة نسق من العلاقات الاجتماعية يتسم بالسطحية، إلى جانب سيطرة الطابع الانقسامي للأدوار الاجتماعية.

- الاعتماد على الأساليب غير المباشرة للضبط الاجتماعي[2].

لقد أصبح معروفا لدى المهتمين بعلم الاجتماع الحضري أن الحضرية تعني أسلوب الحياة التي يتميز بها سكان المدن، هذا الأسلوب الذي تفرضه الطبيعة الايكولوجية والاجتماعية والثقافية للمدينة، وهي تلك التغيرات الاجتماعية التي تصاحب التحضر[3].

فالعمل الذي قدمه "**لويس ويرث**" في مقاله الشهير بعنوان "**الحضرية كطريقة للحياة**" الذي نشره سنة ١٩٣٨، يصف التحضر بأنه يؤدي إلى تغير أساسي في نوعية وطبيعة العلاقات الإنسانية، كما يؤدي إلى اختفاء الجماعات الأولية التي تعوضها الجماعات الثانوية المتخصصة، كما يشجع العلاقات غير الشخصية وروح التسامح، حيث يصبح السكان المتكيفون مع هذا الوضع أقل اعتمادا على الجماعات الأولية كالعائلة والحي.

ومنه فإن الحضرية هي حصيلة التفاعلات والعلاقات الاجتماعية الحضرية التي تنتج عن الإقامة في المدينة، والتي تؤدي بدورها إلى إنتاج ثقافة خاصة تميز البيئة الحضرية، وتكتسب أنماط الحياة الحضرية تدريجيا، وبالتالي يحدث التكيف الحضري تدريجيا، وإذا ما تم اكتساب أنماط الحياة الحضرية فإن العقلانية تصبح أهم صفة يتميز بها ساكن المدينة، وهكذا فإن الحضرية تعتبر خلاصة التحضر[4].

٣- خصائص التحضر في الجزائر:

من خلال تتبع المراحل التي مر بها التحضر في الجزائر، وكذا فتراته التاريخية التي شكلت محطاته الرئيسية، يظهر بأنه نتج أساسا عن الهجرة والحركة الجغرافية للسكان من الريف نحو المدينة، وعلى الرغم من أن التصنيع والتنمية الصناعية التي عرفتها الجزائر خاصة بعد الاستقلال تعتبر محطة هامة في تاريخ التحضر في الجزائر وكذا التحول الريفي الحضري للمجتمع الجزائري، غير أن العامل السياسي يعتبر أكبر أثرا في هذا التحول، فمعظم الفترات التي كان فيها التحضر في الجزائر سريعا كانت مرتبطة بالظروف والتحولات السياسية التي عرفتها الجزائر، سواء تلك الظروف

---

[1] محمد بومخلوف: نفس المرجع، ص٢٨.

[2] السيد عبد العاطي السيد: المرجع السابق، ص٩٥.٩٦

[3] محمد بومخلوف: المرجع السابق، ص٢٧.

[4] محمد بومخلوف: نفس المرجع، ص٢٩.

المتعلقة بالاحتلال الفرنسي واندلاع ثورة التحرير، أو تلك الظروف المتعلقة بالاستقلال الوطني، وكذا الظروف المتعلقة بالتحول الديمقراطي وما انجر عنه من أوضاع أمنية متدهورة خاصة خلال فترة التسعينيات.

ورغم أن الشبكة القوية من المدن التي تتمتع بها الجزائر، سواء الكبيرة منها أو المتوسطة أو الصغيرة، ورغم التحضر السريع الذي عرفته، إلا أنها لا زالت تعتبر من الدول المتوسطة التحضر، حيث تشير التقديرات إلى أن نسبة التحضر قد بلغت (٥٥ %) سنة ١٩٩٤[1]، لتبلغ سنة ٢٠٠٠ حوالي (٦٠.١ %)[2]. فنسبة التحضر في تزايد مستمر، كما يجب أن لا نغفل أن هناك نسبة معتبرة من السكان لا زالت تقيم في الريف، أما باقي السكان المقيمين في المدن فإن معظمهم من أصول اجتماعية ريفية، كما أن تحضرهم يعتبر حديثا لا يتعدى عمر الجيل الواحد في أغلب الحالات.

إن المتتبع لعملية التحضر في الجزائر يدرك أن نسبة معتبرة من سكان المدن يقيمون في مدن كبيرة، وهذا ما يعني أن الهجرة والتحضر يخصان بصفة أكبر المدن الكبيرة أكثر من المتوسطة والصغيرة، كما يدرك أن سرعة التحضر كانت أقوى من طاقات المدن وإمكانياتها البيئية والاقتصادية.

وعلى العموم فإن التحضر في الجزائر له **خصائصه المتميزة** ولعل أهمها يتمثل في:

- ارتباط التحضر بالواقع والأوضاع السياسية والتاريخية والاجتماعية للجزائر.

- يرتبط التحضر أساسا في الجزائر بالهجرة الريفية، فالهجرة من الريف إلى المدينة هي أهم أسباب زيادة سكان المدن.

- يتميز التحضر في الجزائر بالسرعة، فهو لم يكن تحضرا طبيعيا ولم يتم بالتدريج، وإنما كان يتم دائما على شكل دفعات.

- نمو سكان الحضر في تزايد مستمر، مما أحدث خللا في التوازن بين الريف والمدينة، كما أدى إلى تزايد عدد المراكز الحضرية.

فالتحضر في الجزائر له خصائصه ومميزاته وظروفه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي شكلته وأعطته طابعه الخاص به، مما يصعب مقارنته بغيره، وهو ما يتطلب مراعاة هذه الظروف من أجل فهم الظواهر الحضرية، كما أن المدخل التاريخي للتحضر في الجزائر يعتبر مهما في فهم المدن الجزائرية وفهم مشكلاتها الاجتماعية، كما أن فهم الأبعاد السوسيولوجية للتحضر في الجزائر يعتبر مهما أيضا من أجل معالجة المشكلات الحضرية ورسم سياسة وطنية للتحضر، "خاصة إذا ما أدركنا من ناحية أولى نمط التحول الريفي- الحضري الذي يتم في نطاق الروح الجماعية الريفية، وضمن نسق من القيم والنظم والعلاقات الاجتماعية الريفية التي جميعها تؤطر عملية التحول وتساهم في الاندماج الحضري، وأدركنا من ناحية ثانية نمط التحول البيروقراطي والأنظمة الاجتماعية الحضرية بصفة عامة ومدى قدرتها وفعاليتها في استيعاب السكان الحضريين وإدماجهم في أنظمتها"[3].

---

[1] محمد بومخلوف: نفس المرجع، ص١٢٠.

[2] عبد العزيز بودون: "**التحضر في الجزائر (العوامل، المراحل، الخصائص والانعكاسات)**"، في: مجلة الباحث الاجتماعي، العدد ٥، جانفي ٢٠٠٤، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ص٤٤.

[3] محمد بومخلوف: المرجع السابق، ص١٢١.

٤- مفهوم الأسرة:

تعتبر الأسرة من أكثر الظواهر الاجتماعية عمومية وانتشارا، فهي الخلية الأولى التي يتكون منها المجتمع، كما يعتبر النظام الأسري أساس الاستقرار في الحياة الاجتماعية، فالأسرة من أهم الجماعات وأعظمها تأثيرا في حياة الأفراد، فمن خلال الأسرة يكتسب الفرد مكانته، كما أنها تزود المجتمع بالوحدات البشرية، وتنظم سلوك الأفراد بما يتلاءم مع الأدوار الاجتماعية المحددة لكل فرد.

إن أهمية الأسرة باعتبارها إحدى المؤسسات الاجتماعية التي سايرت تطور المجتمعات الإنسانية، جعلها محل اهتمام علماء الاجتماع كموضوع للدراسة، من خلال تحليل بنائها وعملياتها، والنظر إليها كجماعة اجتماعية إنسانية، من خلال التركيز على دراسة التفاعل الجمعي الذي هو بمثابة الجوهر الحقيقي للحياة الأسرية، كما يتيح معالجة الأسرة أولا كجماعة مترابطة، وثانيا كنظام.

يرى علماء الاجتماع أن الإنسان بدأ حياته بالأسرة التي تعتبر النواة الأولى للمجتمع الإنساني، وهذا ما أدى إلى ظهور عدة نظريات اهتمت بمحاولة تفسير أصل وتطور الأسرة، وكذا العوامل التي ساعدت على حدوث ذلك التغير الذي يصيب البناء والوظائف والعلاقات القرابية التي تجمع أعضاء الأسرة ببعضهم من جهة، وبالمحيط الاجتماعي الذي يعيشون فيه ويتفاعلون معه من جهة أخرى، كما يرى علماء الاجتماع أن تعقد الحياة نسبيا، وتعدد وتنوع حاجات الأسرة، اضطرت إلى التجمع مكونة تجمعا بسيطا، ثم بطونا وقبائل، ثم اتسعت هذه التجمعات أكثر وكبر حجمها، مما أدى إلى ظهور حكومات وأديان، وأنظمة اقتصادية وأعراف وتقاليد وعادات اجتماعية، مشكلة بذلك المجتمع بأنشطته وعملياته، واتضحت قواعد العلاقات الإنسانية الرسمية وغير الرسمية التي تربط الأفراد ببعضهم[1].

يرى **"مورغان"** أن المجتمع يلعب دورا كبيرا في تحديد بنية ونمط الأسرة، فهو يرى أن الأسرة لم تكن أبدا متوقفة أو استاتيكية فهي في تطور مستمر، حيث تتحول من نمط أدنى إلى نمط أرقى، فهي بذلك تتطور موازاة مع تطور المجتمع، وذلك كنتيجة للتطور الاقتصادي والتكنولوجي[2]،كما يرى **"ماكيفر"** أن الأسرة تحولت إلى تنظيم محدود يتكون أساسا من الجماعات المتعاقدة الأصلية، بعدما كانت تمثل وحدة متكاملة ذاتيا، كما أن الأسرة تستمر في خدمة المجتمع من خلال خدمتها لكل الأفراد الذين ينتمون إليها، غير أن هذه الخدمة تبدأ في الانكماش تدريجيا كلما اتجه هؤلاء الأفراد نحو سن البلوغ[3].

لقد كانت الأسرة قديما تشكل وحدة اقتصادية قائمة بذاتها، فقد كانت تقوم بوظيفتي الإنتاج والاستهلاك معا، كما أن الأفراد يستمدون مكانتهم منها، كما أنها كانت مسؤولة عن حماية أفرادها اقتصاديا ونفسيا، وذلك لأنها كانت تتميز بدرجة كبيرة من التحمل والمسؤولية تسمح لها بإنجاب الأطفال وتربيتهم وحمايتهم.

فالأسرة جماعة اجتماعية يتم عن طريقها إشباع الحاجات الأساسية للأفراد وتشكيل الشخصية الإنسانية، فالطفل لم يولد كامل النمو، وإنما اكتسب ذلك من خلال وجوده داخل الأسرة، وبالتالي يصبح شخصية مميزة عن طريق تفاعله مع عناصر أساسية كثيرة، منها الثقافة والوراثة حيث يلعبان دورا هاما في نموه، كما أن لها وظائف دينية واقتصادية واجتماعية وسياسية، وهي بذلك تتداخل مع النظم الدينية والاقتصادية والسياسية والتربوية، غير أن وظائفها تختلف باختلاف أنواعها وأنشطتها الاقتصادية والاجتماعية، فعلى سبيل المثال نجد أن الأسرة الحضرية تهتم بتربية الأطفال

---

[1] عاطف وصفي وآخرون: "**دراسات في المجتمع العربي**"، اتحاد الجامعات العربية، عمان، ط١، ١٩٨٥، ص٢٠.

2 Andrée Michel: **Sociologie de la famille et du mariage**, PUF, France, 1972, p30.

[3] إحسان محمد الحسن: المرجع السابق، ص٤٢.

وتحضيرهم للتكيف مع البيئة الحضرية استكمالا لدور المدرسة في التعليم والتدريب، في حين نجد أن الأسرة في الريف تختص بوظائف أخرى، ولعل أهمها الوظيفة الاقتصادية التي تهدف إلى توفير الإنتاج ومصادر الغذاء، كما تهتم بتربية وتعليم الأطفال، حيث تساعد على إعداد جيل قادر على مواجهة صعوبات الحياة، فمسؤولية الأسرة لا تقتصر على تقديم الخدمات لأفرادها فقط، بل تساهم في مساعدة الجيل الجديد على تحمل أعباء الحياة بالتعاون مع المؤسسات الرسمية للدولة[1].

لقد ساعد التصنيع على الإطاحة بالكثير من القيود التي كانت تربط الاسرة التقليدية بماضيها وكذا بجماعاتها القرابية الممتدة، كما يعتبر تقلص حجم الأسرة الحديثة من جماعة قرابية ممتدة قائمة على تجمع وحدات أسرية إلى أسرة صغيرة قائمة على أساس الزواج وحده، يعتبر من أهم مظاهر التغير الذي أصاب الأسرة، هذا التغير الذي كان مصاحبا لعملية التحضر، والذي كشف عن خصائص العزلة وضعف الروابط القرابية، وقد ظهرت هذه التغيرات أساسا مع التغير الذي لحق بالنظام الاقتصادي للمجتمع الحضري.

٥- الأسرة الجزائرية والتغير الاجتماعي:

يشير التغير الاجتماعي إلى تعديل في الأنماط القائمة للعلاقات الاجتماعية الداخلية ومعايير السلوك، ويحدث التغير الاجتماعي والثقافي لبعض الأشكال الأسرية باعتبار الأسرة نظاما أوليا تتداخل مع النظم الأخرى، وهي تتعرض للتغير كما تتعرض له بقية النظم الأخرى، وقد تكون هذه العملية بطيئة أو سريعة، كما هو الحال في المجتمعات الحديثة المعقدة، والتغير شيء محتوم لا بد منه في المجتمع، وتتعرض له كل الأنظمة الاجتماعية بما فيها الأسرة[2].

تعد العائلة إنتاجا اجتماعيا تعكس صورة المجتمع الذي تعيش فيه، وتتطور بتطوره، فالعائلة الجزائرية التقليدية كغيرها من العائلات في المجتمع العربي، تعكس صورة المجتمع التقليدي، فهي التي يبقى فيها الابن عضوا حتى بعد زواجه وإنجابه أطفالا، وفي هذه الحالة تسمى العائلة الأبوية وهي أكثر انتشارا في الوسط الريفي[3]، وتعتبر العائلة الجزائرية التقليدية عائلة موسعة تضم عدة أسر زواجية، تعيش في بيت واحد، وتتكون من الأب وزوجته أو زوجاته وأولاده غير المتزوجين، وأولاده المتزوجين مع زوجاتهم وأبنائهم، كما تضم أحيانا أخت الأب الأرملة أو المطلقة، وأبناء وبنات الأشقاء، وقد عرفها **"مصطفى بوتفنوشت"** على أنها مجموعة الصلات المحددة اجتماعيا، دينيا، حقوقيا وأخلاقيا، وغالبا ما يكون الجد الكبير هو القائد الروحي لهذه الجماعة العائلية، يحافظ على تماسكها بفضل السلطة التي منحها له المجتمع[4].

إن الأسرة الجزائرية لم تعرف تغيرا في بنائها أو تحولا في شكلها في السنوات الأولى من الاحتلال، فنمط الأسرة السائد في ذلك الوقت هو النمط الممتد، الذي يتميز بالتماسك والوحدة، إلا أن الأمر لم يبق على حاله بعد سنوات من الاستعمار، الذي عمل جاهدا على تفتيت هذه الوحدة، وذلك من خلال مصادرة الأراضي الخصبة وهدم النمط الإنتاجي التقليدي، مما أدى إلى انتشار الفقر والبطالة، مما دفع أفراد الأسرة إلى البحث عن فرص العمل في المناطق التي توجد بها مزارع المعمرين، وكذا الهجرة إلى المدن للعمل في المصانع، وحتى الهجرة إلى خارج الوطن.

---

[1] محجوب عطية: "**علم الاجتماع والمجتمع الريفي**"، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٩٢، ص١٩٩.

[2] مصطفى عوفي: "**خروج المرأة إلى ميدان العمل وأثره على التماسك الأسري** "، في: مجلة العلوم الإنسانية، العدد ١٩، جوان ٢٠٠٦، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ص١٣٩.

[3] صلاح مصطفى الفوال: "**علم الاجتماع البدوي**"، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠، ص١٨٧.

[4] مصطفى بوتفنوشت: المرجع السابق، ص١٩.

فهذا الوضع كان سببا في ظهور تحول في نظام العائلة التقليدية، أدى إلى انفصال أفرادها عن السلطة الأبوية التقليدية، واعتمادهم على أنفسهم، وأمام هذه الوضعية الجديدة التي عرفتها الأسرة، تبنت قيما جديدا وشكلا جديدا لم يكن سائدا من قبل، حيث التحقت المرأة أثناء الثورة بصفوف جيش التحرير، وساهمت إلى جانب الرجل في الكفاح، كما خرجت للعمل لإعالة أسرتها التي فقدت أفرادها الذكور بسبب الحرب، أو التحقوا بصفوف الجيش نتيجة الظروف المزرية التي خلفها الاستعمار، فعملت المرأة في بيوت المعمرين وكذا في المصانع، ومن هنا عرفت العائلة التقليدية مرحلة انقسام، حيث نتج من التغيرات التي طرأت عليها شكل عائلي آخر، فبعد الاستقلال بدأ التغير يظهر حيث تقلصت بعض وظائفها وخصائصها مع تمركز الوظائف والخصائص الأخرى، وكنتيجة لهذا الانقسام تكونت عائلات جديدة، حيث بدأت تتشكل بوضوح أسرة جزائرية تجمع بين خصائص العائلة التقليدية والأسرة الحديثة، وهذا على مستوى الجيل الأول والثاني من النازحين، أما الجيل الثالث ففي الغالب يتجه نحو شكل الأسرة الحديثة النووية.

هذا التحول في بناء العائلة الجزائرية لم يكن ليظهر بشكل واضح إلا بعد أن نزحت العائلة إلى الوسط الحضري المختلف عن الوسط الريفي، حيث تحولت من نموذج اجتماعي اقتصادي إنتاجي جماعي يقوم بالدرجة الأولى على علاقات القرابة، ويعتمد على الإنتاج الزراعي والحيواني، إلى نموذج اجتماعي اقتصادي استهلاكي فردي، يعتمد على الاقتصاد الصناعي والتجاري، وتحكمه عوامل العمل المأجور[1]، غير أن هذا التحول من النمط التقليدي إلى النمط النووي لم يصاحبه استقلال شامل، إذ أن الكثير من المناسبات والأعياد أظهرت أن الأسرة الجزائرية مازالت متمسكة بنمط العائلة التقليدية، حيث بقيت الأسرة النووية مرتبطة بأسرة الوالدين نتيجة تمسكها بالقيم والعادات، وامتداد السلطة المعنوية للوالدين على الأبناء، إضافة إلى الارتباط الاقتصادي والاجتماعي للأسرة النووية الفتية مع أسرة الوالدين، التي تشكل حماية وسندا لها خاصة في ظل الأزمات الاجتماعية والاقتصادية التي عاشتها البلاد.

إن الاستعمار الفرنسي، وثورة التحرير يعتبران عاملان أساسيان في التغير الحاصل في الأسرة الجزائرية، خاصة فيما يتعلق بالسلطة والأدوار داخل الأسرة، فقد كانت أول مؤسسة قصدتها الإدارة الفرنسية الاستعمارية، رغبة منها في القضاء على الثورة باعتبارها شاملة للتنظيم الاجتماعي الجزائري، أما بعد الاستقلال فقد شهد المجتمع الجزائري عدة تغيرات في الوضعية الاجتماعية ونوعية السكن، والهيكل الأسري، وتحرر المرأة والانفجار السكاني، كما كان للتصنيع والنمو العمراني، وترشيد أجهزة الإنتاج وتطوير الفرد الجزائري أساس التغيرات التي طرأت على الأسرة الجزائرية، كما كان للهجرة الداخلية من الريف إلى المدينة دورا كبيرا في تغير شكلها.

لقد ترتب عن هذا التغير وهذا التحول في الأسرة الجزائرية، وفي نمطها وشكلها تغيرات أخرى في شكل العلاقات، وفي نظام السلطة واتخاذ القرارات، وفي سلوكات الأفراد، بمعنى أنه بتحولها من الشكل الممتد إلى الشكل النووي الحديث، تغيرت معه أيضا خصائص ومميزات العائلة التقليدية، وظهرت مميزات أخرى أصبحت تتسم بها الأسرة الجزائرية الحديثة، خاصة مع تطور المجتمع الجزائري وتطلعه نحو التقدم والرقي في شتى الميادين.

وقد استمر تطور وتغير العائلة الجزائرية التقليدية مع تطور المجتمع، وظهور بوادر التصنيع، فالتغيرات التي تحدث في الأسرة لا يمكن فصلها عن التغيرات التي تحدث في المجتمع ككل، خاصة في انتقاله من المرحلة التقليدية إلى المرحلة الحديثة[2]، وقد أحدث تقلص حجم العائلة، وتكاثر الأعباء المنزلية عليها، ودخول معظم أفرادها سوق العمل خللا في

[1] محمد السويدي: المرجع السابق، ص٨٩.

[2] محمد صفوح الأخرس: "**تركيب العائلة العربية ووظائفها**"، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦، ص٢٢.

بنيتها، فمهد ذلك إلى بروز نمط أسري جديد هو الأسرة النووية[1]، والتي تتكون من الزوج والزوجة وأبنائهم غير المتزوجين، يعيشون تحت سقف واحد بشكل مستقل. فبعد أن كانت الأسرة الجزائرية في طابعها العام عائلة ممتدة، أصبحت تتسم بصغر حجمها، والتي عرفها **"مصطفى بوتفنوشت"** بأنها نموذج أسري جديد للأسرة الجزائرية تتضمن كلا من الزوجين وأولادهما غير المتزوجين، والذين يتفاوت عددهم حسب كل أسرة، إضافة إلى أنها أسرة تدير شؤونها بنفسها، وتبحث عن الاستقلالية والإنفراد في مسكنها[2].

نتائج الدراسة:

لقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى أن توفر فرص العمل لكل من الزوج والزوجة وانخراطهما في العمل المأجور خارج قطاع الزراعة، قد ساهم في انفصال الأسرة النووية عن العائلة الكبيرة، وهذا من خلال حصولهما على أجر شهري يذهب لسد احتياجات الأسرة، وبالتالي لم تعد بحاجة إلى مساعدة ودعم من العائلة الكبيرة، فخروج الزوج والزوجة إلى العمل ساهم في ارتفاع مستوى دخل الأسرة، وبالتالي أصبح هذا الدخل كافيا لسد احتياجاتها.

كما أن توفر السكن اللائق والكافي لعدد أفراد الأسرة ساهم أيضا في انفصال واستقلال الأسر النووية، هذا السكن الذي كان في الأساس مصمما لأن يحتوي عائلة صغيرة، حيث كان لعمل الزوج والزوجة وحصولهما على راتب شهري محترم، وبالتالي ارتفاع مستوى الدخل، كان له تأثير كبير في قدرتها على الحصول المسكن الذي ساهم بشكل كبير في استقلالها، وبالتالي تغير في بنيتها، كما أن تحسن المستوى التعليمي للزوجين، من خلال توفر المؤسسات التعليمية، وبالتالي انتشار التعليم، أدى إلى تغير سلوكاتها واتجاهاتها، واكتسابها ثقافة تتماشى مع هذا المستوى التعليمي ومسايرة نمط الحياة الحضرية، مما أدى إلى تغير أسلوب حياتها، وهذا ما جعلها تسعى دائما إلى التخلي عن كل ما هو تقليدي، وفي هذا الاتجاه ذهبت إلى الاستقلال والانفصال عن العائلة الكبيرة التقليدية، وهذا ما أدى إلى إحداث تغير في بنيتها، وما يمكن أن نستنتجه أن كل هذه الظروف الاقتصادية والاجتماعية أدت إلى حدوث تغير اجتماعي في بنية الأسرة، هذه الظروف التي لم تتوفر إلا في ظل التنمية الاقتصادية التي عرفتها المدينة.

لقد أدى تحسن الظروف الاقتصادية والاجتماعية بالمدينة إلى نزوح الأسر إليها، وبالتالي تخلها عن الحياة التقليدية في الريف واستقرارها بالمدينة، وهذا ما أنتج عدة آثار أدت إلى تغير في بنيتها، حيث تحول شكلها من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية، تتميز بعدد متوسط من الأفراد، أي أنها ليست بنفس حجم الأسرة النووية التي ظهرت بالمجتمعات الصناعية الغربية، غير أن تحول شكل الأسرة من ممتدة إلى نووية لا يعني بالضرورة زوال وتلاشي الأسرة الممتدة، لأنها استمرت إلى جانب الأسرة النووية، غير أن حجمها تقلص أيضا، حيث لم تعد تضم أجيالا كثيرة، كما أنها تتميز بعدد أفراد أقل من عدد الأفراد الذي كانت تضمه الأسرة الممتدة التقليدية، حيث تلعب مدة الإقامة في المدينة دورا في هذا التغير، فكلما زادت هذه المدة كلما تغير شكل الأسرة إلى النووي وتقلص حجمها، كما أن الأسر حديثة التكوين أو الأزواج الجدد هم الأكثر ميلا إلى العيش في هذا النوع من الأسر.

إن التغير الذي طرأ على بنية الأسرة لم يتعلق بشكلها وحجمها فقط، بل تجاوزه إلى السلطة والنظام المقرر داخلها، فقد تحولت السلطة المطلقة للأب إلى سلطة أكثر مرونة وديموقراطية، حيث تنازل الأب عن جزء من سلطته لصالح زوجته وأبنائه، كما أصبحت الأسرة تتميز بالتحاور والتشاور بين أفرادها، وكذا التعاون في تسيير شؤونها. كما عمل التحضر على إحداث تغير في الأدوار داخل هذه الأسرة، حيث أصبح الزوج يشارك إلى جانب زوجته في تربية الأبناء

[1] زهير حطب: "**تطور بنية الأسرة العربية**"، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط٤، ١٩٨٠، ص٢١٠.

[2] مصطفى بوتفنوشت: المرجع السابق، ص٢٠.

والاعتناء بهم، كما أصبحت الزوجة تساهم إلى جانب زوجها في ميزانية أسرتها من خلال الأجر الذي تتقاضاه مقابل عملها خارج المنزل، حيث أصبح الزوجان يتقاسمان المسؤوليات بينهما.

وعلى الرغم من أن التحضر قد أدى إلى عزل الأسرة الجزائرية عن جماعتها القرابية من خلال انفصالها عن العائلة الكبيرة، إلا أنها بقيت محافظة على تواصلها القرابي، هذا التواصل الذي يظهر من خلال الزيارات المتبادلة، غير أنه ليس بنفس الكثافة والقوة التي كان يتميز بها في الأسرة التقليدية، كما بقيت علاقات القرابة متماسكة نوعا ما، كما أن علاقات الجيرة بدورها طرأ عليها تغير أيضا، حيث أصبحت سطحية في كثير من الأحيان، غير أنه يظهر عليها استمرار نوع من التعاون والتضامن، خاصة في المناسبات والأعياد.

أما فيما يخص الزواج فقد تغير فيه الاختيار ليصبح الاختيار الشخصي هو السائد، بعدما كان كثيرا ما يتم عن طريق الأهل، فالزواج في الأسرة النووية الحضرية أصبح قضية تخص المقبلين عليه، والذي يقوم على مبدأ التكافؤ والرضا، حيث لا يتعدى فيه دور العائلة المشورة وإبداء الرأي فقط، كما أصبحت هذه الأسر تترك حرية الاختيار لأبنائها إذا ما أرادوا الزواج، وهذا ما يدل على ظهور نوع من الديموقراطية وحرية الرأي والاختيار فيما يتعلق بالزواج، كما قل الاتجاه نحو زواج الأقارب والزواج المبكر. كما أدى التحضر كذلك زوال وتلاشي الفروق بين الجنسين، وظهور نوع من المساواة بينهما، هذه المساواة التي ظهرت خاصة بعد أن تحسنت المكانة الاجتماعية للمرأة، من خلال تحسن مستواها التعليمي، بحيث أصبح مسموحا لها بمواصلة تعليمها ودراستها، وكذا دخولها ميدان العمل المأجور، حيث أصبحت مساوية للرجل في الحقوق والواجبات.

إن التغير الذي طرأ على بنية الأسرة الجزائرية جاء كنتيجة لتأثير التحضر عليها، حيث استقلت الأسرة النووية وانفصلت عن العائلة الكبيرة، وقد دعمها في ذلك رغبتها في التحرر والتخلص من القيود التي تفرضها العادات والتقاليد، وكذا السلطة المطلقة للأب في الأسرة الممتدة، إضافة إلى رغبتها في تفادي المشاكل والصعوبات التي تواجهها داخل العائلة الممتدة، والتي تنتج أساسا عن ضيق المسكن وكثرة الأفراد فيه، كما أن استقلالها وانفصالها ساهم بشكل كبير في تحسن أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية.

ومن هذا كله نستنتج أن التحضر قد أنتج عدة آثار أدت إلى حدوث تغير اجتماعي في بنية الأسرة، هذا التغير الذي ساهم فيه توفر جملة من الشروط الاقتصادية والاجتماعية في الوسط الحضري، والتي عملت التنمية الاقتصادية في المدينة على خلقها.

خاتمة:

إن التحضر في الجزائر جاء كنتيجة لظروف تاريخية واقتصادية واجتماعية، أثرت على مختلف مجالات الحياة ونظمها ومؤسساتها، بما في ذلك الأسرة التي تأثرت بدورها بالنظم والقيم والاتجاهات الحضرية، حسب ما تقتضيه الحياة في الوسط الحضري، حيث كانت عرضة لجملة من التغيرات في العادات والتقاليد وطرق المعيشة، حيث مس التغير بنيتها من حيث حجمها وشكلها، وظهرت الأسرة النووية، وكذا تغيرت علاقاتها التقليدية، وما نتج عن ذلك من تغيرات في السلطة المطلقة للأب، وظهور نوع من الديموقراطية الأسرية، كما حدث تغير في قيم التماسك الأسري، وهذا ما لاحظناه من خلال دراستنا، حيث أن أغلب الأسر من أصول ريفية، نزحت إلى المدينة واستقرت بها، حيث حملت معها عاداتها وتقاليدها، قيمها ومعتقداتها، التي تلعب دورا في عرقلة التغير، إضافة إلى أن المدينة أصبحت تتميز بنمط عمراني جديد على المجتمع الجزائري، والذي تمثل أساسا في السكن الحضري وكذا السكن الجماعي، هذا النمط الجديد

كان له تأثير كبير على العلاقات بين الأفراد، حيث أن التغير في العلاقات نابع من التغير الذي يحدث داخل الأسرة الجزائرية في بنيتها وقيمها وتقاليدها، وحتى اتجاهاتها التي أثرت على معيشتها في هذا النمط الجديد، مما جعلها حضرية في حياتها وأبعدها عن تقاليدها.

وعلى الرغم من أن التحضر كان أداة لتحفيز التوطين الصناعي، وتطور قطاع الخدمات، فضلا عما يحدثه من تغيرات اجتماعية وسلوكية في المجتمعات المحلية، إلا أن هذا لا يعني أن نتائج التغير تظهر دفعة واحدة بشكل إيجابي دون سلبيات، حيث تظهر خلال هذا التغير مشاكل تكاد أن تكون عائقا للتحضر والتغير في معناه الحديث، كما أنها معيقة للتنمية والتقدم الاجتماعي والثقافي، ولعل أهم المشاكل التي نتجت عن التحضر تتمثل أساسا في ارتفاع معدلات النمو الحضري، بسبب استمرار موجات الهجرة الريفية، والذي أفرز في بعض الأحيان أزمة سكن وبالتالي ظهور مناطق من الإسكان الحضري الفوضوي والمتدهور، وما يعكسه من سلبيات على البيئة الحضرية، فانتشار المناطق المتخلفة والفوضوية هو البيئة المناسبة التي تتكاثر فيها الآفات النفسية والاجتماعية كالجريمة والعنف، والتفكك الأسري والمخدرات، إضافة إلى البطالة وأزمة المواصلات، وهذا ما ينتج عنه عرقلة للحياة الاجتماعية والأسرية،حيث تعتبر الأسرة الخلية الأساسية في المجتمع، وبالتالي فإن صلاحها مرهون بصلاح المجتمع.

إن تغير بنية الأسرة الجزائرية والذي نتج عنه تغير في القيم والعادات والتقاليد التي تضبط سلوك الأفراد داخلها، وظهور الأسرة النووية كشكل أسري جديد يتماشى مع نمط الحياة الحضرية، كنتيجة للسياسة العمرانية الجديدة التي تشجع على تقليص حجم العائلة، كما تظهر القيم المادية والأنانية بدل قيم التكافل والتضامن التي كانت تميز المجتمع الجزائري، وعليه فإنه من الواجب المحافظة على استقرار وثبات الأسرة، واستمرارها في أداء واجباتها التقليدية، وذلك من خلال الأخذ في الحسبان لخصائص الأسرة الجزائرية وقيمها وتقاليدها وعاداتها في عملية التخطيط الحضري والاجتماعي، كما أن تحقيق درجة من التحضر يستوجب التغيير الذي لا يتم في نسق واحد من أنساق المجتمع، أو جانب من الجوانب، بل يكون في كل الجوانب، لأنه تغيير شامل لا ينتج عن عامل واحد، وإنما هو نتاج تداخل مجموعة من العوامل لها نفس الدرجة من الأهمية.

قائمة المراجع :

١- إحسان محمد الحسن: **"العائلة والقرابة والزواج"**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٥.

٢- بشير التجاني: **"التحضر والتهيئة العمرانية في الجزائر"**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٠.

٣- زهير حطب: **"تطور بنية الأسرة العربية"**، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط٤، ١٩٨٠.

٤- صلاح مصطفى الفوال: **"علم الاجتماع البدوي"**، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠.

٥- عاطف وصفي وآخرون: **"دراسات في المجتمع العربي"**، اتحاد الجامعات العربية، عمان، ط١، ١٩٨٥.

٦- عائشة بن قطيب: **"التحضر وتغير بناء العائلة الجزائرية"**، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، ١٩٨٧-١٩٨٨.

٧- عبد الباسط محمد حسن: **"علم الاجتماع الصناعي"**، مكتبة الأنجلومصرية، مصر، ١٩٧٢.

٨- عبد العزيز بودون: "**التحضر في الجزائر (العوامل، المراحل، الخصائص والانعكاسات)**"، في: مجلة الباحث الاجتماعي، العدد ٥، جانفي ٢٠٠٤، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.

٩- عبد المنعم شوقي: "**مجتمع المدينة، الاجتماع الحضري**"، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط٧، ١٩٨١.

١٠- علي الحوات:" **مبادئ علم الاجتماع**"، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ١٩٩٥.

١١- فوزي رضوان العربي: "**دراسات في المجتمع العربي**" ، اتحاد الجامعات العربية، الأمانة العامة، ط١، ١٩٨٥.

١٢- محجوب عطية: "**علم الاجتماع والمجتمع الريفي**"، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٩٢.

١٣- محمد الدقس: "**التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق**"، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٨٧.

١٤- محمد السويدي: "**مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٤.

١٥- محمد بومخلوف: "**التحضر**"، شركة دار الأمة، الجزائر، ط١، ٢٠٠١.

١٦- محمد صفوح الأخرس: "**تركيب العائلة العربية ووظائفها**"، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦.

١٧- محمد عاطف غيث: "**قاموس علم الاجتماع**"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩.

١٨- محمد عبد المنعم نور: "**الحضارة والتحضر، دراسة أساسية لعلم الاجتماع الحضري**"، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط١، ١٩٨٤.

١٩- محمد مصطفى زيدان: "**التغير الاجتماعي**"، في: المجلة الجزائرية لعلم النفس وعلوم التربية، العدد ٢، ١٩٨٦.

٢٠- محمود الكردي: "**التحضر دراسة اجتماعية، الكتاب الأول**"، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦.

٢١- مصطفى الخشاب: "**دراسات في علم الاجتماع العائلي**"، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥.

٢٢- مصطفى بوتفنوشت: " **العائلة الجزائرية، التطور والخصائص الحديثة**"، ترجمة: دمري أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٤.

٢٣- مصطفى عوفي: "**خروج المرأة إلى ميدان العمل وأثره على التماسك الأسري**"، في: مجلة العلوم الإنسانية، العدد ١٩، جوان ٢٠٠٦، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.

24- Guy Rocher: **Introduction à la sociologie général**, Edition HMH, 1968.

25- Andrée Michel: **Sociologie de la famille et du mariage**, PUF, France, 1972.

المعتقدات الثقافية وتأثيرها على البنى الاجتماعية في منطقة متيجة

د. نسيسة فاطمة الزهراء/ جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر.

ملخص:

المعتقدات الثقافية ظاهرة اجتماعية تنتج من تفاعل الأفراد في علاقاتهم الاجتماعية وتصوراتهم حول الحياة والوجود وقوى الطبيعة المخيفة في الحياة الكونية ولأسباب عديدة أهمها ذلك التراكم الاجتماعي للعادات والأعراف والتقاليد والأفكار يصبح المعتقد ذا قوة آمرة قاهرة فهو يأمر في حالة الإيجاب ويقهر في حالة السلب وبسبب ذلك أيضا نرى المعتقد يأخذ طابعا قدسيا روحيا ذلك باعتباره نتاجا حيويا للأجيال السابقة فيما حملته من أفكار وبما مارسته من صراع مع قوى الطبيعة وغيرها من القوى وبما حقنته به في نفوسهم من تعاليم وأخلاقيات حكماؤهم وزعماؤهم ممن يعتقدون بروحانيتهم .

والمعتقد بهذا المفهوم يعد نسقاً فكرياً يضم مجموعة من الأفكار المعتقدة والشعائر والطقوس يؤمن بها أفراد المجتمع وترتبط بالعالم فوق الطبيعي وتؤدي التنشئة الاجتماعية دوراً حيويا في نقل المعتقدات الشعبية خاصة من حكايات الكبار للصغار وحكايات الآباء للأبناء من خبراتهم مع الجن وسائر الكائنات فوق الطبيعية وتخويفهم بها وعادة تكون النظم التربوية صارمة في المراحل الأولى للطفل تمنعه من الاستفسار عن هذه المعتقدات، وهناك علاقة وطيدة بين المعتقدات والبيئية الاجتماعية والجغرافية في متيجة منها المجتمعات الريفية والحضرية، وتكثر في المجتمع الجزائري في منطقة متيجة عدة معتقدات ونحن بصدد دراسة نوع منها ألا وهو السحر الذي أصبح هاجس الأمي والمتعلم والذي أثر على أفراد مجتمع متيجة بالسلب على الرغم من اتباعهم للدين الإسلامي إلى أنهم ما زالت لهم معتقدات بان للسحر دور في تحقيق أهدافهم في الحياة، من خلال هذا المنطلق نطرح التساؤل التالي ألا وهو: كيف تأثر المعتقدات الشعبية **(السحر)** على البنى الاجتماعية في منطقة متيجة؟

الكلمات المفتاحية: المعتقدات، المعتقدات الثقافية، الثقافة، السحر، البنى الاجتماعية، متيجة.

مقدمة:

لعل من أهم مقومات الثقافة العادات والتقاليد داخل المجتمع ومن خصائصها الاستمرار فمنها يتعلم أبناء الأجيال الجديدة قيم آبائهم ومعارفهم، فهذا التراث الثقافي سيكون كافيا لضمان تلاؤمهم مع المجتمع.

فالمجتمع الجزائري يحتوي على عادات وتقاليد تختلف من منطقة إلى أخرى وهي تتشابه فيما بينها في بعض المناطق.

ومن المعروف أن المعتقدات الثقافية تحتوي في مضامينها الكثير من التجارب، والقيم، والحكم، والعادات والتقاليد، فنجد الكثير من المفكرين والباحثين يعنون به عناية كبيرة منذ القدم.

فاحتلت المعتقدات الثقافية مكانة مرموقة في المجتمع الجزائري عامة وفي منطقة متيجة خاصة وخاصة لمن يحس توظيفها في مواقف الحياة.

ففي منطقة متيجة نجد من المعتقدات الثقافية التي تبعث أو تغرس للمتمعن في خلفيتها ومضمونها ثقافة وتجارب للحفاظ على تراث الأجداد.

كما نشهد في عادات وتقاليد المجتمع الجزائري دور المرأة الذي كانت تحتله داخل الأسرة، ففي معظم الأحيان كانت هي العنصر الرئيسي في القيام بهذه المعتقدات من معتقدات خاصة بالزواج،العقيقة، والختان، والولادة...الخ وكانت تستعمل المرأة طقوس سحرية للحفاظ على أبنائها أو أفراد أسرتها من السحر والعين والحسد وحتى المس.

ومنطقة متيجة كانت ثرية بهذه الطقوس أو المعتقدات سواء كان ذلك في الريف أو الحضر، وانتقلت هذه الثقافات عبر الأجيال عن طريق التعلم، فنحن نستوعب مركبات الثقافة منذ ولادتنا،جميع هذه المركبات نكتسبها في حياتنا منذ الطفولة حتى الشيخوخة وهذا ما يسمى بالتنشئة الاجتماعية.

أولا:تحديد المفاهيم :

١/ التعريف بمنطقة متيجة:

متيجة هي التسمية التي تطلق على مجموعة سهول في المنطقة الوسطى من شمال الجزائر جنوبي العاصمة، وتشتهر بخصوبة أراضيها الزراعية، تزيد مساحتها عن ١٣٠٠كم^2.

كانت قبل الاحتلال الفرنسي عبارة عن مستنقعات مائية،قبل أن يحولها المعمرون الفرنسيون إلى مزارع للحمضيات والعنب،كما أنشئوا حظائر لتربية الماشية وإنتاج الحليب ومشتقاته، وأوحى برتقال المنطقة لطبيب اسباني بصناعة مشروب اشتهر فيما بعد بـ **أورونجينا**.

شهدت في الفترة الأخيرة غزوا للعمران مما سبب نزيفا في الأراضي الصالحة للزراعة أثر على الإنتاج الفلاحي. ويحتضن السهل مدنا معروفة كالبليدة وبوفاريك وغيرها.

٢/ مفهوم الثقافة:

يعد مفهوم الثقافة من أكثر المفاهيم التي حظيت بالعديد من التعريفات التي اختلفت فيما بينها وذلك وفقا لاختلاف توجهات العلماء والباحثين الذين انكبوا على دراسة ومفهوم الثقافة، فبالرغم من شيوع استعمال لفظ الثقافة، كما ساد الاعتقاد بأن الثقافة ما هي إلا حكر على جماعة من الناس دون غيرهم حيث يطلق عليهم لفظ (الطبقة المثقفة) بينما في واقع الأمر تمثل المعارف والعلوم جزءا هاما من ثقافة الناس والمجتمع[1].

يرى **ديمورغون (Démorgon)** أن مصطلح الثقافة **(Culture)** اللاتينية الأصل والتي تعني عملية حراثة الأرض، وفي اللغة تعني كلمة الثقافة رعاية العقل والاعتناء بتهذيب الإنسان[2].

أما تعريف **تايلور** للثقافة (أنها ذاك الكل المعقد الذي يشمل المعارف والفن والأخلاق والقانون...)[3].

---

[1] مالك ابن نبي، "**مشكلة الثقافة**"، دار الفك، ط١٢، دمشق، ٢٠٠٦، ص ١٣.

[2] Med nouiga, "**la conduit par la qualité dans un context socioculturale**", Essai de modalisation systamique et application à l'entreprise marocain, thèse de doctorat en génie industrielle dirigér par: P، TRUCHOT ENSAM paris, 2003, p 53.

[3] حسين حريم ،"**السلوك التنظيمي ،سلوك الأفراد و المنظمات**"،دار زهرة للنش و التوزيع ،عمان،١٩٩٧،ص ٢٤٥ .

والثقافة تشمل المعارف والمعتقدات والفنون والقواعد الأخلاقية والقوانين والعادات والمهارات والقدرات التي يكتسبها الفرد من المجتمع الذي يعيش فيه.

٣/ مفهوم العادات والتقاليد:

يرى **كرويبر Kroeber** إن العادات هي الأساليب الشعبية التي أصبحت تتسم ببعض الجزاءات الاجتماعية (ثواب-عقاب) والتي يدركها أفراد المجتمع ويتصرفون إزائها بطريقة شعورية أو لا شعورية[1].

ويذكر **روبرت ميرتون** إن الناشطات أو الأفعال أو السلوك يتم إدراكها في البداية كعوامل مؤثرة في حياتنا،ثم تتحول بعد ذلك إلى مكونات يصعب تركها داخلنا، فإذا كان طهي الطعام يتم إعداده في وقت من الأوقات بحيث نتجنب في طهيه الفساد السريع، فإننا نظل نقوم بإعداده بنفس الطريقة لان أسلافنا كانوا يقومون بذلك[2]. وهذه العادات المتوارثة يصعب التخلي عنها وتغييرها.

كما يقول **هابرلاندت** تنتمي التقاليد إلى تراث هام فكريا في مجتمع يتميز بالمحافظة على الأفعال والعادات، ولا يفرق ماكنسن بين التقليد الشعبي والعادة،على حين يستخدم فايس مصطلح تقليد للإشارة إلى الظواهر التي تنطبق على العادة[3].

٤/ مفهوم الشعائر والطقوس:

يعرف **ادموند ليتش** الشعائر بأنها أي تعبير عن أي شكل من الأشكال الثقافية الموجودة في المجتمع[4].

كما قال **هونيجمان** إن الشعيرة هي نوع من التعبير الرمزي عن الآراء والعواطف التي ترتبط بموقف محدد أو أنها تأكيد رمزي للقيم من خلال مستويات وأفعال ثقافية[5].

ويرى **بول فردريتش** إن الشعائر هي مجموعة الاحتفالات الثقافية المحددة المتكررة، أو هي مجموعة من الأفعال المرتبطة بالقوة الخارقة للطبيعة، أو بالسلطة أو بأشخاص مجردين أو بأفكار وأنساق معينة[6].

٥/ مفهوم المجتمع التقليدي:

عرفه عالم الاجتماع **Rostow** بقوله:"ما نطلق عليه المجتمع التقليدي،يشير إلى مجتمع محدودية القوة الإنتاجية، بسبب علوم تكنولوجيا ما قبل عصر **نيوتن**،كما هو مجتمع وجهة النظر إلى العالم قبل عصر **نيوتن**، ومن منظور وجهة النظر التاريخية،فإن المجتمع التقليدي يشتمل على كل العالم ما قبل عصر **نيوتن**،وعصر الدولة الملكية في الصين والشرق الأوسط وثقافة البحر الأبيض المتوسط،بالإضافة إلى أوروبا في العصور الوسطى،كما إننا نستطيع إضافة بعض

---

[1] A. L. Kroeber ,"**Anthropology, oxford and ibh publishing"**, calcutta, bombay, new delhi, 1972, p265.

[2] John c. condon **,"Semantics and communication"**, macmillan publishing, n, y, 1986, p 191.

[٣] ايكه هولتزانس، "**قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور**"، تر: الجوهري وحسن الشامي، دار المعارف: مصر، ١٩٧٢، ص١٢٦.

[4] Edmund leach," **Political systems of highland Burma"**, harvard university press, u, s, a, 1954, p4.

[5] Robert b, taylor, 1969, op.cit, p 114.

[6] Paul friedrich," **revolutionary and communal ritual"**, in marc swartz and victor w , turner (ed) , 1966, political anthropology, adline publishing company, Chicago, p 192.

المجتمعات التي جاءت بعد عصر **نيوتن** (مثل مجتمع القبائل في إفريقيا اليوم) لأنها لم تتأثر بالمهارات الجديدة التي تستخدمها البشرية في البيئة الخارجية لتغيير مكانتها الاقتصادية"[1].

٦/ تعريف المعتقدات:

هي عادات العقل الفكرية،التي تدلّ على الصواب والخطأ، وهي حاكمة على القيم المولّدة لسلوك الإنسان، وبالتالي فإن المعتقدات تؤثر بشكل مباشر ليس فقط على فكر الإنسان، وإنما على مشاعره وسلوكه أيضاً.

ثانيا: صفات المعتقدات:

وتتصف المعتقدات بثلاث صفات: **التعميم،الحذف، والإضافة.**

مثال: عندما يعتقد الشاب أنه لا توجد فتاة تناسبه، فهذا المعتقد سيجعله يُعمم ذلك على جميع الفتيات، ويحذف الفتيات اللاتي يناسبنه، ويُشوّه كل عرض يُقدّم له فيبحث عن أقل عيب ليرفض العرض.

ومثال آخر: حين تعتقد الفتاة أنها لن تتزوج، فهي ستعمم ذلك على حياتها، وستحذف كل الفرص المتاحة، وحين يأتيها خاطب، ستشوّه ذلك بالنظر إلى أقل عيب فيه لترفضه.

كما نلاحظ أن معظم النسوة في منطقة متيجة يعتقدن أن بعض الطقوس السحرية تجعل الزوج يرضخ لها ولأوامرها ولن يتركها بأي سبب من الأسباب.

كما تعتقد النساء في منطقة متيجة وخاصة في الريف إن الأولياء الصالحين سترزقها بالأطفال إذا ذهبت إليها ووعدتها بان تقيم وليمة في ذلك المكان ويقولون بأنهن اشتروا أبنائهم من ذلك الولي الصالح.

ثالثا: طرق اكتشاف المعتقدات :

ويمكننا معرفة معتقدات أي شخص من خلال **ثلاث** طرق:

١/اللغة:فمن خلال الكلمات والعبارات تتضح لنا المعتقدات، وخصوصاً فلتات اللسان.
٢/ الفسيولوجيا: فكل معتقد من المعتقدات له تعبيراته الخاصة، فالتعبير عن القبول والرضا، يختلف بكل تأكيد عن الرفض والسخط.

ويجمع أمير المؤمنين هاتين الطريقتين في عبارة بليغةٍ، يقول :ما أضمرَ أحدٌ شيئاً إلاّ ظهرَ في فلتاتِ لِسانِهِ، وصفحاتِ وجهِهِ.

٣/ السلوك:فبالنظر إلى سلوك الإنسان نتعرّف على معتقداته،لأن هناك معتقدات يُعلنها الإنسان بوعيه، وهناك معتقدات غير معلنة إلا أنها فاعلة ومؤثّرة على سلوك الإنسان،فإذا أردت أن تعرف معتقدات شخص فراقب سلوكه. إن حياة الفرد الخارجية هي انعكاس لما بداخله، فهناك تطابق مباشر بين الطريقة التي يفكر، ويشعر بها داخليًا، وبين طريقة تصرفه وتجاربه خارجيًا.

[1] ووبن، الصينيون المعاصرون، "**التقدم نحو المستقبل انطلاقا من الماضي**"، تر: عبد العزيز حمدي، مراجعة: لي تشين تشونغ، ج١، سلسلة عالم المعرفة، رقم ٢١٠، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ١٩٩٦، ص١١٢.

رابعا: معتقدات خاطئة يرفضها الدين والمجتمع في منطقة متيجة :

المعتقدات الشعبية إرث تناقله الأبناء عن الآباء والأجداد، فلازمهم مسيرة حياتهم، وأصبحت المعتقدات هاجساً يشغل بال الناس فيشعرهم بالتفاؤل والفرح حيناً والخوف والتشاؤم حيناً آخر متابعتنا هذه تمثل محاولة لتفسير المعتقدات الشعبية التي تؤثر في سلوك الناس وتصرفاتهم لدى تعاملهم اليومي مع الآخرين من تشاؤم أو تفاؤل ومن هذه المعتقدات التي يرفضها الدين والمجتمع:

١/ الإعتقاد في أن أولياء الله وزيارة الأضرحة الخاصة بهم قد تشفي المريض، ومرآة العاقر أو التي لا تنجب أبناء سوف تنجب عند زيارتها لهم.

٢/ عمل الأحجبة لمعالجة المشكلات.

٣/ الطالع، في وجود قوى خفية تسيطر على حياة الإنسان كالجن والشيطان.

٤/ التبرك بأولياء اللّه والتوسل بهم وتقديم النذور لهم.

٥/ الطالع ، والأبراج ، والشعوذة، وكذلك بعض المعتقدات والخرافات تجاه بعض الحيوانات.

خامسا: المعتقدات الشائعة في منطقة متيجة :

أ. عند حك الحاجب الأيسر معناه أحدهم يتكلم فيك بالشر والعكس صحيح.

ب. تقبيل اليد بعد حكها لأسفل الأنف.

ج. الشعور بحكه باليد اليمنى تنبئ عن الحصول على هدية .

د. إقامة وليمة ودعوة الأقارب والأصدقاء والمعارف والجيران عند النزول في منزل جديد والذبح أمام المنزل الجديد لطرد الجن.

وهناك معتقدات شعبية كثيرة ومتنوعة حول الجان ومساكنهم وفي الأحلام وتفسيرها ومعتقدات شعبية خاصة بالزواج.

أ/ عمل الأحجبة لمعالجة المشكلات :

كثيرا ما يسقط بعض ذوي النفوس المضطربة الحائرة والرؤية المحدودة ضحية كاذبة وتقاليد موروثة وجهل بحقائق الدين الإسلامي، من أبرزها ما يتحايل به أهل الدجل من عمل أحجبة وهي عبارة عن كلمات تكتب في قصاصات من الورق ، قد تتضمن آيات أو عبارات غير مفهومة مدعين كذبها أنها قادرة على حل المشكلات المختلفة لهؤلاء البسطاء من أبناء منطقة متيجة.

وفي هذا يقول المرحوم الشيخ **محمود شلتوت** – شيخ الجامع الأزهر الأسبق – إن من أسباب استمرار الناس في التعليق بتلك الوسائل هو انشغال بعض المنتسبين إلى الدين ظلما و زورا بكثير من هذه الوسائل يعملونها ويظهرون تصديقهم إياها ويدعون الناس لها، وبهذا وغيرة اتخذ الدجالون القرآن الكريم وسيلة لكسب العيش عن طريق يأباه الإيمان، ويصدقه بعض المسلمين وفي ذلك انحراف بالقران الكريم عما انزل من اجله وإفساد للعقول الضعيفة، وصرف للناس عن طريق العلاج الصحيح لمشاكلهم وأمراضهم ، وتغير لسنة الله في الأسباب والمسببات واحتيالا على أكل أموال الناس بالباطل،وهذا ما لا يقره الدين ولا يرضى به عقل سليم،فكم رأينا من مصاب بمرض فغيره، وباء مهلك اعتقد في علاجه على حجاب أو غيره، ترك المرض يسرى في جسمه سريان النار في الهشيم.

ب/ الاعتقاد في وجود قوى خفية تسيطر على حياة الإنسان كالجن والشيطان :

يعتقد بعض الناس في الريف فما يشاع من خرافات،وما يتناقلون من حكايات عن الجن والشياطين،وقدرتهم على أن يدخلوا جسم الإنسان أو ينطقوا بلسانه ويتحركوا بتحركه، بل أكثر من ذلك ويتزوجوا من البشر، ولقد درج الدجالون والمشعوذون على أن يوهموا البسطاء من أهل متيجة بقدرتهم على تسخير الجن والشياطين لمختلف الأمراض سواء بالنفع والضر ويجلب الخير ودفع الشر وبث الحب أو غرس الكراهية وبإحداث الوئام أو الفرقة إلى غير ذالك من الأوهام انطلاقا من قدرتهم على العلم بالغيبيات، أي أن الاستعانة بغير الله ماهية إلا دعوة من دعاوى، والجن ما هوا إلا مخلوق كالإنس يتساوى معه في تحمل المسئولية أمام الله .

وليس صحيحا أن الزواج يتم بين الإنس والجن لان زواج الإنس لا يتم إلا من بني جنسه فقط لقوله تعالى : **((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))**[1].

وقوله جل وعلا: **((وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ))**[2].

وليس لنا بعد القرآن دجال نسير وراءه آو كاهن نصدقه وهو ما حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم ونهى عنه حين قال: **" مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم "** رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي اللّه عنه.

وفي هذا يقول الشيخ **محمود شلتوت**:أنه مع الحجج والبراهين التي يعرضها القرآن الكريم بشأن الجن والشياطين إلا أن الوهم قد تغلب على الناس ودرج المشعوذون على غرس هذه الأوهام في نفوس الناس مستغلين بها ضعاف الإيمان والعقول ووضعوا في نفوسهم إن الجن يلبس جسم الإنسان وان لهم القدرة على استخراجه ومن ذلك كانت بدعة الزار وكانت حفلاته الساخرة المزرية انطلاقا من الاعتقاد بان هؤلاء المشعوذين لهم القدرة على استخدام الجن في إظهار الغيب وتسخيره حيثما يشاءون وصارت لهؤلاء الناس مهنته يتعيشون منها وللمال تجمعون وبالعقول يعبثون وقد ساعدهم على ذلك طائفة من المتسترين بالدين وأبدوهم بحكايات وقصص موضوعه افسدوا بها حياة الناس وصرفهم عن السنن الطبيعية في العلم والعمل .

ج/ التبرك بأولياء اللّه والتوسل بهم وتقديم النذور لهم :

درج البسطاء من الناس والجهلاء بحقائق الدين الإسلامي على زيارة قبور ومقامات أولياء الله والتبرك بها بطرق ساذجة وخاطئة يشدون الرحال إليها في المواسم أو عند الحاجة يقبلون المقاصير الحديدية ويتمسحون في الحوائط ويذبحون الذبائح ويقدمون القرابين وينذرون النذور إذا تحقق أملهم في شفاء المريض أو عودة الغائب أو النجاح في الامتحان أو الانتخاب ويقولون أن نصيب **سيدي عبد القادر** أو **سيدي بلقاسم** أو غيرهم سيكون كذا من الأموال آو الذبائح آو الشموع .

وهذه النذور ليس لها أي أساس ديني كما أن هذا التبرك لا مكان له في المخلوق وإنما هي للخلق كما أن المنذور له ميت لا يملك من أمر نفسه شيئا فكيف يتصرف في شئون الغير، والتبرك بأولياء الله وتقديم النذور لقضاء الحاجة والشفاعة يعتبر إذن شركا بالله كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور الغير ذلك.

---

[1] سورة **الروم**، الآية ٢١.

[2] سورة **النحل**، الآية ٧٢.

خاتمة:

وفي الختام نقول أن لهذه المعتقدات الثقافية تأثير عميق على البني الاجتماعية في منطقة متيجة بحيث من خلالها يكثر الجهل على الرغم من إننا في عالم العولمة والانفتاح على العالم الخارجي، وأصبح العالم قرية واحدة من خلال الفضائيات والتكنولوجيا الحديثة، وأصبح العلم منتشر في كل مكان وزمان والدين الإسلامي انتشر مع انتشار التكنولوجيا الحديثة والذي يحث على خرافة هذه المعتقدات وعدم وجودها كعنصر من عناصر الدين الإسلامي الحنيف، ولزيادة انتشار الدين زاد الجهل معه بحيث نجد المتعلم والأمي والجاهل معا يؤمنون بوجود هذه الخرافات (المعتقدات الثقافية).

ومن بين **المعتقدات الثقافية** التي مازالت متداولة بين سكان متيجة سواء الحضر أو الريف ما يلي:

١/ التبرك بالأولياء الصالحين وفي اعتقادهم أنهم سوف يحققون لهم ما هم بحاجة إليه من أولاد وزواج وحتى عمل.

٢/ الإعتقاد بأن الأحجبة التي يكتبها المشعوذ أو الساحر تفي بأغراضهم للأمراض أو للزواج أو حتى للعين والحسد...الخ.

٣/ الإعتقاد بأن الجن سيحقق لهم رغباتهم من خلال القيام ببعض الطلاسم ويستعملون في الطلاسم للمحبة أو للتفريق...الخ.

٤/ الإعتقاد بأن الفتاة عندما تكون صغيرة يجب ربطها لكي لا تتعرض للإغتصاب وإذا تعرضت فلا يحدث لها شيء من خلال استعمال بعض الطلاسم.

٥/ الإعتقاد بأن الفتاة إذا قامت بكسر البيض تحت رجلها في إناء يوم ربط الحنة لها سوف تكون هي المالكة لزوجها وتتحكم فيه.

٦/ كذلك هناك بعض المناطق من متيجة من يخرجون العروس بدون حذاء وتحت ذراع الأب أو كبير العائلة يعتقدون بأن الأب يبقى حاميها طول حياتها وإنها لن ترجع إلى أبيها مرة ثانية أي أنها لا تتطلق.

٧/الإعتقاد بأن راية الحيوانات في الأحلام على وجود شياطين تطارد ذلك الشخص أو إعداد من الإنس.

٨/الإعتقاد بأن الفتاة إذا أكلت من كبدة الكبش الذي أحضر لفتاة أخرى تزوجت وقد طهتها بالسكر فإنها تتزوج من بعدها.

٩/الإعتقاد بأن من يوجد به حبوب في وجهه ويقوم بتقطيع رأس خروف وغليه وعندما يطهو تضعه له أمه وراء ظهره ليأخذ قطعة ثم يمسح بها على وجهه ويأكل ما بداخلها ويعاهدها أن لا يقوم بأكلها مرة أخرى فان تلك الحبوب سوف تزول.

١٠/ الإعتقاد بأن عتقاد بأن من يقوم بوضع من دم كبش العيد على الحبوب الموضعية (الثلال) فإنها سوف تزول.

وهناك عدة معتقدات أخرى في منطقة متيجة توحي على أن الجهل مزال لحد الساعة راسخ في تقاليد وعادات أهل المنطقة.

قائمة المراجع:

١. أيكه هولترانس، " **قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور**"، تر: الجوهري وحسن الشامي، دار المعارف: مصر، ١٩٧٢.

٢. حسين حريم ، "**السلوك التنظيمي ،سلوك الأفراد و المنظمات**"،دار زهرة للنش و التوزيع، عمان،١٩٩٧.

٣. مالك ابن نبي، **مشكلة الثقافة""**، دار الفك، ط١٢، دمشق، ٢٠٠٦.

٤. ووبن، الصينيون المعاصرون، "**التقدم نحو المستقبل انطلاقا من الماضي**"، تر: عبد العزيز حمدي، مراجعة: لي تشين تشونغ، ج١، سلسلة عالم المعرفة، رقم ٢١٠، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ١٩٩٦.

5. A. L. Kroeber, "**anthropology, oxford and ibh publishing**", Calcutta, Bombay, New Delhi, 1972.

6. Edmund leach, "**political systems of highland Burma**", Harvard university press, u, s, a, 1954.

7. John c. Condon, "**semantics and communication**", Macmillan publishing, n, y, 1986.

8. Paul fried rich," **revolutionary and communal ritual**", in marc Swartz and victor w, turner (Ed), 1966, political anthropology, adline publishing company, Chicago.

9. Robert b, Taylor, "**cultural ways: a compact introduction to cultural anthropology**", Kansas university, u, s, a, 1969.

10. Med nouiga, "**la conduit par la qualité dans un context socioculturale**", Essai de modalisation systamique et application à l'entreprise marocain, thèse de doctorat en génie industrielle dirigér par: P- TRUCHOT ENSAM paris, 2003.

الطّرق التّجارية في المغرب الأوسط ودرورها في تنشيط الحركة التّجارية

أ.سمير مزرعي/جامعة أبو بكر بلقايد،تلمسان،الجزائر

ملخّص:

ليس بوسعنا أكثر من التّخمين، إذا اعتقدنا بأنّ موضوع الطّرق التّجارية في المغرب الأوسط ودورها في تنشيط الحركة التّجارية في المغرب الأوسط، هو من المواضيع الّتي يجب أن تنال قسطا من الاهتمام والدّراسة، لما يكتسيه هذا الجانب من الأهمّية البالغة في التّعريف بتاريخ الجزائر الاقتصادي، كما أنّ اختيارنا لهذا الموضوع لم يتأتّى من العدم، وإنّما لمدى قناعتنا بأنّ التّجارة في المغرب الأوسط كانت ميزانا نحكم به على اتّجاه مسار تاريخنا ، كما أنّ للموضوع صبغته الخاّصة والمتمثّلة في أنّ الطّرق التّجارية ربطت المغرب الأوسط وأفادته على كافة الأصعدة "تجاريا وفكريا وسياسيا وحتّى حضاريا" ولم تجعله متقوقعا على نفسه في إطاره الجغرافي الضّيق بالمقارنة مع المغرب الإسلامي والدّول المجاورة له، وعلى هذا الأساس فقد وجّهنا عنايتنا وانطلاقا من ملازمتنا كتب الرّحلات الجغرافية إلى رسم وتحديد خريطة الطّرق التّجارية في المغرب الأوسط، والكشف عن بعض المراسي والحواضر الّتي باتت مجهولة وضائعة في صفحات الكتب.

الكلمات المفتاحية: الطّرق التّجارية، الموانئ، المراسي، الحواضر التّجارية، الصّادرات، الواردات، المنتوجات الزّراعية، المصنوعات.

مقدّمة:

إنّ موضوع الطّرق التّجارية في المغرب الأوسط من المواضيع الّتي يجب على الدّارسين البحث والتعمّق فيها، إذ يكون من الصّعب، بل من عديم الرّؤية أن نفهم تاريخ المغرب الأوسط، دون أن نتناول وبشيء من التّحليل والتّدقيق والتّمحيص تاريخ الحركة التّجارية، فمن خلال هذه الدّراسة يمكننا التّعرّف على الموروث التّاريخي بشقّيه المادي والمعنوي الّتي خلّفته الدّول المستقلّة المتعاقبة في هذا الإطار الجغرافي، فالمصادر الّتي بين أيدينا تحقي قصّة واقعية وتفصيلية للحياة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب الأوسط، وتطلعنا على الأسباب والعوامل المتحكّمة في ازدهار الحركة التّجارية أو تخلّفها.

ليس لدينا ها هنا مجالا للحديث عن المؤثّرات الّتي طبعت الحركة التّجارية، نتيجة لطبيعة الموضوع وضيق صفحات البحث، ولكن سنحاول وبشيء من التّحفّظ والاختصار، أن تناول موضوع الطّرق التّجارية والنّظر إلى مساهمتها في تنشيط حركة المعاملات التجارية، إذ يمكننا رصد عدّة جوانب أخرى تتعلّق بدور أمراء وسلاطين وسكّان الحواضر، و بوسعنا أيضا إلقاء الضّوء في البحوث السّابقة على مكمّلات ومتمّات هذا الموضوع.

إذا لنضع حدّا لهذه الاعتبارات، ولنقل بأنّ البحث في موضوع الطّرق التّجارية من بابه الواسع، وما يترتّب عنه من تقديم رؤية عامة ذات طابع شمولي حول التّاريخ الاقتصادي والمبادلات التّجارية، وتحديد أهم المواد والمنتوجات المستوردة أو تلك الموجّهة للتّصدير ، يمكننا وبطريقة غير مباشرة من التّعرف على التّوجهات السياسة لهذه الدّول إزاء التّرويج لحواضرهم، وذلك بتأمين الطّرق ومصاحبة القوافل وتسهيل التبادل التّجاري، وينتج عن كلّ هذا بثّ عقائدها ومذاهبها، بالإضافة إلى الاستفادة من علوم الوافدين من الأمصار الأخرى.

و أثاء تناولنا لهذا الموضوع راودتنا عدّة **تساؤلات** طرحت نفسها بقوّة والّتي مفادها:

ما هي أبرز الطّرق التّجارية الّتي عرفها المغرب الأوسط؟

ما هي الأدوار الّتي لعبتها الطّرق والمسالك التّجارية وفيما تمثّلت؟

ماهي أبرز السّلع الّتي كانت تنتجها حواضر المغرب الأوسط والّتي كانت موجّهة للتّصدير، وما هي الأقاليم والأمصار الّتي كانت توجّه إليها؟

ماهي العوامل والأسباب الّتي كانت وراء ازدهار هذه الحركة التّجارية؟

وإذا سلّمنا بأنّ في المغرب الأوسط هناك حواضر تجارية وموانئ كان لها بالغ الأثر في تنشيط الحركة التّجارية داخل المغرب الإسلامي أو خارجه، فإلى أيّ مدى يصدق هذا الرّأي؟

١- أنواع الطّرق التّجارية:

عرف المغرب الأوسط عبر تاريخه عدّة طرق ومسالك تجارية، سواء كانت برّية أو بحرية، ساهمت كلّها في إنماء وإنعاش الحركة التّجارية داخله وخارجه، ولا يمكننا حصر هذه الطّرق فيما سنقدّمه، بل ذكرنا الأهمّ من المهمّ، ومن أجل ذلك قسّمناها إلى طرق خارجية وداخلية هي كالآتي.

١-١- الطّرق الدّاخلية:

أ- طريق تهرت موانئ المغرب الأوسط:

من خلال المصادر التّاريخية نلمس بأنّ طرقا تجارية كانت تربط مدينة تهرت بعدّة موانئ على الشّريط السّاحلي للمغرب الأوسط، ومن جملة هذه المراسي المعروفة لدى المؤرّخين نجد **"ميناء تنس"** ومرسى فرّوخ ومرسى الدّجاج ومرسى الخرز، وربّما استعمل أيضا مرسى مدينة وهران من أجل التّعامل مع قرطبة عاصمة الدّولة الأموية في الأندلس وموانئها المشهورة مثل إشبيلية والجزيرة الخضراء وبلنسية وطرطوشة.

ب- تلمسان مدن المغرب الأوسط:

هناك طريق برّي داخلي يخرج من تلمسان وهو محاذي لسفوح جبال الأطلس الصّحراوي **(الدّاخلية)** الشّمالية إلى غاية المسيلة ثمّ نقاوس ويمرّ بكلّ من بغاية وتبسّة ليصل إلى جنوب المغرب الأدنى، إلاّ أنّ استخدامها كان قليلا بسبب عدم استقرار الأمن[1] وهناك شبكة طرق برّية تربط بين تلمسان والمدن الزّيانية الأخرى[2] السّاحلية والدّاخلية مثل طريق

---

[1] شقداد بسام كمال عبد الرّزاق، "**تلمسان في العهد الزّياني (٦٣٣هـ٩٦٢هـ/١٢٣٥م،١٥٥٥م)**"،رسالة ماجيستير،جامعة النّجاح الوطنية،نابلس، فلسطين، ٢٠٠٢، ص١٩٥.

[2] الإدريسي،" **المغرب وأرض السودان ومصر (مأخوذة من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)**"، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٦٤ ص، ص٢٥٠،٢٥٢.

مازونة، مستغانم، تلمسان، وهران ومدينة تنس، ولم تقتصر تلمسان على الطّرق الدّاخلية والخارجية فحسب بل وجدت فيها طرق بحرية انطلاقا من موانئها المعروفة مثل: **"هنين، المرسى الكبير، جزائر بني مزغنّاي، بجاية"**.

تحتوي تلمسان على عدّة شبكات من الطّرق، ويمكن أن نقسّمها إلى صنفين، فالصّنف الأوّل تمثّله الشّبكة الّتي تربط بين أسواق الدّولة ومدنها كافة، وأهمّ ما في تلك الشّبكة الطّريق الّذي يربط غرب البلاد بشرقها فيمتدّ هذا الطّريق من **"طنجة، تلمسان، مليانة، جزائر بني مزغناي، بجاية، قسنطينة، بونة، تونس"** ويبدوا أنّ هذا الطّريق هو أشهر الطّرق الّتي تربط غرب المغرب الأقصى مرورا بالمغرب الأوسط وصولا إلى المغرب الأدنى[1].

ت- طريق بجاية قلعة بني حمّاد:

كانت **بجاية** حاضرة تجارية وكانت مقصد العديد من التّجار سواء المقيمين في المغرب الأوسط أو التّجار القافلين إليها من الأقاليم الأخرى، والّذي نعرفه من خلال المصادر أنّ هناك العديد من الطّرق التّجارية الّتي كانت تخرج منها، نذكر منها على سبيل المثال الطّريق الّذي كان يتوجّه نحو قلعة بني حمّاد، ولكنّه كان يمرّ بالعديد من القرى منها المضيق وسوق الحدّ وحصن تاكلات وسوق الخميس وحصن وارفو وحصن الحديد وسوق الاثنين وتازكا وصولا إلى القلعة[2] ومن خلال المسيرة التّجارية يحتمل أنّ القوافل التّجارية كانت تزوّد تجار هذه القرى بما يحتاجونه من المنتجات بغرض تسويقها في الأسواق المحلية الأسبوعية لأجل تلبية حاجات الناس، دون عناء التنقل إلى الحواضر والمدن الكبرى، وما يدلّ على ذلك صراحة هو أنّ القرى كانت تسمّى بيوم سوقها الأسبوعي مثل "سوق الخميس وسوق الإثنين".

ث- الطّرق الخارجة من أشير:

اشتهرت مدينة أشير كغيرها من المدن بطابعها التّجاري إذا لعبت دورا أساسيا في تنظيم وتسيير الطّرق التّجارية المارة بها والمؤدية إلى مدن المغرب الأوسط الأخرى، فحسب ما يشير إليه البكري يمكننا رصد طريق تجاري يخرج من مدينة أشير ويمرّ عبر مدينة **سوق حمزة** إلى أن يصل إلى **مرسى الدّجاج**[3] كما أنّ هناك طريقا آخرا يخرج من ذات المدينة إلى فزرونة **"متيجة"** وتشتهر هذه المنطقة بتنوّع مزروعاتها ومسارحها الواسعة وأكثرها إنتاجا للكتان ومنها يحمل عبر القوافل المارة إلى مدينة جزائر بني مزغناي كما أنّ هناك طريقا آخر يضطر ينطلق من القيروان ويمرّ عبر المسيلة ليمرّ بسوق حمزة وصولا إلى مرسى الدّجاج[4].

يمكننا أن نستخلص بأنّ كلّ الطّرق الّتي تمرّ عبر أشير كلّها تؤدّي في نهاية المطاف إلى موانئ المغرب الأوسط، وهذا إن دلّ فإنّما يدلّ على الدّور التّجاري الكبير الّذي بلغته أشير وما جاورها.

---

[1] بوزيان الدّراجي،" **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد**"،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٢١٥.

[2] عبد الحميد حاجيات وآخرون:"**كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط**"، طبعة خاصّة، منشورات المركز الوطني للدّراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر ١٩٥٤، ٢٠٠٧، ص١٥٢.

[3] البكري أبي عبيد،"**المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**"، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د، ت)، ص، ص ٦٤،٦٥.

[4] المصدر نفسه، ص٦٥.

١-٢- الطرق التجارية الخارجية:

أ- طريق تيهرت القيروان:

كانت تربط تيهرت بالعواصم المغربية الأخرى طرقا متشعّبة قصد التّجارة بتصدير واستيراد المنتوجات والسّلع، وأمّا القوافل الّتي تتّجه نحو القيروان فكانت تمرّ عبر الأوراس والزّاب[1] هذا إذا عبرت طريقا تلّيا وإن عبرت طريقا صحراويا فإنّها تتّجه إلى وراجلان ثمّ جبال عمّور منتهية إلى القيروان، وقد سارت قوافلها التّجارية حتّى إلى المشرق الإسلامي[2].

إنّ التّطرّق إلى هذه الطّرق يوضّح لنا طبيعة العلاقات التّجارية الطّيبة والحسنة بين المدينتين[3] وهذا كان عاملا مناسبا من أجل تنشيط الحركة التّجارية، ويقول **ابن الصّغير** في هذا الصّدد: "ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلاّ استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم"[4].

ب- طريق تيهرت فاس:

تأخذ القوافل المتّجهة نحو فاس طريقا يمرّ عبر ممالك **"ابن مسّالة الهوّاري"** ومنها إلى مدينة يقال لها **"يلل"**ومنها إلى مدينة يزرج ثمّ يمرّ الطّريق مارّا بمدينة تلمسان وأحوازها، وتستمرّ القوافل التّجارية مسيرتها نحو نمالته وصولا إلى مدينة فاس[5].

ت- طريق تيهرت سجلماسة:

كانت العلاقات السّياسية بين **تيهرت وسجلماسة** طيّبة حسنة تربطها المصاهرة، كما كانت العلاقات مزدهرة بفضل الطّريق الّذي يربط تيهرت بسجلماسة وهناك طريق آخر مباشر من تيهرت إلى فاس ثمّ سجلماسة[6] فكان **اليعقوبي** أوّل من أشار إلى وجود طريق يربط **تيهرت** بسلجماسة[7] فذكر أنّ **"من خرج من تاهرت، سالك الطّريق بين القبلة والغرب سار إلى مدينة يقال لها أوزكا"** بها فخذ من زناتة يقال لهم بنو مسرة، ثمّ يواصل اليعقوبي تتبعه للطّريق، فيضيف أنّه من مدينة أوزكا لمن سلك مغربا إلى أرض زناتة ثمّ يسير إلى مدينة سجلماسة، ويضيف اليعقوبي المسير من هذا الطّريق بأنّ **"في قرى ليست بآهلة وفي بعضها مفازة"**ومن المحتمل أن تكون هذه القرى بمثابة محطّات للقوافل التّجارية المتنقّلة بين المدينتين والمسافة بين تيهرت وسجلماسة حسب اليعقوبي عشرة مراحل[8] ولكن لا نعرف على وجه التّحديد هل هو الطّريق الّذي ذكره البكري أو الّذي ذكره الإدريسي حيث يذكر هذا الأخير أنّ الطّريق يمتدّ من تلمسان إلى قرية

---

[1] **الزّاب**: يضمّ الزّاب إقليما يضمّ خمسة مدن وهي (بسكرة،البرج، نفطة،تلكة، دوسن)، وفي بلاد الجريد حاليا نفس عدد المدن وهي (توزر، قفصة، نفزاوة، الحمة، قابس)، ويجيء بعد هذا الإقليم إلى جهة الشّرق (جزيرة جربة، غريان، مسلاتة، مسراتة، تاورغة، غدامس فزان، أوجلة،برداي والواحات)،ينظر: الفاسي الحسن بن محمّد الوزان: وصف إفريقيا، تر:محمّد حجّي،محمّد الأخضر،ج١، ط٣، دار الغرب الإسلامي،١٩٨٣،ص٣٢.

[2] عبد الكريم يوسف جودة،" **العلاقات الخارجية للدّولة الرّستمية**، المؤسّسة الوطنية للكتاب،١٩٨٤،ص– ص٢٩٣،٢٨٩.

[3] خالد بلعربي، **العلاقات التّجارية بين تاهرت ومراكز التّجارة في بلاد المغرب والأندلس حتّى أواخر القرن الثّالث الهجري**"،"مجلّة الآداب والعلوم الإنسانية"، ع٥، منشورات مكتبة الرّشاد للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، ٢٠٠٦، ص٢٣٧.

[4] ابن الصّغير:" **أخبار الأئمة الرّستميين**"، تحقيق، محمّد ناصر و ابراهيم بحّاز، مركز الوثائق الاجتماعية والاقتصادية، ١٩٨٦،ص ١٢.

[5] عبد الحميد وآخرون حاجيات، المرجع السابق، ص٧١.

[6] فطيمة مطّهري، "**مدينة تيهرت الرّستمية (دراسة تاريخية وحضارية القرن ٢هـ/٣هـ– ٨م/٩م)**"،رسالة ماجيستير،كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية –قسم التّاريخ،،جامعة أبي بكر بلقايد، ٢٠١٠،٢٠٠٩، ص ١٧٤.

[7] خالد بلعربي، المرجع السابق، ص٢٣٨.

[8] عبد الكريم يوسف جودة، المرجع السابق، ص٢٢٤.

تارو ثمّ على جبل تامديت ومنها إلى غايات ومنها إلى صدرات ومنها إلى جبل تيوى ثمّ إلى فتات بئر، إلى شعب الصّفا ومنها إلى قرية تامسنان ومنها إلى تقربت وصولا إلى سجلماسة[1] وتقدّر هذه المسافة بخمسة عشر مرحلة وهذا لا يتفق مع ما ذكره اليعقوبي أو الإصطخري.

ث- طريق تهرت بلاد السّودان:

من أهمّ المعاملات التّجارية الّتي عرفت بها تهرت كانت مع بلاد السّودان الغربي وكانت القوافل تسلك ثلاث طرق:

ث.أ- الطّريق الغربي:

يمرّ هذا الطّريق من تهرت ويمرّ عبر **سجلماسة** في اتّجاه أودغست الّتي يصف البكري سكانها من إفريقية وغالبيتهم من قبائل برقاجنة ونفوسة ولواته ونفزاوة[2] ويصف **البكري** هذا الطّريق إذ يقول: **"ومن مدينة سجلماسة ندخل إلى بلاد السّودان إلى غانة وبينهما وبين مدينة غانة مسيرة شهرين في صحراء غير عامرة"** [3] وهكذا كان تجّار تهرت يتنقّلون بسلعهم المختلفة بين **أودغست**[4] **وغانا**، واستفادوا كثيرا من هذه الطّرق التّجارية بين المنطقتين في كسب خبرة التّجار, وفي ظهورهم كقوّة تجارية بالمغرب الأوسط.

ث.ب- الطّريق الشّرقي:

وينقسم هذا الطّريق بدوره إلى فرعين يمرّ الأوّل على مدينة وارجلان الّتي ترتبط ببلاد السّودان ارتباطا وثيقا[5] في اتّجاه كوكو[6]، ولكنّنا لا نستبعد أن يكون هذا المسلك يمرّ بواحة **"وادي ريغ" (تقرت حاليا)** الآهلة بالإباضية والّتي يرد ذكرها في الكثير من المصادر الإباضية[7] ويمرّ الطّريق الثّاني انطلاقا من جبل نفوسة في اتّجاه كوكو[8] وتعتبر كسجل ماسة تماما على الطّريق الغربي بوابة ضرورية لاقتحام الصّحراء[9].

ج- خطّ بجاية ميورقة:

نشط هذا الخطّ التّجاري بفضل العلاقات الّتي كانت تربطهما والّتي امتازت في غالبيتها بالتّصدير والاستيراد، وقد ساعد على ذلك تقابل المدينتين وعلى مداومة الرّحلات بينهما، والّتي ستتضاعف بفعل استقرار بني غانية بجزر البليار؛

---

[1] الإدريسي: المصدر السّابق، ص٨٢.

[2] البكري أبي عبيد، المصدر السّابق، ص١٥٨.

[3] المصدر نفسه، ص١٤٩.

[4] **أودغست**: أو أودغشت وهي مدينة بين صحراء لمتونة والسّودان، وهي بين جبلين شبه مكّة في الصّفة: ينظر: الحميري محمّد بن عبد المنعم، الرّوض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق: إحسان عبّاس، ط٢، مطابع هيدلبرغ، ١٩٨٣، ص٦٣.

[5] محمّد عيسى الحريري ،**"الدّولة الرّستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وسياستها بالمغرب والأندلس ٢٩٦-١٦٠هـ)"**، دار العلم للنّشر والتّوز يع، ط٣، ١٩٨٧، ص٢١٠.

[6] **كوكو**: هي مدينة مشهورة الذّكر في بلاد السّودان؛ الحميري، المصدر السّابق، ص٥٠٢.

[7] بحاز إبراهيم بكير،**"الدّولة الرّستمية ٢٩٦-١٦٠هـ/٧٧٦، ٩٠٩م (دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية)"**، ط٣،منشورات ألفا، الجزائر، ٢٠١٠، ص٢٦٠.

[8] عبد الحميد حاجيات وآخرون، المرجع السابق، ص٧٢.

[9] بحاز إبراهيم بكير، المرجع السّابق، ص٢٦٢.

الّذين سعوا إلى توطيد علاقاتهم بتجار المدينة فكان الميورقيون يصرفون بضاعتهم من بجاية وبالمقابل يستردون من منتجاتها خاصّة العبيد[1].

ح- خطّ جزائر بني مزغنّى ميورقة:

كان أوّل من استعمل هذا الخطّ هو النّاصر الموحّدي إبّان تحرّك أساطيله في اتّجاه الجزائر الشّرقية في إطار صراعه مع بني غانية، وذلك حسب ما يورده **ابن أبي زرع الفاسي**[2] غير أنّ **الحميري** ذكر أنّ الحملة انطلقت من سبتة نحو دانية فميورقة[3].

خ- طريق تلمسان فاس:

تسير القوافل التّجارية عبر هذا الطّريق الّذي يربط تلمسان بسجلماسة حيث يمرّ على فاس ومنها إلى صفروي ثمّ إلى تادلة ومنها إلى أغمات ومنها إلى درعة وصولاً إلى سجلماسة[4] وهناك طريق آخر طويل يمرّ عبر عدّة محطّات منها القرى وعدّة كور وصولا إلى سجلماسة لكن سالكو هذا الطّريق قلائل إلاّ ندرة في الدّهر ويبدو أنّ هذه الطّرق الّتي تمرّ عبر تلمسان إنّما وجدت لطبيعة الموقع الإستراتيجي لهذه المدينة والّتي تقع بين التّل والصّحراء فيقول الإدريسي فيها: **"ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب وهي على رصيف للدّاخل والخارج منها،لابدّ منها والاجتياز بها على كلّ حال"**[5].

د- طريق تلمسان أوروبا:

لم تقتصر تلمسان على الطرق التجارية الّتي تربطها بالمغرب الإسلامي بما فيها الأندلس، بل عرفت بتجارتها الخارجية مع دول أخرى، فقد تعاملت مع المدن الإيطالية في الضّفة الأخرى، فكانت هناك طرق تجارية بين موانئ المدينة وأوروبا مثل خطّ جنوة مع بلاد المغرب الّذي يمرّ مباشرة بهنين بعد المرور بمرسيليا وبرشلونة، وخطّ ثاني ينطلق من البندقية إلى بلاد المغرب الّذي يمرّ بالإسكندرية، والخطّ المباشر بين إيطاليا والمغرب الأوسط حيث تنتقل السّفن مباشرة بين المدن الإيطالية ومدن المغرب الأوسط وخاصّة بين البندقية وهنين[6].

ذ- طريق تلمسان إفريقيا السّوداء:

أمّا الطّريق الواصل بين تلمسان، وإفريقيا السّوداء، فهو كذلك عبارة عن شبكة من المسالك الّتي تصل أهمّ مدن الشّمال الإفريقي بوسط القارّة السّوداء وغربها` وهناك طريق آخر شهدته الدّولة العبد الوادية ألا وهو الطّريق الواصل بين وهران وتمبكتو الّذي يمرّ بالنّقاط التّالية:**"وهران، مشرية، عين الصّفراء، فيقيق، توات،عين رنّان، مبروك، تمبكتو"**[7].

---

[1] الطّاهر قدوري،"**المسالك البحرية في المغرب الوسيط خلال القرنين ٦،٥هـ/١٢،١١م**"،"مجلّة التسامح"، جوان، ٢٠١٠، ص، ص ٦،٥.

[2] المرجع نفسه، ص٦.

[3] الحميري، المصدر نفسه، ص٥٦٨.

[4] الإدريسي، المصدر نفسه، ص٢٤٩.

[5] نفسه،ص٢٥٠.

[6] بسام كمال عبد الرّزاق شقداد ، المرجع السّابق، ص١٩٥.

[7] بوزيان الدّراجي، المرجع السّابق، ص٢١٧.

ر- طريق تلمسان الإسكندرية:

يمتدّ هذا الطّريق من تلمسان وفاس حيث يصل إلى تنس ثمّ يمرّ عبر وادي شلف ويتابع طريقه عبر الزّاب إلى المسيلة، ومن المسيلة يتفرّع هذا الطّريق الرّئيسي إلى ثلاث طرق يمرّ الأوّلان عبر هضاب تلال الأطلس والثّالث عبر بلاد الجريد وبلاد الزّاب ومن ثمّ يدخل إلى المغرب الأدنى حيث يمرّ بالقيروان وصفاقس إلى أن يصل إلى الإسكندرية وهذا الطّريق هو الّذي يسمّيه البكري بالجاده[1].

٢- دور الطّرق التجارية:

أ- الرّبط بين المدن:

كانت للطّرق التّجارية دور كبير في ربط مدن المغرب الأوسط سواء فيما بينها أو فيما بينها وبين مدن المغرب الإسلامي الخارجية، ناهيك عن دورها الكبير في سير القوافل التّجارية المحمّلة بالبضائع سواء الخارجة بالصّادرات أو الآيبة بالواردات، فمن خلال اطّلاعنا على المصادر الإخبارية والرّحلات الجغرافية يتمكّن الباحث من معرفة قيمة هذه الطّرق الّتي ربطت المغرب الأوسط، وكثيرا ما نسمع في النصوص الواردة في المصادر:**"ومن مدينة كذا إلى مدينة كذا مرحلتين أو ما شبه ذلك"**، فالمقصود من هذا هو المسالك المؤدّية إلى هذه المدن بالإضافة إلى أدوار أخرى سنعكف على ذكرها.

كانت المسالك التّجارية طريقا للحجّاج والعابرة من المتجوّلين والقاصدين للمدن في أغراض أخرى إذ يروي العبدري في رحلته لمّا رحل إلى تلمسان: **" وأغرب ما شاهدته من منصور صاحبة مليكش وهو أنّ جماعة من الحجّاج نحو العشرين وقفوا إليه في محلّة عند بيته فكلّموه في عشائهم فرحّب بهم"**[2] يعدّ هذا دليلا قاطعا على أنّ الطّرق التّجارية استعملت لرحلات الحجّ كما استعملت لرحلات القوافل التّجارية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يورد **ابن حوقل** في شأن أحد المسالك الّذي يربط بعض المدن الّتي تقع على ساحل المغرب الأوسط بدءا من مدينة بونة حيث يقول: **"وبينها وبين مدينة بني مزغناي مراسي ومنه إلى بجاية (مرسى) ومنه إلى مرسى بني جنّاد ومنه إلى مرسى الدّجاج"**[3] فهو بذلك يذكر الطّريق التّجاري السّاحلي الرّابط بين بونة إلى غاية مرسى الدّجاج مرورا بالمدن السّابقة الذّكر، فكان هذا الطّريق - بغضّ النّظر عن استعماله للتّجارة-كان يستعمل في السّفر لطلب العلم وممّرا لعابري السّبيل لأنّه يمثّل دليلا واضحا لسالكيه القاصدين معظم المدن.

ب- الرّحلات العلمية:

إنّ دور الطّرق التّجارية لا ينحصر في ميدان التّجارة والرّبط بين المدن فحسب، بل تعدّدت أدوارها بعدّة أشكال، فإذا أمعنّا النّظر في مساهمة هذه الطّرق والمسالك في المغرب الأوسط، فإنّنا نجد أنّها كانت دليلا للرّحلات العلمية والجغرافية الاستكشافية، الّتي بفضلها تمكّنا من معرفة الخريطة الجغرافية لمدن وأقاليم ومسالك المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصّة، ومعرفة الأحوال الاجتماعية لسكّانه وقبائله، ونذكر على سبيل المثال من هذه الرّحلات؛ رحلة ابن بطّوطة، فقد ذكر هذا الأخير المدن الّتي مرّ بها مع القافلة الّتي رافقها وهي كالآتي **"طنجة، تلمسان، مليانة، جزائر بني مزغناي، بجاية، قسنطينة، بونة، تونس"**[4].

---

[1] حسن أحمد خضيري،" **علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب**"، مكتبة مدبولي، (د،ت)، ط١، ص٩٥.

[2] محمّد العبدري البلنسي، "**الرّحلة المغربية**"، تقديم، بوفلاقة سعد، منشورات بونة للبحوث والدّراسات، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٢٧.

[3] ابن حوقل، "**صورة الأرض**"، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٩٦، ص٧٧.

[4] بوزيان الدّراجي، المرجع السّابق، ص٢١٥.

وبطبيعة الحال كان الطّريق الّذي مرّ به هو واحد من الطّرق التّجارية الدّاخلية للمغرب الأوسط، كما أنّ ابن بطّوطة عندما عاد من رحلته بحرا نزل بتنس متّجها منها إلى مازونة ثمّ مستغانم ثمّ تلمسان ثمّ ندرومة ثمّ تازى وصولا إلى فاس ومن جهة أخرى فإنّ **محمّد العبدري البلنسي** قد سلك نفس الطّريق الّذي سلكه ابن بطوطة تقريبا، غير أنّه كان أدقّ التّفاصيل من الأوّل، حيث عبر في مسلكه المدن التّالية: **"تلمسان، مليانة، جزائر بني مزغنّاي، قسنطينة، بونة، باجة، تونس"**[1] حيث يقول **العبدري**: "وهذه الرّحلة بدأت بتقييدها في تلمسان، وكانت طريقنا على بلاد القبلة"[2].

ويمكن أن نعطي دليلا آخر يستطيع الباحث به أن يستقرّ على فكرة أنّ الطّرق والمسالك التّجارية كانت منفذا للتّرحال والسّفر عبر أقاليم المغرب الإسلامي وحتّى خارجه، فمن خلال رحلة ابن خلدون نتمكن من التّعرف على طريق تجاري ربط المغرب الأقصى والأوسط والأدنى، حيث نجده يتجوّل بين بجاية وبلاد الزّاب "بسكرة، المسيلة" وهنين ليصل إلى تلمسان[3] وكثيرا ما كان ابن خلدون يخرج مع القوافل التّجارية قاصدا المدن إمّا حاّجا تارة، أو مسافرا إلى المشرق في رحلة علمية تارة أخرى.

فمن خلال هذه النّصوص نستنتج أنّ كلاّ من **"تلمسان ومليانة وقسنطينة وبونة"** كانت مراكز عبور المغرب الأوسط التّجارية، حيث ورد ذكرها في أكثر نصوص الرّحالة الجغرافيين، بحكم تمركزهم على أهمّ الطّرق التّجارية، وبحكم قربها من الشّريط السّاحلي الّذي كان سهل المسلك وأرحم من المسالك الصّحراوية.

ت- التّصدير والاستيراد:

لعبت الطّرق التّجارية دورا هاما في المبادلات التّجارية داخل المغرب الأوسط وخارجه، حيث أنّ القوافل التّجارية كانت تعبر هذه الطّرق والمسالك ذاهبة بالصّادرات وآيبة بمنتوجات أخرى، إمّا لضربها في المدن أو لإعادة المتاجرة بها مرّة أخرى، فمثلا يذكر **"صاحب الاستبصار"** حول هذه الطّرق إذ يقول في شأن **تنس: "يحمل الطّعام إلى الأندلس وإلى بلاد إفريقية والمغرب وهي رخيصة الأسعار"**[4] كما يضيف **"ابن حوقل"** في نفس المدينة إذ يقول: **"ولسلطانها بها وجوه من الأموال كثيرة كالخراج والجوالي والصّدقات والأعشار ومراصد على المتاجر الدّاخلة والخارجة والصّادرة والواردة"**[5] فمن خلال هذين النّصين يستشفّ أنّ الطّرق التّجارية كانت تستعمل لتسويق المنتوجات المحلّية إلى الأصقاع المختلفة،ونستنتج هذا من خلال ضرب أيّ حصار على أيّ مدينة فإنّ المسالك التّجارية تعطّل وبالتّالي تتأزّم الأوضاع وتظهر المجاعة والأوبئة ولنا في حصار تلمسان من قبل المرينين أكبر دليل على ذلك[6] فكانت المنفذ والمتنفّس الوحيد لعيش سكّان مدن وأرياف المغرب الأوسط بحكم امتهانهم وممارستهم التّجارة، فقد كانت الطّرق والمسالك العامل الرّئيسي في ازدهار الحركة التّجارية وذلك بتوافرها وتعدّد مسالكها بالإضافة إلى استقرارها وأمنها.

---

[1] نفسه، ص٢١٦.

[2] العبدري، المصدر السّابق، ص٢١.

[3] عبد الرّحمان بن خلدو ن،"**التّعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**"، تحقيق، محمّد بن تاويت الطّنجي، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣، ص، ص ١٥،١٦.

[4] مؤلّف مجهول، "**الاستبصار في عجائب الأمصار** "، نشر وتعليق : سعد زغلول عبد الحميد، دار النّشر المغربية، الدّار البيضاءلمغرب الأقصى، ١٩٨٥، ص١٣٣.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص٧٨.

[6] التنسي محمّد بن عبد الله، "**تاريخ ملوك بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بني زيان** "، تحقيق، محمود بوعياد، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥، ص ، ص ١٣٢،١٣٠.

ل م تقتصر الحركة التّجارية على مدينة فحسب،بل اعتمدت في أغلب مدن المغرب الأوسط، فمع توفّر الأمن والاستقرار على الطّرق البحرية والبرّية، كانت وجوه موالية شطر المغرب الأوسط، إذ كانت وقتئذ هنين وأرشقول ووهران ومرسى الخرز ومرسى الدّجاج وبونة وتنس أهمّ موانئه في التعامل مع البلدان المجاورة، فكانت السّفن المشحّنة تقصدها مستوردة أهمّ المنتوجات، قاصدة بها الأندلس وجنوة وبيزا وتعود محمّلة ببضائع مرّة أخرى، وينطبق نفس الشّيء على القوافل البرّية الصّحراوية[1].

٢- المراكز التّجارية في المغرب الأوسط:

١- أهمّ مراسي المغرب الأوسط:

أ- ميناء هنين:

يعتبر **ميناء هنين** من أشهر المراسي التّجارية في المغرب الأوسط ويقع هذا الميناء على بعد حولي ٣٠ ميلا[2] شمال تلمسان وهو بالقرب من مدينة ندرومة[3]، وقد لعب دورا هامّا في تنشيط الحركة التّجارية حيث يقول شكيب أرسلان في الحلل السندسية:" عليها سور متقن وأسواق وبيع وشراء وخارجها زراعات كثيرة"[4] وكان هذا المرسى يحادي مراسي أخرى تقربه مثل مرسى الوردانية وأرشقول وكان مرسى هنين يقابل مرسى ألمرية على الضّفة الأخرى من الأندلس فعرض البحر بينهما مجريان[5].

ب- مرسى الخرز:

يقع هذا المرسى شرق بونة[6] وهي مدينة قد "أحاط بها البحر من كلّ جهة إلاّ مسلك لطيف"[7] وقد كان هذا المرسى في عهد بني حمّاد منطقة صناعية وبها مرفأ لصناعة السّفن" الّتي تغزى بها بلاد الرّوم"[8]، وكان يوجد بها المرجان وهو أنفس مرجان الدّنيا[9]،حيث كان يقصدها التّجار من كلّ حدب وصلب في استخراجه ويباع بالأموال الطّائلة[10] ويضيف الحميري في هذا الصّدد قائلا:"**وبينها وبين سردانية مجريان في البحر**" ومن خلال هذا النّص يفهم أنّ العلاقات التّجارية بين مرسى الخرز وسردانية كانت على أحسن أحوالها، بحكم موقعهما الإستراتيجي وربّما أنّ تبادلها التّجاري كان متعدّدا من حيث الصّادرات والواردات، وذلك نظرا لما كانت ينتجه مرسى الخرز من سفن ومراكب بحرية[11]هذا فيما

---

[1] محمّد الطّمار، "**تلمسان عبر العصور (دورها في سياسة وحضارة الجزائر)**"، تقديم عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٢٠٩.

[2] الإدريسي، المصدر السّابق، ص١٧٢.

[3] الحميري، المصدر السّابق، ص٥٩٧.

[4] شكيب أرسلان: "**الحلل السّندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**"، ج١، ط١، المطبعة الرّحانية، ١٩٣٦، ص٦٩.

[5] مقديش محمود،" **نزهة الأنظار في عجائب التّواريخ والأخبار** "، تحقيق علي الزّواوي ومحمّد محفوظ، المجلّد الأوّل، ط ١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨، ص١٦٤.

[6] الحميري، المصدر السابق، ص٥٣٨.

[7] البكري، المصدر السّابق، ص٥٥.

[8] عبد الحميد حاجيات، المرجع السّابق، ص١٥٧.

[9] الحميري، المصدر السّابق، ص٥٣٨.

[10] مجهول، المصدر السابق، ص١٢٦.

[11] الحميري، المصدر السّابق، ص٥٣٨.

يخص المعاملات التّجارية الخارجية، أمّا فيما يخصّ المعاملات التّجارية الدّاخلية فإنّها عُرفت بقلّة زرعها ومنتجاتها الزّراعية فكانت تعتمد على استيراد قوتها من بوادي العرب المجاورة لها، ولم يقتصر مرسى الخرز على منتجات هذه القبائل في تغطية حاجاته الغذائية بل كان يستوردها من بونة القريبة منه وتكون بهذا قد ساهمت في تنشيط الحركة التّجارية على الصّعيدين الدّاخلي والخارجي.

ت- مرسى الدّجاج:

هو مرسى قريب من مدينة **أشير**[1] وهي مدينة **"قد أحاط بها البحر من ثلاث جهات"**[2] وبها مرسى **مأمون** وهي تعرف بامتداد أراضيها الزّراعية حيث توفّر بذلك الزّرع والفواكه لسائر سكّانها، كما اشتهر مرسى الدّجاج بتنوّع لحومه ويسر ثمنه[3] ومن خلال المصادر الإخبارية يتبيّن لنا أنّ مرسى الدّجاج كان يحتوي على مرفأ وأسواق كانت مقصد التّجار من كلّ الأقطار المجاورة[4] ويجدر بنا الإشارة إلى أنّ هذه المدينة كان يغلب عليها الطّابع التّجاري إذ كان تقابلها من الضّفة الأخرى جزيرة ميورقة وهذا ما سمح لها من أن تبرز على الواجهة التّجارية لبحر الرّوم وتكون قبلة للتّجار الأندلسيين وغيرهم من أصقاع العالم الإسلامي وغيره بحكم موقعها الفريد[5].

ث- مدينة بونة:

تعتبر مدينة بونة من المدن السّاحلية التّجارية في المغرب الأوسط "وهي من أنزه البلاد"[6] لما اشتملت عليه من الأمن والإستقرار، ويجدر بنا الإشارة إلى أنّ بهذه المدينة مرسى عرف **"بمرسى الزّقاق"** وهو من المراسي المشهورة وتوجد به مراكب كثيرة حسب ما تشير إليه المصادر وذلك ربّما لغرض التّجارة والإرتحال، بالإضافة إلى احتواء هذه المدينة على عدّة أسواق؛ وهو ما كان يوفّر لها أرباحا طائلة يساهم بها التّجار في إنعاش الحركة التّجارية إذ يقول الإدريسي: "وكان بها أسواق حسنة"[7] و"تجارة مقصودة وأرباح متوسّطة"[8].

وإذا نظرنا برؤية تأمّلية إلى سبب هذه المساهمة في تنشيط الحركة التّجارية نجد أنّ بونة كانت مدينة زراعية حسنت المنبت كثيرة الخيرات مقصد كبار التّجار إذ "تنتج الفواكه الدّواني والقمح والشّعير والكتّان، وبها معادن الحديد الجيّد والعسل والخشب ومن الأنعام البقر"[9].

ج- مدينة وهران:

تقع هذه المدينة على ساحل المغرب الأوسط، وهي من أشهر وأهمّ المراكز التّجارية، وذلك نظرا لما تميّزت به من حيث موقعها الاستراتيجي والواقعة بين تلمسان على بعد ثلاثة مراحل كأقصى تقدير[10] وقد اشتهرت هذه المدينة بجناتها

---

[1] المصدر نفسه، ص٥٣٩.

[2] البكري، المصدر السّابق، ص٦٥.

[3] الإدريسي، المصدر السابق، ص٨٩.

[4] الحميري، المصدر السّابق، ص٥٣٨.

[5] مجهول، المصدر السّابق، ص١٣١.

[6] المصدر نفسه، ص١٢٧.

[7] ابن حوقل، المسالك والممالك، مطبع بريل،١٨٧٢، ص٥١.

[8] الإدريسي، المصدر السابق، ص٨٤.

[9] المصدر نفسه، ص، ص ١١٦،١١٧.

[10] الإدريسي، المصدر السابق، ص٨٤.

وبساتينها الباسقة وكثرة ثمارها وخيراتها، حيث توجد بهذه الحاضرة أنهار كثيرة وأرحاء وعيون[1] وهذا إن دلّ فإنّما يدلّ على اهتمام أهلها بالزّراعة والتّجارة عموما حيث يقول الإدريسي في هذا الصّدد: **"وبها أسواق مقدّرة وصنائع كثيرة وتجارات نافقة"**[2].

إنّ هذه المدينة من أعزّ البلاد في المغرب الأوسط لما اشتملت عليه من خيرات وبحيّزها السّاحلي، فهي تملك مرسى ضخما تفتح التّجارة منه إلى ما سواه حيث يقابله في الضّفة الأخرى من الأندلس مرسى ألمرية بالإضافة إلى مرساها الصّغير يوجد بها مرسى كبير على بعد ميلين، ويعدّ هذا الأخير إلى جانب كبره وانفتاحه على التّجارة الخارجية من أحصن المراسي جغرافيا وطبيعيا خاصّة وأنّه لا يتعرّض للرّياح القوية الّتي تهدّد السّفن ، فهذه الميزة جعلته أكثر استقبالا للسّفن المارّة به سواء التّجارية أو السّفرية.

٢- الحواضر التّجارية:

أ- مدينة تلمسان:

تعدّ **تلمسان** واحدةً من أكبر الحواضر التّجارية في المغرب الأوسط، فقد لعبت دورا هامّا على الصّعيدين الدّاخلي والخارجي حيث يقول الإدريسي: **"هي رصيف للدّاخل والخارج لابدّ منها وللاجتياز بها"**[3] فموقعها الإستراتيجي الّذي يجمع فيه بين التّل والصّحراء مكّنها من أن تكون قبلة للقوافل التّجارية السّائرة بين المحورين الرّئيسين بين الواحات الصّحراوية من جهة وبحر الرّوم والمغرب الأقصى من جهة أخرى فهي تعدّ بذلك **"قاعدة المغرب الأوسط"**[4] وما يلاحظ هو أنّ إقليم تلمسان كان سببا في استقطاب الدّخلاء والغرباء، حيث اجتذبت عرب بني هلال وبني سليم خاصّة [5] الّذين ساهموا في تنشيط الحركة التّجارية، وقد عرف عليهم تاريخيا أنّهم كانوا يستحوذون على أهمّ الطّرق التّجارية.

كما أنّ تلمسان كانت حاضرة في مجال التّصدير والاستيراد إذ كانت بها أسواق عرفت برخائها وازدهارها وتنوّع منتجاتها ساهمت بذلك في تنشيط وتفعيل الحركة التّجارية إذ يقول العبدري: **"وتلمسان مدينة كبيرة سهلية جبلية وبها أسواق قائمة"**[6] ولعلّ ما يميّز طرقها التّجارية الخارجية منها والدّاخلة إليها هو الأمن والاستقرار نظرا لما عرف على سكّانها من ليانة وحسن الأخلاق، الّتي يكتسبون من خلالها ودّ واحترام التّجار الّذين يقبلون عليها وهذا حسب ما يذكره العبدري في رحلته إلى تلمسان حيث يقول:**"وأهلها ذو ليانة ولا بأس بأخلاقهم"** كما لا يستبعد أنّ السلاطين الّذين تعاقبوا على حكم تلسمان في عهد الدّولة الزّيانية كانوا مهتمّين بربط علاقات تجارية مع الدّول المجاورة، حيث شهدت تلمسان في عهدهم

كلّ هذه العوامل مجتمعة جعلت من تلسمان منفذا تجاريا هامّا إلى البلدان المجاورة، إذ تجمع جلّ النّصوص التّاريخية للرّحالة الجغرافيين، بأنّها بلغت مبلغ التّاج عند السّلطان بالنّسبة للمغرب الأوسط، ناهيك عن الدّور الكبير الّذي قامت به موانئها المعروفة مثل:**"أرشقول، هنين، ندرومة"** في ربطها بالموانئ الخارجية المقابلة لها من الضّفة الأخرى.

---

[1] مجهول، المصدر السّابق، ص١٣٤.

[2] الإدريسي، المصدر السابق، ص٨٤.

[3] المصدر نفسه، ص٢٥٠.

[4] البكري، المصدر السّابق، ص٧٦.

[5] ابن الأحمر،" **تاريخ الدّولة الزّيانية**"، تحقيق: هاني سلامة، مكتبة الثّقافة الدّينية، ط١،٢٠٠٠،ص، ص٤٨،٤٦.

[6] العبدري، المصدر السّابق، ص ، ص ٢٨،٢٧.

ب- المسيلة:

بعد أنّ أسّس هذه المدينة **أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله** سنة ٣١٣م، عرفت المدينة ازدهارا كبيرا ونموّا مستمرّا في المجال التّجاري[1] وبعد أن ولّي عليها وعلى الزّاب علي بن حمدون[2] استطاع بحنكته وذكائه وتجربته، نشر الأمن والاستقرار اللّذان ساهما في تفعيل الحركة التّجارية الّتي لا يمكنها أن تتحرّك من دون هذين الشّرطين الرّئيسيين، أضف إلى ذلك موقعها الاستراتيجي حيث أنّها تمتلك سهولا خصبة مثل سهل الحضنة كما هو معروف، ويشتمل هذا السّهل على أراضي زراعية واسعة، ممّا جعل الجغرافيين العرب يؤكّدون على أهمّية موقعها الاستراتيجي والاقتصادي ويبرزون دورها كنقطة مركزية تراقب المسالك الطّبيعية[3] فمثلا ابن حوقل يولي للمسيلة أهمّية خاصّة بها فمن خلال ما يورده لنا في رحلته، يمكن التّعرف وبسهولة على أنّ مدينة المسيلة تتحكّم في الكثير من الطّرق التّجارية، ويجعل منها نقطة التقاء هذه الطّرق، حيث يمرّ بها مسلكان هامان الأوّل من القيروان إلى المسيلة مرورا ببلاد كتامة والأربس، والثّاني يمرّ من القيروان على طبنة وبسكرة وبلاد الجريد، وطريق آخر يمرّ إليها ويعبر إلى فاس مباشرة[4].

فمن خلال تحكّمها في هذه الطّرق التّجارية الخارجية، استطاعت أن تفرض نفسها على السّاحة التّجارية كحاضرة من العيار الثّقيل،وساهمت بدور فعّال في إنعاش الحركة التّجارية خاصّة إذا قلنا أنّها كانت تحتوي على أسواق، يرجّح أنّها استُغلّت في تصدير واستيراد السّلع والمنتجات، إذ يقول ابن حوقل: **"ولهم من السّفرجل المعنّق ما يحمل إلى القيروان"**[5] وهذا يعدّ نصّا صريحا يدلّنا على أنّ عملية التّصدير كانت تتمّ عبر طرقها التّجارية إلى مدن المغرب الإسلامي المتعامل معها.

ومن خلال النّصوص التّاريخية يمكن رصد بعض المنتجات الزّراعية الّتي كانت تنتجها هذه المدينة وربّما ما زاد عن حاجتهم كان يوجّه للتّصدير فيورد لنا **الحموي** أنّ "لأهلها سوائم وخيل وأغنام وأبقار ونبات وعيون وفواكه ومزارع قطن وقمح وشعير"[6] كما أنّ سكّان المسيلة كانوا من تجّار البربر، فقد اهتمّ أهلها بالزّراعة واتّخذوها مهنة لهم وبزغوا فيها و يحتمل أنّهم كانوا يتبادلون السّلع في أسواق المدينة أثناء مرور القوافل التّجارية عبرها.

ت- تاهرت:

من خلال الاطّلاع على المصادر التّاريخية للرّحالة الجغرافيين يمكننا الخروج بفكرة عامة حول مدينة تيهرت ودورها الكبير في تنشيط الحركة التّجارية، فمن خلال ما ذكره **المقدسي** حول هذه المدينة في قوله: **"هو بلد كبير كثير الخير رحب رفق طيّب رشيق الأسواق"**[7] يتبيّن لنا أنّ المدينة تميّزت بطابعها الزّراعي، وذلك تبعا لطبيعة سكّانها الّذين يميلون

---

[1] صالح بن قربة وآخرون، "**تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر** "، طبعة خاصّة، منشورات المركز الوطني للبحث والدّراسات في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر ١٩٥٤، ٢٠٠٧، ص٢٤٧.

[2] الحميري، المصدر السّابق، ص٥٥٨.

[3] عيسى بن الذيب، "**الحواضر والمراكز الثّقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط** "، منشورات المركز الوطني للبحث والدّراسات في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر ١٩٥٤، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٨٧.

[4] ابن حوقل، المصدر السّابق، ص٨٨،٨٦.

[5] المصدر نفسه، ص ٨٨،٨٦.

[6] ياقوت الحموي: "**معجم البلدان**"،ج٥، دار صادر بيروت، لبنان، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص١٣٠.

[7] المقدسي،" **أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم**"، مطبع بريل، ١٨٧٧، ص٢٢٨.

بدورهم إلى امتهان الزّراعة، ومع مرور الوقت أصبحت تاهرت مقصد العديد من التّجار قصد المتاجرة فيها[1] سواء لبيع منتجاتهم أو لشراء ما يحتاجونه حتّى أنّ المقدسي يقول في هذا الشّأن: **"وانتعش فيها الغريب واستطابها اللّبيب"** [2] وهذا دليل على الازدهار التّجاري الّذي عرفت بها، كما أنّها تحكّمت في الكثير من الطّرق التّجارية الّتي كانت تمرّ بها أو تنطلق منها إلى ما سواها إذ يورد لنا ابن الصّغير في قوله: **"وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتّجارة وضروب الأمتعة"** [3].

لم تقتصر تاهرت على الطّرق التّجارية الدّاخلية فحسب، بل استولت على الطّرق التّجارية الخارجية إلى سجلماسة والمشرق وما دون ذلك، فقد نشطت تجارتها وشارك فيها كل الرّعايا بمختلف اتّجاهاتهم وانتماءاتهم فشارك فيها النفوسيون والعرب وحتّى الفرس[4].

ث- وارجلان:

لقد كانت **وارجلان** حاضرة تجارية، نظرا لطبيعتها الصّحراوية، فقد لعبت أدوارا هامّة حيث أنّها كانت تتحكّم في الكثير من الطّرق التّجارية الّتي تنفذ إلى بلاد السّودان، ويجدر بنا الإشارة إلى أنّ هذه المدينة امتلكها الرّستميون في عهدهم واتّخذوها قاعدة تجارية لهم وهذا حسب ما يورده في شأن هذه المدينة حيث يقول: **" والسّفرجل منها (وارجلان) في الصّحراء إلى بلاد السّودان كثير"**[5] وإذا قارنا النّصوص التّاريخية الّتي تحدّثت عنها فأنّه يمكننا أن نحكم حكما نسبيا على أنّ وارجلان كانت مركزا تجاريا تربط الطّرق التّجارية ببعضها البعض، نذكر على سبيل المثال أنّ طريق المسيلة الّتي كانت تبعد عنها حوالي ١٢ مرحلة[6] كان يلتقي بالطّرق الّتي تصل وارجلان بغانة وكوغة وقفصة[7].

ومن العوامل الّتي ساعدت وارجلان على كسب هذه المكانة بين كلّ المدن الصّحراوية، هو طبيعة أهلها الّذين تمرّسوا على عبور الطّرق والمسالك التّجارية ومرافقة القوافل التّجارية العابرة والآيبة من بلاد السّودان، إضافة على ذلك أنّ غالبية أهلها كانوا يتشكّلون من عدّة قبائل عرفوا باحترافهم للتّجارة وبغناهم وثرائهم، فكانوا يتجوّلون في بلاد السّودان وبلاد غانة وونقارة، حيث يجلبون منها التّبر ويضربونه في بلادهم، ولا نستبعد أنّهم قد يتاجرون به مرّة أخرى مع النّواحي والأقاليم المجاورة الّتي كانت تتعامل معها.

لم يقتصر أهل وارجلان في تجارتهم بين مدينتهم وبلاد السّودان فحسب، بل كانوا يشكّلون عنصر الوساطة بين بلاد السّودان وبين سجلماسة وبلاد الزّاب[8] فكانت المنتجات الواردة من بلاد الجنوب تصل إلى أهلها في المناطق السّالفة الذّكر على أيدي تجّار المدينة، وهكذا نلاحظ مدى مساهمتها في تنشيط وتفعيل الطّرق والمسالك التّجارية الّتي تعتبر شريان المغرب الأوسط، وبالتالي ازدهار الحركة التّجارية.

---

[1] اليعقوبي،"**البلدان**"، تحقيق، محمّد أمين ضنّاوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢، ص ١٩٧،١٩٥.

[2] المقدسي، المصدر السّابق، ص٢٢٨.

[3] ابن الصّغير، المصدر السّابق، ص٣٦.

[4] عبد الحميد حاجيات، المرجع السّابق، ص٧٠.

[5] محمّد عيسى الحريري، المرجع السّابق، ص٢١٠.

[6] مقديش محمود، المصدر السّابق، ص١٢٨.

[7] الإدريسي، المصدر السّابق، ص ١٢١،١٢٠.

[8] الحميري، المصدر السّابق، ص٦٤.

٣- المبادلات التّجارية في المغرب الأوسط:

١- الصّادرات:

إنّ حواضر المغرب الأوسط لعبت دورا كبيرا في ازدهار النّشاط التّجاري بفعل منتوجاتها وقوافلها التّجارية سواء العابرة إلى البلاد الخارجية أو الرّاجعة منها، وعلى رأس هذه الحواضر نجد المسيلة حيث يقول **ابن حوقل: "ولهم عليه كروم واجنة كثيرة تزيد على كفايتهم وحاجتهم"**[1] ممّا يدلّنا على أنّ هذه المدينة كانت تصدّر منتوجاتها إلى الأمصار المجاورة على غرار تحقيق حاجاتها ومتطلّباتها، ويورد نفس المصدر في هذا الشّأن حيث يقول: **" ولهم من السّفرجل المعنّق ما يحمل إلى القيروان وأصله من تنس"**[2] فكانت مدن المغرب الأوسط تقوم بعمليّة التّبادل التّجاري فيما بينها وفيما بينها وبين البلدان المجاورة، وهذا فإن يدّ فإنّما يدلّ على تنوّع منتوجاتها وسلعها الموجّهة للتّصدير، ممّا يجعلها قبلة للتّجار الوافدين إلى المغرب الأوسط، وبالإضافة إلى تلك المحاصيل السّابقة الذّكر نجد زراعة القطن والحنطة والشّعير حاضرا عندهم بالإضافة إلى تربية المواشي ولم نلمس في كتب الرّحالة والجغرافيين أنّها كانت موجّهة للتّصدير.

لم تقتصر المبادلات التّجارية على مدينة بعينها فحسب، بل عرف المغرب الأوسط عدّة مدن وحواضر ساهمت بدور كبير في إنعاش التّجارة، فكانت تاهرت وما جاورها هي الأخرى حاضرة، ومن أهمّ منتوجاتها الّتي كانت تحمل إلى بلاد السّودان الأكسية القطنية والكتّانية وأثواب الصّوف والعمائم وأصناف من الزّجاج الأزرق والأصداف والأحجار، كما يحمل إليها النّحاس الأحمر الملوّن ومنتجاته من الأساور والخواتم والخزف ذي البريق المعدني والملح؛ وتعتبر هذه المادّة أهمّ السّلع المتعامل بها مع أهل السّودان إذ يقوا ابن بطّوطة في هذا الصّدد: **" وبالملح يتصارف السّودان كما يتصارف بالذّهب والفضّة يقطّعونه قطعا ويتبايعون به"**[3].

إنّ صادرات مدن المغرب الأوسط تنوّعت من حيث المنتوجات ومن حيث الأقاليم المتعامل معها، وذلك نظرا لموقعها الإستراتيجي الّذي يسمح لها بالقيام بهذا الدّور، فمن خلال المصادر التّاريخية نستنتج أنّ التعامل مع المغرب الأقصى كان يحتل مركزا هما من حيث التّصدير، فنجد أنّ بونة مثلا الّتي اشتهرت بإنتاج الحنطة والشّعير[4] لكن لا نملك نصّا صريحا يدلّنا على أنّ هذه المادّة كانت تصدّر إلى المغرب الأقصى، ولكن يبدوا أنّ الفائض منه يسوّق إليه بحكم قرب المسافة وكثرة التّعامل مع هذا الإقليم ولكن الّذي بين أيدينا من الدلائل هو ما أورده **ابن حوقل** حيث يقول: **"ما يحمل منه إلى البلاد النّائية عنه"**[5]، كما أنّ جزائر بني مزغنّاي اشتهرت بإنتاجها العسل والسّمن والتّين، ومدينة تنس الّتي ذكرها صاحب الاستبصار بكثرة الزّرع وبخس الأثمان وذكر لنا أنّ منها تؤخذ المنتوجات إلى سائر بلاد المغرب ومن ضمنها المغرب الأقصى[6] هذا فيما يخصّ المنتوجات الزّراعية، أمّا فيما يخصّ المنتوجات الحيوانية فقد اشتهرت تهرت بتربية المنتوجات عموما الّتي كانت تساق إلى بلاد المغرب حيث يقول الحميري: **"وبأراضيها مزارع وضياع جمّة وبها من نتاج البراذين والخيل كلّ شيء حسن، وبها البقر والغنم كثير جدّا"**[7] كما اشتهرت مدينة بونة في المغرب الأوسط

---

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص٨٥.

[2] المصدر نفسه، ص٨٥.

[3] محمّد عيسى الحريري، المرجع السّابق، ص٢٠٩.

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص٧٧.

[5] المصدر نفسه، ص٧٧.

[6] مجهول، المصدر السابق، ص١٣٣.

[7] الحميري، المصدر السّابق، ص ١٢٦.

بتجارة الصّوف والماشية من الدّواب، أمّا فيما يخصّ المعادن فإنّ هذه المدينة السّالفة الذّكر اشتهرت بمعادنها الوافرة، فحسب ابن حوقل فإنّ يذكر لنا أنّ معدن الحديد كان متوفّرا جدّا في هذه المدينة [1] وقد دخل ضمن صادراتها ولكن لم يحدّد لنا الأقطار الّتي كانت تتعامل معها في تصدير هذه المادّة، ومن الرّاجح أنّها كانت تصدّره إلى كافة المغرب بما فيه الأدنى والأقصى، أمّا من مدينة تلمسان فكان يحمل منها إلى الخارج الصّوف وسروج الخيل إلى أقاليم المغرب[2] ومن صادرات المغرب الأوسط ما يورده الإدريسي حول مدينة تنس الّتي تصدّر منها سائر الحبوب، حيث يخرج منها إلى كلّ الآفاق في المراكب حيث يقول: **"وبها من الفواكه كلّ طريفة ومن السّفرجل الطّيب المعنّق ما يفوت الوصف في كبره ووصفه"**، وليس بالغريب إذا قلنا بأنّ السّلعة الأكثر جودة، هي الأكثر طلبا وتسويقا وتصديرا، وهذه الميزة هي الّتي أفصحت المجال لمدن المغرب الأوسط للمساهمة في الحركة التّجارية النّشيطة آنذاك.

من خلال طريقة الأعمدة البيانية الّتي عمدنا إليه في دراسة أهم المنتجات الموجّهة للتّصدير في بلاد المغرب الأوسط يستنتج أنّ القمح والحنطة والشّعير والصّوف يتقدّم في المركز الأوّل من صادرات المدن بمعدّل ٢٦,٩٢ بالمائة في حين أنّ تصدير المواشي من الأغنام والأبقار يقدّر بحوالي ١٥,٣٨ بالمائة، وهناك صادرات أخرى تراوحت بين الفواكه كالسّفرجل والتّين والتّمور والمعادن بنسبة ٧,٦٩ بالمائة، أمّا المرجان فكان تصديره قليلا اذ كان معدّله حوالي ٣,٨٤ بالمائة وذلك نظرا لقلّة المدن السّاحلية الّتي يوجد بها هذا الأخير ولصعوبة صيده، فمجمل الصّادرات كانت عبارة عن المنتجات الزّراعية، وهذا دليل على أنّ أهل هذه المدن كانوا يمتهنون الزّراعة والتّجارة.

٢- الواردات:

بما أنّ مدن المغرب الأوسط كانت مدنا تجارية فبطبيعة الحال كانت تستورد سلعا كما كانت تصدّر منتجاتها، ولعلّ أنّ بين هذه المدن والّتي تأتي في المرتبة الأولى تيهرت.

فإذا تحدّثنا عن وارداتها في عصر الدّولة الرّستمية فيمكن أن نستخلص ممّا يورده البكري أنّها كانت تتعامل في غالب الأحيان مع سجلماسة، حيث كانت القوافل التّجارية تعبر عبرها أو تستقرّبها وتحمل منها بعض المنتوجات والسّلع [3] ومن بين ما اشتهرت به سجلماسة ما يذكره الحميري**"وعندهم غلاّت القطن والكمّون والكروياء والحنّاء"** [4].

كانت المنتجات تصل إلى مدن المغرب الأوسط عن طريق القوافل التّجارية الّتي كانت تتجوّل في بلاد السّودان أو في المغربين الأدنى والأقصى فيأخذون السّلع والمنتوجات ذاهبين ويرجعون بسلع أخرى آيبين، وخاصّة المدن الواقعة على الطّرق التّجارية مثل وارجلان حيث يقول الإدريسي: **"فيها قبائل مياسير وتجّار أغنياء يتجوّلون في بلاد السّودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة فيخرجون منها التّبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم"**[5] فكان التّبر أهمّ واردات المغرب الأوسط من بلاد السّودان لاشتهارهم به ولجودته، ولقد برز أهل وارجلان في التّجارة مع بلاد السّودان لأنّهم أعرف النّاس ببيئتها لتشابه نمط العيش وتشابه جغرافية المسالك التّجارية.

ويتصدّر معدن الذّهب قائمة السّلع الّتي تصل إلى المغرب الأوسط من بلاد السّودان ونلمس هذا من خلال ما أورده **البكري** حيث يقول:**" وأفضل الذّهب في بلاده ما كان بمدينة غياروا وبينها وبين مدينة الملك مسيرة ثمانية عشر يوما**

---

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص٧٧.

[2] الزّهري أبي عبد الله محمّد بن أبي بكر،" **كتاب الجغرافيا**"، تحقيق، محمّد حاج صادق، مكتبة الثّقافة الدّينية، (د، ت)، ص١١٤،١١٣.

[3] محمّد عيسى الحريري، المرجع السّابق، ص٢٠٩.

[4] الحميري، المصدر السّابق، ص ٣٠٥.

[5] الإدريسي، المصدر السابق، ص ١٢١،١٢٠.

في بلاد معمورة بقبائل السّودان" [1] وبالإضافة إلى الذّهب كان الرّستميون يستوردون من بلاد السّودان الغربي الأحجار الثّمينة والشّب والعنبر وريش النّعام وغير ذلك من المواد، كما أنّ التّجار الرّستميين أولوا اهتماما بالغا لتجارة العبيد فجلبوا عددا كبيرا منهم إلى درجة أنّهم صاروا يشكّلون طبقة اجتماعية لا بأس بها في المجتمع التّهرتي، كما لا نستبعد أنّ هؤلاء التّجار عمدوا إلى المتاجرة بهذه البضاعة بتوزيعها إلى الحواضر الإسلامية الأخرى خارج التراب الرّستمي[2] وقد اشتهر المغرب الأقصى مابين القرن (٣-٥هـ) بانتاج السّكرالنّحاس الّذي يسمّيه الزّهري **"بالنّحاس المصبوغ السّوسي"**[3] ومن خلال ما سيذكره **الزّهري** يمكننا رصد البلدان والأقاليم الّتي تساق له هذه المنتوجات حيث يقول: **"ومن هذه البلاد يجلب السّكر السّوسي إلى إفريقية والمغرب والأندلس وبلاد الرّوم والإفرنج وكذلك النّيل الدّرعي والشّب"**[4] ومن خلال هذا النّص الصّريح يمكن لنا أن نحكم حكما نسبيا أنّ هذه المنتوجات كانت تصل إلى المغرب الأوسط بحكم القرب الجغرافي والتعامل التّجاري الدّائم على الطّرق الرّابطة بينهما، كما اشتهرت بلاد السّوس بالألبسة الرّقاق والثّياب الرّفيعة والثّياب الصّوفية الّتي كانت تنسج بمدينة سجلماسة، والّتي كانت تحمل إلى سائر بلاد المغرب بحكم الصّناعة الجيّدة والمتميّزة[5].

كانت تلمسان تستورد من بلاد السّودان الرّقيق والذّهب والملح والنّحاس وريش النّعام، وبعض البهارات مخاصّة الفلفل السّوداني[6] أمّا السّلع الواردة من أوروبا فتنحصر في المنسوجات من الجوخ وغيرها، ومن الأسلحة من الرماح وسيوف وخناجر[7].

٣-عوامل ازدهار التّجارة في المغرب الأوسط:

اشتركت عوامل عديدة في تنشيط الحركة التّجارية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وإن اختلفت هذه العوامل إلاّ أنّ كلّ مدينة تميّزت بميزة انفردت بها عن سائر المدن الأخرى، وكلّ ذلك هو السّبب وراء ظهورها كحواضر تجارية، منّت على كثير من أصقاع العالم بخيراتها، وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أنّ التّجارة في العهد الرّستمي (١٦٠-٢٩٦هـ/٧٧٦-٩٠٩م) نشطت بشكل كبير، فمن خلال المصادر التّاريخية المعاصرة لها مثل **ابن الصّغير**، نستشفّ أنّ تيهرت كانت قبلة للتّجار الّذين كانوا يفدون إليها من كلّ أصقاع العالم الإسلامي فيقول ابن الصّغير في هذا الصّدد: **"واستعملت السّبل من مشرق وغرب بالتّجارة وضرب الأمتعة فأقاموا على ذلك سنتين أو أقلّ من ذلك أو أكثر والعمارة والنّاس والتّجار من كلّ الأقطار تاجرون"** [8] فمن خلال هذا القول يستنتج بأنّ إعمار المدن والحواضر وازدهار التّجارة وإقبال التّجار إليها لا يكون إلاّ إذا توفّر الأمن والاستقرار سواء عبر طرقها ومسالكها التّجارية أو داخل المدينة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نلاحظ أنّ الخوارج قد لعبوا أدوارا تفوّقوا بها على الكيانات السّياسية الأخرى في إفريقية والمغرب الأقصى، حيث أنّهم ساهموا في تنشيط الحركة التّجارية بين بلاد السّودان وواحات الصّحراء والمغرب

---

[1] البكري، المصدر السابق، ص١٧٦.

[2] حاجيات عبد الحميد وآخرون، المرجع السّابق، ص ٧٢،٧٣.

[3] الزّهري، المصدر السّابق، ص ١١٧،١١٨.

[4] المصدر نفسه، ص١١٧،١١٨.

[5] علي محمّد البياتي بان، **"النّشاط التّجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (٣،٥هـ/٩،١١م)"**، رسالة ماجيستير، جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص٧٧.

[6] بسام كمال عبد الرّزاق شقداد، المرجع السّابق، ص١٩٩.

[7] بوزيان الدّراجي، المرجع السّابق، ص٢١٥.

[8] ابن الصّغير، المصدر السابق، ص ٣٦،٣٧.

الأوسط إجمالا، فقد ربطوه بالمشرق الإسلامي وبموانئ البحر المتوسّط[1] ويرجع السّبب في ذلك إلى اهتمامهم بالعمارة والبناء وإحياء الموات من الأراضي وغرس البساتين وإجراء الأنهار، فكانت نتيجة ذلك أن أتتهم الوفود والقوافل التّجارية من كلّ أصقاع العالم[2].

فمثلا في عهد الدّولة الحمّادية (٣٩٧-٥٤٧هـ/٩٩٧-١١٤٣م) قامت تجارة نشيطة يعتقد أنّها كانت تتناقل داخليا وخارجيا، ففي مدينة جزائر بني مزغنّاي وقسنطينة والمسيلة وغيرها قامت بها أسواق كثيرة كما يحدّثنا الجغرافيون، والبعض منها كانت تتوفّر على طرق تجارية متنوّعة تساعد على إحداث تكامل اقتصادي بواسطة التّبادل التّجاري فيما بينها وفيما بينها وبين الأقطار الخارجية ويستطرد في هذا الشّأن الإدريسي قائلا:" **يُجلب إليها من أقاليمها الزّيت البالغ الجودة والقطران**" وعن جزائر بني مزغناي يقول:" **يتجهّز بسمنها وعسلها إلى سائر البلاد**"[3] ويضيف الإدريسي أنّ سمك المسيلة يصطاد ويحمل إلى قلعة بني حمّاد[4].

فمثلا في عهد **الدّولة الزّيانية** تكوّنت شركة صحراوية هي شركة المقرّبين فقد نقل لسان الدّين الخطيب في الإحاطة عن شيخيه "**أبي عبد الله المقرّي**" أنّ لجدّه "**أبي بكر بن يحي بن عبد الرّحمان**" أربعة إخوة اشتركوا في التّجارة، فمهّدوا طريق الصّحراء بحفر الآبار وتأمين التّجارة، واتّخذوا طبلا للرّحيل وراية تقدّم عند المسير وكان "**أبو بكر بن محمّد**" بتلمسان و"**عبد الرّحمان**" بسجلماسة و"**عبد الواحد وعلي**" بإيوالاين الواقعة في الشّمال الغربي لتمبكتو على ٤٠٠ ميل، فكان التّلمساني يبعث إلى الصّحراء بما يرسم له من السّلع، وذاك يرسل له بالجلد والعاج والجوز والتّبر، والسّجلماسي بينهما كلسان الميزان يعرّفهما بقدر الرّجحان والخسران ويكاتبهما بأحوال التّجارة والبلدان، فاتّسعت أموالهم وعظم شأنهم[5] فمن خلال هذا يمكن أن نرصد أنّ لسلامة وأمن الطّرق وتمهيدها أكبر الأثر على حسن سير القوافل التّجارية وتنمية حركتها، وبالتّالي تصبح الحاضرة التّجارية مقصد الكثير من التّجار، هذا من جهة، ومن جهة ثانية نرصد من هذه الرّواية أنّ التّمرسّ على فنّ التّجارة من الأمور الّتي تمكّن الدّول والقبائل والأمم من أن يبلغوا مبلغ التّاج عند السّلطان، حيث أهل الخبرة والثّقة والتّحكم في سير القوافل التّجارية، يلعبون الدّور الحسّاس في إبراز منتجاتهم إلى الدّول المجاورة والنّائية.

وممّا يلاحظ أنّ تطوّر الحركة التّجارية تزامن مع الازدهار الحضاري والعمراني لمدن المغرب الأوسط، وهذا ما ينعكس إيجابا على مداخيل المدينة نتيجة استقبال الوافدين من التّجار وغيرهم، وفي هذا الصّدد يشير **عبد الرّحمن بن خلدون** إلى العلاقة بين العمران والازدهار الاقتصادي حيث يقول:"**ومتى عظم الدّخل والخرج اتّسعت أحوال السّاكن ووسع المصر**" حيث يكون للمدينة دور في تنمية النّشاط التّجاري على الصّعيد الدّاخلي والخارجي.

أمّا فيما يخصّ دور القبائل الهلالية الّتي توزّعت في نواحي المغرب الأوسط، بما فيها قبائل رياح وزغبة والأثبج ، وحسب ما يورده ابن خلدون في شأنهم فقد كان تاريخهم قاتما ولم نجده يذكرهم في أيّ مقام بصفة تمكّننا من أن

---

[1] عيسى قوراري،" **تطوّر المدن بالمغرب الإسلامي وعلاقتها، العلاقات التجارية ببلاد السّودان خلال القرنين ٣هـ،٤هـ/٩م،١٠م**"، المركز الجامعي بمدينة الجزائر، ص١٠.

[2] المرجع نفسه، ص – ص٣٦،٣٥.

[3] عويس عبد الحليم، "**دولة بني حمّاد (صفحة رائعة من التاريخ الجزائري)**"، دار الوفاء، ١٩٩١، ط٢، ص – ص٢٢٨،٢٢٧.

[4] الإدريسي، المصدر السابق، ص٨٦.

[5] محمّد الطّمار، المرجع السّابق، ص – ص٢٠٩،٢٠٨.

نحكم عليهم بالإيجاب إزاء تنشيط الحركة التّجارية[1] ولم يخلف رأيه آراء المؤرّخين الآخرين إذ يمكننا أنّ نقول بأنّ **"هجرة الهلاليين إلى المغرب الأوسط كانت نعمة ونقمة في آن واحد نعمة في تعريب اللّسان ونقمة في تخريب الدّيار"**، فبمجرّد انتقالهم من القلعة إلى بجاية [2] ونحو الجزء الغربي من المغرب الأوسط اضطرت بعض القبائل البربرية للنّزوح نحو المراعي والأراضي ذات الكلأ [3] ولقد تأثّرت نتيجة ذلك كبرى الحواضر التّجارية مثال تاهرت والقيروان وسجلماسة، ونلاحظ بأنّ هذه المدن كانت من أهمّ المراكز الّتي تتحكّم في الطّرق التّجارية الدّاخلية والخارجية ويبقى السّؤال المطروح هو: هل تعمّدت القبائل الهلالية ذلك رغبة وطمعا في إضعاف الحركة التّجارية؟ أم أنّ ذلك جاء نتيجة مسبّبات أخرى لم يتحمّل الهلاليون مسؤوليتها؟

ويجدر بنا الإشارة إلى أنّ التّغريبة الهلالية بالمغرب الأوسط كانت أقلّ ضررا ممّا شهدته طرابلس وبرقة وإفريقية، لأنّ المغرب الأوسط لم يكن هو المقصود بهذه الحملة[4] ونتيجة لهذه الزّحفة _كما يطلق عليها الكثير من المؤرّخين_ اندمج الهلاليون مع القبائل البربرية بمرور الوقت، وأصبحوا تجّار إقطاعيين وتخلّصوا من بداوتهم وظهرت عليهم علامات التّحضّر بعدما عرفوا بتعصّبهم للقبيلة[5] وكان من نتائج ذلك أن سيطروا على الطّرق التّجارية ومياه الآبار، ففرضوا الجزية على سكّان مدن المغرب الأوسط من محاصيل القمح والتّمور والزّيتون فأصبحت التّجارة خاضعة للتّسلّط الهلالي[6] ويستعرض لنا **ابن خلدون** عن حادثة تاريخية إذ يقول :**"ولمّا ملكت زناتة بلاد المغرب الأوسط ونزلوا بأمصاره، دخل زغبة هؤلاء التّلول وتغلّبوا فيها ووضعوا الأتاوة على الكثير من أهلها"**، ولكن مع كلّ ذلك سارت الطّرق التّجارية حتّى في أسوء الظّروف.

ومن هذا نستخلص بأنّ الهجرات الهلالية كانت نكبة على المغرب الإسلامي سياسيا و واقتصاديا.

خاتمة:

تعدّدت الطّرق التّجارية في المغرب الأوسط وتشعّبت مسالكها، حيث سارت بين حواضرها ومراسيها، ويجد بنا الإشارة إلى أنّ هذه الطّرق كانت تتعامل مع كلّ الأقطار والأقاليم سواء في البلاد الإسلامية، أو الدّول المقابلة له من الضّفة الأخرى، فالإزدهار الحضاري الّذي شهدته دول المغرب الأوسط لم تكن بمعزل عن حاجتها للطّرق التّجارية الّتي مكّنته من ولوج صرح الحركة التجارية، غير أنّ هذه الطّرق لم تكن وليدة العدم وإنّما تحكّمت في ظهورها الكثير من العوامل الّتي لا نكاد نخصّ واحدا منها إلاّ كان الثّاني مكمّلا لها، فطبيعة الموقع الإستراتيجي الّذي تمتّع به جعله مركزا تجاريا مهمّا ومنفذا رئيسيا إلى الأقاليم الجنوبية والمغربين الأدنى والأقصى بحكم أنّه بوابة المغرب الإسلامي نظرا لشساعته وطبيعة مدنه وأقاليمه الّتي تتنوّع من حيث التّضاريس الجبلية والسّهلية والهضاب، الّذي ينعكس على تنوّع المنتجات

---

[1] عبد الرّحمان بن خلدون ، " **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر** "،ج٦،دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠، ص – ص١٧،٧٥.

[2] جورج مارسيه، " **بلاد المغرب وعلاقته بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى** "، تر، محمود عبد الصّمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص٢٣٠.

[3] نجيب زيبب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج٢، تقديم، أحمد ابن سودة، ط١، دار الأمير، ١٩٩٥، ص٢١٨.

[4] عبد الحليم عويس، المرجع السّابق، ص١٧٨.

[5] جورج مارسيه، المرجع السّابق، ص٢٣٩.

[6] عبد الرّحمان بن خلدون: **"ديوان المبتدأ والخبر"**، المصدر السّابق، ص٥٤.

والمحاصيل الزّراعية والّتي تُوجّه للتّصدير، بالإضافة إلى أنّ المغرب الأوسط انحصر بين المغرب الأقصى والمغرب الأدنى وبلاد السّودان، فمن الضّروري اتّخاذ طرقه دليلا واصلا إلى حواضر المغرب الإسلامي كفاس والقيروان وميورقة وألميرية.

ومن العوامل الّتي ساعدت على إيجاد الطّرق التّجارية وتنوّعها هو وجود كيانات سياسية تمثّلت في الدّولة المستقلّة الّتي عملت على تنشيطها وأمنها واستقرارها من أجل قضاء ما تحتاجه من الواردات قصد دعم قوّتها السّياسية والإقتصادية، فحتّى مع وجود بعض الإضرابات والفتن والقرصنة فإنّ عمليات التّبادل التّجاري لم تركن عند نفسها.

كما أنّ وجود الأسواق وبخس أثمان السّلع في حواضر المغرب الأوسط ونوعية منتجاتها ومصداقية تجارها جعلها تكسب ثقة التجار،جعلت القوافل التّجارية تقفل صوبه.

قائمة المراجع :

١ -شقداد بسام كمال عبد الرّزاق،"**تلمسان في العهد الزّياني (٦٣٣هـ-٩٦٢هـ/١٢٣٥م-١٥٥٥م)**"، رسالة ماجيستير، جامعة النّجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٢.

٢ -الإدريسي،" **المغرب وأرض السودان ومصر (مأخوذة من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)**"، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٦٤ .

٣ -بوزيان الدّراجي، "**نظم الحكم في دولة بني عبد الواد**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣.

٤ -عبد الحميد حاجيات وآخرون: "**كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط**"، طبعة خاصّة، منشورات المركز الوطني للدّراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر ١٩٥٤، ٢٠٠٧.

٥ -البكري أبي عبيد، "**المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**"، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د-ت).

٦ -عبد الكريم يوسف جودة،" **العلاقات الخارجية للدّولة الرّستمية**"، المؤسّسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤.

٧ -خالد بلعربي، "**العلاقات التّجارية بين تاهرت ومراكز التّجارة في بلاد المغرب والأندلس حتّى أواخر القرن الثّالث الهجري**"، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانية"،ع٥، منشورات مكتبة الرّشاد للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، ٢٠٠٦..

٨ -ابن الصّغير:" **أخبار الأئمة الرّستميين**"، تحقيق، محمّد ناصر و ابراهيم بحّاز، مركز الوثائق الاجتماعية والاقتصادية، ١٩٨٦.

٩ -فطيمة مطّهري،" **مدينة تيهرت الرّستمية (دراسة تاريخية وحضارية القرن ٢هـ/٣هـ – ٨م/٩م)**"، رسالة ماجيستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية – قسم التّاريخ-، جامعة أبي بكر بلقايد، ٢٠٠٩-٢٠١٠.

١٠ -محمّد عيسى الحريري،" **الدّولة الرّستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وسياستها بالمغرب والأندلس ١٦٠-٢٩٦هـ)**"، دار العلم للنّشر والتّوزيع، ط٣، ١٩٨٧.

١١ -بحاز إبراهيم بكير،" **الدّولة الرّستمية ١٦٠-٢٩٦هـ/٧٧٦-٩٠٩م (دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية)**"، ط٣، منشورات ألفا، الجزائر، ٢٠١٠.

١٢ -الطّاهر قدوري،" **المسالك البحرية في المغرب الوسيط خلال القرنين ٥-٦هـ/١١-١٢م**، "مجلّة التسامح"، جوان، ٢٠١٠.

١٣ -حسن أحمد خضيري، "**علاقا ت الفاطميين في مصر بدول المغرب**"، مكتبة مدبولي، (د-ت)، ط١.

١٤ -محمّد العبدري البلنسي، "**الرّحلة المغربية**"، تقديم، بوفلاقة سعد، منشورات بونة للبحوث والدّراسات، الجزائر، ٢٠٠٧.

١٥ -ابن حوقل،" **صورة الأرض**"، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٩٦.

١٦ - عبد الرّحمان بن خلدون، **"التّعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرق"**، تحقيق، محمّد بن تاويت الطّنجي، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣.

١٧ - مؤلّف مجهول، **"الاستبصار في عجائب الأمصار"**، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النّشر المغربية، الدّار البيضاء، المغرب الأقصى، ١٩٨٥.

١٨ -التنسي محمّد بن عبد الله، **" تاريخ ملوك بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بني زيان"**، تحقيق، محمود بوعياد، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥.

١٩ - محمّد الطّمار، **" تلمسان عبر العصور (دورها في سياسة وحضارة الجزائر)"**، تقديم عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،٢٠٠٧.

٢٠ - شكيب أرسلان:**" الحلل السّندسية في الأخبار والآثار الأندلسية"**، ج١، ط١، المطبعة الرّحانية، ١٩٣٦.

٢١ - مقديش محمود، **" نزهة الأنظار في عجائب التّواريخ والأخبار"**، تحقيق علي الزّواوي ومحمّد محفوظ، المجلّد الأوّل، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨.

٢٢ -ابن حوقل، **"المسالك والممالك"**، مطبع بريل، ١٨٧٢.

٢٣ -ابن الأحمر، **" تاريخ الدّولة الزّيانية"**، تحقيق: هاني سلامة، مكتبة الثّقافة الدّينية، ط١، ٢٠٠٠.

٢٤ -صالح بن قربة وآخرون، **"تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر"**، طبعة خاصّة، منشورات المركز الوطني للبحث والدّراسات في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر ١٩٥٤، ٢٠٠٧.

٢٥ -عيسى بن الذيب، **" الحواضر والمراكز الثّقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط"**، منشورات المركز الوطني للبحث والدّراسات في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر ١٩٥٤، الجزائر، ٢٠٠٧.

٢٦ -ياقوت الحموي:**" معجم البلدان"**،ج٥، دار صادر بيروت، لبنان، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٢٧ -المقدسي، أحسن**" التّقاسيم في معرفة الأقاليم"**، مطبع بريل، ١٨٧٧.

٢٨ -اليعقوبي، **البلدان**، تحقيق، محمّد أمين ضنّاوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢.

٢٩ -الزّهري أبي عبد الله محمّد بن أبي بكر،**" كتاب الجغرافيا"**، تحقيق، محمّد حاج صادق، مكتبة الثّقافة الدّينية، (د- ت).

٣٠ -علي محمّد البياتي بان، **"النّشاط التّجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (٣-٥هـ/٩-١١م)"**، رسالة ماجيستير، جامعة بغداد، ٢٠٠٤،

٣١ -عيسى قوراري، **"تطوّر المدن بالمغرب الإسلامي وعلاقتها- العلاقات التجارية ببلاد السّودان خلال القرنين ٣هـ-٤هـ/٩م-١٠م"**، المركز الجامعي بمدينة الجزائر.

٣٢ -عويس عبد الحليم، **"دولة بني حمّاد (صفحة رائعة من التاريخ الجزائري)"**، دار الوفاء، ١٩٩١، ط٢.

٣٣ -عبد الرّحمان بن خلدون ،**" ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر"**،ج٦،دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠.

٣٤ -جورج مارسيه، **"بلاد المغرب وعلاقته بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى"**، تر، محمود عبد الصّمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية.

٣٥ -نجيب زبيب،**" الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس"**، ج٢، تقديم، أحمد ابن سودة، ط١، دار الأمير، ١٩٩٥.

مستلزمات التجديد التربوي في زمن العولمة

أ.د. علي صباغ /جامعة قسنطينة ٢ ،الجزائر

ملخص :

نسعى من خلال هذه الدراسة الإستشرافية إلى إبراز المتطلبات المنهجية والمستلزمات الأدائية، الواجب توافرها عند تصميم استراتيجية تطوير النظام التربوي،وذلك من أجل تحقيق التجديد التربوي،هذا التجديد الذي سيمكننا من مواجهة تحديات العولمة وعصر المعلومات،والتحكم في تكنولوجيات الإعلام والاتصال، التي تعتبر بحق بمثابة تأشيرة دخول إلى الألفية الثالثة.

كلمات مفتاحية : النظام التربوي ، العولمة ، التغيير ، تكنولوجيا، الألفية الثالثة.

مقدمة :

إن قوة الدول لم تعد تقاس بعدد سكانها، أو بما لديها من ثروات طبيعية أو بقوة جيشها ولكن بما لديها من عقول مبدعة تستطيع أن تفكر ويمكنها أن تغير،فالدولة العارفة هي الدولة القوية والمجتمع المتقدم هو المجتمع المتعلم، ولم يعد صحيحا في عالم اليوم القول بأن مصادر الثروة لدى أمة من الأمم هي التربة والأحجار والأرض وما يكمن في باطنها من كنوز وثروات، وإنما أهم الموارد هي تلك التي تكمن في الإنسان وفي ذكائه وقدراته على الإبداع والابتكار.[1]

لقد تحولت المنافسة الدولية من التجارة إلى الأفكار، وأصبحت المعرفة والذكاء الذي أحسن تدريبه هي الخدمات الجديدة للتجارة العالمية، فالتربية مدعوة الآن أكثر من أي وقت مضى، إلى تطوير ذاتها وتجديدها بما يجعلها أكثر قدرة على إيجاد التوافق والانسجام بين الطموحات الذاتية للفرد المتعلم وبين متطلبات التنمية التي تتغير باستمرار من جهة، وبين متطلبات عصر العولمة وتحديات الألفية الثالثة من جهة أخرى .

فمما لا شك فيهأن واقع المتغيرات المتسارعة والتحولات الهيكلية المعاصرة وما أفرزته من مواقف ومشكلات، جعلت مهمة التربية تزداد تعقيدا، وأضحت النظم التربوية اليوم وهي المسؤولة عن تكوين رأس المال البشري، ذي النوعية الراقية، الذي تتطلبه التنمية المستدامة، مسؤولة أيضاعن الإنسان ومستقبله، وفي ظل التطور السريع للمعرفة وتنوع الخبرات المختلفة في العصر الراهن، غدا هدف التربية الأساسي هو زيادة قدرة الفرد على التكيف مع ما يستجد من المتغيرات العلمية والتكنولوجية وبالتالي المتغيرات الاجتماعية الناجمة عنها.

وتحتاج عملية التكيف هذه، إلى جانب الاعتبارات الثقافية و النفسية، إلى تنمية مهارات الفرد الذهنية التي تؤهله للتعامل المباشر مع مصادر المعرفة دون وسيط بشري مستبدلا إياه بوسيط معلوماتي اتصالي، وبالتالي فإن التعليم لا بد أن يركز بقدر أكبر على كيف يفكر الفرد المتعلم وليس على بماذا يفكر،كما كانت عليه الحال فيما مضى.

لقد أعطت تربية عصر المعلومات الأولوية لنظرية المعرفة لا للمعرفة ذاتها،ويقصد بذلك استراتيجيات اقتنائها ومهارات توظيفها، فلم يعد كافيا إعداد الفرد المتعلم لتلبية مطالب بيئته المحلية فحسب، بل أصبح لزاما على التربية ضرورة

[1] عبد المنعم الحنفي،"**موسوعة الطب النفسي**"، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٥، ص ١٨٩.

التخلص من ثنائية المحلية والعالمية، وإن تكنولوجيا المعلومات ووسائلها العديدة تتيح الجمع بين المحلية والعولمة من خلال:

١-**شبكة الأنترنت** التي أسقطت الحاجز الجغرافي، وأصبحت ساحة للحوار الثقافي وتبادل المعارف والخبرات.

٢- **نظم الترجمة الآلية**، التي أسقطت بدورها الحواجز اللغوية والثقافية.

٣-**نظم الإعلام الجماهيري وقنواته الفضائية** التي أحالت العالم إلى قرية الكترونية صغيرة.[1]

وإذا كان من أهم التحديات الكبيرة التي تواجه النظم التربوية العالمية الآن وفي المستقبل بمستوياتها المختلفة هي مسألة العولمة وما تفرزه من متغيرات متسارعة على الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية والتربوية، فإن تربية المستقبل مدعوة إلى إيجاد حل لرفع مستوى التفكير العلمي والتجريبي عند المتعلمين، بما يضمن لهم القدرة على التفكير الموضوعي النقدي.

وهذا يتطلب فهما جديدا للأسس العلمية التي تقوم عليها العملية التربوية ويستوجب البحث والتنقيب لتحديد المسار المستقبلي لمنظومة التربية و التعليم، وإيجاد البدائل الفعالة التي تضمن تطوير جميع عناصرها تطويرا نوعيا. ففي عصر المعلومات لن يتمكن الناس من الاحتفاظ بالمعلومات والمعارف التي اكتسبوها أثناء دراستهم، بل ستفرض عليهم توظيفها واكتساب المزيد منها. لذا سيصبح التعليم في نهاية الربع الأول من القرن الحادي والعشرين، عملية مستمرة للتعليم وإعادة التعلم وسوف يتم التركيز على المهارات الأساسية، وتنتشر أكثر النظم الالكترونية للتعليم الفردي داخل المدرسة وخارجها.[2]

إن ما حملته العولمة وثورة الاتصال والمعلومات من آثار وما ستحمله في المستقبل على الحياة السياسية والاجتماعية لدى الشعوب والأمم، كالديمقراطية وحقوق الإنسان وحماية البيئة والسلام العالمي والحوار الحضاري والتفاعل الثقافي وتقدير النوع الآخر، لها منعكساتها على التربية بوجه عام والتربية المدرسية بوجه خاص.[3]

ووسط هذا الكم الهائل من المتغيرات والتطورات المتلاحقة والمتسارعة، ما هو موقف التربية و نظمها التعليمية من هذه المتغيرات؟ وكيف تستطيع تجديد ذاتها و المواءمة بينها وبين هذه المتغيرات؟ فعلى الرغم من إدراكنا لصعوبة الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها في هذا الوقت، فإننا نحاول أن نقدم تصورا عاما لما يتطلبه التجديد التربوي في زمن العولمة وتحديات الألفية الثالثة.

مشكلة الدراسة و أهميتها:

يتميز عصر العولمة على ما سبقه من عصور بالتقدم الهائل في المجالات العلمية والتكنولوجية وتفجر المعرفة وسرعة انتقالها وتداولها، واتساع أبعاد الحضارة الإنسانية وتطورها بشكل لم يسبق له نظير في تاريخ الأمم. لذلك أصبح من الضروري أن تقوم النظم التربوية وأن يعاد النظر في أساليبها و مضامينها.

وتعد عملية التجديد التربوي، عملية مستمرة يسعى إليها العالم كله. وبخاصة في زمن العولمة، لأن التقدم العلمي والتكنولوجي قد خلق، ولا يزال يخلق العديد من المتغيرات في جميع مجالات الحياة. وتلك التغيرات تتسبب في خلق

---

[1] نفس المرجع، ص ٢١٠.

[2] نفس المرجع، ص ١٧٦.

[3]، عبد المنعم الحنفي،"**موسوعة الطب النفسي**"، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٥، ص ١٢٥.

العديد من المشكلات التي تواجه الأفراد، سواء في حياتهم العامة أو الخاصة. وحيث أنه لا يمكن التكهن بمدى ما يصل إليه العلم من تقدم في المستقبل، فإنه لا يمكن التكهن بطبيعة ونوعية المشكلات التي تواجه الأفراد. وهذا يدعو إلى إعداد المواطنين القادرين على مواجهة هذه المشكلات وحلها بطريقة علمية. لذلك فإن أي نظام تربوي يجب أن يعنى بتنمية مهارات التفكير العلمي.[1]

فالتقدم العلمي الذي كان من آثاره تقدم مذهل في تكنولوجيات الإعلام والاتصال، جعل العالم كله أشبه بقرية صغيرة يمكن أن تتلاقى أطرافها، وأصبحت بذلك كل المجتمعات تمثل مجتمعا واحدا، مهما اختلفت أو تباعدت. وإن من مسؤوليات التربية أن تعد المواطنين القادرين على إدراك أهمية التفاهم الدولي والتعاون العالمي.

ويسعى المسؤولون عن التربية و التعليم عندنا إلى تحقيق التطابق بين الفكر التربوي المعاصر والواقع التعليمي. حيث اتجهت الأنظار في الآونة الأخيرة نحو تطوير وتحديث التعليم، لكي يواكب التطور التكنولوجي الكبير في زمن العولمة. وإننا نعتقد أنه آن الأوان لمراجعة الكثير من المفاهيم السائدة في مجال التعليم و طرائقه وأساليبه ووسائله، بل آن الأوان لإحداث تغييرات أساسية في مفاهيم الإنسان والعمل الإنساني فكرا وأداء.

من هنا تظهر أهمية دراسة مستلزمات التجديد التربوي في زمن العولمة وتحديات الألفية الثالثة. وعليه تتحدد مشكلة هذه الدراسة في محاولة الإجابة على التساؤل التالي: ما هي مستلزمات التجديد التربوي في زمن العولمة وتحديات الألفية الثالثة؟

أهداف الدراسة:

يسعى الباحث من خلال هذه الدراسة إلى وضع تصور عام لمستلزمات التجديد التربوي في زمن العولمة وتحديد أبعادها و مضامينها المستقبلية في عصر المعلومات.

أسئلة الدراسة:

وحتى نجيب على **التساؤل العام** لمشكلة الدراسة يستدعي الأمر صياغة **الأسئلة الجزئية** الموالية:

١- ما هي طبيعة العولمة؟ وما هو مفهومها؟

٢- ما هي الانعكاسات التربوية للعولمة؟

٣- كيف تواجه الأنظمة التربوية تحديات العولمة؟

٤- ما هي قضايا المنهج في زمن العولمة؟

المفاهيم الواردة في الدراسة:

١) المستلزمات: والمقصود بها تلك المتطلبات الواجب توفرها داخل الإطار الواسع للمجتمع وداخل مجال التربية من استعمالات توظف فيها الأساليب الأكاديمية والتطبيقات التربوية لمواكبة زمن العولمة والتحكم في تكنولوجيات الإعلام والإتصال من أجل دعم ومساندة الغايات الإنسانية التي تجعل الحياة لها معنى وقيمة.

---

[1] ، Selye ,H ,"**the stress of life**", Mc Graw‹Hill Company, New‹York‹Springer ١٩٧٦,

نقلاً عن مصطفى عشوي، "**تأثير ضغوط الحرب في مذاكرة الطلاب الجامعيين**"، مجلة الثقافة النفسية المتخصصة، المجلد ١٦، رقم ٦٣، جامعة الملك فهد، ٢٠٠٥، ص ٢٩.

٢) التجديد التربوي: هو عمل قصدي، يقوم على نتائج البحوث والدراسات التربوية، التي تأخذ بالاعتبار جميع منجزات العلم الحديث والخبرات التربوية و الممارسات الأكثر تطورا، ويهدف إلى تطوير شامل للنظام التربوي، و جعله قادرا على تبني واستيعاب الاتجاهات التربوية المعاصرة، بغية زيادة فاعليته، وتحسين مروده ومواءمته لمتطلبات البيئة المحلية والعالمية بالاعتماد على التطبيق المنهجي والمنظم للمعرفة العلمية في مهام عملية .

٣) العولمة: نعني بالعولمة، تلك الحالة المتميزة بالتغيير الواسع النطاق الذي أخذ بالمجتمعات الإنسانية إلى مزيد من التعقيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ضمن التطور التاريخي لهذه المجتمعات.

محاور الدراسة:

١) طبيعة العولمة ومفهومها.
٢) العولمة وانعكاساتها التربوية.
٣) الأنظمة التربوية وتحديات العولمة.
٤) قضايا المنهج في زمن العولمة.

أولا: العولمة، الطبيعة والمفهوم:

العولمة مصطلح حديث العهد، ظهر بحسب المفكرين والباحثين في بداية السبعينات من القرن العشرين،ولذلك فمازال مفهومه غير واضح المعنى، وغير محدد الأبعاد والدلالات في كل لغة استخدمت للتعبير عنه، ففي اللغة الإنجليزية نجد كلمة (**العولمة**) تقابل كلمة (**Globalisation**) والتي تعني الكونية أو الكوكبية بمعنى جعل الشيء معمما أو منتشرا على مستوى الكون وكذلك الأمر في اللغة الفرنسية،حيث تقابل كلمة (**العولمة**) مصطلح(**Mondialisation**) وتعني الكوكبة. فتتحقق بذلك وحدة العالم باعتباره يشكل مجموعة إنسانية واحدة. أما في **اللغة العربية**، فلا يوجد لكلمة (**العولمة**) مفهوم محدد، لكن إذا ما أخذنا بالقياس اللغوي، فسنجد أن فعل **عولم** = **كونن**، وعولم الشيئ معناه، نشره على مستوى العالم أو الكون، أي قبوله وفق نموذج معين، وبذلك يكون معنى كلمة (**العولمة**) في اللغة العربية، مساويا لمفهوم **الكوكبة** أو **الكوننة** في اللغات الأخرى.

وانطلاقا من المصطلحات اللغوية للعولمة، ظهرت تعريفات عديدة، يحاول كل منها أن يعطي مفهوما معبرا عن العولمة، بدلالاتها السياسية والثقافية والاجتماعية والتربوية. فعرفت العولمة من الوجهة السياسية بأنهامجموعة الارتباطات والتداخلات التي تسمو بالدولة الوطنية و بشكل حتمي إلى مستوى المجتمعات التي تشكل النظام العالمي الجديد. وتكون بذلك هي العملية التي تحدث من خلالها القرارات و الفعاليات والنشاطات في جزء من هذا العالم، والتي من الممكن أن تكون لها تأثيرات هامة على الأشخاص والمجتمعات في أجزاء بعيدة جدا من هذا العالم الكبير.[1]

وعرفت العولمة من الوجهة الاقتصادية بأنها اندماج الأسواق العالمية في المنظمة العالمية للتجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الأموال وحرية تنقل الأشخاص وحرية الأسواق وخضوع العالم لقوى السوق العالمي، بما يؤدي إلى اختراق الحدود الوطنية.[2]

---

[1] ،Lazarus ,R .S & Folmmans , "**Stress apparaisal and Coping"**, New‹York, Springer 1984.P23.

نقلاً عن مصطفى عشوي، مرجع سابق، ص٢٩.

[٢] ،السيد عثمان فاروق، "**القلق وإدارة الضغوط النفسية**"، دار الفكر العربي، ٢٠٠١، ص١٨.

أما من الوجهة الثقافية والتربوية، فقد عرفت العولمة بأنها ظاهرة ديناميكية لها ثلاثة محركات هي الثورة التكنولوجية وثورة الاتصال والتوحيد بين البلدان والحضارات، وذلك عن طريق التغلب على العامل الجغرافي، وجعل العالم قرية واحدة بعد أن توفرت القدرة على اختراق الحدود من خلال الفضائيات التي حولت العالم إلى غرفة كونية صغيرة.[1]

ومما يلاحظ أن أيا من التعريفات السابقة الذكر لم يكن قاطعا في شموليته ولا محددا في معناه ومفهومه، حتى وإن كان ثمة قواسم مشتركة فيما بينها. ويبدو أن وضع تعريف واضح للعولمة، يحدد محتواها بدقة، ويكون كاملا وجاهزا ويلاءم التنوع الضخم لهذه الظواهر المتعددة في الوقت الحاضر أمرا مبكرا.

فإذا كان مفهوم العولمة هو قيام علاقة أو بنائها بين مستويات متعددة ومجالات مختلفة، تشمل الاقتصاد والسياسة والثقافة، كما تشمل تنظيم الإنتاج وتداخل الصناعات وانتشار أسواق التمويل، فإن مهمة إيجاد صيغة موحدة للعولمة، تصف هذه الأنشطة وهذه المجالات كلها، تبدو مهمة صعبة.[2]

إن مفهوم العولمة وإن حمل في بعض جوانبه، ضربا من التغيير الاجتماعي العام، فإن هذا التغيير يشير إلى درجة عالية من التعقيد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي. فبالاستناد إلى طبيعة العولمة،نجد أن الفارق جوهري بين التغيير الاجتماعي والعولمة.

فالتغيير الاجتماعي نوع من أنواع التبدل أو التحول في بنية المجتمع، سواء كان هذا التحول ايجابيا أو سلبيا، وسواء كان سريعا أو بطيئا، بينما تعني العولمة حالة من التغيير الواسع النطاق الذي يأخذ المجتمعات الإنسانية إلى مزيد من التعقيد في جميع المجالات ضمن ما يسمى بمراحل التطور التاريخي لهذه المجتمعات.

ثانيا - العولمة و انعكاساتها التربوية:

كان للرومان في الأزمنة القديمة إله مشهور، عرف باسم **(جانوس)** والذي سمي شهر **(يناير)** على اسمه، وكان إله للبوابات والأماكن المغلقة، وكان يصور على أن له رأسين، واحدة للأمام وأخرى للخلف، لهذا كان يعتقد الرومان، بأنه يمكنه النظر للأمام والخلف في آن واحد. وربما يرغب كل البشر في أن تكون لديهم القدرة على النظر إلى الأمام والخلف في الوقت ذاته، ليتسنى لهم رؤية الماضي والمستقبل بوضوح أثناء مواجهتهم للعديد من مشاكل حياتهم اليومية.[3]

لقد كانت التربية وما تزال، العملية المنهجية التي يعتمدها المجتمع من أجل تربية أبنائه وتأهيلهم للحياة الحاضرة وإعدادهم للمستقبل المجهول لكل ما يحمله من احتمالات تجديدية و تطويرية. فالفرد الناشئ يستجيب للمؤثرات البيئية المختلفة ويكون قيمه وعاداته من خلال التفاعل مع هذه المؤثرات ويختار منها بفعل العمل التربوي ما يلبي دوافعه واهتماماته. وهنا يقوم الوسط الاجتماعي والثقافي بدور تربوي فاعل لتعديل سلوكيات الأفراد وقيمهم وطرائق تفكيرهم، ونظرتهم إلى ذواتهم وإلى المحيطين بهم.

---

[1]، وليد السيد أحمد خليفة، مراد عيسى سعد، "**الضغوط النفسية والتخلف العقلي في ضوء علم النفس المعرفي** "، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٨، ص١٢٦.

[2]، طلعت منصور، فيولا البيلاوي، "**قائمة الضغوط النفسية للمعلمين**"، دليل للتعرف على الصحة النفسية للمعلمين، كراسة التعليمات، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٩،ص ٦.

[3]، وليد السيد أحمد خليفة، مرجع سابق، ص١٢٦.

ومن هنا أخذ دور التربية و التعليم يتعاظم يوما بعد يوم إلى أن أحتل الصدارة في عمليات البناء والتجديد و التطوير،خاصة وأن المجتمع الذي لا ينطلق من دور التربية وأهميتها في تكوين العنصر البشري، يظل عاجزا على أن يحقق انطلاقاته الاجتماعية المنشودة.[1]

وهكذا أصبحت القضية الأساسية التي تحرك أنظمة التربية الحديثة ، هي قضية بناء الإنسان و تنميته علميا و ثقافيا بما يتلاءم مع حتمية التغير الاجتماعي المستمر والمتسارع، لقد اكتسبت عملية التغيير في التربية الحديثة أبعادا جديدة، تمثلت في سرعة التغيير وغزارته وكثافته. وأصبحت من خصائص التربية الحديثة القدرة على التغيير المستمر والتلاؤم والابتكار، ومن دونها يفقد الإنسان إنسانيته، فما يحدث في العالم من تغيير وتعديل في أوضاع التربية والبيئة والاقتصاد لا يلبث أن يفرض سلطانه على الجميع،مما يؤدي إلى الحتمية الضرورية لقيام كل بلد من البلدان بخلق فرص نجاحه في الوضع العالمي الجديد.[2]

لقد شكلت العولمة بمضامينها وأساليبها، خليطا من الايجابيات والسلبيات واختلفت النظرة إليها وفقا لطبيعة الناظر ومنظوره،وأثارت ظاهرة العولمة انقساما بين المفكرين والمعنيين بالشأن التربوي. فبعضهم يرى في العولمة نعمة تجلب التقدم الحضاري، والبعض الآخر يرى فيها نقمة وخطرا على النظام التربوي والاستقرار الاجتماعي،كما اعتبرت العولمة محاولة لوضع شعوب العالم في قوالب فكرية موحدة، بغية سلخها عن ثقافتها وموروثها الحضاري، وتكون العولمة بذلك نظاما يقفز فوق حدود الدولة و الوطن. فهي نظام يعمل على إفراغ الهوية الجماعية للأمة من أي محتوى ويدفع بها إلى التفتت والتشتت ليربط الناس بعالم اللا دولة واللا وطن.[3]

وبين هذين **الاتجاهين** تقف التربية المستقبلية لتثبيت هويتها ومسؤوليتها أمام تحديات الألفية الثالثة في مفترق الطرق، حيث لا بد لها من اتخاذ **الإجراءات التالية:**

١) - الوعي بالعولمة: ويتمثل في توعية الناس بطبيعة هذه الظاهرة وأبعادها وأهدافها القريبة المدى والبعيدة المدى لأن الكثيرين من الناس يجهلون حقيقة العولمة حتى وإن سمعوا بها، وبخاصة أن العولمة ما تزال غير مكتملة في بنيتها ومن المتوقع أن تستمر إفرازاتها وتفاعلاتها مدة طويلة، قبل أن تضبط وتنظم.

وبناء عليه وجب التعامل مع العولمة كنظام متشابك الأبعاد، ينبغي فهمه والتعامل معه في إطاره الاقتصادي والسياسي والتربوي والثقافي، فمن واجب المفكر والباحثين متابعة تطوراتها وتوضيحها للناس بطريقة علمية وموضوعية. لأن عدم التعرف على العولمة وعلى مجمل التغييرات التي تأتي بها وتوفر القدر الكافي من الإجماع على كيفية التعامل معها، وتحديد الموقف منها سيؤدي إلى تحويل الجهد المبذول، لمواكبة تحدياتها المتعددة الأوجه وبخاصة في الميدان التربوي، إلى مجرد ردود أفعال مشتتة وربما متناقضة.

---

[1]، الهاشمي لوكيا، "**الضغط النفسي في العمل**"، مجلة أبحاث نفسية وتربوية، العدد السادس، قسنطينة، الجزائر ،٢٠٠٢، ص ١١.

[2]، رمضان محمد القذافي، "**العلوم السلوكية في مجال الإدارة**"، المكتب الجامعي الحديث، ط١، ١٩٩٧، ص ص١١٩،١١٨.

[3]، زهران حامد عبد السلام، "**الصحة النفسية والعلاج النفسي**"، عالم الكتب، ط٤، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٤٨٥.

٢)- التربية المستدامة:وتشمل كل ما من شأنه العمل على توسيع دائرة الوعي الفكري والعملي والمهني لدى الأفراد، بما يساعدهم على اتخاذ قراراتهم بأنفسهم وفق المتطلبات المستجدة وبالتالي تحفيزهم على متابعة العمل الحياتي وتحسينه.[1]

فالتغييرات العلمية والحضارية المتسارعة، تضع أمام التربية المستدامة مطالب تربوية وإنسانية لا يمكن الاستغناء عنها لأن التربية النظامية في إطارها الضيق، لم تعد قادرة على مسايرة ظاهرة التغيير العلمي المتسارع والتفجر المعرفي الكبير وما ينجر عن ذلك من تحديات يواجهها إنسان هذا العصر، لذلك لا بد أن تكون التربية ذات اتساع وانتشار واسع حتى تشمل الأفراد من جميع الأعمار، وتكون متواصلة مع الإنسان مادام على قيد الحياة.

ولما كانت التربية المستدامة عملية متجددة، فإنها تهدف إلى التحسن نحو الأفضل لتحقيق أعلى درجة من أشكال تكامل الذات الإنسانية، من خلال تكييف موادها ووسائلها، بما يتناسب مع التطورات المستجدة في التربية، لذلك يتنامى الاهتمام يوما بعد يوم بالتربية المستدامة على المستوى العالمي، بصفتها قاعدة أساسية للتطور الإنساني بواسطة تجسيد **شعارها الرئيسي: " التربية للجميع والتربية مدى الحياة ".**

وهكذا تبدو التربية المستدامة من أهم السبل التي يمكن الأخذ بها للاستجابة لعالم يسير بخطى واسعة جدا، بحيث يصعب على التربية بأنماطها التقليدية أن تلحق به وتواكب معطياته، إلا إذا استطاعت أن تجدد ذاتها محتوى وممارسة. وحتى ذلك الحين، تبقى التربية المستدامة عاملا أساسيا في مسيرة التجديد التربوي لمواجهة تحديات العولمة وتكوين إنسان المستقبل، ذلك الفرد الإنساني المبدع والقادر على التعامل الايجابي مع معطيات ثقافة المعلوماتية، وتوظيفها لصالح الإنسانية جمعاء.

وكمحصلة لكل ما سبق، وحتى تتمكن العملية التربوية من انجاز مهامها في زمن العولمة، لا بد أن تتسم بالسمات التالية:

١) التطلع نحو الأفضل: إذا كان الواقع التربوي الذي نعيشه سيئا في بعض جوانبه، فهذا لا يعني أنه حقيقة حتمية وثابتة، بل هو نتاج عوامل قابلة للتعديل والتحسين. إن المؤسسات التربوية والتعليمية التي سوف يكتب لها النجاح في زمن العولمة، هي تلك التي سوف تعمل على تقويم أدائها بشكل منظم لرفع مستواه وزيادة فاعليته وكفايته، حتى تبقى آفاق التقدم مفتوحة أمام التربية لتحقيق الأفضل.

٢) الحرية الفكرية: يشكل عقل الإنسان حجر الأساس في أي تجديد أو تطوير تربوي، وإن كبت الآراء أو طمسها وعدم إعطائها الفرصة للطرح والمناقشة والتجريب، سوف يعطل مسيرة التجديد التربوي. ولذلك لا بد من إعطاء العقل حرية الانطلاق نحو الآفاق المستقبلية وتمكينه من تسخير الإمكانات المتاحة من أجل تربية بناءة ورؤية متفائلة بالمستقبل واستعداد عال للأخذ بمتطلبات الألفية الثالثة.

3) الأصالة والمعاصرة: وهما عنصران متلازمان للعملية التربوية التي يراد لها أن تكون في زمن العولمة. فالأصالة بقدر ما تعبر عن التراث والانتماء، فإنها مطالبة اليوم بأن تكفل التعايش مع مستجدات ومستلزمات القرن الواحد والعشرين من دون عوائق. ولابد من المزج و التكامل بين ما هو أصيل وما هو معاصر من أجل إثراء العملية التربوية والنهوض بها.[2]

---

[1] ،Gray Johns, "**Organizational Behavior**", Undertanding life at work, Scitt, Foresnan, Boston, 1988, p.p 468،469. نقلاً عن محمد الصيرفي،" **الضغط والقلق الإداري**"، مرجع سابق، ص ص ٤٨،٤٩

[2] ، روبرت هاندي، مارسا ديفي،" **الدليل الكامل للتخلص من القلق**"، فاروس للنشر والتوزيع، دون بلد، ٢٠١٢، ص ١٨٩.

ثالثا - النظم التربوية في زمن العولمة:

إذا كانت الوظيفة الأساسية للتربية الحديثة تكمن في تمكين الفرد المتعلم من فهم طبيعة المواقف والمشكلات التي يواجهها وإعداده للتكيف مع العصر الحاضر واستشراف آفاق المستقبل، فإن في عصر العولمة تصبح الحاجة ماسة إلى تربية تبني عند الفرد المتعلم قناعات التغيير. إنها التربية التي تخرج النظام التربوي من الحيز الضيق في البحث النظري والخبرة الشخصية إلى التوسع في الاستفادة من معطيات التجارب العصرية، التي تتناسب مع أصالة الأمة وتكون أكثر قدرة على التعامل مع حركة العولمة و تحدياتها.

إن ما أفرزته الثورة المعرفية والتكنولوجية من تحديات للتربية والتعليم في ظل العولمة، وضعت أمام المؤسسات التربوية مهمات جمة، ولا سيما في مجال تقديم تعليم ذي كفاءة وجودة، يتناول النظام التربوي بعناصره المختلفة. ويمكن تحديد بعض مواصفاته على النحو التالي:

١- المعرفة في زمن العولمة:

لم يعد الكتاب المدرسي المصدر الوحيد للعلوم والمعارف. ولم يعد المعلم هو الناقل الوحيد للمعرفة. ففي ظل العولمة تعددت المصادر والأدوات المعرفية وماعلى المعلم إلا أن يكون منظما للتعلم وموجها للمتعلم وتهيئته عقليا ونفسيا لتقبل هذه المعارف، بطرائق وأساليب تتسم بالدقة العالية، ويمكن إجمال **أساليب المعرفة المستقبلية** في الأبعاد التالية:

١-١) **البعد التكاملي:** حيث يتطلب الأمر السعي لتحقيق التربية المتكاملة. فتوجه العملية التربوية إلى تنمية قدرات المتعلم الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية،كما تهدف العملية التربوية في ظل العولمة والمعلومات وثورة المعلوماتية إلى تنمية التفكير العلمي بمجالاته المختلفة ومناهجه المتعددة ونتائجه المبنية على الصدق والثبات والموضوعية.

١-٢) **البعد الشمولي:**ويقتضي الشمول المعرفي، الإلمام بمحتوى ومفاهيم منظومة المعارف الإنسانية. ويستلزم الشمول المعرفي التركيز على قيمة كل نظام معرفي، ومفاهيمه الأساسية ومناهجه العلمية.[1]

١-٣) **البعد الإجرائي:**إن العملية التربوية في ظل العولمة والمعلوماتية لا تستهدف المعلومات أو تذكرها لأن التكنولوجيا كفيلة بذلك، ولكنها تدور أساسا حول مهارات المعرفة العلمية كالمفهوم والتساؤل والتنظيم والتفسير، وتوظيف العمليات العقلية وحل المشكلات بطريقة إجرائية وتصميم البدائل.فبما أن العولمة شملت وسائل نقل الأفكار المتعلقة بمجالات الحياة كافة، وسلوك الإنسان ضمن منظومة معلوماتية،فلم يعد ثمة مجال للانغلاق أو العزلة الحضارية. لقد اقتحمت الأفكار الحواجز وتجاوزت الحدود المادية و المعنوية،وأصبحت العزلة عن المعرفة أو حجبها أمرا مستحيلا، وبات لا بد من حوار الحضارات وتقارب الثقافات، مما سوف يؤدي الى ضرورة بلورة العديد من المفاهيم والقيم الجديدة.[2]

[1] ، Bonnet(M.H) :"**Dealing with shift work**",work an stress ,4,1990,P271.

[2] ، Foret(d) :"**sommeil et horaines de travail irrégulier**",thése ,Lille,CiteparRUTENFRAN Z ET AL ,1977,P58

٢- المتعلم في زمن العولمة: بما أن المتعلم هو العنصر الأساسي في العملية التربوية والتعليمية، ومحورها الذي توظف له العناصر التربوية الأخرى، فإن أي تجديد تربوي يمس النظام التربوي و يستهدف بناء الفرد في ظل العولمة. لا بد أن يأخذ في الاعتبار الجوانب التالية:

٢-١) تكوين الشخصية العملية: إن المؤسسة التربوية مطالبة في القرن الواحد والعشرين بتشكيل الفرد الإنساني المتعدد المهارات والتي تتناسب مع عصر العولمة والمعلوماتية وبخاصة التحكم في تكنولوجية الإعلام والاتصال، ومهارات اكتساب لغات أجنبية بشكل أفضل وغيرها من المهارات التي تكسب الفرد المتعلم القدرة على التعبير عن الذات والاتصال بمن حوله. ولكي يتحقق ذلك، ينبغي ربط الجانب النظري بالجانب العملي بتضمين المناهج نوعا من التدريب المهاري المتدرج والمتطور،الذي يكسب الفرد المتعلم العقل العملي والمهارات اللازمة للسيطرة على الأشياء.

٢-٢) إعداد الفرد القادر على التكيف: يعصف بعالم اليوم، تغيرات كبيرة ومتسارعة، وهذا يتطلب من النظام التربوي أن يقدم للمتعلم تدريبا على المرونة وسرعة الاستجابة لهذه التطورات، وذلك بالتركيز على النظام المنهجي في التعامل مع التغيير المقصود أو المفاجئ، وبتزويد الفرد المتعلم بمهارات التعلم الذاتي، الذي يؤهله بدوره لاكتساب المعارف المتجددة، وتوظيفها بسرعة والاستجابة الفاعلة للمستجدات والتغيرات الطارئة في المحيط الشخصي والاجتماعي والإنساني.

2-٣) إكساب المتعلم التفكير الناقد: إن الإنسان الذي يفكر تفكيرا علميا، تكون نظرته للأمور موضوعية، وحكمه على الأشياء عقلانيا. فالطريقة العلمية للتفكير تسمح للإنسان بالمرونة في إصدار الأحكام، لأن الحقائق العلمية ذاتها قابلة للتعديل والتبديل والتغيير، وفقا لما يثبته أو ما يظهره التطور الطبيعي في النظريات العلمية ووفقا لانجازات التكنولوجيا المتقدمة،وإن المنهج السليم الذي يمتاز بالعلمية والتفكير الناقد هو القادر على مواجهة المستجدات في الحياة، حيث يوفر للفرد القدرة على مواجهة المشكلات و اقتراح الحلول العلمية و العملية لها، بل يمكن لهذا المنهج في التفكير أن يصل إلى مستويات تؤدي إلى الخلق والإبداع.

كما أن للتفكير العلمي دوره الفعال في تنمية الاتجاهات السليمة نحو قبول ظاهرة التغير الثقافي، وإدراك أنه لا توجد حقيقة لها صفة الثبات، غير حقيقة التغير والتغيير. فالتفكير العلمي له دوره المهم أيضا، في تزويد الإنسان بالمهارات والاتجاهات التي تجعل منه عاملا من عوامل التجديد الثقافي والتقدم الاجتماعي، وركيزة من الركائز التي تدعو لفرز وغربلة التراث الثقافي والتعرف على الثقافات الأخرى والانفتاح على العالم الخارجي.[1]

٣- مكانة المعلم في زمن العولمة: إذا كان المعلم إلى عهد قريب هو محور العملية التعليمية باعتباره الناقل للمعلومات التي يتوجب على المتعلمين حفظها واستظهارها، فإنه مطالب اليوم أن يكون قائدا فكريا واجتماعيا وتربويا، وأن يكون قادرا على مساعدة المتعلم لكي يكتسب مهارات التعلم الذاتي والبحث عن المعلومات وتحليلها ونقدها وتوظيفها في مواجهة المشكلات الحياتية وحلها بالأساليب المناسبة. إن المعلم هو العنصر الأساسي في أي تجديد تربوي، لأنه يعتبر من أكبر المدخلات في العملية التربوية وأخطرها بعد التلاميذ. وتتحدد أهمية المعلم في النظام التعليمي من خلال مشاركته الفعالة في تحديد نوعية التعليم وتحديد اتجاهاته، وبالتالي نوعية مستقبل الأجيال وحياة المجتمع.

وانطلاقا من ذلك، فان معظم الإصلاحات التربوية العالمية الحديثة في مختلف الدول المتقدمة، قد أولت المعلم الأهمية القصوى واعتبرته المحور الرئيسي لأي لصلاح تربوي. وذلك بالدعوة إلى الارتقاء بمستوى كفاءته وتحسين

[1] ،محمد الصيرفي، مرجع سابق، ص ٥٠.

قدراته، لأن المعلم الجيد هو مفتاح التفوق، وأن نوعية التعليم تعتمد بالأساس على نوعية المعلمين ومدى ماحصلوا عليه من إعداد وتدريب.[1]

فالمنهجية الجديدة التي فرضتها العولمة، تحتاج إلى تكوين نوعيات جديدة من المعلمين عالية الكفاءة، رفيعة المستوى الأكاديمي والمهني والأخلاقي، وذات فعالية في عملية التغيير الاجتماعي.[2]

ويتوجب على المعلم في زمن العولمة أن يلم إلماما عميقا، بأسس نظرية المعرفة وأن يتقن استخدام الوسائط التعليمية المتعددة ولا بد أن يكون لدى المعلم الوعي التكنولوجي والقدرة على التعامل مع البرامج التعليمية ومعرفة الأسس الفنية والتربوية لدمجها ضمن أسلوبه الخاص.[3]

فهناك تحديات كبيرة تواجه المعلم في الألفية الثالثة مثل العلاقات بين الإنسان والبيئة وبين الإنسان والتنمية الشاملة والمستدامة والتحولات العميقة في نظام القيم والعلاقات الاجتماعية وثورة المعلوماتية، وانعكاساتها على مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية. لذلك أصبح موضوع إعداد معلم القرن الواحد والعشرين وبالمواصفات التي يتطلبها عصر العولمة كثيرة ومتنوعة ولعل أبرزها يتمثل في **الجوانب التالية:**

٣-١) أن يستند المعلم في عمله إلى قاعدة فكرية متينة وقوية و أن يدرك موقعه في عصر العولمة والانفتاح العلمي والثقافي.

٣-٢) أن يدرك المعلم أنه في عصر المعلوماتية وتكنولوجيا الاتصال المتطورة، لم يعد المصدر الوحيد الذي يتلقى منه المتعلم المعارف والاتجاهات، بل هناك تأثيرا كبيرا وشديدا لبعض وسائل الإعلام والاتصال، مما يفرض على النظام التربوي عامة وعلى المعلم خاصة مسؤولية الاستخدام الإبداعي والخلاق لهذه التكنولوجيات وتوظيفها بفاعلية في العملية التربوية من أجل تحقيق تعلم ذا جودة عالية.

٣-٣) أن يدرك المعلم أهمية فئة المتعلمين الذين يتعامل معها، باعتبارها النواة الأساسية للتغيير نحو الأفضل فيستوعب خصائصها ويتلمس احتياجاتها النمائية ويراعي الفروق الفردية فيما بين أفرادها.[4]

رابعا- قضايا المنهج في زمن العولمة:

إذا كان النظام التربوي يعتبر أحد فروع النظام الاجتماعي العام، فإن المناهج التربوية هي الأداة الرئيسية التي تستخدمها التربية لتحقيق الأهداف المنشودة، ولذلك تعد المناهج التربوية الركيزة الأساسية المناط بها ترجمة الفلسفة التربوية إلى أساليب وإجراءات تطبيقية.

فلكي يستطيع النظام التربوي أن يلعب دورا فعالا في اكتساب المتعلم المعارف والقدرات والمهارات والاتجاهات الجديدة التي يتطلبها القرن الجديد، الذي بدأنا السير فيه، لا بد له من تطوير ذاته و تجديد مدخلاته، وبخاصة مناهجه التعليمية التي ينبغي لها أن توضع وفق أسس علمية بالاعتماد على نتائج البحوث والدراسات التربوية في هذا المجال

---

[1]، عثمان حمود الخضر، "**علم النفس التنظيمي**"، رؤية معاصرة، آفاق للنشر والتوزيع، ط١، الكويت، ٢٠١٢، ص ١١٨.

[2]، عثمان محمد الخضر، مرجع سابق، ص ١١٤.

[3]، محمد الصيرفي، مرجع سابق، ص٥١.

[4]، محمد الصيرفي، مرجع سابق، ص٥٢.

وانطلاقا من أهمية المناهج التربوية و التعليمية، فلابد من اتخاذ الإجراءات اللازمة لوضع مناهج تربوية تستجيب لمتطلبات العولمة وتحديات الألفية الثالثة ومن أهم هذه الإجراءات:

١) إجراء دراسات وبحوث تحليلية وتقويمية شاملة للمناهج القائمة، للوقوف على مدى قدرتها على مواكبة عصر العولمة بمفاهيمه و قيمه، أو ذات صلة به مثل، قضايا النظام العالمي الجديد، حوار الحضارات، حقوق الإنسان، التعاون الدولي و السلام العالمي.

٢) وضع خطة تشمل الموارد الدراسية المختلفة ، لتنمية وتطوير الاتجاهات اللازمة لإعداد الفرد الإنساني القادر على التكيف مع تحديات العولمة ومتطلبات القرن الحادي والعشرين. وهناك قيم ثقافية عامة، لا بد من تنميتها وتتمثل في:

٢-١) وعي وإدراك الحقوق الإنسانية، والإحساس بالمسؤولية إزاء المجتمع الإنساني وتعزيز روح التعاون الدولي.

٢-٢) الإيمان بقيمة العدالة الإنسانية والمشاركة الديمقراطية في اتخاذ القرارات الوطنية والإقليمية والدولية.

٢-٣) فهم الفروق الثقافية والتعددية العقائدية وبناء فلسفة للتسامح والتعايش معها.

٢-٤) تأصيل الالتزام بحماية البيئة والتنمية المستدامة.

٢-٥) وعي وإدراك المساواة بين الجنسين.[1]

واستنادا إلى المعطيات السابقة عن طبيعة المنهج وتحديات العولمة، فلابد أن تتطور هذه المناهج بحيث تتسم **بالسمات التالية:**

١) مساعدة المتعلمين على فهم أكبر للعولمة وكيفية التعامل معها، وإدراج موضوع العولمة ضمن موضوعات التدريس.

٢) تنمية الفكر الناقد لتحقيق التفاعل الايجابي مع ثقافات الآخرين.

٣) العمل على محو الأمية التكنولوجية من خلال الأنشطة التي تكسب المتعلمين القدرة على الاستخدام المفيد للمعلومات.[2]

ولقد أثارت العولمة قضايا متعددة في جميع المجالات، وإن من أهم القضايا التي أثارتها فيما يتعلق بالمنهج تتجلى فيما يلي:

١) المنهج والديمقراطية: من متطلبات التجديد التربوي في زمن العولمة، الأخذ بمفهوم الديمقراطية في المنهج، على أساس أن المناهج أيا كان نوعها يجب أن يكون لها دور في بناء الإنسان العالمي. ولن يتحقق هذا الدور بمنأى عن الديمقراطية. فالمواد الدراسية التي يتضمنها المنهج، والممارسات داخل المدرسة وخارجها، يجب أن تعبر عن مفهوم الديمقراطية ، الذي يؤثر في بناء الفرد فكرا ووجدانا وسلوكا.[3]

2) المنهج والحرية: لقد باتت قضية الحرية و التحرر، سواء على المستوى الفردي و الدولي، محور اهتمام في هذا العصر. فالإنسان الحر و المتحضر، هو الإنسان الذي يتميز بالأسلوب العلمي في التفكير وحل المشكلات ويملك الوعي الأخلاقي الذي يبعده عن متاهات التعصب، وعنده الوعي العالمي الذي يجعله يتعلم من خبرات وتجارب الآخرين. ويمكن

---

[1] ،المرجع نفسه، ص٥٤.

[2] سيزلاقي أندرودي، والاس مارك جي، مرجع سابق، ص١٨٩ .

[3] عثمان حمود الخضر،" **علم النفس التنظيمي**"، مرجع سابق، ص ١٢٤.

للتربية عن طريق أداتها الرئيسية، وهي المناهج، أن تبرز أن حرية الإنسان لا تنفصل عن استقلاله وعن ممارسته لحقوقه السياسية.[1]

٣) المنهج و التكنولوجيا: من متطلبات التجديد التربوي في زمن العولمة وضع إستراتيجية تربوية، لإدخال التكنولوجيا المتقدمة والأساليب العلمية الحديثة في بناء المنهج التربوي، وذلك على أساس أن المنهج هو الأداة الفعالة، التي يمكن عن طريقها إدخال التكنولوجيا في الحياة اليومية للمواطن والانتقال من مرحلة استيرادها إلى مرحلة تخليقها وتطويرها.

وحتى لا يفوتنا قطار القرن الواحد والعشرين، ويمكننا تحقيق معايشة الحاضر والتطلع لآمال طموحات المستقبل، ينبغي أن نتحلى بقدر هائل من العزم، قصد إدخال التكنولوجيا في بناء المنهج التربوي والتعامل مع التكنولوجيا بما يتوافق مع ظروف العصر.

إن بناء المنهج كمنظومة تكنولوجية بات ضرورة واجبة ولازمة، حتى يسهم في إعداد وتجهيز المتعلمين لمقابلة الظروف المستقبلية المتوقعة، بعد أن أصبحت التكنولوجيا هي لغة العصر الحالي، وبعد أن أظهرت الدراسات التنبؤية أن التكنولوجيا سوف يتعاظم دورها ويزداد في المستقبل القريب، وفي صناعة هذا المستقبل نفسه.[2]

٤)المنهج و السلام العالمي: إن الدعوة إلى السلام وحل الصراعات هو إحدى تحديات القرن الحادي والعشرين وتأتي بيداغوجيا السلام لتعني، تقديم مناهج تربوية تهدف إلى تنمية وجدانية الفرد، لتكوين سلام داخلي مع نفسه، ولتكون لديه القدرة على التصالح مع أخيه الإنسان، بقصد تكوين علاقات طبيعية بين الشعوب، تكون خالية من الصراعات والعنف والعدوانية بقدر المستطاع.

إن أبعاد الدور الذي يمكن أن يقوم به التجديد التربوي في زمن العولمة من أجل تحقيق السلام العالمي، يكمن في أن المواطنة باتت الآن على المستويين المحلي والعالمي، وهذا يعني أننا نعيش في مجتمع دولي، تتعاون فيه الأمم فيما بينها من أجل رفاهية وسلام الإنسان، دون أن تتخلى أية دولة من الدول على سيادتها واستقلالها وحريتها في إصدار القرارات، مع مراعاة أن المجتمع الدولي تتوازن فيه الآمال والطموحات بين الإمكانيات الفعلية والحدود المتوقعة. ويتمثل دور التربية في تكوين المجتمع الدولي، أو على أقل تقدير في تثبيت أركانه، بإكساب الأفراد المتعلمين الطرائق والأساليب التي من خلالها يستطيع كل فرد متعلم العيش في مجتمعه المحلي، ويقدر على التعايش والتآلف مع المجتمع الدولي.

ولكي يكون للمنهج التربوي دوره الايجابي في صنع الإنسان العالمي، ينبغي أن يبرز عدم وجود تعارض بين الوطنية والإنسانية ويتحقق ذلك، بإبراز أن حب الوطن وحب الكائن الإنساني يمكن أن يتعايشا في وجدان ومشاعر وإحساس وإدراك وعقل الإنسان، بالصورة نفسها التي تتعايش بها القيم الخاصة بحب الوطن والأسرة والأصدقاء. وبذلك تكون التربية من أجل السلام العالمي، هي محاولة بيداغوجية تتضمنها المناهج التربوية في زمن العولمة، بهدف المحافظة على ظروف السلام أو بنائها وخلقها.[3]

---

[1] قاسم محمد قاسم، "**مدخل إلى الصحة النفسية**"، دار الفكر و النشر، ط١، دون بلد، ٢٠٠١، ص١١٨.

[2] ، وليد السيد أحمد، مراد على عيسى سعد،"**الضغوط النفسية والتخلف العقلي**،،**المفاهيم، النظريات، البرامج**،"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٨، ص ١٣٦.

[3] ، جمعة سيد يوسف، "**إدارة ضغوط العمل**"، ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٤، ص ٢٦.

خاتمة :

وفي المحصلة يمكننا القول، أن الثقافة التربوية المطلوبة في زمن العولمة، لا بد أن تجدد النظام التربوي وفق معطيات العلم الحديث، والتحكم في التكنولوجيا المتقدمة والمعلوماتية ومهارات استعمالها والانفتاح على العالم، بما يضمن حل المشكلات التربوية وتجويد التعليم كما وكيفا، من خلال تبني استراتيجيات تربوية و ثقافية مبتكرة، تؤدي إلى نشر الوعي الثقافي و التفكير العلمي الذي يتطلبه زمن العولمة والتكيف مع تحديات القرن الواحد والعشرين والدخول في العصر العالمي الجديد بثقة وثبات.

قائمة المراجع:

١- جبرائيل، بشارة و آخرون،" **المناهج التربوية**"، منشورات جامعة دمشق: ٢٠١١ .

٢- نبيل، علي،" **تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتأثيراتها على عمليات التعليم والتعلم**"، بحث مقدم إلى المؤتمر الثاني لوزراء التربية و التعليم و المعارف في الوطن العربي، بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. دمشق: ٢٠٠٠.

٣- عيسى، علي، "**النظم التربوية**"، ط ٤ ، منشورات جامعة دمشق: ٢٠٠٨.

٤- جبرائيل، بشارة،" **المعلم في مدرسة المستقبل**"، بحث قدم إلى المؤتمر الثاني لوزراء التربية والتعليم والمعارف في الوطن العربي بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دمشق: ٢٠٠٠.

٥ - محمد عبد القادر، أحمد،"**استراتيجية التربية العربية**"، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة: ١٩٨٣.

٦- عيسى، الشماس وآخرون،"**التربية العامةوفلسفة التربية**"،منشورات جامعة دمشق:٢٠٠٧.

٧- غالب أحمد، عطايا،" **العولمة و انعكاساتها على الوطن العربي**"، الملتقى الوطني الأول لمواد الجغرافيا والاقتصاد والدراسات الاجتماعية وعلم النفس، الفجيرة، الإمارات العربية المتحدة: ٢٠٠٢.

٨- عبد القادر سيد، الشريف،" **التنشئة الاجتماعية للطفل في ظل العولمة**"،دار الفكر العربي،القاهرة: ٢٠٠٢ .

١٠- روبرت، ريتشي،" **التخطيط للتدريس**"، ترجمة محمد أمين المفتي. دار المكتبة الأكاديمية، القاهرة:١٩٨٢.

١١- سعدون رشيد، الحيالي، "**نحو رؤية جديدة للتربية والتعليم في ضوء مطالب وتحديات القرن الحادي والعشرين**"،مجلة التربية، العدد (١٤٨) ،الدوحة: ٢٠٠٤.

١٢- عبد العزيز، بن جنبور،"**التربية والتعليم جسر المستقبل**"، مركز البحوث والتطوير التربوي صنعاء: ٢٠٠٤.

١٣- محمد عابد، الجابري،" **العولمة والهوية الثقافية**"،الثروة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: ١٩٩٨.

١٥- إبراهيم عبد الرزاق، آل إبراهيم، "**التربية والتعليم في زمن العولمة**"، مجلة التربية،العدد (١٤٠)، الدوحة: ٢٠٠٤.

١٦- كوثر جميل، فادن، "**مناهج التعليم في ظل العولمة**"، المنشاوي للدراسات والبحوث، القاهرة: ٢٠٠٣.

١٧- عادل محمد، محاسنة،"**العولمة في التعليم العالي والبحث العلمي**"، مجلة التربية، العدد (١٤٤)،الدوحة:٢٠٠٣.

١٨– يونس، ناصر،" **تصميم المناهج وبناؤها**"، منشورات جامعة دمشق:٢٠٠٨.

٢٠- علي أحمد، مدكور."**التعليم العالي في الوطن العربي، طريق المستقبل**"،دار الفكر العربي،القاهرة : ٢٠٠٠.

٢٢-محمد الصديق، حسن،"**التربية و تحديات العولمة**"،مجلة التربية، العدد (١٢٨)، الدوحة:٢٠٠٤.

٢٤- محمد، سالم،" **النظم التربوية العربية، تتفاعل مع العولمة لكن ظاهريا**"، ندوة العولمة وأولويات التربية،مجلة المعرفة، العدد (١١٦) دمشق:٢٠٠٣.

كيفيات شغل الذوات الاجتماعية لفضائها المديني الخاص المدينة التاريخية "الحفصية" نموذجًا

د.شهاب اليحياوي/مدير مركز جهوي للتربية والتكوين المستمر،تونس.

ملخص:

هذا المقال مستخلص من دراسة سوسيومورفولوجية قمنا بها حول: **توزيع الفضاء المديني والتغير الاجتماعي: مدينة الحفصية نموذجًا**، اتجه البحث إلى مقاربة الفضاء المديني من زاوية الاستعمال الذي تقيمه الذوات الاجتماعية التي تتحرك وتحي وتتفاعل ضمن وعبر الفضاء المديني وتتواصل مع الآخرين ومع ذواتها عبر الفضاء كلغة تخاطب رمزي بين الهويات الثقافية للمكان وكقناة تواصل اجتماعي يتّخذ منحى رمزيا، وهو بذلك يعمق البحث في المعطى الثقافي ضكم مقاربة الفضاء المديني اليوم وما تفرزه ديناميكية التفاعل الرمزي والسوسيو- ثقافي من توجيه لمورفولوجية ومعمارية فضاء المدينة العربية الاسلامية من ظواهر لعل اهمها ذلك التداخل بين الريفي والمديني وبين التقليدي والحديث والازدواجية واضحة المعالم على صعيدي الجمالي والفني والمعماري .

وقد اعتمدنا منطقة الحفصية من البلاد التونسية كمثال لكونها مدينة ذات طابع تاريخي ويكشف البحث ضمنها عديد الظواهر الحضرية المرضية التي أفقدتها نقاوة الهوية، هوية الإنتماء الحضاري والتاريخي.

تقديم

نستدعي ضمن هذا المبحث:الفضاء الخاص الذي هو المنزل أو الدار، ونطرح **العلاقة بين الفاعل وفضائه** الخاص على صعيدي: **التمثّل والممارسة داخل فضاء مديني تقليدي يسمى الحفصية أو الحارة**[1]،حيث أن هذا التمشي التحليلي يسمح بتفكيك أبعاد ومستويات كل بعد من أبعاد إشكالية البحث وصياغة فرضيات عمل تتّصل بكلّ مستوى يتمّ مقاربته. تتّصل الفرضية الأولى الكبرى **بتبادلية التأثير بين الفضائي والاجتماعي وتشكّل الدار مجال تمظهر تبادلية التأثير**.ونفرّع الفرضية الأخيرة إلى جملة من الفرضيات:**الفضاء الخاص هو قناة تواصل ثقافية واجتماعية** أي تواصل مع الذات المستعملة للفضاء المشغول مع ذاكرتها وتصوّرها وتمثّلها للفضاء الخاص من ناحية ومع المجتمع أي الفضاء الاجتماعي،حيث**تمثّل واجهة الدار مجالا لرسم صورة عن الفاعل المعطاة للآخر والتي لا تنسجم بالضرورة مع صورته لذاته** كما تفهم وتؤوّل من الاستعمال أو التوظيف للداخل.ننفذ من هذه الفرضية إلى فرضية أخرى وهي أنّ

[1] ، المدينة القديمة التونسية أسسها العرب المسلمون في القرن الثامن للميلاد، وكان موقعها فوق ربوة على المتوسط يؤهلها كي ترث جارتها قرطاج العاصمة الفينيقية.هكذا تحولت تونس القرية البربرية في العهود القديمة، ثم القلعة الدفاعية الحصينة في العهود العربية وحكم الأغالبة، إلى مركز أمارة محلية، دام حكمها زهاء قرن من الزمن . وقد ضم الموحدون تونس عام ١١٦٠م إلى دولتهم الكبيرة المستقرة بمراكش والممتدة من المغرب الأقصى إلى طرابلس الغرب، فجعلوا منها عاصمة ولاية إفريقيا. وأخيرا تحولت إلى حاضرة الدولة الحفصية ١٢٢٩ ، ١٥٧٤م فكانت م ع صقلية يفصلهما مضيق عرضه ١٤٠ كلم تتحكمان بالعبور بين غرب البحر ا لأبيض المتوسط وشرقه ،و الحفصية أو الحارة أو الخربة هي إحدى أحياء المدينة التقليدية والتي اشتهرت بتنوع نسيجها العمراني وبنيتها الاثنية حيث تم إسكان اليهود بتشجيع من الولي الصالح محرز بن خلف .وقد خضعت هذه المنطقة إلى مشاريع ترميمية لنسيجها العمراني ومورفولوجيتها التقليدية وإلى مشاريع توسعة عبر إزالة البناءات المهترئة وإعادة بنائها وفق الطراز المعماري المميز للحارة .

تعاطي الفاعل للداخل الخاص من فضائه يخضع للتمثّل وللذاكرة في حين يجسّد الظاهر منه (واجهة الدار) البعد القصدي والعقلاني في فعله أي استراتيجية اندماجه في فضائه العام، لا تتّصل هذه الاوالية بفئة دون أخرى بل يمكن تعميقها افتراضيا،كما ننطلق أيضا من فرضية متّصلة بالسابقة مفادها أنّ واجهة الدار يتّخذ عبرها **سلوك تعديل الفضاء** معماريا وجماليا،**دلالات اندماجية أي اجتماعية** في حين يحيل في بعده الداخلي رمزيا إلى الثقافي أي التمثّلات والتصوّرات نقارب، علاقة الفاعل لفضائه الخاص عبر مضمون فعل تدخّله في فضائه الخاص بالنظر إلى الأبعاد المعمارية والجمالية وعلى صعيدي:**واجهة الدار** التي منها شرفتها **والداخل** إلى جانب مورفولوجية هذا الداخل.

نستدعي في تعقّل هذا الفعل الرمزي، متغيّرات الأصول الفضائية والمستوى المادي وأقدمية الوجود بمنطقة **"الحفصية"** والجنس، ثمّ نقارب تمثّلاتها لفضائها الخاص الذي هو المسكن أو المنزل أو الدار كخطوة ثانية نحو مقاربة تصوّر وتمثّل كل جماعة اجتماعية والدلالات الرمزية والاجتماعية لفعلها في فضائها بالنظر للأصعدة المذكورة،ولا نستند هنا فحسب إلى نتائج التحليل الحاسوبي للبيانات المحصّلة عبر تقنية الاستبيان ،بل ندمج ما دوّناه وفريق العمل من ملاحظات ميدانية مفتوحة وأخرى مقنّنة، إثراء وتعميقا ولكن أيضا كمادّة لفهم وتأويل مقاصد المستجوبين من **فعلهم في فضائهم**الذي هو **فعل في صورتهم لدى الآخر** وليست بالضرورة فعلا في ذاتها أو تمظهر ماديّ لتغيّر مفاهيمها وتصوّراتها، **فما تفعله الذوات الاجتماعية يستجيب لعناصر الوعي/ اللاوعي/ المادي/ والرمزي في الفعل الاجتماعي.**

يستند التحليل في هذا المجال المبحثي، **المقاربة التزامنية synchronique** أي تناول المدينة كما تنعكس في ذاكرة وتصوّر الجماعات الإجتماعية التي تحيا ضمنها وتحيا معها المدينة كما يقول **لادروت**. ويستدعى ضمنه كل من العلاقة بين الفاعل وفضائه الخاص أي الإستعمال الذي تقيمه الجماعات الإجتماعية لفضائها الخاص وأبعاده الخارجية (واجهة الدار) والداخلية (داخل الدار:الفارغ والمبني) بالنظر إلى مستويات: المعماري والجمالي والرمزي لهذا الفعل في الفضاء.

١- جدلية الداخلي والخارجي: تنافذ التقليدي والحديث :

إذا أخذنا مثلا شرفة المنزل ذو الطابق العلوي أو شقّة بعمارة، ينتهي بصر المارّة {الآخر/ الشريك في الفضاء} بأنهج وشوارع الأحياء القديمة أو الجديدة من منطقة **"الحفصية"** بحاجز بصري من قماش أو حصير أو بلاستيك أو الخشب المشبّك في أوجهها الثلاثة، وقد خلق ذلك مظهرا يتّصف بكونه **خليطا لا متجانسًا** من الأشياء والمواد والألوان، إنّنا **أمام فعل** في مظهر أو هيئة الفضاء الخارجي **يتجاوز بعده المادي أو أسبابه المادية** الظاهرة.ويلاحظ هذا السلوك الفضائي ضمن أنماط مختلفة من السكن: أي الدور التقليدية أو الحديثة وداخل الأحياء التاريخية أي التقليدية أو الجديدة منها، يتزايد ويتكاثف هذا السلوك أو هذه النزعة كلّما تدرّجنا نزولا في سلّم التراتب الاجتماعي: من الأكثر إلى الأضعف حظّا ماديّا، في مقابل تراجع تواتر هذا السلوك كلّما انتقلنا من الفضاء التقليدي إلى الفضاء الخليط {تجاور وتداخل التقليدي والحديث} إلى الفضاء الحديث، **وتتمثّل نزعة** تحويل هذا الفضاء {الشرفة} المتخارج عن الداخل والمكشوف بدرجات مختلفة على الخارج إلى فضاء داخلي، في **وظيفيته لا ماديته**، أو هو ملحق بالداخل عبر صياغة حاجز إدراكي أو فاصل ماديّ يعزل شاغله ومستعمله عن مدى إدراك الآخر،**يحوّله من ظاهر إلى مخفيّ ومن معلوم إلى مجهول**.يؤهّل هذا الفعل {فعل الاستعمال} الشرفة ماديّا لإحتواء مضمون وظيفي مسقط عليها، يماثلها وظيفيّا مع داخل تقليدي موجود أو غائب في نمط السكن العمودي أو هو ملحق به في الفضاءات التقليدية ذات الوسط الفارغ {حوش أو وسطيّة}.

تمارس، في هذا الفضاء الضيّق، **المرأة وهي جالسة أو منحنية الجسد أعمالا تكميلية:** غسل الثياب ونشرها أو الجلوس طلبا للراحة أو لتبادل الحديث مع البنت أو الجارة **في قطيعة مع مدى إدراك الآخر الأليف أو الغريب.** يمارس هذا الفعل ذو الأساس الثقافي المتّصل بالقيم والمثل الأخلاقية المصنّفة لحركة جسد المرأة إلى مباح ومنبوذ، مسموح

ومرفوض بالنظر إلى المكان أي الفضاء، فعلا ماديا أو جماليّا لكنّه رمزيّا على الفضاء الحديث بالذات. فهو من ناحية يؤنّث غير المؤنّث في الأصل، يعيّن غير المعيّن، يخصّص غير المخصّص أو هو يعيد ترتيب الداخل والخارج من الفضاء لاماديّا بل رمزيّا عبر فعل الاستعمال وتجسّداته الماديّة والجمالية على الفضاء الخاص منه على المظهر الجمالي للفضاء المديني غير القابل للمراقبة [1].

فالشرفة تظلّ في مكانها المتخارج ماديًا ولا تتبدّل لكنّ الذي يتغيّر ويغيّرها من **خارج إلى داخل** هو الممارسة أي **الإستعمال** الذي يتغاير بين الجنسين ومنه يتّخذ الفضاء/نفس الفضاء مظهرين متغايرين،وقد وقفنا عند تعمّدنا زيارة الأنهج التي لاحظنا فيها هذه الظاهرة في أوقات مختلفة من اليوم لفترات متعدّدة، على ظاهرة **هامّة جدّا**: إنّنا أمام **مظهر متحرّك لا ثابت للفضاء**، فالفضاء وان كان **ثابتا ماديّا لكنّه يتغيّر أو هو يتبدّل**، فهيئته أو مظهره يتغاير بالنظر إلى متغيّر الزمن في صلة وثيقة بالاستعمال وجنسيته (إناث/ذكور): ولا يستجيب هذا التغاير لعوامل المناخ بقدر ما **يستند إلى فعل الإستعمال والمستعمل بالنظر إلى الزمن**(صباح/مساء/ ليل).

تتخّذ الشرفة **مظهرين مختلفين** في **زمنين متباعدين** من اليوم.فهي تنتقل من **الانفتاح** {إزالة الحاجز المادي} إلى **الانغلاق** {إعادته} ومن **الظهور** إلى **التخفّي**،من **المعلوم** إلى **المجهول** ومن الامتداد **الأفقي** إلى **العمودي**، فحينما تنشغل المرأة بالداخل في أوّل النّهار تكون الشرفة منزوع حاجزها ومفتوحة نوافذها وحين تتّجه إلى أعمال تكميلية أو طلب الراحة في مكان مهوّى ومشمس {الإنتقال من الرطب إلى الجاف من الفضاء}،يكتسي هذا المكان مظهرا مغايرا وينتقل من الظاهر إلى المخفيّ ومن الانفتاح إلى الانغلاق. فكأنّ المكان يتعرّف على صاحبه ويتأقلم من أجله ولأجله حتى يكون مهيئ لأن يستمرّ تواجد مستخدمه ضمنه.

يصبغ هذا السلوك الذي **يطوّع المكان وحتى الفراغ** إلى **قيمه ومعاييره** ومثله أي ثقافة المستعمل، المظهر الجمالي لواجهات الأبنية العمودية وذات الطوابق العلوية وبالتالي المظهر الجمالي للفضاء المديني اليومي. فلو أخذنا الأحياء الجديدة {ما بعد ١٩٧٣م} التي أريد لها أن تكون نموذجا موحّدا للسكن والمعمار والمورفولوجيّة ومظهرا جماليّا متجانسا على صعيدي التخطيط والإنجاز، نجد أنّه يتّخذ بفعل الإستعمال مظهرا مغايرا يتباين بالنظر إلى متغيرات الموقع الفضائي ونمط السكن والمستوى المادي بشاغليها، فالفئة الاجتماعية المحظوظة ماديا تنزع إلى مظهرة تميّزها ورتبتها الإجتماعية عبر واجهة المسكن -التي منها الشرفة- حينما يتّصل وجودها بالفضاء التقليدي أين تتعدّد وتتقابل دور تقليدية وأخرى حديثة، قديمة وأخرى مرمّمة أو تتعدّد الأصول الفضائية والرتب الاجتماعية لشاغليها.

لكنّ ما يلاحظ هو نزعتها في الغالب إلى **المزج بين الأصالة والحداثة**، التقليدي الأصيل والجديد المستحدث، على مستويي المواد والفنّ التزويقي للواجهات،أمّا إذا اتّصل وجودها بالبناءات الفردية أو الجماعية الجديدة، فإنّ ما نلاحظه هو اتّجاهها إلى **إعادة إنتاج الموحّد والمشترك معماريا وجماليا** أي الحفاظ على المظهر ذاته، في سياق يعيد إنتاج تجانس ووحدة معمارية وجمالية.

فكلّما **تواجدت الفئة المحظوظة ماديا في فضاء تختلف معه تنزع إلى مظهرة اختلافها ورتبتها الاجتماعية على واجهة الدار، في حين تتّجه إلى التماثل مع الآخر المجاور أو المقابل والمساوي لها اجتماعيا**، فإذا نظرنا إلى المجمّع السكني المجانب للسوق على نهج "**سيدي بوحديد**" أو المحاذي لنهج "**مدنين**" والذي يفتح على نهج "**سيدي بوحديد**" عبر مدخله الحامل لتسمية نهج "**روبين**" والمنفتح على "**نهج الغرياني**" المتفرّع عن نهج "**مدنين**"، نلاحظ التجانس في واجهات الشقق (ألوان جدرانها وشبابيكها وشرفاتها المحافظة على تماثلها منذ بعثها سنة ١٩٧٣م ثمّ سنة ١٩٨١م).

[1]،Bouchrara Zanned (T.)،**Tunis une ville et son double**, MTE, 1995, p13.

لكن الملاحظة أيضا هو أنّ هذا المركّب التجاري والسكني المفضي خلفا إلى نهج مدنين عبر نهج الغرياني مثلا يكشف عن وجهين: نسجّل ضمن الوجه الأوّل **نزعة التمثل** وهو المطلّ على شارع **"سيدي بوحديد"**، في حين أنّ الجانب المنفتح على نهج **"مدنين"** أين تختلط أشكال المباني وحالتها ومعماريتها والانتماء الاجتماعي لشاغليها يكشف عن سلوك البعض من شاغلي هذا المركّب مظهرة تميّزها الإجتماعي على واجهة المسكن أي عنونة الواجهة مجتمعيا كشكل دلالي تواصلي مع الآخر عبر واجهة الدار.يمسّ **فعل التدليل الفضائي** على**المكانة المجتمعية للذوات**الاجتماعية، واجهة الدار: تجديد الأبواب وجعلها أكثر فخامة وتجميل إطار النوافذ والباب إلى غير ذلك.

تتّجه الشريحة **الأكثر حظّا ماديّا** والتي تشغل فضائها الخاص ضمن الأحياء القديمة للمدينة التاريخية إلى انتهاج **سلوك فضائي يجمع بين التحديث والتأصيل** للدار في واجهتها مثلما في معمارها،ففي حين **تحافظ على الشكل التقليدي** للباب مثلا مع **تجديد مادته وصبغته أو لونه** تعمد إلى تجميل إطاره وأرضيته الأمامية (العتبة) بشكل فنّي مغاير لا يتّصل بالشكل القديم، فهي بذلك **تهدف إلى التجسيد المادي لرتبتها الاجتماعية** أو لارتقائها الاجتماعي ، على الفضاء المشغول في ظاهره المعطى لتأويل الآخر أي تهدف إلى تقديم صورة للآخر الأهلي (أهل الحي أو أهل النهج) أو العابر أو الغريب مثلما يرضيها أو مثلما تريد لا مثلما تفرضه المكان أو النظرة الأخرى له، وتتوسّط **الواجهة** أو المظهر الخارجي للدار بين شاغلها وقارئها باعتبارها تستحيل بهذا المعنى **عنوان للمكانة الاجتماعية** مثلما هو معطى لقراءة وتأويل إندماج شاغليها في فضائهم المديني، فالفضاء لغة يتكلّمها الناس رمزيا ويتواصلون عبرها وبها مع ذواتهم ومع الآخرين، فلسنا أمام تواصل خرس بل لغة يقتضي فكّ رموزها وفهم مدلولاتها المعرفة بالفاعل الاجتماعي الذي يبثّها ويوجّه رسائلها المشفّرة ماديّا وجماليّا ومعماريا.

أ -نزعة العنونة الإجتماعية لواجهة الدار :

يقلّ تواتر نزعة التغاير والاختلاف الفضائي ضمن الأحياء كلّما صعدنا في أقدمية التواجد ضمن المنطقة. **"فالأقدم** احتلالا لدورهم وفضائهم التقليدي من المدينة التاريخية **أقلّ نزعة إلى التباين والاختلاف** على صعيد الفضاء. فهي تستبدل اظهار تميّزها واختلافها عبر الجوانب المعمارية أو الجماليّة **بالشرعية التاريخية** لانتمائها للمكان أو هي جزء من تاريخ هذا المكان. فهي **لا تحتاج لأن تقول رمزيّا عبر الفضاء مكانتها الاجتماعية** لأنّها ببساطة مرسومة في أذهان الناس، أمّا **الأقلّ أقدمية** في الفضاء المشترك والذين شغلوا دورا {**معلميّة**} أي دورا لبرجوازية المكان بالأمس والذين غابوا عن المكان ماديّا لكنّهم حاضرين في تاريخ المدينة المعلوم منه والمتداول، الموثّق منه أو المروي،**فيعمدون إلى بلورة هذا الفضاء ليصبح خاصّا أو له مدلولا خاصّا.** هم لم يغيّروا المعمار ولا تاريخه بل أضافوا ما يحيل إليهم والى ذوقهم وتصوّراتهم والى صورتهم لدى الآخر التي **يريدون رسمها فضائيّا وماديا أي دلاليّا** وبالتالي تدوين الفضاء رمزيا. **فحينما يضعف الاندماج الاجتماعي يقوى توظيف أو اعتماد الفضاء كجسر تواصلي** ضمن فضاء المعاش اليومي. فالتستّر الفضائي عبر أي" فاصل مادي بين الخاص والعام/الداخلي الخصوصي والمشترك،**هو فعل ثقافي رمزي.** وهو **سلوك قصدي مفتعل** لكونه **يفتعل المنتج** لأنّه يغيّر القائم أو الحاصل في هيئة أو مظهر أو معمار الدار أو بعده الجمالي. فأن يمدّد الفاعل عموديا السور الأمامي للدار التي تسلّمها بامتداد متوسّط للسور، هو **رفض لنوعية العلاقة المعطاة أو المملاة بين داخل وخارج** متنافذين لصالح فكرة أنّ الداخل خاص **وكلّ خاص مقدّس وكلّ مقدّس هو حرمة.** هذه **الحرمة** للداخل هي **ثقافة الشاغل** التي **تتعيّن** ماديّا في هذا السلوك، فأن يتّجه الشاغل إلى خلق حاجز مادي/ بصري للشرفة أو عبر تعلية سور الدار أو على الشبابيك المطلّة على الشارع هو **سلوك ثقافي يحيل إلى قيم ومعايير وتصوّرات وتمثّلات** ولكنّه أيضا سلوك **اجتماعي يحيل إلى أسلوب اندماج الذات الاجتماعية** ضمن العام الذي هو الفضاء المديني، يتداخل ضمنه الواعي باللاواعي.

لا يفضي الخارجي من فضاء الدار دائما وآليّا إلى داخله، فهذا ما لا نقول به ولكن جدلية الداخل والخارج تخضع لميكانيزمات أو إواليات تحيل إلى ارتباط بين صورة الظاهر من الفضاء الخاص- واجهة أو وجه أو المظهر الخارجي للدار وصورة شاغله لذاته ولفضائه اليومي- **ويشتغل الخارجي** من الفضاء الخاص أو الظاهر من المخفي،**كقناة تواصل بين شاغله وفضائه المشترك (المدينة)** وبالتالي يتحدّد بهذا التواصل وطبيعته وهو ما بيّناه عبر الفئة المحظوظة ماديّا بين وضعيتين مختلفتين وفضائين مختلفين.

إنّ الفضاء المديني، بهذا المعنى مسرح تزدوج وتتعدّد أدوار لاعبيه أو بعبارة أدقّ تزدوج أبعاد أدوار الفاعلين ضمنه[1].فصورة الواجهة كمؤشّر على الصلة الدينامية والتبادلية بين الفضائي والاجتماعي وبين الداخل والخارج هي جدلية الذاتي والخاص والعام والمغاير .فأن نتغاير مع المغاير أو نتماثل مع المشابه أو نشابه المغاير ونتغاير مع المشابه عبر هذا السلوك الجمالي الممارس على واجهة الدار ومدلوله الرمزي، هو أسلوب تواصل مع المشابه أو المغاير أو التكيّف مع الدائم أو الجديد. فالفضاء هو"صلة عينية بين وجودي والعالم الذي يحيط بي"[2]،وفضاء للّعب **ولمظهرة**، لا فحسب **رتبته** الاجتماعية بل **افتعال** هذه الرتبة أي يتّخذ بعدا تضليليّا لا يتّصل بالموقع الاجتماعي لشاغله بل أيضا نمط حياته ضمن داخلهذا الفضاء الذي يتّخذ لدى البعض وجهين: **خارج معطى للآخر** لا يمظهر ولا يعكس دائما أو بالضبط داخل يظلّ ذاتيّا **وخاص يتّصل بالثقافة الجماعية** وتصوّراتها للفضاء،لا يندرج أو لا يؤطّر هذا السلوك في ما تسمّيه بوشرارة**زنّاد** بممارسات المقاومة التي تبديها الذوات الاجتماعية عبر الفضاء واستعمالاته **بل هو سلوك أو فعل اجتماعي** يحيل إلى تصوّر خاص للاندماج الفردي والجماعي ضمن الفضاء الجديد أو ضمن التحوّلات التي استوعبها الفضاء الذي تشغله الذوات منذ زمن معيّن،لسنا أمام ممارسات مقاومة فحسب بل يتداخل ضمن هذا السلوك الفضائي رفض التهديد الذي يحمله الاختراق الريفي للفضاء المديني من دفع للأشكال التقليدية لشغل واستعمال الفضاء الخاص والعام/الداخلي والخارجي وتمظهراته المعمارية والجمالية والاجتماعية للتصوّر الذي تحمله الذوات الاجتماعية أو تتمنّاه أو تعمل على ترويجه عبر فعلها في فضائها حول مستقبل الحي التقليدي أو يحمله الجديد لهوية الحي التقليدية والتاريخية الذي هو تهديد لهويات الجماعات المشكّلة لبنيتها، مع التوجيه غير الواعي للسلوك الفضائي.

فثقافة الجسد، في صلة بالفضاء،تطرح على **مستوى اللاوعي أكثر منه الوعي**،تتعلّق بالموروث المستبطن والموجّه **للتأثيث الجسدي للفضاء** أي حركة وانتقال الجسد ضمن وعبر الفضاء التي يتكيّف معها الفضاء في توزيعه الوظيفي - الإستعمال - وهيئته ومظهره الجمالي مثلما بيّناه سابقا عبر شرفة الدار أو المسكن. إنّنا أمام **تبادلية بين الفضائي والاجتماعي** تتداخل ضمنها استراتيجيات اندماج دفاعية ولا تحيل دائما إلى جماعة اجتماعية معيّنة. فيحصل أن **تتراوح إستراتيجية فاعل الاندماجية بين مسايرة التغيّر والتواصل مع الماضي** التقليدي الذي هو ماضي الذات، يختلف توزّعه بين الداخل والخارج من جماعة إلى أخرى، يتداخل الحديث (نمط السكن ومورفولوجية الحي والأشكال المعمارية والجمالية ذات المرجعية الأوروبية) والتقليدي (أي المميز للمعمار العربي الإسلامي) في الظاهر من الفضاء الخاص مثلما الخفيّ منه أي الداخل لدى الجيل الثاني من سكّان منطقة "الحفصية"، تحمل هذه الجماعة التي **يشكّل التقليدي على مستوى الخاص والعام الفضائي والاجتماعي ذاكرتها**، مشروع تأويل واستيعاب للجديد **لا يصنع القطيعة مع الذاكرة أي الماضي** المتجسّد في الممارسات الجسدية والفضائية، بفعل اتّساع وتخارج جغرافيا حركة وانتقال جسدها في

[1]،Maffesoli (M.)،**La conquête de présent**,Paris puf، 1979,p74.
[2]،Bouchrara Zanned (T.)،**symboliques corporelles et Espaces Musulmans**،Cérès prod، 1984، p11.

الفضاء أي خارطة فضاء نشاطها وتفاعلاتها المجتمعية[1]. يتكيّف هذا المشروع مع الجديد في نفس الوقت الذي يتّخذ منه مسافة فاصلة.

إنّ استيعاب التقليدي للجديد هو شكل من أشكال التكيّف مع التغيير، وهو سلوك استراتيجي لكونه لا يتّصل بالجديد ذاته بقدر ما يشكّل وسيلة لتشكيل الخطاب الفضائي الذي هو خطاب مجتمعي عبر سيميائية الواجهة والمعمار والفعل الجمالي في الفضاء المادي الذي يستحيل إلى فعل رمزي تواصلي.ويتغاير تواصل التقليدي مع الحديث أو العكس بين الداخل والخارج وبالنظر إلى استراتيجيات اندماج الفاعلين في فضائهم المديني العام الذي هو الحفصية هنا. يكشف هذا التنافذ بين الفضائي والمجتمعي عن دلالية ورمزية الفضاء كمنظومة يمظهر ضمنها الفاعل تصوّراته وتمثّلاته وذاكرة الفضاء الجماعية مثلما أهدافه وغاياته وزاوية تمثّله للتغيّر وتكيّفه الاستراتيجي معه، ممّا يعني أن الذات المجتمعية الشاغلة لفضائها ضمن المديني تطرح كفاعل يتّصل فعله ضرورة بالتوجيه القيمي والمعاييري الجماعي لسلوكه مثلما بالمضمون العقلاني لسلوكه الفضائي، يتلقى الفاعل المديني تأثيرات الفضاء الاجتماعي التي تنعكس على فعله في فضائه الخاص لكنّه يصوّر أو يقدّمه كصورة فضائية عن هذا العام/المشترك،هي في الأصل صورة عنه وعن تصوّراته وعن مواقفه من الفضاء المديني الذي يحيط به.

ب - تداخل التقليدي والحديث ضمن الخارجي والداخلي من الدار:

نقف في هذا المجال المبحثي من دراستنا، على اتجاهين متعاكسين للجدلية المستقرئة بين الداخل والخارج في توازي مع التقليدي والحديث لدى متعدّد شاغلي فضاء المدينة التاريخية يتباين ويتغاير في مدى حدّته وكثافة حضوره في السلوك والممارسة الفضائية.**فكلّما تدرّجنا صعودا من الأقلّ إلى الأكثر حظّا اقتصاديا من أقدم ساكني المنطقة تقلّص هذا التداخل بين التقليدي والحديث على صعيدي الداخل/الخاص والخارج/المشترك مثلما بين تقليدية أو حداثة الخارج** أي واجهة الدار بأبعادها الجمالي والمعماري والاستعمالي وما هو عليه الداخل أي الاستعمال الذي يقيمه شاغله لأجزائه (غرف) ومكوّناته (أشيائه)،وهو ما يفرض إعادة استحضار ما تمّ ملاحظته من **نزعة التغاير ومظهرته فضائيا:** معماريا وجماليا على واجهة الدار:سورها،لونها، وهيئته المادية، بمعنى امتداده البصري بالنظر إلى داخله والبعد الجمالي لظاهر الواجهة، حيث **تضعف هذه النزعة** أو هذا السلوك **كلّما انتقلنا من التغاير إلى التماثل اجتماعيا بين شاغلي الحي.**

أمّا الاتجاه **الثاني والمعاكس** فيثيره متغيّر **أقدمية التواجد** لدى الفئة الاجتماعية متوسطة الدخل الأسري: حيث أنّنا نقف بصفة جليّة على **اتساع هذا التداخل الملاحظ بين الحديث والتقليدي للواجهة** مثلما للممارسة الفضائية ضمن الداخل (الفضاء الخاص)**كلّما نزلنا من الأقدم إلى الأقلّ تواجدا ضمن فضاء المدينة التاريخية "الحفصية".**

لا يمكن استنتاج ذلك عبر الاستجواب، لذلك قدّمت لنا تقنية الملاحظة الموجّهة الميدانية اكتشاف هذا التباين الذي يلاحظ بصفة أكثر تواترا لدى الفئة متوسّطة الدخل الأسري من"**بَلْدِيَةْ**"[2]الجيل الثاني،بين المظهر الخارجي للدار ومورفولوجية الداخل التقليدي، فهي تنزع بفعل ارتقائها الإجتماعي إلى مظهرة ذلك على واجهة المنزل. وتحاول عبر اللون و الزينة والشكل تعيين رقيّ ذوقها الذي تعتقد فيه أو تريد أن يعتقد فيه الآخر الشاغل لذات النهج أو الحيّ.

---

[1] ، هذه الجغرافيا يمكن تسميتها ، مع طابعها الروتيني ، بالجغرافيا اليومية لكن لا يمكن استعارة عبارة الجغرافيا الإرادية لجون لاباس **jean Lapasse** على اعتبار أن عناصر الجغرافيا اليومية لا تحيل دائما إلى الإرادي .

[2] ، يقصد **بَلْدِيَةْ** أقدم سكّان مدينة الحفصية كمدينة عربية إسلامية تقع داخل الأسوار المحيطة بها وحيث يسمى من تم رفض اندماجهم ضمن فضاء المدينة " بالبرانية " الذين كوّنوا احياء خارج الأسوار ، أما ما يتصل بتصنيف الجيل الأول هم متساكني المنطقة لأكثر من ٥٠ سنة ونقصد بالجيل الثاني ساكني المنطقة بين ٢٥ و٤٩ سنة وبالجيل الجديد أو الثالث شاغلي فضائهم الحالي بالمنطقة لأقل من ٢٥ سنة .

إلاّ أنّ اختراق الحديث **لا يقصي نهائيّا أو يصنع القطيعة التامّة مع التقليدي** الذي يسجّل حضوره في تداخل مع الحديث على الخارجي من الخاص مثلما الداخل، يتراجع هذا التباين والتدخّل في إتّجاه**غلبة الجديد والحديث** أي استيعاب الفضاء للتغيير **كلّما صعدنا في المستوى المادي ونزلنا في أقدمية التواجد**،معنى ذلك أنّه **كلّما انتقلنا صعودا في أقدمية شغل الفضاء الخاص والحي كلّما ضعف حضور الجديد والحديث** وتعيين ديمومة وتواصل الحاضر مع ماض لا تختزنه الذاكرة فحسب بل تمظهره في سلوك إعادة إنتاج كيفيات شغل وتوظيف الفضاء واستعماله التقليدي. لسنا أمام تقليدية مفرطة أو غياب كلّي لاستيعاب أقدم أصيلي المنطقة من ذوي الدخل الضعيف والمتوسّط للتحوّلات التي تعرفها الحفصية بل يعرفها كلّ حي وكلّ نهج ولكن ليس كلّ زقاق.الأزقّة هي أكثر الفضاءات المشتركة تواصلا [1] بالماضي معماريا وجماليا وأكثرها استيعابا للقيم الجماعية والطابع الجماعي للحياة الإجتماعية. هنا في هذه الأمكنة الضيّقة التي لا تسمح أحيانا إلاّ بمرور شخص واحد أو تفرض على داخليها أن يصطفّوا الواحد خلف الآخر كأنّهم في استعراض أو هي بذلك تنظّم وتحتوي هذا الاختراق لهذا الخاص المشترك بشكل يحوّله إلى فردي، يتجلّى بوضوح تردّي البناءات واهتراء مادتها وألوانها، فحين تمرّ تجد بناءات مهدّمة تهاوت جدرانها والباقي منها مهدّد في أيّ لحظة بالانهيار. فهي **فضاءات تلفظ الداخل إليها** إذا كان **غريبا** لكنّها **تحتضن شاغليها حالما يلجون مدخلها**: فهي **إن أغلق منفذها الضيق تتحوّل إلى بيت جماعي** أو **وكالة حديثة المورفولوجيا**.يفصل بين أبواب المنازل التي تتحوّل إلى غرف لها وسط فارغ، **(حوش)** بل ممرّ **(Couloir)**، وسط لا يتجاوز عرضه أحيانا المتر الواحد.

إذا كانت طبقة أصيلي المنطقة الأكثر حظّا ماديّا تميل إلى مظهرة تفوّقها كلّما اتّصل ذلك بوجودها بفضاء عام/ مشترك خليط اجتماعيا ومعماريا،وهي تنزع إلى التماثل حين تشغل فضاء مديني تشترك أو تتقارب فيه الرتبة الإجتماعيةلشاغليه، فإنّ الفئة المتوسّطة ماديّا تبدي سلوكا فضائيا يكشف عن تداخل بين التقليدي والحديث في مظهرتها لتصوّر أسلوب اندماجها وتكيّفها مع تحوّلات الفضاء العام،أكثر وضحا لديها ممّا يلاحظ لدى الفئة المحظوظة.**يضعف هذا التداخل مع الفئة الأقلّ حظّا ماديّا مثلما الأقدم تواجدا في فضائها** الذي تشغله وتتواصل عبره رمزيّا مع ماض حاضر في الذاكرة والسلوك الفضائي اليومي وتجلّياته العينية.

أمّا **"البَلْدِيَة"** الجدد [2]فيحملون تصوّرا اندماجيا يتغاير بالنظر إلى نفس المتغيّرات:الرتبة الإجتماعية ونوعية الفضاء المديني (التقليدي- الحديث)، إلاّ أنّ الأكثر حظّا منها، اقتصاديا، تختلف مع الجيل الثاني من ذات الفئة المادية في جنوحها إلى التدخّل التحديثي في الفضاء الخاص في الظاهر منه للآخر، ففي حين نلاحظ احتفاظ الجيل الثاني بمعمارية الدار التقليدية في شكلها الجديد ومورفولوجية الداخل رغم بعض التدخّلات**Intervention** الجمالية المحدثة على واجهة المنزل، فإنّ شاغلي الفضاء التاريخي ، الجدد ينزعون إلى تغيير مقوّمات المعمار التقليدي للفضاء التاريخي بأشكال مختلفة عنها كإستبدال شكل القوس بالمستطيل أو المربّع ، فيما يتّصل بإطار الباب أو الباب الخارجي ذاته ، أو وضع بطاقة رخامية على إطار الباب أو بلاستيكية أو خشبية على الباب تعيّن **Indique** هوية شاغل الدار أو غلق الشرفات عبر نوافذ بلورية داكنة تحجب فضاء الشرفة وتحوّله إلى جزء من قاعة الجلوس خاصّة أو غير ذلك ممّا لا تبدو أهميته في ذاته بل في الدلالة التي تضع التحليل أمامه.فهذه الدلالة ثقافية واجتماعية:**ثقافية**بإعتبار كونها تحيل التحليل والتعقّل **على ثقافة الجماعة** أي شاغلي الفضاء وقيمها ومعاييرها وتصوّراتها ونمط حياتها،**واجتماعية**

---

[1] إنّه تواصل رمزي يتّخذ م ن الواجهة مادة لصياغة دلالات عن الذات أو صورة حقيقية عن نمط حياته ضمن الداخل أو تكون بالضرورة ترجمة فعلية له . تتخذ إذا بعدا تضليليّا له دلالات اندماجية ، فالصورة التي تعكسها الواجهة عن شاغل الفضاء الخاص هي ما يريد ويقصد تمريرها إلى الآخرين عن نفسه . هذا السلوك نلاحظه لدى الجدد مثلما الجيل الثاني من اصيلي المنطقة كما سيتّضح ذلك فيما بعد .

[2] وهم شاغلي فضاءاتهم منذ ما يقارب ٢٥سنة {فئة عمرية ما بين ١٢ و ٢٥ سنة}.

لكونها تحيل إلى **نظرة الفاعل لفضائه وموقفه**منه وللتحوّلات التي يعرفها، فهذا **السلوك الفضائي** هو **سلوك رمزي** يتّصل بالثقافي في علاقة الفاعل بفضائه وصورة الفضاء ما بعد الإستعمال الذي يقيمه له الذوات الإجتماعية**ولكنّه اجتماعي** لكونه معطى لتأويل كيفيات إندماج الفاعلين في فضائهم الإجتماعي وتكيّفهم مع المتغيّرات.

إنّ جدلية الداخل والخارج تضعنا أمام جدلية الفضائي والمجتمعي،**فقراءة الفضاء هي تأويل سوسيو ثقافي** للاستعمال أي المستعمل الذي هو شاغله أي الفاعل الإجتماعي الذي يتلقّى تأثيرات الفضاء الإجتماعي لكنّه يتواصل معه عبر منظومة رمزية دلالية.

٢ -أقدمية التواجد بالفضاء التاريخي وبلورة[1] الفضاء الخاص:

يستجيب فعل التدخّل في فضاء السكن إلى تمثّلات وتصوّرات شاغلها للفضاء مثلما إلى أهداف الفاعلين من تواجدهم واستمرارهم في هذا الفضاء التاريخي بأحيائه التقليدية أو الجديدة، إلاّ أنّ دلالاته تتغاير بالنظر إلى زمن فعل احداث تغيّرات في الدار أو المنزل مثلما بالنظر إلى متغيّر أقدمية التواجد بالفضاء المديني،ينزع أقدم **سكّان المنطقة** اليوم أكثر من **الجدد** إلى إدخال تحسينات على المسكن قبل شغله نهائيا على غرار الفئات الأضعف ماديّا، أمّا الجيل الوسط فلم يتعمّد تغيير أي شيء في مسكنه قبل شغله.

ما يلاحظ،أيضا، أنّ أقدم سكّان المنطقة أقاموا تغييرات في فضائهم السكني إمّا قبل شغله أو ما بين سنة وخمسة سنوات من تملّكه. أمّا لدى سكّان المنطقة الجدد، فإنّ الذين قاموا بذلك قبل السكن بالمنزل المقتنى أو الموروث يعادل عدد الذين قاموا به بعد عشرة سنوات (ما بين ١١ و١٥ سنة) من شغل دورها، إلاّ أنّ أغلب عيّنة البحث من سكّان المنطقة الجدد انتظروا ستّة سنوات (ما بين ٦ و١٠ سنوات) ليدخلوا على فضائهم الخاص تحسينات ما، أمّا الجيل الثاني فغالبيته لم يتدخّل في فضائه الخاص قبل احتلاله ولم يتمّ ذلك إلاّ بعد ١٠ سنوات (بين ١١ و١٥ سنة)، النتيجة إذا أنّ خطّ أقدمية الحضور بالفضاء التاريخي "الحفصية" صعودا أو نزولا يتوافق مع خطّ زمن التداخل في الفضاء وتهيئته ليستجيب لمعايير الجيل وتصوّراته للفضاء. **تتّسع دلالات** هذا الفعل الذي يشمل الأبعاد المعمارية والجمالية والمورفولوجية أيضا لتشمل **المجتمعي** مثلما **الثقافي**.

احتفظت أغلب عيّنة أقدم سكّان المنطقة " الحفصية «بفضائها الخاص كما هيئته أو بعد شغله بزمن قليل (من ١ إلى ٥ سنوات) إلى الآن ما عدى ما يعود إلى الترميم الذي تفرضه الضرورة، وهو ما يتوافق مع تعبير غالبيتها على أنّ فضائها الخاص هو، بالتساوي، عالمها الخاص وذاكرة حيّة.

إنّ امتناعها عن بلورة أو إدخال تغيّرات على فضائها الخاص الظاهر والضمني منه/ الفارغ والمبنيّ/ هو تواصل رمزيّ مع هوينها الثقافية ومع ذاكرتها الفضائية أي مع ماض تُمَعْلِمُهُ أي تحوّله إلى مَعْلَمٍ **Monument** عبر الاحتفاظ بأشيائه هنا وهناك من مساحة الدار مثلما استمرارية ممارسات، يصنع التغيير في الفضاء العام القطيعة معها كتربية أنواع من الحيوانات الأهلية ذات الإستعمال اليومي أو المردودية الاقتصادية (الدجاج، الأرانب، الحمام) أو التخزين الغذائي (العُولَةْ من الكسكسى أو الفلفل أو اللحم المشرّح والمجفّف...)."**فأقدم شاغلي الفضاء التاريخي**«يحتفظون بجزء من الدار كفضاء للتخزين يحتاجونه على امتداد سنتهم كما يحتفظون بالتوزيع الوظيفي للغرف وترتيبها الفضائي بالنظر لا إلى الوسط الفارغ بل إلى مدخل الدار.حيث تحتفظ غرفة الاستقبال بتموقعها الرأسي المحاذي للمدخل. فأنت تجدها مباشرة على يمينك أو شمالك حالما تتقدّم مترا أو مترين خلف الباب الرئيسي أو يفضي إليها معبرا قصيرا متعرّجا أو تفتح على وسط الدار، وهنا تجدها في الغالب لدى أقدم "البلدية"الذين ينظرون إلى أنفسهم كماض فضائي واجتماعي

[1] ، يقصد **بالبلورة** إحداث تغيرات في الفضاء الخاص الذي هو المسكن، سواء على مستوى مورفولوجية الدار أو على صعيد الواجهة الأمامية أو على المستوى الفني والجمالي.

بدأ يتّخذ طابع المَعْلَمِيَةِ أو المتحفية بعبارة "**جودي**"، على نفس خطّ غرفة النوم تفصلها غرفة الجلوس (بيت القْعَادْ) لدى الفئات المتوسطة والقادرة،تكشف العلاقة الخطيّة **Linéaire** بين غرفة الجلوس أو الاستقبال وغرفة النوم أي بين المباح والممنوع، المعطى للاختراق والمقدّس، عن تقليدية تكيّف وتنظّم حركة الآخر الأهلي أو الغريب داخل فضاءات الداخل الذي هو الدار بالنظر إلى ثنائية المقدّس والمدنّس،المباح والمحرّم، المسموح به والممنوع، المظهر والمخفيّ.

لا يتعلّق فعل البلورة أو إدخال تغيرات على داخل أو خارج الدار بالمستوى المادي للفاعلين، ذلك أنّ كلفة البلورة يحصل ربطه بالقدرات المالية يكون ذلك صحيحًا إذا وجدنا سلّما تصاعديّا في زمن الفعل يوازيه خطّ تنازلي من الأضعف إلى الأكثر حظًا ماديّا، إلاّ أنّ التحليل الحاسوبي لمعطيات أو البيانات في ربط بين بلورة فضاء السكن والمستوى الماديسكّان منطقة "**الحفصية**" أفضى إلى نتيجة أنّ الفئة الأضعف أدخلت تحسينات على فضاء سكنها ما بعد ١٥ سنة (ما بين ١٦ و ٢٠ سنة)،في حين تمّ ذلك لدى الفئة المتوسّطة بعد ٢٠ سنة (ما بين ٢١ و ٢٥ سنة)، أمّا من تمّ لهم ذلك ما بين السنة الأولى والخامسة من شغل فضائها الخاص من الفئة الأضعف مدخولا أسريا فتبلغ نسبتهم ٢٥%، في حين لا تبلغ نسبتهم لدى الفئة المتوسطة سوى ٥٠،٥ %.

إنّ سلوك بلورة فضاء السكن قبل أو بعد شغله يستند إلى عوامل تتجاوز الأرضية المادية لها لتتأطّر في **السياق الثقافي للفعل الإنساني** الذي يتعارض مع الصبغة التحديدية للفعل الإنساني خاصة في بعدها الاقتصادي أو المادي. فالثقافي الذي يتعالى فهمه وتعقّله على المناهج الكميّة ومعادلات الارتباط التي تصيغها بين متغيّرات تابعة وأخرى مستقلّة تمثّل غاية البحث، يستدعي مقولة التأويل والفهم لسلوك الذوات الاجتماعية في تواصلها مع فضائها الذي هو تواصل رمزيّ واجتماعي يحيل إلى كلّ الرأسمال الثقافي والرمزي لمستعملي الفضاء مثلما تصوّراتهم لذواتهم ولفضائهم المديني وموقفهم منه، إنّنا نحتاج إلى مراجعة مفهوم التنمية خارج الكبرياء عن معالجة اليومي والمعاش أي معاش كل الناس في كل الأيام باسم الماكرو-سوسيولوجية أو مقولة كون التجزئة تضعف حظّ السوسيولوجيا من الإحاطة بالظاهرة السوسيولوجية.

إذا كان العامل الاقتصادي لا يشكّل مرجعا لتفسير فعل البلورة للدار أو المسكن، فإنّه يصبح عاملا هامّا من بين العوامل المفسّرة للوضعية العمرانية للفضاء المديني في بعده الجمالي خاصة كما يبدو في الحالة المادية للبناءات المتردّية والمؤهّلة لحالات أسوأ مثلما في إهمال مظهرها الخارجي الذي يعود إلى عجز الفئات الضعيفة عن مصاريف تجميلها وصيانتها. لكن هذا المظهر لا يعود،فحسب، لهذا العامل، فالدور التي تكشف عن إهمال لها يعود لا إلى وضعيتها أي كونها لمالكين لا يشغلونها ولكن يسوّغونها منذ زمن بعيد بمعاليم متواضعة أو متوسّطة لا تشجّع المالكين على صيانتها. على أنّ عدم صيانة مالكيها لها يعود إلى ضعف قابليتها للربح التجاري أي البيع. وهي الوضعية التي انتهت إليها جمعية صيانة المدينة في مشروعي ١٩٧٣م و١٩٨١م لإعادة تهيئة الحفصية، حيث وضعت حلاّ لتطويق، لا فحسب، الحالة المادية للعمران الحضري بل أيضا للنسيج العمراني لمنطقة "**الحفصية**" يتمثّل في تمتيع مالكي الدور المتردّية والآهلة للسقوط قروضا ميسّرة لترميمها مع التوصية بمراجعة معاليم الكراء في حدود تراعي مصلحة المالك والحالة المادية لشاغليها من ذوي الأصول الريفية في معظمهم.

٣ - الدلالات الرمزية والاندماجية لفعل بلورة الفضاء :

أدخل أصيلي منطقة "**الحفصية**" الجدد ترميما كليّا للمسكن سواء قبل أو بعد شغله، ولا يعني الترميم الكلّي الذي أدخلته على فضائها إعادة بناء أو تجديد مورفولوجيته التقليدية نحو نمط حديث كلّي بل المقصود أنّ فعل البلورة شمل كل الفضاء السكني بأشكال مختلفة،لكن حينما نصعد في أقدمية التواجد بالحفصية وبالفضاء المحتلّ ضمنها نلاحظ أن هذه الصبغة (البلورة لكل الفضاء الخاص) تتقلّص لتصل درجة الصفر لدى أقدم"**بَلْدِيَةْ**" الحي

المديني. تتّفق هذه النتيجة مع ما انتهى إليه التحليل سابقا، أنّه كلّما تدرّجنا نزولا في أقدمية التواجد تصاعد أو تكثّف فعل بلورة فضاء السكن.

لا تنزع الفئة الأضعف ماديّا إلى البلورة التّامة لكل المسكن أي أن يشمل فعله في الفضاء كلّ أبعاده المدية والمعمارية والجمالية، بل يقتصر على واجهة الدر أي المظهر الخارجي للدخل الخاص وتوسّعه في غرفة النوم أي الأكثر خصّا أو المقدّس من هذا الدخل الخاصّ وهي بذلك تلتقي مع الفئة المتوسّطة في رفض تغيير المورفولوجية التقليدية للدار أي أنّه لم يقع ذكر تحويل وسط الدار التقليدي إلى غرفة لدى هاتين الفئتين إطلاقا على عكس ما نسجّله لدى الأكثر حظّا ماديّا،حيث يسجّل هذا البعد من الفعل في الفضاء الخص أكثر الأبعاد تناولا بنفس الدرجة أو النسبة المئوية لتغيير الباب التقليدي بآخر حديث،تتوافق هذه النتيجة مع ما سبق الوقوف عليه من حيث نزوع الفئة الأكثر حظّا ماديّا إلى مغايرة فضائها التقليدي في اتّجاه تجديدي وتحديثي يشمل واجهة المنزل مثلما عمقه التاريخي أي مورفولوجيا الداخل إذا تعلّق وجودها بفضاء تقليدي ضمن حيّ تتداخل ضمنه المراتب الإجتماعية والأصول الفضائية لشاغليه.

ما يلاحظ فعلا هو أنّ الفئة الأعلى دخلا هي الأقلّ نزوعًا أو ميلا لإخضاع كلّ الفضاء الخاص إلى فعل البلورة وأنّ أعلى نزعة في هذا السياق تسجّل لدى الفئة متوسّطة الدخل في ظلّ غياب كلّي لهذا الاتجاه لدى الأضعف دخلا أسريّا من عيّنة البحث.

تمثّل غرفة الجلوس والاستقبال أكثر الوحدات الفضائية للداخل انفتاحا على الآخر أو الوافد وبالتالي أكثر فضاءات الدخل مظهرة للمستوى المادي لشاغله لذلك ليس من الغريب أن ينتهي البحث إلى معادلة:أنّه كلّما تدرّجنا صعودا في المستوى المادي لشاغلي فضاءاتهم الخاصّة كلّما تتكثّف نزعة مظهرة المكانة المجتمعية للذواتالاجتماعية. فالفئة الأضعف دخلا هي الأقلّ ميلا لتحسين وبلورة أوّل وأقرب فضاءات الداخل لتقديم صورة عن المكانة المجتمعية والحالة المادية له. قد يفسّر ذلك بعد اقتدارها المدى ولكن أن تدخل بلورة على فضائها الخاص فهي تضع سلّم أولويات لهذا الفعل وبالتالي يصبح ترتيب التدخّل الفضائي من ناحية ووظيفته التواصلية والرمزية من ناحية أخرى ذو دلالة تتجاوز التفسير المادي البسيط للظاهرة.وما يؤكّد حكمنا هو ما يلاحظ من توافق لهذه النتيجة مع ما توصّل إليه البحث في مجال أقدمية التواجد بالحفصية وفعل بلورة فضاء السكن، حيث بيّنا أنّ أقدم "**البَلْدِيَةْ**"يشعرون أنّهم يزدادون عزلة عن العام/المشترك مع كلّ تحوّلات سوسيو فضائية تعرفه الحفصية. هذه التحوّلات التي تعجز أو ترفض أن تتكيّف وتندمج معها.يقوّي ضعف اندماجها هذا ألفتها بفضائها الخاص والتمسّك بصلته المادية والرمزية بصورتها لذاتها لفضائها. قد تفسّر هذه العزلة وندرة التزاور أي تبادل التكشّف على الخاص كتعبير أو تمظهر مادي لضعف اندماجها في فضائها المشترك الأقرب إليها أي الحي أو النهج.ترتيب الأولويات في فعل بلورة الداخل الذي تقيمه والذي يعطي، بذلك أهمية لأكثر وحدات الداخل الفضائية خصوصية على حساب الفضاء/ الواجهة المجتمعية لشاغلي الدار التي تستقبل لكنّها تشكّل نقطة عبور نحو الأكثر خصوصية من الداخل، هنا نستقبل الآخر الأهلي أو الغريب وهنا ينتهي اختراقه لهذا الدخل/الخاص أو عبره يمرّ إلى الأكثر خصوصية وبالتالي حميميّة (الحوش، بيت القعاد...).

نعود إلى سكّان منطقة "**الحفصية**" الجدد لنشير إلى نتيجة أنّ أكثر أجيال الحفصية نزعة إلى مظهرة رتبتها الاجتماعية وتغايرها الذي يجمع بين التوصل مع الامتداد أو الطبع التاريخي للفضاء العام/المشترك واستيعابه للجديد والحديث خاصة لدى أصيلي "**بَلْدِيَةْ**" المدينة التاريخية الذين كانوا يشغلون دورا عبر التسويغ. وتمثّل الحفصية بعد التهيئة، أرضية مناسبة للجمع بيت التأصّل والحداثة، فهذه الفئة لم تسعى إلى تعمّد التقليص من الحاجز البصري الذي هو سور الدار لكنّها وإن عمدت إلى تعليته فإنّها حافظت على فتحاته أي على ما يشكّل منفذا بصريا نحو الداخل الفاصل بين الباب الخارجي ومدخل الدار. فهي بذلك تراوح بين الانفتاح الكلّي والانغلاق الكلّي فمعها يمكن الحديث عن مفهوم

الانفتاح الحذر والانغلاق المرن الذي يموضعه وسطيّا بين القدسيّة التّامة للدخل الخص المميّز لمعمارية الدار التقليدية في واجهتها التي تنغلق على الدخل وتخفيه تماما عن الخارج أي الآخر وبين الانفتاح المميّز للمعمارية الحديثة في شكل المنازل ذات حديقة أممية وسور يفصل بينها وبين الخارج لا يتّخذ دلالة الحاجز أو العازل أو المنع الرمزي بقدر م يشكّل تعيين مادي للفواصل الفضائية بين المتقابل والمتجاور من المساكن.

إذ كان السور ضمن الدور الحديثة لا تتجوز دلالته البعد المادي والجمالي فإنّها تتخذ مضمونا رمزيّا ومجتمعيّا ضمن نمط السكن التقليدي. فالفعل الذي تمارسه الذوات الإجتماعية على شكله قبل أو بعد شغله يتّخذ بعدا رمزيّا ودلالة اجتماعية يستندن إلى تصوّراتها الفضائية من ناحية وموقفها من الفضاء المديني المحيط بها من ناحية أخرى. وما يؤكّد هذا الاستنتاج لدينا هو مدى التوافق الذي نجده بين المضمون التقليدي لبلورة فضاء السكن واتجاه تعميق الوظيفة الحاجزية أو العازلة للسور أي مزيد تعليته وغلق فتحاته الموجودة،فهذا التوازي بين السلوكيين هو دعامة تحليلية لتأكيد دلالية هذا السلوك خارج ماديته خاصة مع خطّ أقدمية التواجد بالحفصية حيث نسجّل خطّا تصاعديّا في تواتر هذا السلوك لدى أصيلي منطقة **"الحفصية"** سواء الجدد أو الأقدم تواجد، ينسحب ذلك على عملية التمديد العمودي للسور كحاجز أو عازل مادي ذو دلالة اجتماعية ورمزية مثلما عملية غلق المنافذ فيه.

يتعلّق سلوك أو خلق الحاجز بالمساكن ذات الحديقة الأمامية. أمّا المنازل التي تشكّل واجهتها كما يقول **Chevalier** أسوار تغلق على الداخل وتشكّل معابر الأزقّة[1] والأنهج ضمن الأحياء القديمة من الحفصية، فإنّ الملاحظة الميدانية المباشرة تضعنا أمام نفس الارتباطات بالنظر إلى متغيّر أقدمية التواجد بالفضاء التاريخي "الحفصية «والمستوى المادي للأسر،لكن مع أشكال أخرى تتجلّى عبر ما رأيناه في الفقرات السابقة حول شرفة المنزل أو نوافذها أو أبوابها، حيث يستبدل تعلية السور أو غلق فتحاته بتعلية النوافذ بحيث تتجاوز قامة المّار في الشارع فتصبح بعيدة عن مدى بصره أو الاتجاه إلى وضع لوحة مشبكه أسفل النافذة ما بين البلور والحامي الحديدي أو تعمّد أن يكون الباب ذو جانبين بحيث يظلّ الواحد موصدا دائما والآخر يفتح حين الدخول أو الخروج بشكل يضيّق الامتداد الزمني لبصر العابر وإدراكه البصري للداخل بما يتعلّق ضمنه بالمقدّس والحرمة المتّصلة بسريّة الداخل أو حركة جسد المرأة وانتقالها داخل وبين أجزائه المكوّنة له.

٤-الأصول الفضائية والمضمون التقليدي أو الحديث للتدخّل في فضاء الدار :

يكشف على خلاف المفترض، ذوي الأصول الريفية من شاغلي فضاء الحفصية اليوم والذين يقدّمون أنفسهم **"كبَلْدِيَةْ** جدد،عن نزعة تحديثية في بلورة فضاء سكنهم، فإبدال الباب التقليدي للدار أو المنزل بآخر حديث يشكّل أكثر الإحداثات التي أدخلتها على فضائها، يقترن ذلك مع تغيير واجهة الدار الذي يأتي في المقام الثاني، يليه مرتبة مسألة تعلية سور المنزل المقتنى بسور قصير، يفضي ذلك إلى استنتاج حتمي لوجود تداخل بين التقليدي والحديث في سلوك ذوي الأصول الريفية لا يغرّر باستعجال تأكيد نزعتها التحديثية. فالبعد التحديثي يتّصل،كما يبدو واضحا بالبعد الجمالي لفعلها المادي.

أمّا البعد التقليدي فيكشف عن رفض العلاقات وجه لوجه بين الداخل والخارج التي يقترحها المعمار الحديث. لذلك فالمضمون الأعمق لتدخّلها في فضائها يعيد إنتاج مفاهيمها وتصوّراتها وتمثّلاتها الريفية لنمط السكن وكيفية شغله في علاقة بالآخر المجاور والمقابل، الأهلي أو الغريب.ويشتغل السور لديها مثلما لدى الجيل الأقدم لأصيلي منطقة **"الحفصية"**اليوم وبدرجة أقلّ الجيل الثانيكعازل أو فاصل إجتماعي وبالتالي يحيل فعلها إلى مدلوله الرمزي والاجتماعي أي أنّ قراءته التحليلية تتجاوز التفسير العاملي **Explication Déterministe** إلى فهم التأويلي

[1]،Chevalier (D.)،**L'espace social de la ville arabe**،paris، Maisonneuve et la rose،1979,p107.

InterprétativeCompréhension للتوجيه القيمي **Orientation du Valeurs** والمتّصل بأهداف الفاعلين من سلوكهم أو فعلهم المادي.

لم يخضع ذوي الأصول الريفية فضائهم الخاص إلى ترميم وتحسين شامل، في حين إتّجه لذلك ذوي الأصول التخومية أو الطرفية والمقصود بهم الوافدين على الحفصية من خارج السور الداخلي للمدينة العتيقة أي الربضين السفلي والعلوي: باب سويقة وباب الجزيرة.لم يخترق هؤلاء الفضاء التاريخي مباشرة بل استقروا خارجه والذين كانوا يسمّون"**بالبْرَايْنِيَة**"[1].**فالسور بني من أجل أن يمنع هؤلاء من اختراق المدينة**، وقد مثّل دخول واختراق هذا الحاجز الإثني والاجتماعي حلم سكّان "الربط" لفترات طويلة من تاريخ محاولاتها اختراق الحاجز الرمزي والثقافي،لا المادي، الموطّن من أجل إعادة إنتاج التعالي المجتمعي والثقافي لأقدم سكّان منطقة «الحفصية" الداخل/داخل السور.

يميل أقدم "**بَلْدِيَةْ**" الحفصية اليوم والجيل الثاني الذي ورث مسكنه أو انتقل إليه منذ أكثر من جيل كامل (ما بين ٢٥ و٥٠ سنة) إلى إخضاع الدار لمراجعة شاملة، إلاّ أنّ أغلب تدخّلها يتّجه إلى تحويل الحديث إلى تقليدي والتقليدي إلى حديث، يشمل الاتجاه الأوّل البعد المعماري ويتّصل بالفاصل أو الحاجز المادي بين الداخل والخارج من فضائها أي ما يصنع جسرا أو حاجز تواصليا بين الداخل/الخاص والفضاء العام المشترك للدار(النهج)،أمّا الاتجاه الثاني الذي يحوّل التقليدي من الدار إلى حديث فيتّصل بالمحور الفضائي الذي تتشكّل بالنظر إليه وحوله الدار التقليدية أي وسط الدار الفارغ حيث تحوّله إلى قضاء مغلق ليصبح غرفة المنزل، يمسّ هذا السلوك جوهر الفضاء التقليدي وظاهره عبر جعل واجهة الدار سورا يتجاوز مدى إدراك الآخر لمضمون ما يقع خلفه إذا إتّصل وجودها بمسكن يحمل هذه المعمارية المتمثّلة في فضاء فارغ أماميّ، لكن على خلاف ذوي الأصول الريفية من أقدم شاغلي "**الحفصية**" لا تنزع إلى تدخّل كلّي في الفاصل المادّي الذي هو السور الأمامي للدار الذي يتّجه إلى تعليته ولا إلى تقصيره إذا وجدته عاليا بطبيعته. وتحافظ في جانب آخر على تقليدية الباب.

ينجلي، مع ذوي الأصول الحضرية أي الوافدين على الحفصية من المدينة التقليدية، التداخل بوضوح بين التقليدي والحديث، حيث تكشف نتائج البحث عن نزعة تحديث باب الدار من ناحية واحتفاظ كلّ عيّنة البحث بالمورفولوجيا التقليدية للداخل أي على وسط الدار، يكشف هؤلاء عن استخدام متعدّد الوظائف لذات الفضاء أي بيت الجلوس كفضاء استقبال واجتماع/ فضاء للأكل والاجتماع والنقاش والنوم/فضاء يغلق حالما ينتهي استخدامه لكنّه مشغول دائما، في الإستعمال اليومي لكلّ الأصول الفضائية لشاغلها ويتّخذ وظيفة ليحيل إلى أخرى.

هناك سلّم أولوية أو تدرّج لمدى اختراق داخل الدار، فالزائر المناسباتي وأصدقاء الأبناء مثلا يستقبلون في هذا الفضاء في حين يدعى الأهلي إلى "بِيتْ القْعَادْ":الفضاء اليومي للجلوس والراحة والأكل وأحيانا النوم، فضاء تتغيّر فيه هيئة الجسد من الجلوس إلى التمدّد أو التربّع حول مائدة. أن **يدعى الزائر إلى هذا اليومي هو تعبير عن عمق العلاقة** التي تربط أهل الدار والزائر وهو **نوع من مظهرة الودّ والصداقة** عبر السماح له بالاطلاع على الأكثر يومية في ممارستها الجسدية والفضائية،إنّنا أمام ازدواجية أخرى تحيل إلى الممارسة وتنضاف إلى ازدواجيات أو **ثنائيات تمظهر إتّجاه تكييف الفضاء**:ظاهره والمخفيّ منه، خارجه وداخله، فارغة ومبنية ليستجيب لتواصلها مع ماضيها وذاكرتها التي تصنع الاستمرارية مع التقليدي من ناحية والمعطى أو الموجّه إلى الآخر.

فكما يبدو من هذه النتائج فإنّ الجديد لا يصنع القطيعة مع الماضي كما يتجلّى في الممارسة باعتبار أنّه لا يغزو من الداخل إلاّ بدايته أي فضاء استقبال الآخر، فلا يجوز الحديث عن تغيير في ظلّ هذه الاستمرارية الغالبة لأشكال شغل

[1]، **والمقصود بالبراينية**: هم سكان المنطقة الجدد القادمين إما مباشرةً من فضاءات حضرية أو ريفية أخرى أو الذين استوطنوا خارج أسوار المدينة العتيقة قبل الولوج إلى منطقة الحفصية بعد المشاريع التحديثية والتوسعية التي عرفتها المنطقة منذ ١٩٣١م .

وتوظيف الداخل وحركة وانتقال الجسد ضمنه وبينه التي تحيل إلى نموذج الحياة التقليدية:الريفية أو"**البَلْدِيَة**"[1] التقليدية. وإذا كان من الممكن الحديث عن تغيير فإنّ أقرب "**البَلْدِيَة**" إلى ذلك هم "**البَلْدِيَة**" الجدد التي تكشف عن ميل لمعادلة التقليدي والحديث في التمثّل والممارسة في إتّجاه الحديث والمتجلّي بصفة أوضح لدى أعلى "**بَلْدِيَة**" الحفصية دخلا أسريّا.

لقد شكّل هذا الفعل في المعمار والمظهر الجمالي للمدينة المستجيب لمعايير لا مادية بل ثقافية تحوّله إلى فعل رمزي يحيل إلى صورة الفاعلين لذواتهم ولفضائهم الخاص والمديني وللصورة التي يسعون لتمريرها للآخر عبر الفضاء إحدى أبعاد التشريعات المسنّة لمحاولة الإحاطة بهذا التحضّر العفوي وحصر آثاره السلبية على التجانس المعماري والجمالي للمدينة التاريخية.من ذلك إصدار المجلة الجديدة للتهيئة الترابية والتعمير وقبل ذلك إحداث هيكل تنسيقي بين مختلف المتدخّلين في المشاريع التنموية الحضرية والعمل على تحقيق وتجسيد استراتيجية التنمية الحضرية المدفوعة من قبل السياسة الحضرية.يتمثّل هذا الهيكل في وكالة التهذيب والتجديد العمراني(١٩٨١م) التي أشرفت على مشروع الحفصية(١٩٨١-١٩٩٣م) كمنسّقة بين بلدية تونس صاحبة المشروع وبنك الإسكان المتصرّف في الحساب الخاص بعملية التهذيب وجمعية صيانة المدينة كمكتب دراسات ووضع التصاميم لهذا المشروع وأيضا مشروع ١٩٧٣م والمتدخّلين التقليديين [2]،لا يشكّل الإطار التشريعي لإستراتيجية التنمية الحضرية للأحياء القديمة سواء المتعلّق بتنظيم مختلف المشاريع الإعمارية أو التهذيبية أو التجديدية للنسيج العمراني للمدينة التقليدية أو بسلوك الفاعلين تجاه معمارية المسكن حلاّ لما تعرفه المدينة التاريخية والحفصية كجزء منها، من ظواهر اللا تجانس المعماري والجمالي الذي مثّل إحدى أهداف مشروعي ١٩٧٣م و١٩٨١م.ويهدف تهذيب وتجديد النسيج العمراني للأحياء القديمة نحو مشروع إعماري وتمديني، إلى التوحيد الذي فقد تدريجيّا واقعه بفعل الإستعمال الذي يحيل إلى البعد الثقافي للتنمية الحضرية الذي يرسم آثاره على الواقع أي الحاصل المديني ولكنّه لا يسجّل حضوره في التخطيط واستراتيجيات التنمية الحضرية.

٥-تمثّل الخاص لدى "بَلْدِيَة" الحفصية :

تتمثّل أقدم "**بَلْدِيَة**" الحفصية فضائها الخاص اليوم كعالمها أو كونها الخاص بنفس التساوي مع كونه ذاكرة حيّة. فهي لا تتعاط فضائها الخاص كمجرّد فضاء للسكن بل تتواصل معه ككون مشحون بالذكريات والتواريخ والأحداث والمعالم المتحفية: القدسية والوجدانية، تتعلّق بها ماديّا ولكن أيضا عاطفيّا ووجدانيّا، **هنا في هذا المكان يستحضر أوّل قدومه إلى الحفصية** وعبره يمرّ ويستحضر **تاريخ العام من فضاء المنطقة**.وهنا أي الداريجي **الحاضر في تواصل رمزي وثقافي مع الماضي** الذي لا يعيش في الذاكرة أو ذكريات الذي كان من ماضي الفضاء المعيش بل **هو حاضر في كل حين وآن عبر أشيائه ومعالمه وأشكاله وألوانه** التي تميّز هذا الداخل/الخاص **ككون خاص وذاكرة** تتجسّد في كل ركن من الدار **وحتى في أشيائه المهملة** وغير المستعملة.

يعتبر الجيل الثاني من " **بَلْدِيَة** " الحفصية الدار كفضاء للسكن والإقامة بدرجة أولى ولكنّه بصفة أقلّ عالم خاص. فالفضاء الخاص لا يبدو لهم ذاكرة حيّة لذلك يفهم هنا لما تتمثّل أو تريد أن تروّج لتمثّل يصعد بها إلى ماض هي لا تنفصل عنه كليّا ولكنّها ترغب في أن ينظر لها على أنّها لا تطابق كليّا آباؤها أي الجيل الأوّل بل تختلف معها،هذه الصورة التي تريد أن يتواصل معها الآخرون عبرها تتجلّى رمزيّا في بلورتها لفضائها الخاص كما سبق ذكره،فهي تتّجه بالواجهة أي الظاهر من الفضاء الخاص اتّجاها تحديثيّا يتداخل ضمنه التقليدي والحديث، في حين أنّ بلورة فضائها

---

[1] ، " **البَلْدِيَة** "هي تسمية شعبية تطلق على أصيلي سكان الفضاء المديني والأقدم تواجداً ،وقد عبرنا عنها في مواقع أخرى بأصيلي منطقة الحفصية أي الأقدم تواجدا بالمنطقة والذين يتخذون تسمية " البَلْدِيَة " في مقابل الوافدين الجدد أو غير أصيلي المنطقة المعبّر عنهم "البراينية".

[2] ، وزارة التجهيز والإسكان،" **التقرير الوطني لمؤتمر الأمم المتّحدة الثاني حول المستوطنات البشرية**"،تونس ١٩٩٦ م، ص ٦٩.

الداخلي أو الخاص جدّا يغلب ضمنه التقليدي على الحديث،يكشف ذلك عن خطأ الارتباط الذي يوجده البعض بين تمثّل الفضاء والألفة بهذا الفضاء، فرغم أنّها تشغل وتستعمل فضائها منذ أكثر من جيل وما يقارب الجيلين فإنّها لا تتمثّل فضائها كذاكرة حيّة.

يتّسم تمثّلها ببعدين: **مادي وواقعي**.وهذا يؤكد صحّة هذه الفرضية هو أنّ الجيل الثالث أي من يقدّمون أنفسهم "**كبَلْدِيَة** "جدد لا يصل زمن شغلها لفضائها نصف ألفة الجيل الثاني بفضائه اليوم لكنّه يعتبر داره أو مسكنه ذاكرة حيّة بنفس الدرجة مع كونه مأوى أو مكان إقامة لا غير.

يفضي هذا المعطى إلى رفض اعتبار مقولة الألفة قادرة على صياغة تفسير لتمثّل الذات لفضائها اليومي والخاص، مأخوذة بمفردها في التحليل، ذلك أنّ العوامل التفسيريّة تتداخل بالتأكيد في مقاربتنا لفهم وتعقّل الظاهرة المدينية. فلو عدنا إلى مبحث الدلالات الرمزية والاندماجية لفعل بلورة السكن في ظاهره وباطنه، خارجه وداخله، معماره ومورفولوجيته، نفهم لماذا بقدّم "**البَلْدِيَة**"الجدد حتّى للباحث ذاته أي الغريب عن المنطقة،على أنّ ما يربطهم بالحفصية أو بموقعهم منها هو **رابط تاريخيّ ووجداني**، يعني ذلك أنّها تتعمّد تقديم نفسها كفئة لها تاريخها الذي هو جزء من تاريخ المكان أي بحثا عن شرعنة وجودها واندماجها بالمكان الذي قناته الفضاء الخاص[1] **(Zanned**,1995,B) أي المسكن، هذا الجسر التواصلي بين شاغله وذاكرته وأحلامه وأهدافه وبينه وبين فضائه المحيط يصبح معه استناد التحليل لهذه الوحدة الفضائية كحقل ثقافي ورمزي مطلبا لمقاربة فعل الذوات الإجتماعية في فضائها وآثار ذلك على النسيج العمراني والبنية المعمارية والجمالية للفضاء المديني، لكن أن تكون الدار في ذات الوقت ذاكرة حيّة وفضاء إقامة لا يعني أنها تشكّل نواة تمثّلها، فأغلب عيّنة "**البَلْدِيَة**" الجدد يقدّمون الدار كعالمهم الخاص أكثر منه ذاكرة حيّة.

يلتقي أقدم "**بَلْدِيَة**"الحفصية اليوم مع"**البَلْدِيَة**"الجدد في منطق المعادلة بين تصوّرين للدار،إلاّ أنّ أقدم "**البَلْدِيَة**" يتمثّلون الدار أو المنزل كعالم خاص وذاكرة حيّة في الآن ذاته أي كماض وحاضر وبالتالي لا ينفصل،في تصوّرها التاريخي والآني: الذاكرة والمعاش، أمّا الجدد فيتمثّلون فضائهم الخاص كمكان إقامة وذاكرة حيّة في نفس الوقت لكن مع غلبة كونه نهاية عالمها الخاص.

يغيب منطق المعادلات بالنظر إلى متغيّر الجنس، حيث أن الذكور مثلما الإناث من مختلف المستويات المادية والأجيال والمستويات الثقافية تكشف، على العكس، عن نزعة الترتيب التفاضلي، فإذا كان يتنزّل كون الدار مجرّد فضاء سكن، في أسفل ترتيب الأولويات الذي تضعه الذكور، فإنّ الإناث يتمثّلن الفضاء الخاص الذي يشغلونه كمكان إقامة وبدرجة أقلّ كونها فضاء خاص،ثم إنّ حضور الفضاء الخاص في تصوّرها كذاكرة حيّة ومتحف تاريخ الجماعة المرجع أو جماعة الانتماء، ليس غائبا ولا ضعيفا ولكن يتموقع في أسفل ترتيبها التفاضلي.

فما معنى أن يكون هذا الخاص لدى الإناث، خلافا للذكور، فاقدًا لبعده الدلالي وملتصق بمعناه المادّي أو الوظيفي العملي عكس المفترض،لا شكّ أنّ لهذه البراغماتية دلالات اجتماعية، فيمكن أن يشكّل تراجع العلاقة التقليدية اليومية بين الأنثى والدار والتي تصل إلى نظرة المجتمع إليها والأدوار التي يسندها لها، بفعل تعلّم المرأة أو الأنثى وخروجها للعمل-المساواة التعليمية/ الاختلاط المجتمعي، عاملا مفسّرا لهذا التمثّل الأنثوي بين الفضائي والاجتماعي. فالدار لديهن مقر إقامة ينفصل بهذا المعنى عن كونه امتداد للخارجي: العام والمشترك أو تواصل رمزي له باعتبار انه لا يشكّل لديهن ذاكرة فضائية حيّة تعيد إنتاج العلاقة الحميمية أو الرمزية والوجدانية بالمكان الذي هو المشترك.

[1]،Bouchrara Zanned (T.)،**Tunis une ville et son double**, MTE, 1995, p 62.

إلاّ أنّ توقّف المقاربة السوسيولوجية عند هذا المنحى الماكرو سوسيولوجي في التحليل هو إقصاء للذات الإجتماعية باعتبارها لا عونا للمنظومة المجتمعية بل فاعلا يحيل فعله الاستراتيجي إلى تحديدية **Déterminisme** تجد مرجعيتهافي اجتماعية الفعل **Socialité de L'acte** بمنطق المدرسة النظامية ولكن أيضا إلى أفكار وأهداف وأحلام الذات التي تمارس توجها قيمي ومعياري لفعلها في الفضاء.

هذا البعد التحليلي هو الذي يواجه التحليل السوسيولوجي مع البعد اللا شكلي والعفوي في التحضّر الذي تمظهر المدن المغاربية اليوم وخاصّة التاريخية آثاره على الفضاء بأبعاده العمرانية وما تطرحه من مشكلات التمدّن السريع والكثافة السكّانية وعدم تجانس النسيج العمراني مثلما معمارية أو البنية المعمارية للمدينة التي تحيل إلى هذا البعد الفاعل الذي هو العفوي، المفضي إلى المستعمل والاستعمال بكلّ دلالاته ومرجعياته الثقافية والرمزية وانعكاساته على المظهر الجمالي للمدينة المشكّل لأحد أبعاد الفعل في الفضاء.

يتّفق تمثّل الذكور لفضائهم الخاص والترتيب التفاضلي الذي تقيمه مع تمثّل ذوي الأصول الحضرية أي تمثّل الدار أو الفضاء الخاص ككون ذاتي لشاغله أكثر منه ذاكرة حيّة وكذاكرة حيّة أي تاريخ أكثر منه فضاء احتواء سكني أو إقامة **Résidence**.فآخر ما تفكّر فيه هو اعتبار مادية المكان أو نفعيته. إنّ أكثر الفاعلين تعاطي لفضائهم الخاص كذاكرة حيّة أي ضمن ما تقترحه ماديّا كتواصل هو رمزيّ مع ذاكرة الجماعة للفضاء وتاريخها،هم من ذوي الأصول الريفية. فهؤلاء لا يزالون يتمثّلون الدار كفضاء تواصل مع الذات وبالتالي مع كلّ ما يوصلها مع ماضيها ومع تاريخها من أشياء وممارسات لهذا الداخل أو الخاص وفي علاقة بامتداده الفضائي،فالريفي يتعامل مع الامتداد الخارجي (الأمامي) للدار كجزء من الخاص رغم أنّها لا توظّفها لكنّها ترفض أن يشغله الآخر، ففي ذلك تضييق لحريّتها حتّى وإن كان هذا الاستعمال لا يفضي بأي شكل من الأشكال إلى اقتحام الداخل/الحرمة أو الممنوع للمكان.حرمة المكان جزء من ثقافتها ينعكس في صورة الفضاء وتوزيعه إلى داخل وخارج/خاص وعام لا يعيد إنتاج الفواصل الماديّة للمكان،فالفواصل أو الحواجز هي رمزية لكونها تفضي بنا إلى القيم والمعايير وإلى التمثّلات والدلالات التواصلية أكثر منه المادية أو الجمالية لذاتها، يؤكّد هذا التجانس بين الدلالات الرمزية والاندماجية لبلورة الفضاء الخاص لدى كلّ الفئات المبنية نظريا بالنظر إلى متغيّرات المستوى المادي والأصول الفضائية وأقدمية التواجد ومتغيّر الجنس من ناحية والتمثّل أو التصوّر للفضاء الخاص من ناحية أخرى، صحّة الفرضية التي انطلقنا منها في هذا البعد التحليلي لعلاقة الفاعل بفضائه الخاص والعام، المبني والفارغ، الظاهر والمخفيّ.

يشكّل هذا التوافق بين التمثّل والاستعمال (بعدي العلاقة بين الفاعل وفضائه الخاص هنا) مادّة اختبار تؤكّد صحّة فرضية أنّ استعمال الذوات الإجتماعية لفضائها الخاص يتجاوز مظهره المادي ليحيل رمزيّا إلى تمثّل وتصوّرات الفاعلين لفضائهم ولذواتهم على أنّ فعلها في فضائهم يحيل إلى التمثّل ولكن أيضا إلى أهداف وغايات الفاعلين من فعلهم هذا ومن تواجدهم ضمن الحيّ.

٦ - الانفتاح الحذر والانغلاق المرن :استراتيجية اندماج وتواصل :

إنّ تاريخ وتقاليد الجماعة كما يقول **"لاباس" La Basse** التي هي تاريخ " وتقاليد المدينة" [1] **(La Basse,1971)** تتعيّن في الجمالي مثلما تؤثّر على السلوك المديني وتفسّر أشكال التواصل مع الفضاء الخاص الذي هو الدار، يستدعي هذا التواصل، في اللحظة، تاريخ الذات مثلما تاريخ المكان[2]، هو تواصل مع الذات يتمظهر ماديّا وجماليا وبالتالي رمزيّا في ما أسميناه بالواجهة أي الوجه أي المعطى للآخر أو هو مشهد يصيغه شاغل الدار بالنظر إلى

[1]،La basse(J.),**L'organisation de L'espace**, éléments de géographie volontaire, paris، éd Hermann, 1971,p284.
[2]،Bouchrara Zanned (T.),**La ville Mémoire**, paris، éd méridiens Klincksieck،1994, p74.

مخزونه أو الإيتوس**Ethos** أي روح الجماعة أو روح ثقافة الجماعة[1]**.**هذا ما أثرناه في الفقرات السابقة بالنظر إلى جملة من المتغيّرات،لكن ما نستدعيه هنا هو تساؤل إشكالي سبق طرحه نظريا وفيما يتّصل بإشكالية العلاقة بين الفضاء المديني وشاغليه يتعلّق بالجانب العقلاني في السلوك الفضائي للفاعلين الاجتماعيين،على أنّ القصد من عقلانية الفعل في الفضاء هو البعد القصدي للتدخّل في معمارية الدار:في أشكال الزخرفة الفنيّة التقليدية للدار التي تقع في الأحياء القديمة منطقة الحفصية أو الحديثة في المساكن المشيّدة منذ ١٩٧٣م إلى اليوم مثلما في مورفولوجيته .

هناك تداخل بين التواصل مع ماض تختزنه الذاكرة في الفضاء والتواصل مع الآخرين عبر هذا الجزء من الدار أي الواجهة[2] **Halbwachs**).(1950) ويتغاير هذا التداخل ويتّخذ أشكالا متعدّدة بين أجيال **"بلدية"** الحفصية وبين فئاتها الإجتماعية وحتّى بالنظر إلى نمط الفضاء الذي يشغله من الحيّ،السؤال الذي يطرح نفسه إذا هو ما الذي يفسّر هذا التغاير في أشكال التمفصل بين الداخل والخارج؟ تنزع الفئة الأكثر حظّا من **"بَلْدِيَةْ "**الأحياء القديمة للحفصية على غرار الجيل الثاني خاصّة، كما أسلفنا، إلى إعادة إنتاج التقليدي والتاريخي الذي يشكّل هوية المكان والذات في انفتاح على الأشكال الفنيّة والجمالية لزخرفة الوجه الخارجي للدار،وعند اختيار عاملية متغيّر الألفة بالفضاء أي أقدمية التواجد بالعبارة المستعملة وقفنا على التراجع الحديث لفائدة التقليدي مع كلّ صعود في سلّم أقدمية التواجد بالحفصية. قد يبدو ذلك بديهيّا، إلاّ أنّ **أي نتيجة هي دالّة** حتّى وإن **اتفقت مع المعلوم** أو المشترك أو المتداول فهمه. وما يبدو بديهيا الآن قد تحوّل إلى عكسه وبالتالي هذا التوافق الممكن بين المعلوم والحاصل التحليلي يبقى، إن وجد ظرفيّا، غير مقلّل من أهمية النتيجة التي يبثّها مبحث تمثّل الذوات الإجتماعية لفضائها الخاص الذي تشغله، فالجيل الثاني **"بَلْدِيَةْ"** الحفصية **يتمثّل الدار كمأوى بدرجة أولى** أي خارج شحنته الرمزية ثمّ بدرجة ثانية كعالم خاص أكثر منها ذاكرة حيّة، وإذا ما قرنّا هذا الاستنتاج بنزعة الجيل الثاني لتحديث الواجهة في إتّجاه يحتفظ بصلة ما بالتقليدي التي تتجسّد مثلا عبر تحديث الباب التقليدي مع الاحتفاظ بالطابع الحاجزي البصري أو العازل لسور الدار أو واجهتها، نقف على ملاحظة هامّة جدّا تتّصل بما أسميناه **بالانفتاح الحذر أو الانغلاق المرن كسلوك استراتيجي تواصلي مع الفضاء العام عبر الفضاء الخاص.**

توظّف هذه الفئة كما أسلفنا، واجهة الدار أي الظاهر من **"خاصّها"** في اتّجاه يمظهر استراتيجية اندماجها في فضائها العام/المشترك. فهي **لا ترغب** أن تقدّم صورة عن **كونها امتداد للسلف** أو شاهدة على ماضي المكان لكنّها في المقابل **لا تريد أن تنفصل أو هي لا تنفصل أصلا عنه**، إنّنا أمام **فعل قصدي موجّه** للسلوك الفضائي لهذه الفئة نحو **رسم شخصيتها المدينية كما تتصوّرها** وتطمح إلى الإيحاء بها فضائيّا للآخرين الذين تتفاعل وتتواصل معهمK يتجسّد هذا الفعل العقلاني الذي هو فعل استراتيجي[3]**(Hogue,1988)** ،رمزيّا بما أنّه يتّخذ من واجهة الدار أي الفضاء المادّي لغة تعبّر بها عن تصوّرها لذاتها وللفضاء العام/المشترك (الحي،الحومة،النهج،الزقاق...)، يوجد **ميشال بانسون Pinçon** صلة بين المسكن وأنماط الحياة. ويعتبر أنّ الفرد يدّل عبر الممارسة رمزيّا عن انتمائه للجماعة وفي ذات الوقت"يوجد عينيّا هذه الجماعة" [4] ،لكن لانقول هنا أنّ الفرد يدلّ عبر الممارسة رمزيّا عن انتمائه للجماعة كما يتصوّره أو كما يريده. ينقلنا هذا التعبير من العلاقة التحديدية التي تجعل من الفضاء انعكاسا لهذا الانتماء إلى علاقة جدلية يتداخل ضمنها الإيتوس الموجّه للفعل الاجتماعي للأفراد وجانب الحرية والعقلانية الفردية التي تجعل من الفضاء

---

[1]،حجازي (عزّت)،زكي بدري (أحمد)،"**معجم مصطلحات علم الاجتماع**":المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة،١٩٧٤،ص ٦٠.

2،Halbwachs (M.)، **La Mémoire collective** ،parispuf ، 1950 , p 50 .

[3]،Hogue(j.p.)،op cit ،p62.

[4]،Revue Française de Sociologie،oct/déc,1981، XXII، N°4, Art، Michel Pinçon،L'habitat et Modes de vie،p50.

لا مجرّد قناة تواصل مع الأنا الجمعي **Moi Collective** أو مع الآخرين بل ترجمة لهذه الاستراتيجية الإندماجية ضمن الفضاء المديني.

تظهر هذه الإستراتيجية الاندماجية تداخل التقليدي والمعاصر، الأصالة والتجديد، المحافظة والتحرّر، هي تصوّر يتجسّد في واجهة الدار للصورة الإجتماعية التي توحيها أو ترمز لها الدار في معماريتها ونمطها المدخل عليه هذه المراجعة من ناحية وصورته لذاته بالماضي والحاضر.فالإنسان لا يتصرّف" كاقتصادي سليم التفكير من غير احتياجات وعواطف ورغبات"[1])،حسب **ألونزو**، بل يستجيب فعله كما يقول **فيراي Firey** لمطالب ثقافية "تفرضها قيم ومعايير ومفاهيم" [2] شاغلي الفضاء الحضري، إلاّ أنّه يتصرّف، من وجهة تفكيرنا، بالنظر إلى أهداف تجعل من فعله في الفضاء (الخاص والعام) فعلا ثقافيّا واجتماعيا وعقلانيّا يتداخل ضمنه الجماعي والفردي، الواعي واللاواعي،المادي والثقافي.

تصنع هذه الإستراتيجية الاندماجية للجيل الثاني"لبلدية"الحفصية التي أسميناها بالانفتاح الحذر والانغلاق المرن،مقياسا لإستراتيجيات الفئات الأخرى، حيث تبيّن ممّا سلف أنّ الفئات المشكّلة بالنظر لمتغيّرات البحث،تتغاير إستراتيجيات اندماجها في فضائها المديني التقليدي أو الجديد بالنظر إلى نمط التمفصل الذي توجده بين الانفتاح والانغلاق (الجسر والباب لدى **زيمل Simmel**) أي التجذّر في الهوية التاريخية للفضاء التقليدي للحفصية أو مدى ودرجة الابتعاد عنها والأخذ بالحديث، فإذا استحضرنا **"البلدية"** الجدد نجد أنّهم لا يحتفظون بذات التمفصل ولكن لا تختلف معه نوعيّا، فهم يتّجهون إلى تغليب جانب الحديث على التقليدي في مستوى الواجهة أي المعطى للآخر مثلما الداخل أي المعطى للذات، فالتقليدي يسجّل حضوره، إذا، على صعيدي الخارج والداخل من فضائهم الخاص وعلى مستوى المعماري والجمالي مثلما المورفولوجي والممارسة،لكن ذلك يتغاير أي يقلّ أو يتكثّف بالنظر إلى متغيّرات المستوى المادي والأصول الفضائية ونوعية الفضاء العام الذي تتموقع ضمنه داخل الحفصية(جديد أو تقليدي).فـ"البَلْدِيَة" الجدد من الفئات الأكثر حظّا ماديّا وشاغلي الأحياء الجديدة هم أكثر ميلا إلى التماثل مع العام والمشترك، بمعنى أنّهم أقلّ نزعة إلى مراجعة وتعديل واجهة الدار، تتكثّف هذه النزعة إذا انتقلنا إلى الأحياء القديمة حيث نجد خليطا لا متجانسا معماريا وجماليّا (أشكال الزخرفة الفنية لواجهة الدار أو الشقّة مثلا) لا على صعيد الحيّ فحسب بل أحيانا كثيرة على مستوى المنزل أو المسكن الواحد، فلا يجب أن نقرأ ذلك على أنّه تعيين مادي للذوق أو تجسّد فضائي لمتعدّد الأذواق حتّى وإن كان من الصواب الوصل بينها إلاّ أنّ ذلك لا يشكّل تفسيرا للظاهرة. فالسوسيولوجيا الحضرية مدعوّة كما أسلفنا إلى قراءة تأويلية لسلوك الفاعل لتعقّل المعنى الذي يعطيه لفعله والهدف الذي يوجّه فعله في فضائه الذي هو فعل في ذاته.

فالتمثّل والقيم والمعايير الجماعية المستبطنة والموجّه لسلوك الأفراد الإجتماعي تتجسّد في استعمالاتهم وكيفيات شغله، لكن واجهة الدار هنا هما لوحة أو مشهد يتداخل ضمنها الجماعي والفردي، الثقافي والمادي،الواعي واللا واعي والتوجيه القيمي للفعل والتوجيه العقلاني، يحيل التوجيه العقلاني إلى جانب القصد في الفعل وبالتالي استراتيجية الاندماج ضمن الفضاء المديني، فالصورة التي تبنّاها واجهة الفضاء التي هي نتاج فعل المراجعة أو التعديل أو حتّى عدم الفعل، هي ما يريد أن يبثّه شاغل الفضاء الحالي إلى الآخرين أي ما يجسّد الجانب العقلاني في كيفية شغله لفضائه.

تتعمّق قناعاتنا بضعف التناول الأحادي أو التفسير المستند لمتغيّر وحيد في تعقّل وفهم الظواهر الحضرية،فمتغيّرات البحث تتداخل كعوامل موجّهة ومفسّرة لسلوك الفاعلين المدينيين إنطلاقا من توظيفها المتغاير لفضائها الخاص/ الداخل ومورفولوجيته، هذا الخاص،إذا هو محور العلاقة بين الذات وذاكرتها وبينها وفضائها الاجتماعي هو جسر

---

[1] مهدي الشويحات (حبيب)،" **ندوة المدن الجديدة**"،منظمة المدن العربية، المعهد العربي لإتّحاد المدن، ١٩٩٣، المجلّد الأوّل،ص ١٦٥ .

[2] ، نفس المرجع،ص ١٦٥.

بالمعنى الزيملي وباب أي الارتباط والانفصال،الانفتاح والانغلاق،يتّخذ تمفصل العلاقة أشكالا تحيل إلى جماعات معيّنة، فلكلّ جماعة اجتماعية موقعها ووضعيتها التي تتصرّف بالنظر إليها،ويحيل تصرّفها هذا الذي يقرأ عبر معاشها الفضائي اليومي إلى تمثّلاتها وتصوّراتها وذاكرة الفضاء الخصوصية مثلما إلى آمالها وطموحاتها التي تتحدّد كأهداف تصيغ الذوات الإجتماعية استراتيجيات متعدّدة،يشكّل استعمالها لفضائها الخاص وفعلها في الخارجي منه أي واجهته بمتعدّد مستوياته وحدة التأويل لفهم وتعقّل هذا التوجيه العقلاني لفعلها في فضائها.

قائمة المراجع :

المراجع العربية:

٦٣) بينوس بن بشر الجلولي (ف)،عبد الفتاح (ج)،"**تونس**"،طبع دار الجنوب للنشر،١٩٨٥م.

٦٤) حجازي (عزّت)،زكي بدري (أحمد)،"**معجم مصطلحات علم الاجتماع**"،المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية،القاهرة،١٩٧٤م.

٦٥) محمد الحسن (حسّان)،"**معجم علم الاجتماع**"،دينكن ميشيل، منشورات وزارة الثقافة والإعلام،الجمهورية العراقية .

٦٦) ندوة المدن الجديدة،"**منظمة المدن العربية**"،المعهد العربي لإنماء المدن،المجلّد الأوّل،١٩٧٣م.

٦٧) زبيس(م.س)،"**مدينة تونس العتيقة**"،المعهد القومي للآثار والفنون،تونس١٩٨١م.

٦٨) وزارة التجهيز والإسكان،"**التقرير الوطني لمؤتمر الأمم المتّحدة الثاني حول المستوطنات البشري**"،تونس ١٩٩٦م.

Bibliographie française

1-Abdelkefi (Jallel.) , **Ma Médina De Tunis** , Espace Historique , Tunis Alif , 1989.

٢-Aron (Raymond.) , **La sociologie Allemande Contemporaine** , paris puf , 1981.

Ω Les Etapes de la Pensée sociologique, éd Gallimard, 1967.

Ω Les Grandes Doctrines De La sociologie Historique, vol II, paris CDU, 1962,.

3- Aron (R.), Boudon (R.),Ansart, **La sociologie**, éd Larousse, 1978.

4- Association de sauvegarde de la médina, **Réhabilitation de la Médina**, projet pilote, Hafsia – Kherba, 1984.

5- Bouchrara Zanned (T.) :

Ω Symboliques Corporelles et espaces Musulmans, Cérès production ,1984.

Ω Tunis, une ville et son doubles, éd MTE, 1995.

Ω La ville Mémoire, paris, éd Méridien Klincksieck, 1994.

Ω Essai D'Analyse socio – Morphologique, La Relation entre Les pratiques Corporelles Féminines et le cadre Urbain à Tunis, Thèse 3eme cycle.
6- Boudon (R.), **La Logique Du sociale**, éd hachette Littérature, 1979.
7- Bousquet (G.M.), **Précis De sociologie D'après Vilfrédo Pareto**, paris Payot, 1925.
8- Bruyne (P.), Herman (J.),schantheeté (M.), **Dynamique de la recherche en sciences sociales**, paris puf, 1974.
9- Cayrol (J.), **De L'espace Humain**, éd seuil, 1968.
10- Chevallier (D.), **L'espace sociale de la ville Arabe**, Paris, éd Maisonneuve et Larose, 1979.
11- Collectif, **La ville Arabe Dans L'islam**, sous direction de Dominique Chevallier.
12- Cuvillier (Armand.), **Manuel de sociologie**, paris puf, 1968.
13- Daoulatli (A.), **Tunis sous Les Hafsides**, INAA, Tunis, 1971.
14- Dartigues (A.), **Qu'est – ce – que La phénoménologie**, Toulouse Privat, 1972.
15- Dumant (J.), vandoaren (D.), **La sociologie T II éd Gerand et c°,** 1972.
16- Durand (Gilbert.), **Les structures Anthropologiques de L'imaginaires**, berdas, 1969.
17- Durkheim (E.)
Ω Les formes de la vie Religieuse, paris puf, 1968.
Ω Textes, T1, Eléments D'une Théorie sociale, paris Minuit, 1975.
18- Duverger (M.), **Introduction à la politique**, paris, Gallimard, 1964.
19- Duvignaud (J.), **Anthologie des sociologues Français,** paris puf, 1970.
20- Ferrier (J.L.), **Sémiotique de L'espace**, paris, Denoël Goutier, 1979.
21- Fitcher (J.), **La sociologie**, Notions de base, paris, éd universitaire, 1960.
22- Freund (J.), **Les Théories des sciences Humaines**, paris puf, 1973.
23- Goffman (E.), **Les Rites D'Interaction**, éd Minuit, 1974.
24- Grawitz (M.), **Méthodes des sciences sociales**, paris, éd Dalloz, 1979.
25- Gurvitch (G.) :
Ω Déterminismes sociaux et liberté humain, paris puf, 1945.
Ω La sociologie au XX éme siècle, paris puf, 1947.
Ω La vocation Actuelle de la sociologie, vol I, paris puf, 1963 .
26- Halbwachs (M.) :
Ω La mémoire collective, paris puf, 1950.
Ω Les cadres sociaux de la mémoire, paris puf, 1952.
27- Herman (J.), **Les Langages de la sociologie**, paris puf, 1988.
28- Herpin, **Les sociologues Américains et le siècle**, paris puf, 1973.
29- Hogue (H.P.), Levesque (M.), Morin (E.M.), Groupe, **Pouvoir et communication,**puq ,1988.
30- Janne (H.), **Le système sociale**, éd ISULB, 1968.
31- Jeudy (H.P.), **Mémoires du social**, paris puf, 1986.

32- Labasse (J.), **L'organisation de L'espace**, Eléments de géographie volontaire, éd Hermann, paris, 1971.
33- Lacan (J.), **Le séminaire**, éd le seuil, 1973.
34- Laroui (Abdallah.), **Les origines sociales et culturelles du nationalisme Marocain**, paris, 1977.
35- Ledrut (R.), **sociologie Urbaine**, paris puf, 1979.
36- Lefebvre (H.) :
Ω Critique de la vie quotidienne, paris, éd L'arche éditeur, 1961.
Ω La Production de L'espace, éd Anthropos, 1974.
Ω La vie quotidienne dans la Monde Moderne, éd Gallimard, 1968.
37- Maffesoli (M.) :
Ω La conquête du présent, paris puf, 1979.
Ω La Mise en scène de la vie quotidienne, La logique de la domination, paris Puf, 1976.
Ω L'ombre de Dionysos, paris, Librairie des Méridiens, 1985.
38- Mann (p.), **L'action collective**, Mobilisation et organisation desMinorités actives, édArmondcolin, 1991.
39- Marcuse (H.), **Eros et civilisation**, éd Minuit, 1968.
40- Mauss (M.), **sociologie et Anthropologie**, paris puf, 1968.
41-Merlin (P) ; Choay (F) : **Dictionnaire de L'urbanisme et de L'aménagement** ; Paris puf ; 1988.
42- Merrackchi : **Histoire des Almohades** ; E.fagnan ; Jourdan ; Alger ; 1893.
43- Morin (E) : **Le cinéma ou L'homme L'Imaginaire** ; éd Minuit ; 1966.
44- Pailhous (J) : **La représentation de L'espace urbain** ; paris puf ; 1970.
45- Parsons (T) :
Ω Éléments pour une sociologie ; paris plan ; 1955.
Ω Le système des sociétés Modernes ; éd Dunad ; 1973.
46- Pennec (P) : **Les Transformations des corps de Métiers de Tunis** ; Tunis INEA ; 1964.
47- Perrin (Guy) : **sociologie de Pareto** ; paris puf ; 1966.
48- Pharo (P), Quéré (L) : **Les Formes de L'action** ; éd EHESS ; paris ; 1990.
49- Poggeler (O) : **La Pensée de Matin Heidegger**.
50- Ponty (Merleau) : **Existence et Dialectique** ; paris puf ; 1971.
51- Rocher (Guy) : **Introduction à la sociologie générale** ; Vol I ; L'action sociale ; éd HMH ; 1968.
52-Signolles (P) : **L'espace Tunisien : capitale et état région** ; Tours Urbama ; 1985.
53- Simmel (G) : **Sociologie et épistémologie** ; paris puf ; Trad. casparin (L) ; 1981.
54- Sorokin (M) : **Les Théories sociologiques contemporaines**.
55-Tessier (R) ; Tellier (Y) : **Changement planifié et évolution spontanée** ; paris puq ; 1991.

56- Touraine (A) :
Ω Le retour de L'acteur ; éd Foyard ; 1984.
Ω Pour La sociologie ; éd de seuil ; paris ; 1974.
Ω Sociologie de L'action ; paris seuil ; 1965.
57- Weber (Max) : **économies et société** ; paris plan ; 1971.

Périodiques :

58- Annales:N°3Mai;juin;1970.
59- Espaces et sociétés:N°2 Mars ;1971.
60- L'espace géographique:N°1; Jan-Mars; 1975.
61- L'espace géographique:N°1;1985.
62- Revue Française de Sociologie N°4; Oct-Déc; 1981.

دور ضغوط العمل في تفشي المشكلات الاجتماعية والمهنية لدى الشباب الجزائري

أ.رانية هادف/جامعة باجي مختار عنابة،الجزائر.

ملخص:

من المعروف أن الضغوط عامة وضغوط العمل خاصة تمثل خطراً على صحة الفرد وتوازنه، كما تهدد كيانه النفسي، وما ينشأ عنها من آثار سلبية،كعدم القدرة على التكيف وضعف مستوى الأداء والعجز عن ممارسة مهام الحياة اليومية، وانخفاض الدافعية للعمل والشعور بالإنهاك النفسي وغيرها من المشكلات المهنية التي تحتل الصدارة في عصرنا هذا لاسيما في منظمات العمل الجزائرية، وعلى حد علم الباحثة أن موضوع ضغط العمل قد تم معالجته من نواحي عدة كونه أصبح مرض العصر الخفي كما يرى العديد من الباحثين في علم النفس، غير أنه لم يتم ضبط أهم المشكلات الناجمة عنه بصفة خاصة على شريحة الشباب التي تعتبر بمثابة القلب النابض للمجتمع عامة والمنظمة خاصة، لذلك قد عمدنا في هذا البحث إلى محاولة الإلمام بأهم المشكلات الاجتماعية والمهنية التي يعاني منها الشاب الجزائري داخل بيئات العمل والوقوف على أسبابها و مصادرها، مع وضع بعض استراتيجيات إدارة تلك الضغوط والتخفيف من حدتها وتحقيق نوع من التوافق النفس مهني، والنفس- اجتماعي، حفاظاً على الصحة النفسية والصحة التنظيمية للشاب الجزائري والمنظمة على حدٍ سواء .

الكلمات المفتاحية:ضغوط العمل،المشكلات المهنية.

مقدمة :

تميز العصر الحالي بجملة من متغيرات سريعة ومتلاحقة أدت إلى العديد من المشكلات والصراعات النفسية التي تواجه الفرد في تواصله مع الآخرين، بحيث لم تعد الحياة سوى مباراة اجتماعية يتحتم فيها أن يكون الفرد على قدر عالٍ من الكفاءة لمواجهة هذه الصراعات، وعليه تعد الضغوط أحد المظاهر الرئيسية التي تتصف بها حياتنا المعاصرة، وهذه الضغوط ما هي إلاّ انعكاس للتغيرات الحادة التي طرأت على كافة مناحي الحياة، والمجتمع الجزائري ليس عن غنى عن ذلك حيث عرف هو الأخير جملة من التغيرات التي ساعدت على تبدد الكثير من القيم وتناقضها بين متطلبات الفرد ومتطلبات المجتمع وهذا ما أدى بتحصيل حاصل إلى ظهور العديد من السلوكات السلبية التي ساهمت إلى حد كبير في انتشار مظاهر القلق، والاكتئاب، واضطراب العلاقات الإنسانية ناهيك إلى الشعور بعدم الاستقرار والأمن النفسي وتلك السلوكات بدورها أصبحت بمثابة مشكلات يعيشها الشاب الجزائري داخل منظمات العمل أثرت على درجة أدائه ودافعيته للعمل، ومن أهم المشكلات الاجتماعية التي يمكن أن تعترض الشاب الجزائري نتيجة لضغوط العمل مايلي:

- دوران العمل.
- التغيب.
- التمارض.
- عدم الاستقرار والتوافق المهني.
-كثرة حوادث العمل.

- الاغتراب المهني،وغيرها من المشكلات الناتجة عن ضغط العمل والتي سنحاول الوقوف بشيء من التفصيل على أهمها.

ومن خلال هذه الورقة البحثية سنحاول تسليط الضوء على مايلي:

١ -مفهوم ضغوط العمل.
٢ -أسباب ومصادر ضغوط العمل.
٣ -أهم المشكلات الاجتماعية المهنية الناتجة عن ضغط العمل.
٤ -أهم الآليات والميكانيزمات لإدارة تلك الضغوط لتحقيق التوافق المهني والمحافظة على صحة الشاب الجزائري داخل بيئة عمله.

أولاً/ مشكلة الدراسة :

بما أن التغيير السريع والمستمر هو السمة الواضحة لهذا العصر فإن النتيجة الحتمية لذلك هي ما يتعرض له العاملون(فئة الشباب) في المنظمات بمستويات متفاوتة من الضغوط والتوترات التي تترك آثارها النفسية والاجتماعية على كل من الفرد والمنظمة والمجتمع بصفة عامة، فكثيراً ما يواجه العاملون وخاصة منهم فئة الشباب في المنظمة مواقف وظروف يتعرضون خلالها لحالات من الاضطراب والقلق والخوف والإحباط والغضب مما يؤثر سلباً على حالتهم الصحية والنفسية والاجتماعية ، بالإضافة إلى انعكاس ذلك على مستويات أدائهم، ومن ثم عدم القدرة على تحقيق الأهداف التنظيمية.

وبما أن الشاب الجزائري في بيئته الخارجية يتعرض لضغوط متباينة من حيث القيم والمعتقدات إن لم نقل بين متطلبات المجتمع وثقافته التنظيمية بشكل عام وبين قيمه الخاصة، بالإضافة إلى بيئة عمله الداخلية التي تزخر بالعديد من المصادر المتنوعة التأثير من حيث سلبية النتائج التي قد تنعكس أحياناً على ذاته وتسبب له مشكلات مهنية تؤثر سلباً على صحته النفسية والاجتماعية من ناحية وعلى فعالية المنظمة من ناحية أخرى وتخلق نوع من الاغتراب المهني بين الفرد ومنظمته.

وعلى هذا الأساس تأتي دراستنا هذه لتسليط الضوء على أهم مصادر الضغوط الحياتية إن لم نقل ضغط العمل وتأثيرها السلبي على خلق بعض المشكلات المهنية التي تؤثر سلباً على حياة الشاب الجزائري من جهة وعلى المنظمة والمجتمع بشكل أوسع.

ثانياً/ أهمية البحث:

تكمن **الأهمية العلمية والنظرية** لهذه الدراسة في :

- إن موضوع الضغوط بصفة عامة وضغوط العمل تحديداً من المواضيع الهامة التي تتعلق بعنصر مهم في المنظمات والعمود الفقري لتفعيل مشوار التنمية في أي بلد كان وهو العنصر البشري الذي يعتبر الأساس الذي تقوم عليه المنظمات، وخاصة-شريحة الشباب- حيث أن الاهتمام بهذا العنصر بشكل فعّال ينعكس على الفرد والمنظمة وذلك لتحقيق الأهداف المرجوة .
- محاولة الوقوف على أهم المشكلات المهنية التي يعاني منها الشاب الجزائري داخل بيئة العمل يساعد على وضع استراتيجيات لإدارة تلك الضغوط والتقليل من حدتها حفاظاً على قيمة المورد البشري وتحقيق له قدر مناسب من الصحة النفسية التي تساعده على مواصلة مشوار الحياة بشكل سليم.

ثالثا/ مصطلحات ومفاهيم البحث:

١-تعريف الضغط:

أ-لغةً: عرف **عبد المنعم الحنفي** الضغط على أنه"حالة المحنة، تعصّب المرء أو تشدّ وتعصف ويقال الأمر عصيب، أي أنه يتوتر ويقلق وتستنفر دفاعاته البدنية و النفسية للتهيؤ مع الموقف العصيب فيخفف عن توتره وقلقه ويستعيد التكامل و التوازن الذي كان له[1].

ب-اصطلاحاً: الضغوط مفهوم يشير إلى درجة استجابة الفرد للأحداث أو المتغيرات البيئية في حياته اليومية التي قد تكون مؤلمة تحدث بعض الآثار الفيزيولوجية والتي تختلف في مستواها من شخص لأخر تبعاً لطبيعة جوانبه الشخصية التي تميزه عن الآخرين،هذا المفهوم بدأ استخدامه بشكل واضح من طرف علماء النفس في بداية القرن العشرين وشاع استخدامه في كتب الصحة النفسية والطب النفسي على يد"**هانز سيلاي**" وقد استقطب هذا المفهوم اهتمام العديد من الباحثين بمختلف تخصصاتهم لذلك السبب اختلفت تعاريفه وفيما يلي نذكر أهمها:

من الدراسات الأولى التي عرفت الضغط النفسي **(Stress)** دراسة **هانزسلي (Selye, 1976)** التي عرفته بأنه رد فعل فسيولوجي لأحداث خارجية مهددة،والمقصود برد الفعل الفسيولوجي أي عرض جسمي كالتقيؤ وفقدان الشهية والإسهال والأرق وغير ذلك من الأعراض الجسمية التي تعقب التعرض لتغير كبير في الحياة الشخصية بشكل سلبي كالطلاق والتهجير والنفي والسجن، وقد تكون الضغوط أقوى من ذلك كالتعرض لحادث مروع سواء كان طبيعياً كالكوارث الطبيعية أم ناجماً عن فعل إنساني كالحروب والعنف السياسي[2].

وعرف **لازاروس وفولكمان (Lazarus & Folkman, 1984)** العامل الضاغط **(stressor)** بأنه أي منبه خارجي يقومه شخص ما بأنه فوق طاقته ويتعدى قدراته وموارده ويضر بوجوده[3]. وقد ميز **لازروس** بين الضغوط الفيزيقية(الظروف البيئية)، مثل الحرارة أو البرودة الشديدة الإصابات الجسمية، والضغوط النفسية الاجتماعية كتلك التي تضر بالذات.

ومنه فالضغط مصدره يكون خارجي مرتبط بأحداث الحياة الضاغطة بحيث يصعب على الفرد التوافق معها كاستجابة حتمية لسوء التوافق الناتج عن ذلك نجد مجموعة متنوعة من الاستجابات النفسية، الفيزيولوجية، الاجتماعية والعقلية.

أما **بتروفسكي ياروشفسكي** فيرى أن الضغط مفهوم يستخدم للدلالة على نطاق واسع من حالات الإنسان الناشئة كرد فعل لتأثيرات مختلفة بالغة القوة ككثرة المعلومات التي تؤدي إلى إجهاد انفعالي خاصة إذا تم إدراك كل من التهديد والخطر، وبالتالي تؤدي إلى تغيرات في طبيعة العمليات العقلية، والتفاعل بين ما هو انفعالي و عقلي غالباً ما يؤدي إلى

---

[1] ، عبد المنعم الحنفي،"**موسوعة الطب النفسي**"، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٥، ص ١٢٥.

[2] ، Selye ,H ,"**the stress of life**", Mc Graw‹Hill Company, New‹York‹Springer ١٩٧٦,

نقلاً عن مصطفى عشوي، "**تأثير ضغوط الحرب في مذاكرة الطلاب الجامعيين**"، مجلة الثقافة النفسية المتخصصة، المجلد ١٦، رقم ٦٣، جامعة الملك فهد، ٢٠٠٥، ص ٢٩.

[3] ،Lazarus ,R .S & Folmmans , "**Stress apparaisal and Coping**", New‹York, Springer 1984.P23.

نقلاً عن مصطفى عشوي، مرجع سابق، ص٢٩.

سلوكي لفظي وحركي قاصر[1]. أي أن الضغط ينشأ بفعل عوامل ومنبهات خارجية تؤدي إلى انفعالات شديدة قد تكون لفظية أو حركية تتميز بعدم تلاؤمها مع حجم تلك المنبهات.

ويرى بيرفن (pervin1968) أن الضغط "هو العلاقة بين الفرد والبيئة وعند ما يدرك الفرد أن إمكانياته تكفي للتعامل مع مطالب البيئة لكن بعد بذل الكثير من الجهد يشعر في تلك الحالة بمقدار متوسط من الضغط أو عندما يدرك أن إمكانياته لا تكفي لسد الحاجات البيئية فإنه في ذلك الحالة يعاني من الضغوط بشكل كبير"[2].

- ويذهب **طلعت منصور وفيولا البيلاوي** إلى أن الضغط "هو تلك الظروف المرتبطة بالتوتر والشدة الناتجة عن المتطلبات أو التغيرات التي تستلزم نوعاً من إعادة التوافق عند الفرد، وما ينتج عن ذلك من آثار جسمية ونفسية"[3].

- ويشير **(علي عبد السلام)** إلى أن الضغوط النفسية عبارة "عن سلسلة من الأحداث الخارجية التي يواجهها الفرد نتيجة للتعامل مع البيئة ومع متطلبات البيئة المحيطة به وتفرض عليه سرعة التوافق في مواجهة لهذه الأحداث لتجنب الآثار النفسية والاجتماعية السلبية والوصول إلى تحقيق التوافق مع الحياة"[4].

بناء على التعاريف السابقة يمكننا اعتبار الضغط على أنه ظاهرة إدراكية تحدث نتيجة لإدراك الفرد بعدم وجود توازن بين مهامه أو متطلباته وما تقتضيه المواقف المختلفة، ويستخدم مفهوم الضغط للدلالة على حالتين مختلفتين تشير **الحالة الأولى** إلى الظروف التي تحيط بالفرد في بيئة عمله فتسبب له الضيق والتوتر، أما **الحالة الثانية** فإنّها تشير إلى ردود الفعل الداخلية التي تحدث بسبب هذه المصادر والمتمثلة في الشعور الغير سار الذي ينتاب الفرد.

ويحدّد بعض الكتاب **خصائص رئيسية للضغط النفسي** تشمل ما يلي:

- الضغط قد يكون إيجابياً أو سلبياً.
- الضغط محصلة للتفاعل بين الفرد وبيئته.
- الضغط نتيجة لظروف مادية واجتماعية ونفسية وسلوكية.
- أن الضغط ذو طبيعة تراكمية حيث تؤثر القوى الضاغطة بشكل وحدات إضافية لمستوى الإجهاد الفردي[5].

١ –وتلك الخصائص تعني أن للضغط أثار قد تكون إيجابية، كما قد تكون سلبية وبالتالي فإن وجود مستوى معين من الضغط لا يشكل ظاهرة مقلقة، لكن ارتفاع مستوى الضغط قد يرافقه بعض الآثار السلبية على صحة الفرد والتنظيم حيث يمكنه أن يصبح محركاً فاعلاً أو فعالاً في التنظيم إذا عولج بطريقة بناءة، فهو حالة أساسية في حياتنا كما أكدته العديد من النظريات.

٢ –المفاهيم المرتبطة بالضغط النفسي:

ونقصد بها أهم المصطلحات ذات الصلة المباشرة بمفهوم الضغط النفسي والتي ترتبط بمفاهيم أربعة تتمثل في كل من القلق، والإحباط، والإجهاد النفسي، والاحتراق النفسي.

---

[1]، السيد عثمان فاروق، "**القلق وإدارة الضغوط النفسية**"،دار الفكر العربي، ٢٠٠١، ص١٨.

[2]، وليد السيد أحمد خليفة، مراد عيسى سعد، "**الضغوط النفسية والتخلف العقلي في ضوء علم النفس المعرفي** "، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٨، ص١٢٦.

[3]، طلعت منصور، فيولا البيلاوي، "**قائمة الضغوط النفسية للمعلمين**"، دليل للتعرف على الصحة النفسية للمعلمين،كراسة التعليمات، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٦.

[4]، وليد السيد أحمد خليفة، مرجع سابق، ص١٢٦.

[5]، الهاشمي لوكيا، "**الضغط النفسي في العمل**"،مجلة أبحاث نفسية وتربوية، العدد السادس، قسنطينة، الجزائر ،٢٠٠٢، ص ١١.

٢-١ القلق:

هو حالة من الخوف الشديد الغامض الذي يمتلك الفرد و يسبب له الكثير من مشاعر الضيق والأمن والانزعاج، فالشخص القلق يتوقع الشر دائما ويبدو متشائما ومتوترا الأعصاب ومضطربا كما يتميز بفقدان الثقة بالنفس كما تبدو عليه كل من مظاهر العجز في البث في القضايا المختلفة وفقدان القدرة على التركيز[1].

ويعرف **حامد زهران** القلق بأنه"حالة توتر شامل ومستمر نتيجة توقع تهديد خطرا فعلي أو رمزي قد يحدث، يصاحبها خوف غامض وأعراض نفسية وعضوية"[2].

انطلاقا من هذا فإن القلق مرتبط بشكل واضح بمفهوم الضغط بل متضمن فيه، ذلك أن هذا الأخير كما سبقت الإشارة إليه يشير إلى عدم التوازن بين الموقف والإمكانيات المتاحة لدى الفرد للتعامل معه مما يؤدي إلى حالة من مشاعر الضيق، الألم والتوتر ..الخ، تترجم إلى سلوك غير مرغوب فيه.

ومن هنا تبرز نقطتان أساسيتان للاختلاف بين ضغط العمل والقلق هما:

أ-أن ضغط العمل يعتبر سبباً مباشراً فلظهور القلق.

ب-في حين أن ضغط العمل له جانبان أحدهما سلبي والآخر إيجابي، فإن القلق يعبر عن الجانب السلبي فقط لضغط العمل.

٢-٢ –الإحباط:

ويعبر عن إعاقة الفرد عن الوصول لأحد الأهداف في تحقيقها، أو منعه من التصرف بالطريقة التي يفضلها للقيام به"[3]، كما يتزايد هذا الشعور كلما تزايد مستوى الضغط الذي يواجهه الفرد، أي أن الاختلافات الأساسية بين الضغط والإحباط تتمثل فيمايلي:

أ-إن الضغط النفسي يمثل سبباً رئيسياً ومباشراً لحدوث الإحباط.

ب-بينما وكما قلنا سابقاً أن ضغط العمل له جانبان أحدهما سلبي والآخر إيجابي، فإن الإحباط يعبر عن الجانب السلبي فقط، علماً وأن الإحباط لا يتولد من ضغط العمل فقط بل هناك **أسباب** أخرى مثل:

١ -التأخر عن تحقيق الهدف.

٢ -نقص الموارد والطاقات الجسمانية والشخصية اللازمة لتحقيق أهداف الفرد.

٣ -فقدان أحد المهارات نتيجة الترقية أو النقل.

٤ -الفشل في تحقيق الهدف ذاته.

ومنه فإن إصابة مستوى الشباب بالإحباط الناشئ عن ارتفاع مستوى ضغط العمل يؤدي لانعكاس ذلك على كافة مستويات المنظمة.

---

[1] ، رمضان محمد القذافي،"**العلوم السلوكية في مجال الإدارة**"، المكتب الجامعي الحديث، ط١، ١٩٩٧، ص ص١١٩،١١٨.

[2] ، زهران حامد عبد السلام،"**الصحة النفسية والعلاج النفسي**"،عالم الكتب، ط٤، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٤٨٥.

[3] ،Gray Johns, "**Organizational Behavior**", Undertanding life at work, Scitt, Foresnan, Boston, 1988, p.p 468،469. نقلاً عن محمد الصيرفي،" **الضغط والقلق الإداري**"، مرجع سابق، ص ص ٤٩،٤٨.

٢-٣ الإجهاد النفسي:

الإجهاد معناه:كرب، إرهاق، ضيق...وهو عبارة عن رد فعل الجسم على عوامل هجومية فيزيولوجية ونفسية وعلى الانفعالات(سارة أو كريهة) تترك في الجسم تأثيرها، ومن هنا كان الإجهاد نتيجة صراع بين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والآلة والطبيعة، وبين المطامع والأمر الواقع[1].

ومنه **فالإجهاد** قوة تشير إلى ذلك الموقف الذي تكون فيه متطلبات البيئة أو ما يطلب من الفرد القيام به على درجة أكبر من الإمكانيات الذاتية ، بحيث لا يستطيع أداء المهام المطلوب منه إنجازها على الوجه الأكمل بسبب الإجهاد الذي يعيشه الناتج أساسا عن الخلل الموجود بين مطالب الحياة المهنية والاجتماعية وخصائصه النفسية، العقلية، الجسدية والاجتماعية مما يتيح فرصة ظهور التوتر والألم بصورة طاغية على حياته النفسية والتي بدورها تؤدي إلى إفرازات فيزيولوجية أهم معالمها كل من التعب والإنهاك، ومن هنا فإن مفهوم الإجهاد النفسي غالبا ما يؤخذ به كمفهوم الضغط النفسي[2].

٢-٤ الاحتراق النفسي:

يشير **الاحتراق النفسي** إلى حالة من الإنهاك أو الاستنزاف البدني و الانفعالي نتيجة التعرض المستمر لضغوط عالية، ويتمثل الاحتراق النفسي في مجموعة من المظاهر السلبية منها الإرهاق، عدم الاهتمام وبالعمل، عدم الاهتمام بالآخرين، الكآبة، الشعور بالعجز و السلبية في تقدير الذات[3].

وقد قام **المركز القومي للصحة والأمن الوظيفي الأمريكي** بوضع الجدول التالي للتفرقة بين الضغط النفسي والاحتراق النفسي[4]:

الضغط النفسي	الاحتراق النفسي
يشعر الفرد بالتعب.	يشعر الفرد بالإجهاد
يعاني الفرد من القلق	يعاني الفرد من التوتر الشديد.
يؤدي للشعور بعدم الرضا الوظيفي.	يؤدي للشعور بالملل، والضيق من العمل.
يؤدي إلى انخفاض الولاء	يؤدي لانتهاء الولاء التنظيمي.

[1]، روبرت هاندي، مارسا ديفى،"**الدليل الكامل للتخلص من القلق**"، فاروس للنشر والتوزيع، دون بلد، ٢٠١٢، ص ١٨٩.

[2] ، Bonnet(M.H) :"**Dealing with shift work**",work an stress ,4,1990,P271.

[3] ، Foret(d) :"**sommeil et horaines de travail irrégulier**",thése ,Lille,CiteparRUTENFRAN Z ET AL ,1977,P58

[4]،محمد الصيرفي، مرجع سابق، ص ٥٠.

التنظيمي.	
يؤدي لتقلب المشاعر.	عدم الرغبة في الحديث مع الآخرين.
يؤدي للشعور بالذنب.	يؤدي بالشعور بالإحباط الذهني.
يؤدي لصعوبة التركيز وكثرة النسيان.	يؤدي لعدم شعور الفرد بأنه كثير النسيان.
يؤدي لتزايد التغيرات الفسيولوجية .	يؤدي للاضطرابات النفسية.

انطلاقاً مما سبق تتضح العلاقة التداخلية والتفاعلية بين كل من الضغط النفسي، الإجهاد النفسي، القلق والاحتراق النفسي،فارتفاع مستوى القلق يؤدي إلى وقوع الفرد في حالة إجهاد نفسي وفي حالة استمرار هذا الإجهاد يؤدي إلى ظهور حالات الضغط النفسي، وفي حالة تكرار هذه الضغوط وبقوة تؤدي إلى الاحتراق النفسي ومن تم ظهور اختلالات مرضية على مستوى شخصية الفرد.

٣ -مصادر ضغوط العمل:

يتعرض الأفراد في أعمالهم إلى مصادر كثيرة لضغوط العمل، سواء كان مصدرها العمل أم خارجه، ككثرة العمل، وروتينيته، وضيق الوقت، ومتطلبات السرعة والدقة في الإنتاج، وبيئة العمل المزعجة، ومشكلات التعامل مع الغير، والعلاقات السلبية مع رئيس العمل، وغير ذلك. غير أن هناك مهناً أكثر عرضة من غيرها للضغوط، أو أنها تتعرض لمصادر ضغط غير موجودة في مهن أخرى، ومهما كان منشأ تلك المصادر.

وترى الباحثة أنه من الصعب حصر مصادر الضغوط النفسية ومسببات الضغوط تحت تصنيف معين نتيجة لكثرتها، تعددها، واختلافها من فرد لآخر، ومن مرحلة عمرية لأخرى، وإن كل مرحلة لها ظروفها وخاصة مرحلة الشباب لما لها من تطلعات مستقبلية وقيم تكاد تكون شخصية كل منها يشكل هوية الفرد بذاته، وأيضا اختلاف مصادر الضغوط من بيئة لأخرى لأن البيئة الاجتماعية والثقافية تلعب دورا ًهاماً فيها، وكل زمن وظروفه كما يُقال، وخاصة وأن المجتمع الجزائري معروف بتداخل ثقافاته الفرعية نظراً للتركيبة الفومونولوجية لأفراده ويرجع ذلك بالدرجة الأولى لمخلفات الاستعمار ووقعه السلبي في تضخيم فجوة الهوة بين أفراده.

وعموماً يمكن تلخيص **مصادر الضغط المهني** في ثلاثة عناصر وهي:

٣-١.العناصر المتعلقة بالبيئة الداخلية للمنظمة والتي تتمثل في:

- مشكلة العلاقة مع الآخرين.
- ظروف العمل الطبيعية(الظروف الفيزيقية)، كالحرارة، والرطوبة، والإضاءة، والضوضاء.
- كثرة التغييرات التنظيمية.
- المناخ التنظيمي (عدم تهيئة بيئة عمل محفزة تزيد من حدة الضغط).

٣-٢.العناصر المتعلقة بالوظيفة:وهي ضغوط تسببها عوامل مرتبطة بالعمل نفسه وليس بالفرد الذي يشغل الوظيفة وأهمها هذه المصادر ما يلي:

- **تعارض الدور:** ويحدث نتيجة تعارض الدور المتوقع من الفرد في عمله والدور المتوقع منه في أسرته، أو نتيجة تعارض ما هو مطلوب منه في عمله.
- **غموض الدور:** ويحدث عندما يكون الفرد غير متأكد من المهام المطلوبة منه وكيفية أدائه لها.
- **كثرة المهام المرتبطة في العمل:** وتحدث عندما تكون المهام أكثر مما يسمح به الوقت،قلة المهام المطلوبة من الفرد.
- **صعوبة المهام:** المهام المطلوبة من الفرد تفوق قدراته وخبراته.

* **ضعف السيطرة على العمل:** أي أن الموظف ليس لديه الحرية والاستقلالية الكافيتين لاتخاذ القرارات اللازمة بشأن عمله [1].

٣-٣-مصادر الضغوط المتعلقة بالفرد: وهي ضغوط تسببها عوامل مرتبطة بالفرد الذي يشغل الوظيفة وليس بالعمل ذاته، وتتمثل فيما يلي:

٣-١.**الحياة الاجتماعية للفرد:** فالضغوط التي يواجهها الفرد في منزله أو مدرسته سوف تنسحب معه إلى عمله وستنعكس على نفسيته وأدائه.

٣-٢.**نمط الشخصية:** تشير الدراسات والبحوث إلى أن الأفراد الذين يتسمون بنمط الشخصية ""أ" أكثر عرضة للإصابة بالأمراض السيكوماتية وخاصة أمراض القلب أكثر من شخصية النمط "ب"[2].

٣-٣. **الخبرة بالعمل:** فالفترة الأولى من عمل الفرد تتسم عادة بعدم الوضوح، وضعف الثقة بالنفس، كون الموقف جديد بالنسبة للفرد ويحتاج إلى إثبات ذاته وكسب ثقته، وكسب ثقة مشرفيه وفريق عمله، لذلك فكلما طالت مدة خدمة الفرد في وظيفته كلما اكتسب خبرة ومعلومات تساعده في كيفية التعامل مع المواقف الضاغطة من خلال الاستراتيجيات المناسبة لشخصيته.

٣-أنواع الضغوط النفسية:

يمكن تقسيم الضغوط من حيث تأثيرها إلى نوعين هما:

٣-١ .الضغوط الإيجابية:

وهي الضغوط المفيدة أو المرغوب فيها حيث يشعر الفرد بالقدرة على الإنتاج وإنجاز المهام بسرعة، كما أن لها أثار نفسية إيجابية، فعلى المستوى الوظيفي قد يتعرض العامل لعديد من هذه الضغوط مثل اجتياز اختيار ما، أو دورة تدريبية معينة للترقية أو للنقل إلى موقع وظيفي أفضل، أو أن يحوز رضا رئيسه المباشر عندما يلتزم بالأداء وفي المواعيد المحددة...الخ، كما أكدت الكثير من النتائج مدى حاجة الفرد العامل إلى ضغوط مثالية للوظيفة والهدف من ذلك هو أنها تستخدم كمنبه أو كأداة تحذير للمشاكل التي تتعرض لها المنظمة و الأفراد بالإضافة إلى تقليل حدة وأثار هذه المشاكل[3].

---

[1]، عثمان حمود الخضر، "**علم النفس التنظيمي**"، رؤية معاصرة، آفاق للنشر والتوزيع، ط١، الكويت، ٢٠١٢، ص ١١٨.

[2]، عثمان محمد الخضر، مرجع سابق، ص ١١٤.

[3]، محمد الصيرفي، مرجع سابق، ص٥١.

وقد أوضح (Forbes) بعض المؤشرات المتعلقة بالضغوط الإيجابية التي تحدث بين الموظفين فيما يلي:

١-ارتفاع حجم النشاط وقوته.

٢-زيادة الدوافع .

٣-تعلم الهدوء، وعدم الانفعال تحت الضوء.

٤-القدرة على إدراك وتحليل المشاكل .

٥-زيادة القدرة على التصرف.

٦-زيادة القدرة على التذكر و التركيز و الاسترجاع.

٧-التفاؤل نحو المستقبل.

ومنه فالضغوط الإيجابية تعتبر أداة مساعدة للفرد نحو توفير الدافع لحل المواقف المتعارضة مع الآخرين بأقل قدر ممكن من الضرر ويمكن للمشرف أن يستخدم هذه المؤشرات لتقدير مسؤوليات الضغوط الواقعة على العاملين معه بحيث إذا اختلفت هذه المؤشرات و ساءت فإن ذلك ينبه بوجود ضغوط سلبية في بيئة العمل يجب الاحتياط لها[1].

٣-٢.الضغوط السلبية:

وهي الضغوط المؤذية ذات الانعكاسات السلبية على صحة و نفسية الإنسان، ومن تم تنعكس على أدائه وإنتاجيته في العمل، مثل تلك الضغوط ندفع في الواقع ثمنها من الناحية النفسية بنوع من الفتور و اللامبالاة والتسيب والسأم، والأرق والنظرة التشاؤمية للأمور...، أو من الناحية الوظيفية مثل انخفاض الإنتاجية و زيادة معدلات الغياب و التمارض وغيرها[2].

ولذلك وجب على القادة والمسئولين التعرف على درجة الضغوط الواقعة على العاملين و التعرف على الضغوط وشخصية الفرد داخل بيئة عمله، كون التكيف مع الضغوط يؤدي إلى زيادة فاعلية الأداء والحفاظ على المورد البشري.

٤ -الأعراض الناجمة عن ضغوط العمل: تتمثل فيما يلي:

٤-١- الآثار السلوكية: ويقصد بها مختلف التغيرات السلوكية الفردية التي تحدث نتيجة موقف مجهد والتي تترجم جانبا أخر هو الجانب الفكري وتحدد جانبا لأخر وهو الجانب المعرفي، كالانسحاب من الآخرين، تدهور الصحة الشخصية، تغير في أنماط السلوك الاعتيادية[3].

٤-٢- الأعراض النفسية: كالقلق، والإحباط، والخوف، والاكتئاب، والاحتراق، والانخفاض في الرضا الوظيفي، والنظرة السلبية للأمور، ضعف التركيز، عدم القدرة على اتخاذ القرارات [4].

٤-٣-الأعراض الجسمية: يظهر تأثير الضغط النفسي على هذه الناحية من خلال مجموعة من الأعراض الجسمية أو النفسية منها: توتر عضلات الرقبة والظهر خاصة ألام البطن التي تؤدي إلى الإمساك أو الإسهال، الاضطرابات الجنسية،

---

[1]، محمد الصيرفي، مرجع سابق، ص٥٢.

[2]،المرجع نفسه، ص٥٤.

[3] سيزلاقي أندرودي، والاس مارك جي، مرجع سابق، ص١٨٩.

[4] عثمان حمود الخضر،"**علم النفس التنظيمي**"، مرجع سابق، ص ١٢٤.

ضيق التنفس، اضطرابات النوم (الاستيقاظ المبكر، كوابيس، وأحلام مزعجة)، الوهن العضلي، اضطرابات قلبية، القرحة المعدية[1].

-الأعراض المعرفية(الفكرية): الاختلاط في التفكير، شرود الذهن، عدم القدرة على التركيز، صعوبة اتخاذ القرارات، انخفاض في كل الوظائف المعرفية العليا[2].

ومما سبق يتضح لنا أن الفرد وبمختلف مراحله العمرية معرض ومنذ نشأته إلى مواقف وأحداث ضاغطة مصداقاً لقوله تعالى:**"لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ"**الآية ٠٤ من **سورة البلد**- مصادرها التنظيمية ومحاولة علاجها أو التخفيف منها وذلك من خلال برمجة استراتيجيات تتماشى وطبيعة المواقف الضاغطة.

ثالثاً/-مشكلات الشباب المهنية الناتجة عن ضغوط العمل:

لقد أضحى من المسلَّم به أن رأس المال البشري هو أساس كل تنمية، لذا تشهد مختلف دول العالم تحولاً ملحوظاً نحو الاهتمام بالتنمية البشرية، وإذا اعتبرنا أن شباب اليوم هم رجال الغد فإن الاهتمام بهذه الشريحة والتكفل بمشكلاتها أصبح مطلباً أساسياً لمشاركة فاعلة لهذه الطاقات المنتجة، ولكن ومع الأسف وهذا لا يخفى عن كل عاقل أن واقع الشباب العربي اليوم والجزائري على وجه الخصوص حافل بمشكلات كثيرة ومتنوعة منها ما هو ناجم عن الآثار السلبية للإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التي لم تحسن التكفل بهذه الفئة ذات الوزن الذهبي في حياة نموه وتقدم المنظمات والمجتمعات، ومنها ما هو ناجم عن مناخ العمل الذي تتبعه أغلبية المنظمات الجزائرية الذي تكاد تخلو فيه المعاملات من طابعها وصبغتها الإنسانية والتي كثيراً ما أفرزت العديد من المشكلات النفسية والاجتماعية وظهور اضطرابات مَرضية وسلوكات سلبية والتي يمكن إجمالها فيمايلي:

1-التحرش الجنسي والمعنوي والابتزاز: يعتبر كل من ينظر المهتمون بموضوع التحرش الجنسي والمعنوي والابتزاز على أنها أنواع من العنف المطبق ضد الأفراد بتكوين مخاوف وقلق وصدمات، مما يخلف لدى المعتدي عليه آثار نفسية خطيرة، بدء يولد لدى الفرد ضغوطات يومية تمنعه من مواصلة العيش بطريقة معتدلة،فالتحرش الجنسي أو المعنوي، والابتزاز سلوكات يتلقاها العمال في محيطهم المهني، حيث يطبق هذا النوع من المعاملات أو الممارسات السلبية على العاملات النساء بمختلف أعمارهن،من طرف الرئيس المباشر،سواء كان ذلك بالقطاع الخاص أو العام، إذ يستغل الرئيس أو المدير مركزه في العمل ليعتدي على العاملة جسديا، وقد يصاحب ذلك بالتهديد بالطرد من مكان العمل أو من تلقي العقوبات، ً معنوي والحرمان من بعض الامتيازات التي تقدمها المنظمة للعمال، والتي تعتبر كحافز للعامل مهما كان سنه أو منصب عمله، وعليه، يعمل هذا التهديد أو الحرمان على توتر العامل باعتباره عنصر ضغط، و يزداد تأثير هذا الأسلوب من المعاملات إذا حدث أن كثر تكراره على نفس العامل أو العاملة، وبالتالي فهو يعمل على شل طاقة العامل وتكوين شعور بالإحباط واليأس، والشعور بفقدان الثقة في الآخر، مما يعمل على تذبذب تفكير العامل وهذا ما يؤدي به إلى الوقوع في الأخطاء في مكان عمله، وقد تزداد حدة هذه الأخطاء لتنتهي بارتكاب حوادث خطيرة في مكان العمل.

2-كثرة الحوادث المهنية: يتعامل العامل في محيطه المهني بعدة مكونات تنظيمية تتعامل فيما بينها لبلوغ أهداف ترسمها المنظمة بصفة خاصة، ويحدث أن تتعارض أهداف العام مع متطلبات المنظمة ككل، مما يتول عنها توترات

[1] قاسم محمد قاسم، "**مدخل إلى الصحة النفسية**"، دار الفكر و النشر، ط١، دون بلد، ٢٠٠١، ص١١٨.

[2] ، وليد السيد أحمد، مراد على عيسى سعد، "**الضغوط النفسية والتخلف العقلي**،،**المفاهيم**، **النظريات**، **البرامج**"،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٨، ص ١٣٦.

وصراعات لدى هذا العامل، مؤثرة بذلك على كيانه كفرد وعلى أدائه وقدراته المهنية.حيث تبين من خلال بحوث عديدة في الميدان، أنه عند تعرض العامل للضغوطات في محيطه المهني، يجره هذا الضغط إلى الوقوع في حوادث قد ترجع عليه ، كما قد تؤثر سلباً على المنظمة، وقد تتسبب بعض الحالات في مرض العامل،زيادة على هذا بإمكان الضغط أن يتسبب في حادث معين، حيث يضعف العامل مما يعرقله التعب عن التقدم في عمله(التقدم الوظيفي)، إذ تبدأ العملية بعدم الرغبة في العمل، وانخفاض في الرضا، مما يؤدي به إلى التعرض لاضطرابات جسدية ونفسية،وهذا ما يتولد عنه آثار سلبية على صحة العامل وأدائه، وعلى المنظمة التي يعم فيها،فعند وصول الضغط إلى الدرجة الحادة، يحدث التأثير على الموظف ككّل، إذ تصل الخسائر الناتجة عن حوادث العمل إلى ملايين الخسائر على المنظمة. إذ يعتبر الضغط هو العامل الرئيسي في كثير من المشاكل التنظيمية، وخاصة مشاكل الأداء المنخفض ودوران العمل والتغيب والتسرب الوظيفي،يحدث أن يختلف العمال في استجاباتهم لمواقف مهنية ضاغطة في نفس المستوى من الحدة أو الطبيعة فقد يستجيب أحدهم بطريقة عنيفة مباشرة، كأن ينتقم لنفسه، فيواجه رئيسه بأساليب تتنافى مع القانون الداخلي للمنظمة، أو يقوم بإتلاف الممتلكات، من آلات ومعدات تابعة للمصنع الذي يعمل فيه،كما تصدر عن زميل له في العمل ردود أفعال ذات مواقف سلبية، كما تحدث بطريقة لا إرادية إذ يقع العامل تحت جملة من الضغوط، مصاحبة بالشعور بالإعياء وفقدان الثقة في رؤسائه، وبالتالي يفقد توازنه النفسي،مما يضعفه عند مواجهة المشكل،فيترك المجال للوقوع في الحوادث بمختلف أنواعها وحدتها ومن شأن هذه الحوادث أن تؤدي بالعامل إلى العطب الجسدي الجزئي أو الكلي،كما باستطاعتها التسبب في الجهد النفسي والاكتئاب أو الشعور بالاغتراب.

3-الاغتراب المهني:أشار مهرا **Mehra 1973** أنه يوجد مدرستان تناولت الاغتراب:**الأولى:**تناولت ظاهرة الاغتراب من ناحية اجتماعية ، و اعتبرت أنه مشكلة اجتماعية تنشأ كرد فعل للضغوط و التفكك و الظلم الموجود في النظام الاجتماعي، و لاسيما في المجتمع الليبرالي، و ينظر للفرد المغترب بأنه ضحية لمجتمعه،و أن اغترابه قد فرض عليه بواسطة النظام الاجتماعي غير العادل، و هذه النظرية أغفلت أثر شخصية الفرد و ما يعاني من اضطرابات، أما **الثانية:**عالجت هذه الظاهرة من الناحية النفسية،باعتبارها مشكلة نفسية و ينظر إليها على أنها تطورية بطبيعتها و تعزو أسبابها الجذرية إلى الأمراض الشخصية و هذا الاعتقاد ينظر للإنسان على أنه ضحية لخبرات طفولته المبكرة و أنماط العلاقات الأسرية ، فاغتراب الفرد يعد اختيارا ذاتيا و يستخدم كميكانيزم دفاع ضد الصراع النفسي.

٤-العزلة الاجتماعية: تعني إحساس الفرد بالوحدة و محاولة الابتعاد عن العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع، أي أنها حالة لا يشعر الفرد فيها بالانتماء إلى بيئته ومجتمعه، كما يقصد بها شعور الفرد بالوحدة و الفراغ النفسي، و الافتقاد إلى الأمن و العلاقات الاجتماعية الحميمة، والبعد عن الآخر ين حتى أن وجد بينهم،كما قد يصاحب العزلة الشعور بالرفض الاجتماعي و الانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع والانفصال بين أهداف الفرد و بين قيم المجتمع و معاييره. وتمثل العزلة الاجتماعية مظهرا من مظاهر السلوك الإنساني له تأثيرات خطيرة على شخصية الفرد و علاقته بالآخرين حيث تشير إلى عدم قدرته على الإنخراط في العلاقات الاجتماعية أو على مواصلة الانخراط فيه و على تقوقعه أو تمركزه حول ذاته حيث تنفصل ذاته في هذه الحالة عن ذوات الآخرين مما يدل على عدم كفاية جاذبية شبكة العلاقات الاجتماعية للفرد من حيث عدم الإرتباط بين أعضائها أو الاغتراب فيما بينهم، تعتبر هذه المشكلات من أهم المشكلات المهنية التي يعاني منها الشباب عامة والجزائريون خاصة الناجمة عن ضغوط العمل، والتي كثيراً ما تسبب اختلال وظيفي يتعارض وقيم الفرد مما يؤثر سلباً على صحته النفسية ويهدد كيانه العضوي داخل أسرته ومنظمته ومجتمعه علماً وأن ما ذكرناه من مشكلات مهنية ما هي إلا جزء بسيط مما يعانيه الأفراد داخل منظمات العمل من مشكلات ناجمة عن ضغوط العمل، ونظراً لأهمية شريحة الشباب في بناء والنهوض بالأمم، فقد دلت العديد من

الدراسات على دور الشباب في تنمية مجتمعاتهم في مختلف المجالات ولهذا استوجب الأمر إيلاء هذه الفئة العناية وذلك من خلال وضع ميكانيزمات واستراتيجيات للتقليل من حدة الضغوط وأثارها السلبي على صحة وسلامة الشباب الجزائري وتحيق له التوافق النفس- اجتماعي بما تتطلبه قيم وثقافة المجتمع.

٣- استراتيجيات(أساليب) مواجهة الضغوط:

تمثل استراتيجيات المواجهة الفردية طرقاً وأساليب يحاول من خلالها الفرد التعامل مع الضغوط التي حدثت بالفعل، من هنا تصبح عملية إدارة الضغوط هي تلك البرامج التي تقدم للناس بشكل عام، أو لمجموعات معينة تتميز باشتراكها في مشكلات بعينها. وعليه فقد عرفها أتواتر(**Atwater**) أنها" أساليب تعامل يقوم بها الفرد تجاه المثيرات التي تفقده توازنه وتجاوز قدرته على التوافق"([1]).

الأساليب المتخصصة في إدارة الضغوط:

٢-١.التدريب على الاسترخاء Relaxation: وهو يستند إلى مسلمة مؤداها التفاعل المتبادل بين الجسم والنفس، وأن التوتر يؤدي إلى توترات عضلية وإجهاد في عدد من أجهزة الجسم، كما أن آلام الجسم تؤدي إلى تغيرات انفعالية واضحة، ومن تم فإن تحقيق درجة الاسترخاء يؤدي إلى تحسن الحالة النفسية، ولما كان التوتر العضلي عرضاً شائعا في حالات التعرض للضغوط النفسية فإن استخدام التدريب على الاسترخاء يعد أحد الأساليب العلاجية السلوكية التي تستخدم مع حالات القلق والمخاوف وغيرها(ويمكن الرجوع في هذا إلى المراجع المتخصصة للاستفادة أكثر).

٢-٢. التدريب على المهارات والمساندة الاجتماعية : إن بناء الفرد علاقات ايجابية مع زملائه ورؤسائه في العمل ستنعكس إيجاباً على نفسيته، حيث سيكونون سنداً له عند حاجته إليهم، إما بمساعدته في حمل جزء من عمله إذا اقتضت الضرورة، أو إرشاده في كيفية أداء عمله، أو تقديم الدعم المعنوي والتشجيع اللازم[(2)].

٢ -تعلم العادات الصحية الجيدة (الرياضة): العقل السليم في الجسم السليم، وهي مقولة صحيحة صادقة، لكن نجد الكثيرون يعانون من مشكلات صحية نتيجة لعاداتهم غير الصحية في الغذاء والنوم والرياضة هاته الأخيرة التي تعتبر مفيدة للتخلص من الدهون والكولسترول الزائد في الجسم،إلا أن لها دوراً بارزاً أيضا في التخفيف من حدة التوتر النفسي الذي يشعر به الفرد، فالرياضة تعمل كتفريغ لشحنة التوتر النفسي، علماً وأن نوع الرياضة يجب أن يكون مناسباً لسن وقدرات الفرد.

٣ -الحمية الغذائية: ويهدف البرنامج الغذائي إلى إبعاد الفرد عن تلك الوجبات الدسمة التي تشعره بالخمول والكل، أو ذات السكريات العالية المشتتة للتركيز الذهني.

٤ -تنمية الكفاءة الذاتية: ويتضمن ذلك قيام الفرد بتكريس الجهد للعمل والإنجاز لمشروعات وخطط جديدة ترضي طموحاته، وتطرد الأفكار السلبية المرتبطة بالموقف الضاغط، مما يشعر بالكفاءة والرضا عن الذات.

وهناك بعض الأساليب والاستراتيجيات التي تبادر بها المنظمة من أجل السيطرة على المعدلات الضارة من الضغوط التي يشعر بها أفرادها ، وضبط مستوياتها من أن تصل إلى حد ينعكس سلباً عليها وعلى أفرادها نذكر منها:

---

[1] ،Atwater ;vot ;E ;"**Psychloge of Adljustement**" ;personal Growth in changing World ;cliffs prentice، hall ;New،York ;1990 ;pp 109،116 .

[٢]،عثمان حمود الخضر، مرجع سابق، ص ١٢٨.

١. **التدريب:** والهدف منه هنا إكساب الفرد من خلال الدورات التدريبية أساليب إدارة الضغوط، ومن ذلك إدارة الوقت وتحديد الأولويات، ناهيك على أن بعضها يكون موجّه لإكساب الفرد مهارات لازمة لعمله، بدونها لن يستطيع الفرد انجاز عمله بشكل فعال.

٢. **الموائمة المهنية:** ويتوقف نجاح ذلك من خلال عملية الاختيار الذي يكون مبني على أسس موضوعية وعلمية بهدف التوفيق بين خصائص الفرد وقدراته ومتطلبات الوظيفة، فإن تعيين شخص في وظيفة لا تتناسب مع ميوله وقدراته وخبراته سوف يؤدي إلى مشكلات تنعكس على مستوى الضغط النفسي الذي يشعر به، لذا من الضروري أن تسعى المنظمة إلى تحسين المواءمة بين شاغر الوظيفة والوظيفة من خلال وضع إستراتيجية جيدة للانتقاء والتعيين.

٣. **استقلالية أكبر:** وذلك من خلال منح المنظمة لأفرادها حرية أكثر في ممارسة أعمالهم فيما يخص متى وكيف وأين يؤدون أعمالهم، و إشراكهم في اتخاذ القرارات الخاصة بطريقة وكيفية الأداء...وذلك سينعكس إيجابا على نفسيتهم ورفع روح معنوياتهم.

٤. **رفع مستوى الأمن والسلامة:** من المهم أن يشعر الفرد بأن منظمته تهتم بصحته وسلامته، لذا من الضروري أن تكون بيئة العمل ذات مستويات مقبولة من الحرارة والرطوبة والضوضاء والإنارة.

٥. **صيانة نظم التقييم:** أن عملية تقييم الأداء عملية ضاغطة على الفرد إلى حد كبير، لذا لابد أن يشعر الفرد داخل التنظيم أن نظام تقييم الأداء نظام عادل ويحقق مبدأ العدالة والمساواة، كما يجب إعطاءه الحق في معرفة تقييم رئيسه له[1].

٦. **وضع أهداف معقولة من الصعوبة:** حيث أن الفرد يجب أن يشعر بأن الهدف العام للمنظمة والمكلف به من قبل رئيسه المباشر، وإلا عاش الفرد في غموض وذلك سيؤثر عليه سلباً على نفسيته ويرفع من مستوى الضغط لديه.

خاتمة:

لقد تناولنا في هذا البحث دور ضغوط العمل في خلق العديد من المشكلات المهنية لدى الشباب الجزائري مع محاولة الوقوف على أهم الاستراتيجيات للتقليل من حدة تلك المشكلات وخلق نوع من التوازن بين قيم الفرد ومتطلباته وبين أهداف المنظمة والمجتمع وخاصة ما تمليه ضروريات الحياة المعاصرة في ظل العولمة والتغيير التنظيمي الذي مس المحيط الداخلي والخارجي في معتقدات المجتمعات عامة والمجتمع الجزائري وبذلك وُجب العناية بالثروة البشرية وتحقيق تكيفها وسلامتها النفسية والعقلية كونّها أساس التنمية على جميع الأصعدة.

قائمة المراجع:

١. الهاشمي لوكيا، **"الضغط النفسي في العمل"**، مجلة أبحاث نفسية وتربوية، العدد السادس، قسنطينة، الجزائر ٢٠٠٢.

٢. عبد المنعم الحنفي، **"موسوعة الطب النفسي"**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥.

٣. السيد عثمان فاروق، **"القلق وإدارة الضغوط النفسية"**، دار الفكر العربي، ٢٠٠١.

[1] عثمان حمود الخضر، مرجع سابق، ص ١٣١.

٤. وليد السيد أحمد خليفة، مراد عيسى سعد، **"الضغوط النفسية والتخلف العقلي في ضوء علم النفس المعرفي"**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٨.

٥. طلعت منصور، فيولا البيلاوي، **"قائمة الضغوط النفسية للمعلمين"**، دليل للتعرف على الصحة النفسية للمعلمين، كراسة التعليمات، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٩.

٦. رمضان محمد القذافي، **""العلوم السلوكية في مجال الإدارة"**، المكتب الجامعي الحديث، ط١، ١٩٩٧.

٧. زهران حامد عبد السلام، **"الصحة النفسية والعلاج النفسي"**، عالم الكتب، ط٤، القاهرة، ٢٠٠٥.

٨. روبرت هاندي، مارسا ديفى، **"الدليل الكامل للتخلص من القلق"**، فاروس للنشر والتوزيع، دون بلد، ٢٠١٢.

٩. عثمان حمود الخضر، **"علم النفس التنظيمي، رؤية معاصرة"**، آفاق للنشر والتوزيع، ط١، الكويت، ٢٠١٢.

١٠. قاسم محمد قاسم، **"مدخل إلى الصحة النفسية"**،دار الفكر و النشر، ط١، دون بلد.

١١. وليد السيد أحمد، مراد على عيسى سعد،" **الضغوط النفسية والتخلف العقلي،-المفاهيم- النظريات- البرامج-** "، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،ط١، الإسكندرية.

١٢. جمعة سيد يوسف، **"إدارة ضغوط العمل"**، ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٤.

13. Lazarus ,R .S & Folmmans ,"**Stress apparaisal and Coping",** New-York, Springer 1984.

14. Gray Johns, "**Organizational Behavior",** Undertanding life at work, Scitt, Foresnan, Boston, 1988.

15. Bonnet(M.H) :"**Dealing with shift work"**,work an stress ,4,1990.

16. Foret(d) :"**sommeil et horaines de travail irrégulier"**, thése , Lille, Cite par RUTENFRAN Z ET AL ,1977.

17. -Atwater ;vot ;E ;"**Psychloge of Adljustement** ";personal Growth in changing World ;cliffs prentice- hall ;New-York ;1990 .

18. Selye ,H ,"**the stress of life""**, Mc Graw-Hill Company, New-York-Springer ١٩٧٦,

نقلاً عن مصطفى عشوي، **"تأثير ضغوط الحرب في مذاكرة الطلاب الجامعيين"**، مجلة الثقافة النفسية المتخصصة، المجلد ١٦، رقم ٦٣، جامعة الملك فهد، ٢٠٠٥.

تزايد دور مؤسسات المجتمع المدني في ظل ضعف قدرة الدولة وانتشار مبادئ الحوكمة

أ نصيرة صالحي/جامعة باتنة،الجزائر

ملخص:

إن طبيعة التحولات العالمية فرضت تغيرت جذرية مست مجالات عديدة، وهذا ما فرض التحول نحو قيم الحوكمة وما تفرضها من تغير نحو إعادة النظر في أدورا كل القطاعات خاصة بعدما أصبحت الدول لوحدها غير قادرة على تلبية كل الاحتياجات، وهذا ما تم طرحه وفق مقاربة حوكمة الفواعل غير الدولاتية التي تهدف إلى خلق شبكة من التفاعل بين القطاعات الثلاثة الدولة، القطاع الخاص و المجتمع المدني في تسير الشؤون العامة، وهذا ما عزز من دور مؤسسات المجتمع المدني كأحد الفواعل البارزة التي تعمل في إطار تشجيع وتفعيل المشاركة المجتمعية الطوعية في البرامج والمشاريع التنموية والاقتصادية والاجتماعية في مقابل عجز الدولة في غالب الأحيان في إحداث تغيير شامل، ولهذا نجد أنه إذا تم تتبع كرونولوجيا تطور المجتمع المدني في الجزائر يمكن أن نلاحظ بعض الدلالات الوظيفية التي تفرض مساهمته بشكل نشيط وفق مقاربة تشاركية تجعل منه أحد الفواعل العملية التنموية ،وكذا إخضاع مؤسسات الدولة للمحاسبة والرقابة تضمن المشاركة المجتمعية في اتخاذ القرارات وتحقيق المنفعة العامة، ولهذا تطرح **إشكالية** دراستنا كالتالي:

ما مدى انفتاح النظام الجزائري على نشاط وعمل مؤسسات المجتمع المدني ضمن برامج صناعة القرارات؟

مقدمة:

لقد عملت الجزائر كغيرها من الدول التي تريد السير في طريق تطبيق مبادئ الديمقراطية والحكم الراشد ومحاولة توظيف مؤسسات المجتمع المدني كشريك وفاعل في رسم وتنفيذ القرارات والسياسات، هذا ما فرض تتبع المسار التاريخي لنشاط وتطور مفهوم المجتمع المدني الجزائري وإبراز أهميته في ظل التحولات العالمية التي فرض ضرورة إشراك كل الفواعل لتلبية الحاجات والمتطلبات المتزايدة التي لم تعود الدولة لوحدها قادرة على تلبيتها، ومن هذا المنطلق يتم سوف نحاول من خلال هذه المداخلة تحديد تطور مؤسسات المجتمع المدني الجزائري ومدى تكيف النظام الجزائري مع التحولات الحاصلة التي تعمل على إشراك المجتمع المدني في رسم وتنفيذ السياسات، وهل يمكن بناء مشروع مدني جزائري مستقل عن املاءات السلطة.

وعلى هذا الأساس فإن هذه المقالة سوف تركز على **المحاور** التالية:

I.الإطار المفاهمي للمجتمع المدني.

١ –تعريف المجتمع المدني.

٢ –نشأة المجتمع المدني.

٣ –خصائص المجتمع المدني.

II.متطلبات بناء ثقافة تفعيل مؤسسات المجتمع المدني الجزائري.

١ –تطور ونشأة مؤسسات المجتمع المدني في الجزائر.

٢ –أهم النشاطات التي تقوم بها الجمعيات في بناء مجتمع تشاركي جزائري.

٣ –واقع وأفاق مؤسسات المجتمع المدني في الجزائر.

I.الإطار المفاهمي للمجتمع المدني.

إن المجتمع المدني ليس وليد الفترة الراهنة، وإنما له جذوره التاريخية، لكن تزايد الاهتمام في الحقبة الأخيرة بمفهوم المجتمع المدني على المستوى المحلي والعالمي خاصة في ظل التحولات والتطورات التي شهدتها الساحة العالمية في جميع المجالات السياسية، الإقتصادية والإجتماعية وحتى الثقافية.

١ -تعريف المجتمع المدني Civil Society:

لقد عرف المجتمع المدني من الناحية اللغوية بمصطلح**Société Civil** ويمكن تقسيمه إلى قسمين **Société** التي تعني مجتمع، أما **Civil** فهي كلمة للاتنية الأصل وتعني المواطن، في حين نعني بالعربية المدني نسبة إلى المدينة التي يجتمع فيها الناس.

في حين يعرف **المجتمع المدني** من **الناحية الإجرائية** بتقديم مجموعة من التعاريف المتفق عليها من طرف مجموعة من المفكرين والمراكز البحثية، فقد عرفه **مركز دراسات الوحدة العربية** لسنة ١٩٩٢بأنه:" مجموع المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعمل في ميادينها المختلفة في استقلال عن سلطة الدولة لتحقيق أغراض متعددة منها سياسية كالمشاركة في صنع القرار ومنها أغراض نقابية كالدفاع عن مصالح أعضائها، وأخرى ثقافية التي تهدف إلى نشر الوعي الثقافي وغيرها من الأهداف."[١]

في حين عرفه **عبد الغفار شكري** بأنه" مجموعة التنظيمات التطوعية المستقلة عن الدولة هذه التنظيمات التطوعية تنشأ لتحقيق مصالح أعضائها ولتقديم مساعدات أو خدمات اجتماعية للمواطنين أو لممارسة أنشطة إنسانية".[٢]

كما عرفه يعرفه المفكر غرامشي المجتمع المدني هو المجتمع الذي تنظم فيه العلاقات بين أفراده على أساس الديمقراطية والمجتمع المدني يمارس فيه الحكم على أساس أغلبية سياسية حزبية تحترم فيه حقوق المواطن السياسية والاقتصادية والتعاونية في حد الأدنى على الأقل، بهذا المعني يرى غرامشي أن الدولة تتكون من المجتمع السياسي زائد المجتمع المدني[٣]

كما يعرف أيضا **المجتمع المدني** أنه" تلك التنظيمات التطوعية الحرة التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة لتحقيق مصالح أفرادها ملتزمة في ذلك بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والتسامح للتنوع، ولا تسعى إلى تحقيق أرباح مادية، كما أنها لا تمارس السلطة ولكنها تساهم في صياغة القرارات خارج المؤسسات الرسمية للدولة[١]

---

[١]، عبد السلام عبد اللاوي،"**دور المجتمع المدني في التنمية المحلية في الجزائر: دراسة ميدانية لولايتي المسيلة وبرج بوعريريج**"، مذكرة ماجستير، جامعة ورقلة، قسم العلوم السياسية،٢٠١١ ،ص ٢٢.

[٢]، غازي الصوارني، "**تطور مفهوم المجتمع المدني وأزمة المجتمع العربي**"، القاهرة: مركز دراسات الغد العربي، ٢٠١٠، ٨٩.

[٣]، ناصر محمود رشيد شيخ علي،"**دور منظمات المجتمع المدني في تعزيز المشاركة السياسية في فلسطين**"، مذكرة ماجستير، جامعة فلسطين،٢٠٠٨ ، ص١٦.

بهذا المعني نجد أن المجتمع المدني يتميز بمجوعة من الخصائص تميزه عن غيره من التنظيمات منها البعد الطوعي حيث تنشأت تنظيمات المجتمع المدني بإرادة تطوعي الحرة، كما تتميز باحتلالها الطابع الوسيط التي تملأ المساحة بين الأسرة والدولة، بالإضافة إلى صفة التعاقدية التي يتميز بها نشاط المجتمع المدني انطلاق من تعاقوا الأفراد بالإرادة الحرة.

وفي تعريف آخر بأنه " المجال الوسيط بين الدولة والأسرة التي تملأه المنظمات المنفصلة عن الدولة والتي تتمتع باستقلال عنها،"[٢] كما يؤكد هذا التعريف أيضا على خاصية الاستقلالية التي تتميز بها تنظيمات المجتمع المدني عن سلطة الدولة، كما يشير هذا المفهوم أن هذه التنظيمات ليست بديل أو منافس للدولة، إنما تحتل المركز الوسيط بين المجتمع والدولة بهدف تلبية الاحتياجات بشكل طوعي.

مما سبق يمكن أن نخلص إلى **تعريف إجرائي لمفهوم المجتمع المدني** على أنه مجموعة من المنظمات الطوعية الحرة والمستقلة عن الدولة تشغل المجال العام وتقع ما بين الأسرة والدولة وتكون العضوية فيه بطريقة اختيارية وتهدف إلى تحقيق المصالح العامة ولا تسعي إلى تحقيق الربح المادي من ذلك.

٢ - نشأة المجتمع المدني:

ترى معظم الدراسات أن نشأة المجتمع المدني لم تظهر في الغرب إلا مع الدولة الليبرالية التي دافعت عن الدولة واستوجبت الخروج من حالة الفوضى، وعليه نجد تعود جذور المجتمع المدني إلى الفلسفة اليونانية حيث دعا أرسطو إلى تكوين مجتمع سياسي تسود فيه حرية ويقوم بتشريع القوانين لحماية العدالة والمساواة حيث عرف مفهوم المجتمع المدني تطور عبر مراحل.

ففي في البداية تحدد بفترة القرنين السابع عشر والثامن عشر حيث ظهر المجتمع المدني كنقيض لمفهوم الطبيعة والمجتمع الطبيعي وذلك يشير أن تاريخ تطور مفهوم المجتمع المدني يعود إلى تطور الفكر السياسي الليبرالي المرتبط بالمذاهب الاجتماعية والاقتصادية والذي بلور النظرية السياسية الليبرالية وانهيار النظام القديم وبداية النظام الذي يقر بحرية الفرد وسيادة الشعب، ولهذا يرتبط مفهوم المجتمع المدني في هذه الم رحلة بمفهوم القانون والعقد الاجتماعي ويجسد مفهوم السياسة الحديثة بوصفها سياسة نابعة من المجتمع البشري كما هو وليست مسقطة عليه من قبل عالم أخر.[٣]

كما يعتبر **جون لوك** من أكثر فلاسفة **العقد الاجتماعي** الذي اهتم بمفهوم المجتمع المدني ويقصد به وصف ذلك المجتمع الذي دخله الأفراد لضمان حقوقهم المتساوية التي تمتعوا بها في ظل القانون الطبيعي، لكن غياب السلطة القادرة على الضبط في المجتمع الطبيعي لذلك اتفق هؤلاء الأفراد على تكوين المجتمع المدني.[٤]

---

[١]، عبد الله راشيد سعيد النيادي ،" **أثر المتغيرات الدولية والإقليمية على تطور حقوق الإنسان والمجتمع المدني في إطار جامعة الدول العربية ١٩٩٠، ٢٠٠٧**"،مذكرة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، قسم العلوم السياسية، ٢٠٠٨ ، ص٤٧ .

[٢]، مارتينا فيشر، ترجمة : يوسف حجازي، "**المجتمع المدني ومعالجة النزاعات : التجاذبات والإمكانيات والتحديات**"، مركز بحوث برغهوف للإدارة البناءة للنزاعات، ٢٠٠٩، تم تصفح الموقع يوم: ٢٠١٤/٠٤/١٤.

http ://www.berghof.handbook.net

[٣]، نسيمة بوهراوة،" **دور الفواعل اللادولاتية في ديناميكيات التعاون في المتوسط دراسة حالة : المنتدي المدني المتوسط**"،مذكرة ماجستير، جامعة باتنة، قسم العلوم السياسية، ٢٠٠٨،ص ٣٦.

[٤]، ناصر محمود رشيد شيخ علي، مرجع سبق ذكره،ص ١٨.

وعليه ظهر المجتمع المدني مع نشوء الدولة القومية ونمو الرأسمالية ال حديثة وأكتسب المفهوم مدلولا إيديولوجيا لربطه بالحركات التي شهدتها بلدان أوروبا الشرقية في عقد الثمانينات والتي توجهت إلي تقليص سيطرة الدولة، وبعد سقوط المعسكر الاشتراكية منح المفهوم بعدا تنمويا بحيث أصبح ينظر إلي المجتمع المدني باعتباره المجال الذي يمنح إشراك الأفراد في التنمية البشرية المستدامة وهذا نتيجة اعتمادها كمؤسسة مستقلة عن الدولة والقطاع الخاص.[1]

٣ - خصائص المجتمع المدني:

يتميز المجتمع المدني بمجموعة من **الخصائص** تميزه عن غيره من التنظيمات نجد منها:

➢ **أولا: الطوعية:**

تمتاز منظمات المجتمع المدني بأنها منظمات تطوعية لا تسعي إلى تحقيق الربح أو مكسب هذا ما يميزها عن الشركات التجارية التي تأسست لأهداف ربحية، في حين تعمل مؤسسات المجتمع المدني لتحقيق أهداف إنسانية ومنافع عامة لا تستهدف الربح ولهذا تعرف باسم القطاع التطوعي أو القطاع غير الهادف للربح و القطاع الخيرية العامة.[2]

فمنظمات المجتمع المدني ينظر إليها كأنها أبنية اجتماعية وسيطة تقف بين الأفراد والسوق والإدارة الحكومية، وتعمل على خلق بيئية منظمة للعمل الإنساني غير الربحي متطوعين وليس تحت ضغط أي إدارة حكومية وتؤمن الخدمات وفق إستراتيجية عمل تلقائي تطوعي.[3]

➢ **ثانيا: المبادرة الخاصة:**

حيث ما يميز المجتمع المدني انفصالها مؤسسيا عن الدولة، بمعني لها أهدافها ومجالاتها التي تحددها منفصلة عن الدولة كما لها ميزانياتها ومصادر التمويل المنفصلة عن الدولة فالمنظمات المجتمع الم دني تنشط بعيدا عن الحكومات فهي مستقلة في قراراتها وتمويلها، فهي تعمل بصورة مستقلة عن الحكومة وأجهزتها هذا ما يسمح لها بالتدخل في مواقف وحالات لا يمكن للأجهزة الحكومية وحتى المنظمات الدولية الحكومية أن تتدخل فيها لأسباب قد تكون سياسية أو دبلوماسية وغيرها، هذا ما منح المجتمع المدني دور أكثر فعالية في عملها بالاستقلالية.[4]

➢ **ثالثا: الكفاءة والفعالية:**

تكتسب المنظمات المجتمع المدني خاصية الكفاءة والفعالية من طبيعة نشاطها فهي منظمات تطوعية لا تستهدف الربح من عملها، تعمل على أساس تحقيق المنفعة العامة ومحاولة إ يجاد الحلول لكافة الفئات الهشة والأضعف في المجتمع، كما تقوم بالدفاع عن الحريات العامة كتعزيز حقوق الإنسان وحماية المرأة والبيئية، وتدعيم عمليات السلام

---

[1]، غازي الصواري، مرجع سبق ذكره، ص ١٦.

[2] ،Eric D.Werker, Faisal Z. Ahmed," What Do Non‹Governmental Organizations Do?, Forthcoming, **"Journal of Economic Perspectives"**, May2007,p14.

[3]، غسان منير حمزة سنو، علي أحمد الطراح، **"العولمة والدولة، الوطن والمجتمع العالمي دراسات في التنمية والاجتماع المدني في ظل الهيمنة الاقتصادية العالمية"**،لبنان: دار النهضة العربية، ٢٠٠٢، ص ٢٠٢.

[4] ،Gerard Clarke,"**The Politics of NGOs in South‹East Asia Participation and Protest in thePhilippines**", London :Routledge,2001,p3.

وإقامة جسور التعاون بين الأفراد، كما تتميز بالمرونة والتكيف مع مختلف القضايا هذا ما أعطي لها دافع أكبر لل كفاءة في نشاطها وتأييد ومساندة من طرف العديد من الفئات.[1]

II.متطلبات بناء ثقافة تفعيل مؤسسات المجتمع المدني الجزائري:

١ - تطور ونشأة مؤسسات المجتمع المدني في الجزائر:

ظهرت منظمات المجتمع المدني في الجزائر بشكل واضح خلال الفترة الممتدة ما بين أحداث أكتوبر ١٩٨٨ وهذا من خلال موجة التحول الديمقراطي التي عرفتها الجزائر والتي تتطلب تحرير حرية الأفراد في التعبير والتنظيم،حيث ظهرت الأحزاب السياسية وفقا لدستور ١٩٨٩ وتم الإقرار بالتعددية السياسية وتشجيع المشاركة السياسية وعليه ترجع الانطلاقة الحقيقية للمجتمع المدني في الجزائر مع تأسيس اللجان والجمعيات لحماية ضحايا القمع على اثر حوادث أكتوبر ١٩٨٨.

لتأتي بعدها جمعيات مختلفة، كجمعيات حماية البيئة، الجمعيات الخيرية، المهنية ...الخ، وبمجرد الإعلان عن قانون الجمعيات ذات الطابع الاجتماعي كإطار قانوني وشرعي لممارسة حق تكوين الجمعيات، كحق إنساني تؤكد عليه كل مواثيق حقوق الإنسان، عرفت الحركة الجمعوية نفسا جديدا، جسده ذلك الكم الهائل من الجمعيات على المستوى الوطني والمحلي، فعلى المستوى الوطني فقط، تم تأسيس حوالي ٤٣٤ جمعية في غضون أربعة سنوات فقط وعلى الرغم من التطور الملحوظ في مجال تأسيس الجمعيات، والسرعة التي عرفتها الحركة الجمعوية في بدايتها[2]

إلا أنها عرفت تراجعا في السنوات الأخيرة مقارنة بالسنوات الأولى ١٩٩٠و١٩٩٢ ويمكن إرجاع هذا التراجع إلى الوضعية السياسية والاجتماعية التي عرفتها البلاد، والتي تميزت بتفاقم الأزمة بعد توقيف المسار الانتخابي، وحل حزب جبهة الإنقاذ كقوة سياسية تجمع تحت لوائها قوى اجتماعية كبيرة، وعدد كبير من الجمعيات المختلفة حزبية، إنسانية، اجتماعية، دينية وحتى نقا بية، التي كانت تنشط بقوة في الفترة ما بين ١٩٩٠و ١٩٩٢، والتي لعبت دورا كبيرا في نجاح الحزب في الانتخابات البلدية والولائية سنة ١٩٩٠.

وكذا فوزه في الدور الأول من الانتخابات التشريعية، كما أن حالة اللاستقرار السياسي والأمني التي عرفتها البلاد منذ ١٩٩٢، تعد ع املا مهما في تراجع الحركة الجمعوية، وتخوف الأفراد من المشاركة أو المبادرة لتأسيس الجمعيات، إضافة إلى العوامل البيروقراطية التي من شأنها أن تضعف روح المبادرة نحو تأسيس الجمعيات، إلا أن استقرار الوضع الأمني وانتهاج الجزائر لسياسة المصالحة الوطنية، وميثاق الو ئام المدني أعطى دفعة قوية نحو انبعاث الحركة الجمعوية في الجزائر فظهرت منظمات ضحايا الإرهاب كتوجه جديد ومجال عمل مستحدث لنشاط منظمات المجتمع المدني في الجزائر.[3]

---

[1]، عبد الله راشد سعيد النيادي،" **أثر المتغيرات الدولية والإقليمية على تطوير حقوق الإنسان والمجتمع المدني في إطار الجامعة العربية ١٩٩٠، ٢٠٠٧**"، مذكرة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط لدراسات العليا، قسم العلوم السياسية،٢٠٠٨، ص ٥٥.

[2]، عبد السلام عبد اللاوي، مرجع سبق ذكره، ص ٣٣.

[3]، مرسي مشري، التحولات السياسية وإشكالية التنمية في الجزائر واقع وتحديات(المجتمع المدني في الجزائر: دراسة في آلية تفعيله، ورقة عمل في الملتقى الوطني الأول حول :"**التحولات السياسية وإشكالية التنمية في الجزائر: واقع وتحديات** " الشلف، ٢٠٠٨، ص ٢٦.

٢ - أهم النشاطات التي تقوم بها الجمعيات في بناء مجتمع تشاركي جزائري:

هذا العنصر يتطلب منا الدراسة الكمية التي تعتمد على تطبيق مجموعة من المؤشرات التي حددها المفكر صامويل هنتغتون والمتمثلة في القدرة على التكيف، الاستقلالية ، التعقيد والتجانس كل هذه المعايير هل يمكن أن نلمسها في المجتمع المدني في الجزائر.

ففي عنصر التكيف نجد أنه على الرغم من حا لة الجمود والتردد التي عرفتها الحركة الجمعوية منذ بدايتها، إلا أنها ظهرت بقوة خلال السنوات الأخيرة،وهذا من أجل طرح قضاياها والمساهمة بمواقفها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، من خلال الندوات الوطنية التي عرفتها الجزائر منذ سبتمبر ١٩٩٦، وسلسلة الحوارات الخ اصة بالحياة السياسية والاقتصادية مع الدولة، لتنتهي بعقد ملتقى الجمعيات أو الحركة الجمعوية على مستوى العاصمة في شهر أفريل ١٩٩٧، ثم عقد أول منتدى وطني للحركة الجمعوية الوطنية المنعقد ما بين ١١ و ١٢ أفريل ١٩٩٧، وهذا يجسد خطوة أولى نحو تكريس الديمقراطية من خلا ل إشراك المجتمع المدني في تصور الحلول الممكنة للأزمة التي مرت بها البلاد، لهذا عملت الجمعيات والمنظمات الوطنية على تكييف نشاطها ووظائفها وفق الظروف والمشاكل المتواجدة في الحياة العامة.[١]

أما على مستوى الاستقلالية نجد إن تمويل الجمعية هو أحد عناصر فاعلية الجمعية وأساس استقلالية قراراتها، فإذا كان مشكل التمويل غير مطروح لدى بعض الجمعيات، كالجمعيات المهنية خاصة الاقتصادية منها، والجمعيات المدعمة من طرف بعض الأحزاب وحتى المدعمة من طرف الدولة، فانه يشكل عائقا بالنسبة للبعض الآخر من الجمعيات بشكل يجعلها وسيلة تستغل في المناسبات ويفقدها استقلاليتها، في حين يتميز عنصر التعقيد للمجتمع المدني الجزائري بنقص الخبرة والإمكانيات، ومع هذا كانت هناك جمعيات حاولت العمل على توسيع وظائفها، وتحسين عملها خاصة الجمعيات الاجتماعية والإنسانية من خلال إدماج مختصين كأطباء ونفسانيين، وباحثين في علم الاجتماع، وإعلاميين[٢]

٣- واقع وآفاق مؤسسات المجتمع المدني في الجزائر:

حيث نجد تقيم واقع مؤسسات المجتمع المدني ومدى تطبيقها في أرض الواقع تعرف مجموعة من الصعوبات والحواجز تقف أمام نشاطها وحرية عملها لتحقيق هدفها الأساسي المتمثل في المنفعة العامة ونجد منها:

تعاني البنية التحتية للجمعيات في الجزائر من مشكلات عديدة وعلى رأسها ضعف الميزانية التي تخصصها الدولة لهذا القطاع، فإذا أخذنا في الاعتبار ضعف القطاع الخاص المنتج في الجزائر، والذي يمكن أن يساهم في تمويل العمل الجمعوي، فإنه يمكن عندئذ تصور حجم المعاناة التي يواجهها نشاط الجمعيات، فكما هو معروف تعد الموارد التي تمتلكها مؤسسات وجمعيات للمجتمع المدني من أهم متطلبات قيامه بأدواره المختلفة وإدارة علاقته بالهيئات الرسمية للدولة بما يضمن استقلاله في التعاطي معها، فبقدر ما تعتمد مؤسسات المجتمع المدني على إعانات الدولة بقدر ما يؤثر ذلك سلبا على استقلال نشاطها، ونشير هنا إلى أن العديد من الدراسات السوسيولوجية والسياسية الحالية تربط قوة تشكيلات المجتمع المدني بمدى وجود قاعدة مادية أو سند مادي لها.[٣]

---

[١]، نسيمة بوهراوة، مرجع سبق ذكره، ص٣٦.

[2] ،Andrea Liverani, "**Civil Society in AlgeriaThe political functions ofassociational life**",(New York:First published, 2008).P62.

[٣]، نسيمة بوهراوة، مرجع سبق ذكره، ص٣٦.

كما نجد أيضا من التحديات الأخرى التي تواجه ا لعمل الجمعوي في الجزائر تحديا يمكن اعتباره مفصلي وهو المتعلق بسعي العديد من الأطراف والمؤسسات وعلى رأسها السلطة السياسية القائمة احتواء جمعيات المجتمع المدني أو على الأقل منافستها أدوارها وهو الأمر الذي ينعكس سلبا فيما يتعلق باحتفاظ الجمعية بشخصيتها والقيا م بمهامها يلاحظ وفي سياق التجربة الجزائرية هيمنة الأجهزة البيروقراطية على العمل الجمعوي وسجنه في سياق إستراتيجيات كثيرا ما تكون محدودة لا سيما عندما لا يتم احترام ضوابط العمل الجمعوي وخلطه مع العمل السياسي

فقد لاحظنا مثلا وخلال مواعيد انتخابية سابقة ظهور مبادرات لا يمكن تصنيفها البتة على أنها مبادرات بريئة، حاولت تعبئة وتوجيه العمل الجمعوي لتحقيق أهداف إنتخابة زائلة، إذ بمجرد انتهاء المواعيد الانتخابية تنتهي معها الدعاية التي رافقت تلك المبادرات.[1]

كذلك من الأسباب التي يجب ذكرها كذلك أن المجتمع المدني الجزائري يتسم بعدم الثبات والتقلب السريع وغياب المقومات الذاتية والاتساق الداخلي هذه السمات أدت إلى تدخل الدولة بأجهزتها البيروقراطية والإجهاز على المنظمات باحتوائها أو خلق عراقيل تعطل عملها الفعا ل، فاقتصر دور منظمات المجتمع المدني في معظم الحالات على مساندة القوانين والمواقف الرسمية، وفي أسوأ الحالات الرفض دون خلق آليات تمكنها من العمل الفعال لتغيير مواقف رسمية ما.

كما أن للأسرة أو العائلة دور رئيسي في نشر الثقافة التي تنظر للدولة المركزية المتدخل ة على أنها عامل رئيسي في رعاية الصالح العام، وهذا له جذوره في أنماط السلطة الأبوية النابعة من التقاليد العائلية، والتي تعتبر الطاعة بدون مناقشة أحد أركانها.

بالإضافة إلى طبيعة المناهج التربوية وطرق التدريس والتقييم تعاني غياب الحرية: فالمناهج لا تحتوي إلا نادرا ومؤخرا مادة مبادئ حقوق الإنسان وقيمها، كما أن طريقة التدريس والتعليم تقوم على التلقي السلبي التلقين مع غياب التحليل النقدي من أسفل إلى أعلى في معظم مراحل التعليم، وهذا ما يناقض تماما تنمية الشخصية وروح الإبداع والابتكار، و يتوافق مع خنق الحرية،إذ من اختصاصي التعليم من يربط ذلك بالقهر الذي يعانيه المعلمون من طرف الإدارة التعليمية المقهورة كذلك من قبل الإدارة المركزية.[2]

خاتمة:

مما سبق نستخلص أن مؤسسات المجتمع المدني في الجزائر عرف بقدر من الشكلية فقط، وهذا نتيجة تبعيتها لمؤسسات الحكومة وسيطرتها عل يها، وهذا نظرا لعدم قدرة ووعي الدولة بدور هذه المؤسسات الوسيطة التي تعمل لتحقيق الصالح العام بل تعتبره كمنافس لها، ولهذا يبقي النظام السياسي الجزائري بعيدا عن ثقافة الديمقراطية ومبادئ الحوكمة التي تعمل على تفعيل المؤسسات الثلاثة الحكومة، القطاع الخاص والمج تمع المدني في صنع وتنفيذ القرارات التي تعود بالفائدة للجميع، مما تخلق تنمية للمجتمع بصفة عامة والدولة بصفة خاصة في ظل مواجهة التحديات وزيادة المتطلبات أمام عجز الدولة لوحدها للقيام بكل الخدمات.

[1]،عبد السلام عيد اللاوي، مرجع سبق ذكره، ص٣٣.

[2]، مرسي مشري، مرجع سبق ذكره، ص٢٦.

قائمة المراجع:

١ - عبد السلام عبد اللاوي ،"**دور المجتمع المدني في التنمية المحلية في الجزائر : دراسة ميدانية لولايتي المسيلة وبرج بوعريريج**"، مذكرة ماجستير، جامعة ورقلة، قسم العلوم السياسية،٢٠١١.

٢ - غازي الصوارني،" **تطور مفهوم المجتمع المدني وأزمة المجتمع العربي**"، القاهرة: مركز دراسات الغد العربي، ٢٠١٠.

٣ - ناصر محمود رشيد شيخ علي ، "**دور منظمات المجتمع المدني في تعزيز المشاركة السياسية في فلسطين** "، مذكرة ماجستير، جامعة فلسطين،٢٠٠٨.

٤ - عبد الله راشيد سعيد النيادي ،" **أثر المتغيرات الدولية والإقليمية على تطور حقوق الإنسان والمجتمع المدني في إطار جامعة الدول العربية ١٩٩٠-٢٠٠٧**"،مذكرة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، قسم العلوم السياسية، ٢٠٠٨.

٥ - مارتينا فيشر، ترجمة : يوسف حجازي، "**المجتمع المدني ومعالجة النزاعات : التجاذبات والإمكانيات والتحديات** "، مركز بحوث برغهوف للإدارة البناءة للنزاعات، ٢٠٠٩، تم تصفح الموقع يوم: ٢٠١٤/٠٤/١٤.

http ://www.berghof-handbook.net.

٦ - نسيمة بوهراوة ،" **دور الفواعل اللادولاتية في ديناميكيات التعاون في المتوسط دراسة حالة المنتدى المدني : المتوسط**"،مذكرة ماجستير، جامعة باتنة، قسم العلوم السياسية، ٢٠٠٨.

٧ - غسان منير حم زة سنو، علي أحمد الطراح، "**العولمة والدولة- الوطن والمجتمع العالمي دراسات في التنمية والاجتماع المدني في ظل الهيمنة الاقتصادية العالمية**"، لبنان: دار النهضة العربية، ٢٠٠٢.

٨ - عبد الله راشد سعيد النيادي،" **أثر المتغيرات الدولية والإقليمية على تطوير حقوق الإنسان والمجتمع المدني في إطار الجامعة العربية ١٩٩٠- ٢٠٠٧**"، مذكرة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط لدراسات العليا، قسم العلوم السياسية،٢٠٠٨.

٩ - مرسي مشري، التحولات السياسية وإشكالية التنمية في الجزائر واقع وتحديات (المجتمع المدني في الجزائر: دراسة في آلية تفعليه، ورقة عمل في الملتقي الملتقى الوطني الأول حول :"**التحولات السياسية وإشكالية التنمية في الجزائر: واقع وتحديات** "الشلف، ٢٠٠٨.

١٠. "Gerard Clarke, **The Politics of NGOs in South-East Asia Participation and Protest in thePhilippines**" ,Routledge,2001:, London.

١١-Andrea Liverani, **"Civil Society in AlgeriaThe political functions ofassociational life"** ,New York:First published, 2008.P62.

12-Eric D. Werker, Faisal Z. Ahmed, **"What Do Non-Governmental Organizations Do?"** , Forthcoming, **Journal of Economic Perspectives** , May2007.

مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً:دراسة حالة المعاقين بصرياً باتحاد المكفوفين بودمدني، ولاية الجزيرة، السودان

د. إخلاص محمد عبد الرحمن جامعة ود مدني الأهلية،السودان.

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصريا بإتحاد المكفوفين بود مدني ولاية الجزيرة، السودان في الفترة من فبراير- مايو ٢٠١٣، تكونت عينة الدراسة من مائة وخمسون معاقاً بصرياً، استخدمت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي، وتم تطبيق أدوات الدراسة التي اشتملت علي استمارة البيانات الأولية التي تضمنت متغيرات (العمر، النوع، مستوى التعليم، المهنة، الحالة الزواجية، درجة الإعاقة، والعمر الذي حدثت فيه الإعاقة)، إلى جانب مقياس مفهوم الذات المقنن على البيئة السودانية، تم بعدها تحليل البيانات بواسطة ببرنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، وقد تمثلت أهم نتائج الدراسة في : وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً تبعاً للعمر (لصالح: ٤١ عاماً فما فوق)، عدم وجود فروق ذات دلا لة إحصائية في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً تبعاً للنوع، وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً تبعاً لمستوى التعليم (لصالح: جامعي)، وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً تبعاً للحالة الز واجية (لصالح: متزوج)، هذا بالإضافة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً تبعاً لزمن حدوث الإعاقة (لصالح :منذ الولادة). وقد خلصت الدراسة إلى جملة توصيات ومقترحات.

الكلمات المفتاحية:مفهوم الذات ،الإعاقة البصرية.

تمهيد :

تباينت نظرة المجتمعات للمعاقين عبر التاريخ ،فكان ينظر إليهم قبل الإسلام كنذير شؤم ،فتعرضوا للموت جوعا أو تحت وطأة الظروف المناخية الصعبة،أو بسبب ضعفهم وعدم قدرتهم على الدفاع عن نفسهم .وبظهور الإسلام وانتشار تعاليمه السمحة والتي بينت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة حقوق المسلمين وحذرت من إيذاء الضعفاء ، تغيرت نظرة الأ فراد واتجاهاتهم نحو المعاقين . وما لبث أن تزايد الاهتمام العالمي والمحلي حيث صدرت العديد من التشريعات القانونية والاجتماعية والصحية وتشريعات خاصة بحقوق المعاقين في العمل والحياة الكريمة.

وقد أدى النقص الفادح في خدمات التربية الخاصة على المستوى العالمي بصورة عامة وفى الدول النامية على وجه الخصوص إلى إعادة النظر في الاستراتيجيات التربوية الموجهة للمعاقين والبحث عن بدائل لها، ففي دراسة أجرتها اليونسكو في عام ٨٦-١٩٨٧ أظهرت أن نسبة من يتلقون خدمات التربية الخاصة تقل عن ٣% في ٤٤ دولة وتقل عن ١%

في ٣٢ دولة ،مما يشير إلى أن الغالبية العظمى من التلاميذ ذوي الحاجات الخاصة يفتقرون إلى الخدمات التعليمية الملائمة أو أنهم تركوا بدون خدمات بدعوى ارتفاع تكلفتها[1] .

وقد قادت الجهود المتواصلة إلى زيادة الاهتمام بذوي الحاجات الخاصة على المستوى العالمي حيث اعتمدت **الجمعية العامة للأمم المتحدة** إعلانين **لحقوق المعاقين** كما أعلن العام ١٩٨١ عاما دوليا للمعاقين والفترة من ١٩٨١-١٩٩١ عقدا دوليا خاصا بهم اعتمدت في إطاره خطة عمل دولية معنية باتخاذ تدابير فعالة للحد من الإصابة بالإعاقة وإعادة تأهيل المعاقين وتحقيق مشاركتهم الفعالة في الحياة الاجتماعية وعملية التنمية.

وفي السودان بدأت الخدمات الموجهة للمعاقين بجهود طوعية بإنشاء معهد النور للمكفوفين ١٩٦١م ، ولم تختلف الصورة كثيراً عما كانت عليه في الستينات بل ازدادت قتامه فمقابل الزيادة الكبيرة في أعداد المعاقين تظل معاهد التأهيل والتدريب تعد علي أصابع اليد الواحدة في كل مدن السودان ، مما يجعل تعليم هذه الشريحة يجابه كثيرا من العقبات والعوائق مما ينتج عنه إخلال بحق المعاق في التعليم والعمل وبالتالي قفل الباب في وجهه أمام أي محاولة للإبداع والعطاء من جانبه الشيء الذي يلقى بظلاله السالبة على شخصية المعاق وتوازنه النفسي[2].

وقد أكدت معظم الدراسات في هذا المجال أن معظم ما يعانيه المعاق من مشكلات نفسية أو سلوكية أو اجتماعية ناتج في المقام الأول من نظرة المجتمع وتقبله أكثر من كونه ناتج عن فقدان لأحد الحواس، إذ يحصر المجتمع المعاق في عالم ضيق تحيطه نظرات الشفقة والرثاء من جانب ونظرات الرفض وعدم التقبل من جانب آخر، وعند أي محاولة منه للخروج من عالمه الضيق ليتلمس طريقه يصطدم بآثار عجزه التي يضخمها المجتمع بنظرة أفراده من ناحي ة وبعدم قيامه بدوره في التأهيل والإعداد اللازم للمعاق من ناحية أخرى ، مما يؤدي بدوره لفقدان التوازن النفسي لدي المعاق . فشعور المعاق بأية مؤشرات تدل علي اختلافه عن أقرانه بشكل كبير تمثل عقبه كبيرة في طريق نموه النفسي، مما يعيق تكوين مفهوم إيجابي للذات أو تعرضه لضغوط نفسيه تفوق احتماله.

فالذات هي المعني المجرد لإدراكنا لأنفسنا جسمياً وعقلياً واجتماعياً في ظل علاقاتنا بالآخرين، أو هي المدركات والمفاهيم الشعورية للفرد فيما يتعلق بذاته كما هي عليه "**الذات المدركة أو الواقعية**" أو كما يعتقد أو يتصور أن الآخرين يرونه "**الذات الاجتماعية**" أو كما يود أن يكون عليه "**الذات المثالية**"[3].

فالذات الاجتماعية و الذات الواقعية لدي المعاقين يشوبها كثيراً من الخلل وفقدان التوازن بسبب عدم ثقة المعاق في قدراته، إضافة إلي نقص الخبرات التي يمر بها والتي تعتبر عاملاً هاماً في نمو مفهوم الذات بشكل مناسب وهو الشيء الذي يفتقر إليه المعاق في المجتمعات النامية علي وجه العموم وفي مجتمعنا السوداني علي وجه الخصوص إذ أن معظم الأسر في مجتمعنا تقع فريسة سلسلة من الأخطاء في تنشئة المعاق وكيفية التعامل معه دون أن تدري بأن فهم الأسرة وفلسفتها ونهجها في التعامل مع المعاق هي التي تؤثر سلباً أو إيجاباً علي توافق المعاق وتوازنه النفسي[4]

مفهوم الذات:

---

[1] .صالح ، عبد المحي محمود حسن، "**متحدو الإعاقة**"، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٩.

[2] .عبد الرحمن، إخلاص محمد، "**أثر الإعاقة البصرية والإعاقة السمعية على شخصية المعاق**"، رسالة دكتوراه غير منشورة ٢٠٠٨.

[3] . الحديني ، منى، "**مقدمة في الإعاقة البصرية**"، دار الفكر للطباعة والنشر،عمان، ١٩٨٩.

٤ . عبد الرحمن، إخلاص محمد،" **اثر الإعاقة البصرية والإعاقة السمعيّ على شخصية المعاق**"، رسالة دكتوراه غير منشورة ٢٠٠٨.

الذات هي جوهر الشخصية، ومفهوم الذات هو حجر الزاوية فيها ولمفهوم الفرد عن نفسه تأثيراً عظيماً على سلوكه وصحته النفسية، وهؤلاء الذين يرون أنفسهم غير مقبولي ن وعديمي القيمة يميلون إلى التصرف تبعاً لذلك، وأولئك الذين يفهمون أنفسهم بطريقة واقعية يميلون إلى الاقتراب من الناس بطريقة عقلانية، وتبدأ محاولة المرء للتعرف على ذاته وتحديد معالمها بشكل ملائم في مرحلة المراهقة وتستمر كذلك طوال حياته تبعاً لما قد يحل عليه أو على البيئة من حوله من تغيرات، حيث ينجح البعض منا في تحديد ذاته في وقت مبكر بينما البعض الآخر يحتاج إلى وقت أطول.

إن فكرة الفرد عن نفسه تتميز بالتفرد وهي عبارة عن تنظيم التغيرات التي يمر بها طوال حياته، وفكرة الفرد عن ذاته كشيء منفرد تعتمد في تكوينها وتشكيلها على البناء البيولوجي المتفرد الخاص به، كما وأن مفهوم الذات يتحدد بشكل كبير أيضاً من خلال معرفة الفرد بوجهات نظر الآخرين أياً كانت الطريقة التي يلجأ إليها الفرد عند تقييم ذاته . ويعد مفهوم الذات لدى المعاقين بشكل عام والمعاقين بصرياً بشكل خاص من المفاهيم التي ارتبطت بالإعاقة وما تفرضه من قيود نفسية واجتماعية على المعاق.

يعد مفهوم الذات كتكوين معرفي ومتعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتقييمات الخاصة بالذات، كما وأن فكرة الفرد عن نفسه هي النواة الرئيسية التي تقوم عليها شخصيته وهي العامل الأساسي ف ي تكيفه الشخصي والاجتماعي، فالذات تتكون من مجموع إدراك الفرد لنفسه وتقييمه لها، فهي إذن تتكون من خبرات إدراكية وانفعالية تتركز حول الفرد باعتبار أنه مصدر للخبرة والسلوك والوظائف[1].

والذات بهذا المعنى تختلف في مفهومها عن الأنا كما تحدث عنها **فرويد**، فالأنا هي مجموع الوظائف النفسية التي تتحكم في السلوك،أما الذات فهي فكرة الشخص عن هذه الوظائف وتقييمه لها واتجاهه نحوها . فالذات باختصار تعكس رؤية الشخص عن نفسه وهي نظرة الشخص اتجاه نفسه باعتبار أنه مصدر الفعل.

إن مفهوم الذات هو مفهوم افتراضي مدرك من خلال المتغيرات البيئية الكثيرة والتي لا يمكن الفصل بينها تماماً فهي تشترك بدرجات متفاوتة مع بعضها إذ تؤثر كل منها في الأخرى فأي تحسن في أي متغير من المتغيرات التي تشكله يؤدي إلى تحسن مفهوم الذات العام .لم يعرف الإنسان الذات كما عرفها في الوقت الحاضر من حيث كونها مصطلحاً نفسياً له دلالاته فلا توجد لغة في العالم سواء كانت قديمة أو حديثة وعلى اختلاف الحضارات إلا استخدمت ألفاظ مثل **أنا**، **ونفسي**، **ولي**، التي تدل على كنية النفس، لذلك فإن جذور وأسس مفهوم الذات قديمة جداً حيث تؤكد المصادر بدايتها قبل الميلاد،وأن بعض الأفكار السائدة في الوقت الحاضر ترجع أصولها إلى **هوميروس** الذي ميز بين الجسم الإنساني المادي والوظيفة غير المادية، والتي أطلق عليها فيما بعد النفس أو الروح.

ويذهب تفسير **فرحان** إلى أن مفهوم الروح أدخله **سقراط** (١٤٦٩ أو ٤٧٠ ق.م) حيث أدرك المعنى العميق للعبارة المنقوشة على معبد دلفي "**أعرف نفسك بنفسك** "، فأبن سيناء في القرن العاشر الميلادي (٩٨٠-١٠٣٧) يرى مفهوم الذات على أنه الصورة المعرفية للنفس البشرية . أما **الغزالي** في القرن الحادي عشر الميلادي فيقول :" أن للنفس خمس وجهات: **النفس الملهمة، النفس اللوامة، النفس البصيرة، النفس المطمئنة، النفس الأمارة بالسوء**". واعتبر الأربعة منها حميدة بينما الخامسة غير حميدة.وقد عرفها (**زهران**) بأنها" تكوين معرفي منظم ومتعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتقييمات الخاصة بالذات يبلوره الفرد ويعتبره تعريفاً نفسياً لذاته .ويتكون مفهوم الذات من أفكار الفرد الذا تية المتسقة المحددة الأبعاد عن العناصر المختلفة لكينونته الداخلية والخارجية وتشمل هذه العناصر المدركات والتصورات التي تحدد خصائص الذات كما تظهر إجرائياً في وصف الفرد لذاته كما يتصورها هو "**مفهوم الذات المدرك**"، والمدركات

[1] لظاهر، قحطان أحمد،" **مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق**"،عمان ، الأردن ٢٠٠٤..

والتصورات التي تحدد الصورة التي يعتقد الآخرين في المجتمع يتصورونها والتي يمثلها الفرد من التفاعل الاجتماعي مع الآخرين" **مفهوم الذات الاجتماعي** " والمدركات والتصورات التي تحدد الصورة المثالية للشخص الذي يود أن يكون "مفهوم الذات المثالي ".أما **(كاتيل)** فيرى أن الذات هي الأساس في ثبات السلوك البشري و انتظامه، وقد قسم كاتيل الذات إلى قسمين: الذات الواقعية "الذات الحقيقية أو العقلية"، والذات الإنسانية "ذات الطموح". ويرى كاتيل إن الذات الحقيقية هي التي تمثل حقيقة الفرد كما يقر بها، أما الذات المثالية فهي كما يود الفرد أن يرى نفسه[1]

مراحل مفهوم الذات:

١. **مرحلة الطفولة**:إن مفهوم الذات يبدأ بالتكوين منذ اللحظة الأولى التي يبدأ بها الطفل في استكشاف أجزاء جسمه وأنها تُبنى من خلال أفكاره وشعوره وأعماله وخبراته. وفي مرحلة الطفولة يتولد لديه شعور بالثقة أو بعدم الثقة بالآخرين وذلك حسب حاجاته التي تم إشباعها بطريقة صحي حة أو غير صحيحة، وأنه في السنوات الأولى من حياته ينزع إلى الاستقلال والاعتماد على النفس وهنا تساوره بعض الشكوك في قدرته على تحقيق ذلك اعتماداً على ما قد يصادفه من نجاح أو فشل فيما يقوم به من مجهودات.

٢. **مرحلة الطفولة المتأخرة** :يبدأ مفهوم الذات بالتمايز تبعاً لنوع الطفل حيث أن الأطفال في هذه المرحلة يدركون الفروق الجنسية والدور الجنسي الذي يتناسب مع قدراتهم والذي أصبح جزء من مفهومهم عن ذواتهم ويتعرف الطفل على مفهوم ذاته بشكل تدريجي من خلال احتكاكه بالبيئة المحيطة به فيتعرف أولاً على أجزاء جسمه ومن ثم على قدراته وإمكاناته وفي مرحلة لاحقة يتعرف على مشاعره وأفكاره.

٣. **مرحلة المراهقة**: في هذه المرحلة يجد المراهق نفسه أمام احتمالين فإما أن يصل إلى تحقيق ذاته بشكل مقبول ومحدد، أو أنه بدلاً من ذلك يواجه وضعاً طابعه تشعب الذات وتفككها . إن الفرد في هذه المرحلة يبدأ بالمفاضلة بين الأدوار المشابهة له ويختار منها ما يراه مناسباً لأمور حياته وفي حالات أخرى فإن المراهق قد يفشل في التكيف مع المتغيرات الفسيولوجية التي تطرأ على جسمه وفي مواجهة المتطلبات الاجتماعية الجديدة التي تفرضها هذه المرحلة عليه.

٤. **مرحلة الشباب**: في مرحلة الشباب هناك عقبات من نوع آخر، فالأفراد هنا عادةً ما يدورون في دوامات كبيرة فإما أن ينجحوا في تكوين صلات قوية مع الآخرين، أو أنهم يجنحون إلى العزلة والانكماش حول النفس، إن الشباب إما أن ينجح في تحقيق ذاته وفي تقوية أواصرها مع الآخرين وإما أن يتقوقع على ذاته فيعمل على فصلها.

٥. **مرحلة الرشد**: في سن الرشد فإن المشكلات تدور حول أهمية الإنتاج في العمل الذي يقومون به من حيث أن التطور السليم يتمثل في التوصل إلى حياة مهنية ناجحة ومنتجة مع التأكيد على أهمية تطور الذات ونمو علاقاتها السليمة مع الآخرين.أما التطور غير السليم فيتمثل في تنمية الميل إلى التركيز حول الذات بشكل يعيق بناء جسور الاتصال بينها وبين الآخرين.

٦. **مرحلة الشيخوخة**: وفي الأيام الأخيرة لحياة الفرد تأتي مشكلة تقبل النفس أو الميل للاستسلام واليأس وهنا إما أن ينجح الفرد في تنمية ثقته بنفسه أو أنه يمنى بالانهزام أمام تأثير عوامل اليأس والفشل[2].

العوامل الهامة في تكوين مفهوم الذات:

هنالك العديد من **العوامل المهمة** في تكوين الذات يمكن توصيفها على النحو التالي:

---

[1] .الظاهر، قحطان أحمد،" **مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق**"، عمان ، الأردن ،٢٠٠٤.

[2] .زهران، حامد عبد السلام، "**الصحة النفسية والعلاج النفسي**"، القاهرة،٢٠٠١.

١. **المركز:** ويعرفه علماء الاجتماع بأنه مكانة الفرد في المجتمع بين أقرانه ،والشيء الهام هنا هو المركز الذي تحدده الأسرة للطفل في المجتمع والذي يتحدد بمستوى الأسرة الاقتصادي والاجتماعي.

٢. **المعايير الاجتماعية:** يتضمن كل مفهوم ذات كماً من الأحكام التقيمية فالفرد عندما يحكم على نفسه فهو يحمل على نفسه صفة من الصفات بدرجة معينة وبالنسبة لمعيار م عين يشتقه الفرد من المعايير الاجتماعية ومستويات السلوك الذي وضعها له المجتمع ليسلك وفق مقتضياتها وقد ظهرت أهمية المعايير الاجتماعية المتعلقة بصورة الجسم و القوة العقلية وما لها من أهمية في تقييم الفرد لذاته.

٣. **التفاعل الاجتماعي** : أثبتت الدراسات مثل دراسة **كومس** ١٩٦٢م أن التفاعل الاجتماعي السليم والعلاقات الاجتماعية السليمة تعزز الفكرة السليمة الاجتماعية بدورها ، أما زهران فقد أورد بأن :خبرات تربية الطفل من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعي تلعب دوراً هاماً في تكوين فكرته عن نفسه وتكوين شخصيته من خ لال علاقاته الاجتماعية مع الوالدين وتفاعله معهما .

٤. **الامتصاص:** وفيه يمتص الطفل من العالم الخارجي خاصية أسرته أفعالهم ونوع معاملتهم له فيسلك نحو نفسه ما يسلكه الآخرون نحوه.

٥. **اللغة:** أشار" **ميد**" إلى نتيجة هامة لاستعمال اللغة وهي أن الطفل عندما يستعمل صوته ويسمع نفسه ، وعندما يتحدث فأنه يثير نفسه فضلا عن أثارته للآخرين، وبسبب ذلك يستطيع أن يتفاعل مع اللغة خاصته ويبدأ يفكر ويأخذ دور الأخر لكون اللغة التي تعلمها تسمع ويستجاب لها بواسطة نفسه والآخرين .

أنواع مفهوم الذات:

مفهوم الذات الموجب:

يظهر في تقبل الفرد لذاته ورضاه عنها فيتمتع بصورة نقية وصافية وواضحة للذات يعلمها كل من يتعامل معه أو يحتك به، ويكشف عنها أسلوب تعامله مع الآخرين الذي يظهر فيه دائما الرغبة في احترام الذات وتقديرها والمحافظة على مكانتها الاجتماعية وأهميتها والثقة الواضحة بالنفس والتمسك بالكرامة والاستقلال الذاتي مما يعبر عن تقدير الفرد لذاته.

مفهوم الذات السالب:

إن الشخص الذي يكون له مفهوم سلبي يمكن وصفه بصورة عامة بأنه ذلك الشخص الذي يفتقر للثقة في قدراته، وهو ذلك الشخص الذي يكون يائساً لأنه لا يستطيع أن يجد حلاً لمشكلاته، وهو الذي يعتقد أن معظم محاولاته تبؤ بالفشل، كما يتوقع أن سلوكه الخاص ومستوى أدائه يكون منخفضاً، بالإضافة إلى أنه لا يجيد إلا القليل من الأعمال.[1]

الإعاقة البصرية:

تعريف كف البصر:

يشير مفهوم **الكفيف** إلى تلك الحالات التي تتراوح بين العمى الكامل وحالات أخرى قريبة من ذلك، ومن تلك الحالات التي تبلغ فيها حدة البصر ٢٠/٢٠٠ أو اقل في العين الأقوى وذلك بعد استخدام النظارة الطبية .وقد وضعت هيئة **اليونسكو التابعة للأمم المتحدة** تعريفاً للمعاق بصريا بأنه :" ذلك الشخ ص الذي لا يستطيع أن يعتمد على حاسة الإبصار- لعجز فيها- في أداء الأعمال التي يؤديها غيره باستخدام هذه الحاسة ،أما **ضعاف البصر** فهم أولئك الأفراد

[1] .فهمي، مصطفى ،"**الصحة النفسية**"،دراسات في سيكلوجية التكيف، القاهرة، ١٩٩٨.

الذين يستطيعون قراءة المادة المطلوبة على الرغم مما قد تتطلبه هذه المادة أحياناً من بعض أشكال التعديل مثل " تكبير ح جم المادة أو استخدام عدسات مكبرة".[1]

أهم المشكلات التي ترتبط بكف البصر:

مشكلات نفسية وتتمثل في:

١. يؤثر كف البصر علي نمو العمليات العقلية كالتصور والتخيل خاصة لهؤلاء الذين أصيبوا بفقد البصر منذ الطفولة المبكرة أو ولدوا مكفوفين.

٢. يؤثر كف البصر علي قدرة الشخص علي الاستثارة والتفاعل الوجداني. وهى تلك العمليات التي تعتمد علي رؤية الحركة والاستمتاع بالمشاهدة وفقدان الكفيف لهاتين الوظيفتين يعطل جانباً هاماً من جوانب الشخصية المتكاملة فيعتمد الكفيف علي تصوره الذاتي لهذه المدركات عوضاً عن رؤيتها مما يجعل م نه أسير تصورات خاصة قد يشوبها الغموض والرهبة.

٣. عدم استطاعة الكفيف الحركة في حرية، يطبع حياته بدرجات متفاوتة من الاتجاهات الطفلية والنزعة الإتكالية هو دائماً يسعي لمن يعاونه في المشي والحركة .الكفيف غير مدرك تماماً لبيئته المحيطية وإمكانيات هذه البيئة ومن ثم فتكيفه مع هذه البيئة محصور في إطار ضيق تحدده مدي معرفته بها [2]،أن مجرد الشعور بالاختلاف عن العاديين يسبب للفرد قلقا نفسيا، لذا لا يمكن الفصل عادةً بين نواحي القصور الجسمي والنفسي إذ أن هناك بعض الدراسات أشارت إلي ارتفاع نسبة المصابين بالعصاب بين المعاقين بصريا،لأن عجز المعاق بصرياً يفرض عليه عالماً محدوداً وحين يرغب في الخروج من عالمه الضيق والاندماج في العالم المحيط يصطدم بآثار عجزه مما ينتج عنه اضطرابات نفسية وسلوكية . فحركة المعاق بصرياً تبدو مضطربة بطيئة وتخلو من عنصر أساسي هو عنصر الثقة، فهو يتلمس طريقه تلمساً خوفاً من أن يتعثر أو يصطدم بشي وخوفه المستمر هذا يجعله أميل إلي عدم الخوض في مغامرات استطلاعية قد تعرضه للأذى لذلك يكبت المعاق بصرياً دافعاً إنسانياً أصيلاً هو حب المعرفة واستجلاء أسرار ما حوله وإذا ما استجاب المعاق بدافع حب الاستطلاع فإنه قد يتعرض لتجربة قاسية تجعله يكبت هذا الدافع فيما بعد .وعندما يجد المعاق بصرياً أن هنالك تناقضاً كبيراً بين المعاملة التي يتلقاها في المنزل وتتسم غالباً بالاستجابة لكل مطالبه حتى إذا أخطأ (لأنه كفيف) وبين المعاملة التي يلقاها من الأفراد في البيئة الخارجية ،وهي معاملة تتسم في بعض الأحيان بالقسوة وعدم المبالاة، هذه المواقف المتناقضة تجعل المعاق بصرياً أميل إلي العزلة والانطواء وتتنازعه نتيجة ذلك صراع بين الدافع إلي الاستقلال والدافع إلي الأمن إذ أنه في محاولاته ليكون شخصية مستقلة يخشي في الوقت نفسه من التعرض للخطر ، وينتهي الصراع بين الدافعين أما إلي تغلب الدافع إلي الاستقلال فينمو باتجاه الشخصية القسرية التي تطغي علي العدوانية أو يتغلب الدافع للأمن فينمو باتجاه الشخصية والانسحابية[3].وتنتاب المعاق بصرياً نتيجة هذه الصراعات ونتيجة المواقف التي يقررها أنواع من القلق ، فهو يخشي أن يرفض ممن حوله وأن يستهجن الآخرين سلوكه ويستنكرون أفعاله وهو في خشية دائمة من أن يفقد حب الأفراد المحيطين به لذا فهو غالباً ما يلجأ لأنواع من الحيل الدفاعية لمواجهة أنواع الصراعات والمخاوف وأهمها:- **التبرير** في حالة ارتكابه للأخطاء رغم أن عجزه قد لا يكون له دخل فيما ارتكب من أخطاء .

---

[1]. علي ،السيد فهمي، "**سيكولوجية ذوي الإعاقات الحركية والسمعية والبصرية والعقلية**"،دار الجامعة الجديدة، القاهرة،٢٠١٠.

[2].بركات، عبد المجيد، عبد الرحمن لطفي، "**سيكولوجية الطفل المعوق وتربيته**"، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٧.

[3].عبد الرحمن، إخلاص محمد،" **اثر الإعاقة البصرية والإعاقة السمعية على شخصية المعاق**"، رسالة دكتوراه غير منشورة ٢٠٠٨.

كما يلجا المعاق بصرياً **للكبت** كوسيلة دفاعية توفر له ما يطمح إليه من شعور بالآمن وتوفير الرعاية فيضغط علي بعض رغباته من اجل الحصول علي تقبل الناس وتجنب الاستهجان والاستنكار.وقد يلجا **للاعتزال** كوسيلة هروبية من بيئة قد يخيل إليه أنها عدوانية أو أنها علي الأقل لا تحبه بالقدر الذي يرضيه نفسياً ، أو يلجأ **للتعويض** كاستجابة لشعوره بالعجز أو النقص فيكرس وقته وجهوده مثلاً لينجح في ميدان معين يتفوق فيه علي أقرانه وقد يتطلب منه التفوق بذل مجهود اكبر فيضغط علي نفسه و يتحمل من المشاق ما قد يفوق طاقته و يعرضه لاحتمالات الإصابة بالإرهاق الفكري والعصبي . وقد يشعر المعاق بصرياً بالإحباط فيلجأ إلي **أحلام اليقظة** والتخيل في محاولة تعويضية يحقق فيها ما عجز عن إدراكه أو فهمه أو إشباعه في العالم الخارجي ويلاحظ أنا لتخيل لديه يعت مد على محاولته إلغاء مصدر التوتر أو الضيق وتحقيق الآمن والتفوق[1].كذلك حظيت تأثيرات الإعاقة البصرية على مفهوم الذات باهتمام بحثي كبير ،فمفهوم الذات قد يتأثر سواء كانت الإعاقة كلية أو جزئية ،فالذات هو جوهر الشخصية وهو محدد هام للسلوك.وقد يتأثر مفهوم الذات لدى المعاق بصريا فيعمم قصوره على الشخصية ككل وينعكس ذلك سلبا على ثقته بنفسه وتوافقه مع من حوله،وغالبا ما ينشا المعاق في منزل مليء بالعطف والمساندة فيزداد آمنه وثقته بنفسه حتى يكتشف عند خروجه للمجتمع اختلافه عن أقرانه فيضعف مفهوم الذات لديه حيث لا يوجد ما يدع م ثقته بنفسه[2].أما بالنسبة للسلوك العدواني فقد أشارت العديد من الدراسات إلى ندرة قيام المعاقين بصريا بالسلوك العدواني الجسمي وأنهم أكثر ميلا للسلوك العدواني اللفظي الذي يصدر عنهم بدرجة اكبر من المبصرين،إلى جانب السلوك العدواني الموجه نحو الذات في بعض الأحيان.ويواجه مرشدو المعاقين بصريا عددا من الصعوبات من أهمها الاعتمادية والافتقار للدافعية ،إذ أن المعاق بصريا قد يلجأ إلى الاعتماد على الغير اعتماداً تاماً مما يجعل منه شخصية اتكالية إلى حد كبير وقد تأخذ هذه الإتكالية في التزايد كوسيلة هروبية،لذا فان تربية الم عاق بصريا يجب أن تشمل أيضا إعطاءه الحرية والفرصة للاعتماد على النفس بتدريبه على الحركة في الحدود الآمنة داخل المنزل وخارجه،مما يتيح له الفرصة لنمو شخصيته المستقلة.أن تأخير أو تعويق عملية الإرشاد قد تؤدى إلى تكوين أنماط لا سوية في شخصية المعاق بصريا كما أن الحماية الزائدة قد تكون عقبة في طريق نمو شخصيته وتوازنها ،لذا فان أهم أنواع العطف الذي يمكن أن توفره الأسرة للمعاق بصريا وأصعبها أيضا هو أن تتجنب إغداق الحماية الزائدة عليه وتعليمه كيف يمكن أن يعتمد على نفسه ليصبح مستقلا وتشجيعه على تنمية ما يملكه من قدرات إلى أقصى حد ممكن[3].

ب/مشكلات بيئية :وهذه يمكن تقسيمها إلى :

- **مشكلات اقتصادية**:إذ تواجه الكفيف صعوبة توفير فرص العمل الحكومية وإحجام أصحاب الشركات والمؤسسات الخاصة عن تشغيلهم، تبعاً لذلك أصدرت العديد من الدول عدداً من القوانين لحماية المكفوفين تتضمن صرف المعاشات والمساعدات لهم بالإضافة إلي القوانين التي تفرض تشغيل ٥% من المعوقين في كل منشأه تستخدم ٥٠ عاملا فأكثر بعد حصوله على شهادة تأهيل حتى يمكن المعاق من الاعتماد علي نفسه وإعالة أسرته مما ينعكس إيجابياً علي توافقه النفسي.

- **مشكلات تعليمية** :نظراً لصعوبة تعليم الكفيف بالطريقة العادية حيث أن التعليم يعتمد على الرؤية والمشاهدة .ولما كانت حاسة الإبصار معطلة،كان لا بد من وجود طريقة تسهم في تعليم المكفوفين تعتمد علي السمع واللمس، فكانت

---

[1]. الخطيب، جمال،"**مقدمة في التربية الخاصة**"،دار الفكر للطباعة والنشر،عمان، الأردن.

[2]. الصبي، عبد الله محمد،"**الإعاقة البصرية أطفال الخليج ذوي الاحتياجات الخاصة**".

[3].الحديني ، منى،"**مقدمة في الإعاقة البصرية**"، دار الفكر للطباعة والنشر،عمان، ١٩٨٩

طريقة "**برايل** "التي ذللت كثيراً من العقبات في هذا المجال وذلك عبر تنمية و تد ريب وتطوير حاسة اللمس لدى الكفيف والتي تعتبر الوسيط الذي يتمكن عبره من اكتساب الخبرات والاتصال بالعالم الخارجي[1].

مشكلة الدراسة:

تتخلص **مشكلة الدراسة** في الإجابة عن التساؤلات التالية:

١. هل توجد علاقة بين مستوى مفهوم الذات والإعاقة البصرية تبعاً للعمر؟

٢. هل توجد علاقة بين مستوى مفهوم الذات والإعاقة البصرية تبعاً للنوع؟

٣. هل توجد علاقة بين مستوى مفهوم الذات والإعاقة البصرية تبعاً لمستوى التعليم؟

٤. هل توجد علاقة بين مستوى مفهوم الذات والإعاقة البصرية تبعاً للمهنة؟

٥. هل توجد علاقة بين مستوى مفهوم الذات والإعاقة البصرية تبعاً للحالة الزواجية؟

٦. هل توجد علاقة بين مستوى مفهوم الذات والإعاقة البصرية تبعاً لدرجة الإعاقة؟

٧. هل توجد علاقة بين مستوى مفهوم الذات والإعاقة البصرية تبعاً لوقت حدوث الإعاقة؟

أهمية الدراسة:

ويمكن إدراج **أهمية الدراسة** في المحاور التالية:

١. تتمثل أهمية هذه الدراسة بالنسبة للمعاقين بصرياً في كونها تلقي الضوء على علاقة مفهوم الذات بالإعاقة البصرية، مما يساعد في رفع وعي الشريحة المستهدفة وأفراد المجتمع بأهمية الصحة النفسية في التوافق والاتزان النفسي كما تعينهم في التعرف على مفهوم الذات ودوره الحيوي في تحقيق ال توافق النفسي ومجابهة العقبات والظروف الضاغطة الناجمة عن الإعاقة.

٢. وبالنسبة للأخصائي النفسي فتتمثل أهمية هذه الدراسة في أهمية تقديم المعلومات الضرورية التي تسهم في عملية رفع الوعي النفسي وتفعيل دور الإرشاد والتوجيه العلاج النفسي لمواجهة المشكلات النفسية التي قد تنجم من الإعاقة.

٣. أما بالنسبة للمجتمع فتتمثل أهمية هذه الدراسة في تقديم إنتاج معرفي عن الإعاقة البصرية والمشكلات والضغوط النفسية التي قد يعاني منه المعاق والاستفادة من نتائج هذه الدراسة في وضع الخطط الإستراتيجية والأساليب الإرشادية والعلاجية للمعاقين بصرياً.

٤. تعتبر الدراسة إضافة للدراسات في هذا المجال والتي تعني بالصحة النفسية والتوازن الانفعالي للمعاقين

أهداف الدراسة:

الهدف العام:

دراسة مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً وعلاقته ببعض المتغيرات.

الأهداف الخاصة:

١. دراسة العلاقة بين مستوى مفهوم الذات والإعاقة البصرية تبعاً لمتغير العمر.

[1] .محمد، محمود مندوه حمزة، احمد عبد الكريم،"**مقدمة في التربية الخاصة**"،مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٠.

٢. دراسة العلاقة بين مستوى مفهوم الذات والإعاقة ا البصرية تبعاً لمتغير النوع.
٣. دراسة العلاقة بين مستوى مفهوم الذات والإعاقة البصرية تبعاً لمتغير المهنة.
٤. دراسة العلاقة بين مستوى مفهوم الذات والإعاقة البصرية تبعاً لمتغير مستوى التعليم.
٥. دراسة العلاقة بين مستوى مفهوم الذات والإعاقة البصرية تبعاً لمتغير الحالة الزواجية.
٦. دراسة العلاقة بين مستوى مفهوم الذات والإعاقة البصرية تبعاً لمتغير درجة الإعاقة.
٧. دراسة العلاقة بين مستوى مفهوم الذات والإعاقة البصرية تبعاً لمتغير وقت حدوث الإعاقة.

حدود الدراسة:

١. **حدود مكانية :** تحد هذه الدراسة بالحدود الجغرافية لمحلية **مدني الكبرى** بالعينة المختارة من **اتحاد المكفوفين** بمدينة ود مدني- ولاية الجزيرة.
٢. **حدود زمانية:**فبراير-مايو ٢٠١٣م.

الإجراءات المنهجية للدراسة:

منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة **المنهج الوصفي** الذي يرتكز على جمع المعلومات المفصلة عن ظاهرة حقيقية، وتحليل المعلومات وإيجاد العلاقات، إضافة إلى إمكانية التنبؤ بالحلول المختلفة للمشكلات.

مجتمع الدراسة:

يتمثل مجتمع الدراسة في **اتحاد المكفوفين بودمدني** والذي يضم في عضويته المكفوفين من مدن الولاية المختلفة.

عينة الدراسة:

شملت عينة الدراسة "١٥٠"من المعاقين بصرياً المترددين على اتحاد المكفوفين في الفترة من **فبراير- مايو ٢٠١٣**.

أدوات الدراسة :

تمثلت أدوات الدراسة في الآتي:

أ/ **استمارة البيانات الأولية** التي اشتملت على متغيرات العمر،النوع،الحالة الزواجية،مستوى التعليم،المهنة، درجة الإعاقة،والعمر الذي حدثت فيه الإعاقة.

ب/ **مقياس مفهوم الذات:**

يحتوي **مقياس مفهوم الذات** على"٣٥" عبارةً في مجموعها تقيس مفهوم الذات وهذا المقياس من إعداد **الدكتور محمد الأمين المصطفى الخطيب** الأستاذ بكلية الآداب **جامعة الخرطوم**، وقد استخدم هذا المقياس في عدة دراسات لأنه يتمتع بدرجة عالية من الصدق والثبات والسهولة من ناحية مضمون العبارات ومعناها وسهولة اللغة، مما يجعله أكثر ملائمة لأفراد العينة، وتتكون عبارات القياس من عبارات إيجابية وأخرى سلبية.

- العبارات الإيجابية هي التي تحمل الأرقام التالية:(٤، ٥، ٨، ١٠، ١٤، ١٩، ٢٠، ٢٥، ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢).
- العبارة السلبية هي التي تحمل الأرقام التالية :(١، ٢، ٣، ٦، ٧، ٩، ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٨، ٣٣، ٣٤، ٣٥).

طريقة تصحيح الاختبار:

أ. على المفحوص أن يجيب على كل عبارة من عبارات المقياس بكلمة (نعم) إذا كانت تصف شعوره وبكلمة (لا) إذا كانت غير ذلك.

ب. وطريقة التصحيح تعطي الدرجة (١) عند الإجابة (بنعم) والدرجة (٠) إذا كانت الإجابة (لا) وذلك في حالة العبارات الإيجابية، والعكس في حالة العبارات السلبية حيث تُعطي الدرجة (١) عند الإجابة بلا والدرجة (٠) عند الإجابة بنعم.

المعالجة الإحصائية:

تم استخدام **برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية** في تحليل نتائج الدراسة "SPSS" مستخدماً كل من أسلوب **اختبار (ت)** "T-TEST"، و **اختبار التباين الأحادي** "One- Way ANOVA"، و **اختبار متوسط أقل الفروق** "LSD" و**المتوسطات** "Means" و**الانحرافات المعيارية** "Standard Deviation".

عرض النتائج:

"جدول رقم (١): يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى مفهوم الذات لأفراد العينة تبعاً للعمر.

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	متوسط المربعات	درجة الحرية	قيمة (ف)	الدلالة الاحتمالية	النتيجة
مفهوم الذات	بين المجموعات	٥٣.١٩٢	٦١.٠٤٣	١٤٩	٣.٨١٧	٠.٠٠٣	دالة إحصائيا

يتضح من الجدول أعلاه أن قيمة (ف) بلغت ٣.٨١٧، بقيمة احتمالية ٠.٠٠٣، وهي قيمة دالة إحصائيا مما يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً تبعا لمتغير العمر.

جدول رقم (٢): يوضح متوسط اقل الفروق تبعا للعمر:

المتغير	متوسط الفروق	مستوى الدلالة الإحصائية	الاستنتاج
(٢٠-٣٠) ٤١ فما فوق	١.٨٣٥٢٨– ١.٨٣٥٢٨* •	٠.٠٣٥	توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح ٤١ فما فوق
(٣٠-٤٠) ٤١ فما فوق	١.٣٦٤٢٣- ١.٣٦٤٢٣*	٠.٠٤٤	توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح ٤١ فما فوق

(*) هذه العلامة تعني أن الفروق في المتوسطات ذات الدلالة الإحصائية لصالح المتغير المشار إليه

(-) هذه العلامة تعني أن الفروق في المتوسطات ذات الدلالة الإحصائية ليست لصالح المتغير المشارإليه.

ولمعرفة اقل الفروق في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً تم استخدام اختبار متوسط اقل الفروق جدول رقم (٢) حيث أشارت النتائج إلى وجود فروق في المتوسطات ذات دلالة إحصائية لصالح (٤١ فما فوق).

جدول رقم (٣): يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى مفهوم الذات لأفراد العينة تبعاً للنوع.

النوع	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (ت)	الدلالة الإحصائية	النتيجة
ذكر	١١٠	٢٦.٧٥	٤.٢٦	١٤٨	٠.٧٠٦	٠.٤٧١	غير دالة إحصائيا
أنثى	٤٠	٢٣.٣٦	٣.٢٥				

يتضح من الجدول رقم (٣) أن قيمة (ت) بلغت ٠.٧٠٦، بدلالة إحصائية ٠.٤٧١، وهي قيمة غير دالة إحصائيا الأمر الذي يشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً تبعاً لمتغير النوع.

جدول رقم (٤):يوضح الفروق في المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى مفهوم الذات لأفراد العينة تبعاً لمستوى التعليم:

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	متوسط المربعات	درجة الحرية	قيمة (ف)	الدلالة الاحتمالية	النتيجة
مفهوم الذات	بين المجموعات	١٨٣.٢٣٤	٤١.٠٥٣	١٤٩	٢.٦٠٥	٠.٠٣٦	دالة إحصائيا
	داخل المجموعات	٢٢٧.٦٤٥	١٥.٦٢٥				

يتضح من الجدول أعلاه أن قيمة (ف) بلغت ٢.٦٠٥، بقيمة احتمالية ٠.٠٣٦، وهي قيمة دالة إحصائيا مما يؤكد وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً تبعاً لمتغير مستوى التعليم.

جدول رقم (٥) :يوضح متوسط اقل الفروق تبعا لمستوى التعليم:

المتغير	متوسط الفروق	مستوى الدلالة الإحصائية	الاستنتاج
أمي جامعي	٢.١٦٥٦٨ – ٢.١٦٥٦٨ *	٠.٠٢٣٥	توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح جامعي
أمي فوق الجامعي	٤.٦٤٧٦١- ٤.٦٤٧٦١*	٠.٠٢٤	توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح فوق الجامعي
أساس فوق الجامعي	٤.٧٥٣٢٦- ٤.٧٥٣٢٦*	٠.٠٢٧	توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح فوق الجامعي
أساس	٢.٢٨٦٨٣	٠.٠٣٦	توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح

جامعي	٢.٢٨٦٨٣ *		جامعي

(*) هذه العلامة تعني أن الفروق في المتوسطات ذات الدلالة الإحصائية لصالح المتغير المشار إليه

(-) هذه العلامة تعني أن الفروق في المتوسطات ذات الدلالة الإحصائية ليست لصالح المتغير المشار إليه

ولمعرفة أقل الفروق في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً تم استخدام اختبار متوسط أقل الفروق جدول رقم (٥)، حيث أشارت النتائج إلى وجود فروق في المتوسطات ذات دلالة إحصائية لصالح (جامعي وفوق الجامعي).

جدول رقم (٦): يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى مفهوم الذات لأفراد العينة تبعا للمهنة

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	متوسط المربعات	درجة الحرية	قيمة (ف)	القيمة الاحتمالية	النتيجة
مفهوم الذات	بين المجموعات	٢٧٥.١٦٧	٦٣.٥٤٣	١٤٩	٤.٩٥٥	٠.٠٠١	دالة إحصائيا
	داخل المجموعات	٢١٤١.٦٨٤	١٤.٦٤٠				

يتضح من الجدول أعلاه أن قيمة (ف) بلغت ٤.٩٥٥، بقيمة احتمالية ٠.٠٠٠١، وهي قيمة دالة إحصائيا مما يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصريا تبعاً لمتغير المهنة.

جدول رقم (٧): يوضح متوسط أقل الفروق تبعًا للمهنة.

المتغير	متوسط الفروق	مستوى لدلالة الإحصائية	الاستنتاج
موظف مهن أخرى	٢.٩٣٥٣٤٢- ٢.٩٣٥٣٤٢*	٠.٠٣٥	توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح موظف
بدون عمل موظف	٣.٧٣٢٣٣- ٣.٧٣٢٣٣*	٠.٠٠٤	توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح موظف
عامل موظف	٢.٩٣٤٣٣- ٢.٩٣٤٣٣*	٠.٠٠٠	توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح موظف

(*) هذه العلامة تعني أن الفروق في المتوسطات ذات الدلالة الإحصائية لصالح المتغير المشار إليه

(-) هذه العلامة تعني أن الفروق في المتوسطات ذات الدلالة الإحصائية ليست لصالح المتغير المشار إليه

ولمعرفة أقل الفروق في مستوى مفهوم الذات لدى ا لمعاقين بصرياً تم استخدام اختبار متوسط أقل الفروق جدول رقم (٧). حيث أشارت النتائج إلى وجود فروق في المتوسطات ذات دلالة إحصائية لصالح (موظف).

جدول رقم (٨) :يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى مفهوم الذات لأفراد العينة تبعاً للحالة الزواجية:

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	متوسط المربعات	درجة الحرية	قيمة (ف)	القيمة الاحتمالية	النتيجة
مفهوم الذات	بين المجموعات	٣٨٥.٨٣٧	١٣٥.٢١٦	١٤٩	٨.٨٣٦	٠.٠٠٠	دالة إحصائيا
	داخل المجموعات	٢٠٥٢.٠٢٥	١٥.١٦٧				

يتضح من الجدول أعلاه أن قيمة (ف) بلغت ٨.٨٣٦، بقيمة احتمالية ٠.٠٠٠، وهي قيمة دالة إحصائيا، مما يؤكد وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصريا تبعاً لمتغير الحالة الزواجية.

جدول رقم (٩) يوضح متوسط اقل الفروق تبعا للحالة الزواجية

المتغير	متوسط الفروق	مستوى الدلالة الاحصائية	الاستنتاج
متزوج	١.٠٤٥٧٢٥-	٠.٠٣٤	توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح متزوج
غير متزوج	١.٠٤٥٧٢٥*		
متزوج	٤.٨.٦٥٢ –	٠.٠٠٠	توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح متزوج
أرمل	٤.٨.٦٥٢*		

(*) هذه العلامة تعني أن الفروق في المتوسطات ذات الدلالة الإحصائية لصالح المتغير المشار إليه.

(-)هذه العلامة تعني أن الفروق في المتوسطات ذات الدلالة الإحصائية ليست لصالح المتغير المشار إليه

ولمعرفة أقل الفروق في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً تم استخدام اختبار متوسط أقل الفروق جدول رقم (٩). حيث أشارت النتائج إلى وجود فروق في المتوسطات ذات دلالة إحصائية لصالح (متزوج).

جدول رقم (١٠) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى مفهوم الذات لأفراد العينة تبعاً لدرجة الإعاقة:

المتغير	درجة الإعاقة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (ت)	الدلالة الإحصائية	النتيجة
مفهوم الذات	كلية	٢٧.٦٤	٤.٣٣	١٤٨	٠.٦٠٣	٠.٥٥٦	غير دالة إحصائيا
	جزئية	٢٨.٢٦	٣.٥٦				

يتضح من الجدول أعلاه أن قيمة (ت) بلغت ٠.٦٠٣، بدلالة إحصائية ٠.٥٥٦، وهي قيمة غير دالة إحصائيا مما يشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً تبعاً لمتغير درجة الإعاقة.

جدول رقم (١١) :يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى مفهوم الذات لأفراد العينة تبعا لزمن حدوث الإعاقة

المتغير	مصدرالتباين	مجموع المربعات	متوسط المربعات	درجة الحرية	قيمة (ف)	القيمة الاحتمالية	النتيجة
مفهوم الذات	بين المجموعات	١٦.٠٨٩	٤٧.٠٤٨	١٤٩	٢.٩٠٤	٠.٠٤٥	دالة إحصائيا
	داخل المجموعات	٢٤٤٣.٩٦٣	١٦.٤٣٠				

يتضح من الجدول أعلاه أن قيمة (ف) بلغت ٢.٩٠٤، بقيمة احتمالية ٠.٠٤٥، وهي قيمة دالة إحصائيا مما يؤكد وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً تبعاً لمتغير زمن حدوث الإعاقة.

جدول رقم (١٢) :يوضح متوسط اقل الفروق تبعا لزمن حدوث الإعاقة.

المتغير	متوسط الفروق	مستوى الدلالة الإحصائية	الاستنتاج
منذ الولادة	٢.٠٠٥٦٢-	٠٠٠٤٣	توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح منذ الولادة
بعد سن الخامسة	٢.٠٠٥٦٢*		

(*) هذه العلامة تعني أن الفروق في المتوسطات ذات الدلالة الإحصائية لصالح المتغير المشار إليه.

(-)هذه العلامة تعني أن الفروق في المتوسطات ذات الدلالة الإحصائية ليست لصالح المتغير المشار إليه

ولمعرفة أقل الفروق في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً تم استخدام اختبار متوسط أقل الفروق جدول رقم (١٢). حيث أشارت النتائج إلى وجود فروق في المتوسطات ذات دلالة إحصائية لصالح (منذ الولادة).

مناقشة النتائج:

اختلفت أقوال العلماء والمفسرين المسلمين في تقديم البصر عن السمع في القرآن الكريم، فذهب عدد كبير من العلماء إلى تفضيل السمع عن البصر، الذي ورد في ٢٠ موضعاً في القران الكريم، مثل قوله تعالى : "**خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ**""البقرة:٧"،وقوله تعالى:

(**وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) "النحل:٧٨"..

كما ورد ذكر البصر في مواضع عديدة مثل قوله تبارك وتعالى:" **الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ** " الملك ٣،و قوله تعالى:" **مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى** " النجم ١٧، " إلا أنه ورغم تباين أراء العلماء ي في هذا الصدد، فإن والبصر والسمع من أعظم النعم التي لا تعد ولا تحصى والتي أنعم بها الله على عباده، ويعتبر فقدانها أحد المسببات لكثير من المواقف الصراعية الضاغطة والتي تنعكس سلباً على صحة الفرد النفسية.

وتناول الباحثة في هذا الجزء مناقشة نتائج الدراسة على ضوء أهدافها المذكورة أنفاً:

تشير النتائج في كل من جدول رقم (١) وجدول رقم (٢) إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً تبعاً لمتغير العمر لصالح فئة (٤١ فما فوق).

يتشكل مفهوم الذات لدى الأفراد عبر مراحل النمو المختلفة من خلال التفاعل مع البيئة والإفادة من الخبرات والمواقف الحياتية للأفراد، أن ذات الفرد تبنى بالتدرج من خلال وعي الفرد بوجوده ونشاطاته وتفاعلاته مع البيئة والآخرين ويمتص معظم القيم التي يبلورها لتتلائم مع مدركا ته ومفاهيمه كأنها تكونت نتيجة للخبرة المباشرة (وتتحول الذات التي يدركها الفرد إلى خبرات لها علاقة بذاته، أو يحاول رفضها أو إخراجها من دواخله النفسية لأنها لا تتفق مع ذاته أو خبرته، أي التي لا تنسجم مع التنظيم العام لذات الفرد، فإنه يميل لإدراكها على أنها خ طر يهدد كيانه ومن ثم يبدأ في مقاومتها حتى يحافظ على كيانه وتكامله، أما إذا لم تكن هذه الفكرة فيها تهديد للذات فإنه يميل لاختبارها ودراستها. اي أن تطور مفهوم الذات يرتبط بالتجارب والخبرات الحياتية ومدى الإفادة من المواقف الحياتية المختلفة أكثر من كونها تنمو وتتدرج عبر المراحل العمرية المختلفة.

وتأتي هذه النتائج تدعيماً لكل ما ذكر، إذ أن الوعي الشخصي والمجتمعي في التواصل مع الآخرين، والخبرة الحياتية والانخراط في المواقف والتجارب التي تواجه المعاقين لسنوات طوال، تجعل المعاقين من الفئة العمرية ٤١عاماً وما فوق أكثر توافقاً وتكيفاً مع الإعاقة بحكم خبراتهم الحياتية المكتسبة عبر السنوات، والتي تمكنهم من النظر للأمور والمتغيرات الحياتية المختلفة بكثير من النضج والحكمة التي قلما توجد في مراحل المراهقة والشباب.

يتضح من الجدول رقم (٣) أن قيمة (ت) بلغت ٧٠٦..، بدلالة إحصائية ٤٧١..، وهي قيمة غير دالة إحصائيا مما يشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصريا تبعاً لمتغير النوع.

أن خروج المرأة وانصهارها في المجتمع السوداني مازالت تشوبه كثير من المحاذير والتقاليد الاجتماعية التي تفض ل أن يظل نشاط المرأة محصوراً داخل منزلها ما أمكن ذلك خاصة في المناطق الريفية ، إضافة إلي المخاوف العديدة التي قد تجابه بعض الأسر من خروج المعاقة دون مرافق الشيء الذي ينجم عنه خضوع المرأة لواقعها ومحاولتها التعايش مع مجتمعها الصغير تحت مظلة المعايير الاجتماعية المتعارف عليها ، مما يقلل من فرص احتكاكها بالعالم الخارجي، الشيء الذي ينعكس سلبا على نمو مفهوم ايجابي للذات، إلا أن التغير الثقافي والاجتماعي والمعرفي في عصر يسهل فيه التواصل مع ثقافات العالم المختلفة بسهولة ويسر، خاصة في المدن التي استطاعت فيها المر أة أن تحصل على حقها في التعليم والعمل مما منحها مساحة أرحب من الحرية في الحركة والمشاركة الفاعلة في المجتمع، إذ أن الانصهار الفعال في المجتمع يرفع من معدلات الثقة بالنفس ويسهم في تكوين مفهوم ايجابي للذات.

تشير النتائج في كل من جدول رقم (٤) وجدول رقم (٥) إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً تبعاً لمستوي التعليم لصالح فئة التعليم الجامعي وفوق الجامعي، إذ يسهم التعليم في رفع الوعي الصحي والنفسي للأفراد وذلك بتمليكهم الأفكار والمعارف التي تسهم إيجابا في بناء الرؤى المستقبل ية والتخطيط لكيفية ترجمة أهدافهم الحياتية إلى أرض الواقع وعبر إجادتهم للتكيف مع العقبات الحياتية المختلفة التي قد تعترض طريقهم كمعاقين. الشيء الذي يؤثر بايجابية في تطور مفهوم ذات متوازن. فكلما قل مستوى التعليم قلت معه الفرصة لخلق جو صحي من التوافق والتكيف مع الإعاقة في مجتمع ما زال يخطو خطواته الأولى في طريق تعليم وتدريب وتأهيل المعاقين.

أوضحت النتائج في كل من جدول رقم (٦) وجدول رقم (٧) وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً تبعاً لمتغير المهنة لصالح موظف، فقد أكدت بعض الآرا ء أن الإعاقة قد تدفع صاحبها للعمل المتقن مما يعتبر تعويضاً عن إحساسه بالنقص أو القصور، ويكون الناتج عملاً مبدعاً يفيد الفرد والمجتمع قد يضاهي أو يفوق ما يقوم به أقرانه الأسوياء . وتري فئة أخري أن المعاق يستطيع أن يبدع من خلال قيامه بالانضمام إلي طائفة ذو ي الحاجات الخاصة فارضاً بذلك علي نفسه العضوية في جماعة صغيرة منفصلة عن المجتمع العادي لظروفها الخاصة ، فيشعر بنفس شعورهم ويسلك علي ضوء اتجاهاتهم .بينما يرى فريق ثالث إن الإعاقة تؤثر سلبا على توافق المعاق مع نفسه ومع مجتمعه مما يقلل من فرصه في التفوق والإبد اع في المجالات المختلفة . وتعزي الباحثة هذه النتائج إلى أن معنى الصحة والسواء النفسي يتحقق بالقدرة على ممارسة النشاط اليومي بطريقة تحقق الفاعلية والاستغلال الأمثل للقدرات، مع درجة من التوازن الذاتي تنتفي معه المعاناة، والوظيفة تمنح المعاق الإحساس بالأمن والا طمئنان والراحة النفسية، وذلك لإحساسه بالدور الفاعل والمشاركة في أداء الواجب المجتمعي والتغلب على كل الصعوبات التي تجابهه كمعاق من جهة، وما توفره الوظيفة من دخل شهري ثابت يغنيه عن القلق والتفكير جهة أخرى.

أشارت النتائج في الجداول رقم (٨) و(٩) إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً تبعاً لمتغير الحالة الزواجية لصالح فئة المتزوجين . إذ أن مؤسسة الزواج بما توفره من الإحساس بالدفء والمشاركة الوجدانية تسهم في تخطي المعاق للكثير من العقبات التي قد تجابهه سواء على المستوى الش خصي أو

الاجتماعي، بالرغم من أن المجتمع السوداني ما زال محتفظاً بالكثير من خصائصه الأصيلة، والمتمثلة في الترابط الأسري ودعم الأسر الممتدة ومساندتها لأبنائها المعاقين، إلا أن مؤسسة الزواج بما تميزت به من المودة والرحمة بين الشريكين تسهم إيجابا في تطور مفهوم الذات لهذه الفئة، ومن جانب أخر فإن مفهوم الذات يتأثر سلباً في فئة غير المتزوجين، إذ إن الإحساس بالخوف من الأقدام على الزواج خوفاً من الرفض في حالة التفكير بالارتباط بغير المعاقين، أو القلق من ولادة أطفال معاقين في حالة وجود تاريخ اسري من الإعاقة، أو لعدم و جود مصدر ثابت للدخل تزيد من معدلات القلق والتوتر مما يؤثر بدوره على توازن مفهوم الذات.

أشارت النتائج الواردة في جدول رقم (١٠) إلى أن قيمة (ت) بلغت ٠.٦٠٣ بدلالة إحصائية بلغت ٠.٥٥٦ وهي قيمة غير دالة إحصائيا، مما يشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية فـي مستوى مفهوم الذات لدى المعاقين سمعياً تبعا لدرجة الإعاقة. يتفاوت استعداد المعاقين بصرياً ومقدراتهم تبعاً لتباين درجة الفقدان البصري سواء أن كانت الإعاقة كلية أو جزئية من جانب، وخصائصهم الشخصية وتوافقهم مع الإعاقة من جانب أخر، إذ أن درجة الإعاقة في حد ذا تها لا تتسبب في ظهور المشكلات النفسية والسلوكية والتوافقية التي يعاني منها المعاقين بصريا ، بل يرتبط هذا الأمر وبدرجة كبيرة على كيفية تقبل المعاق لإعاقته، مستوى الوعي داخل الأسرة التي نشأ فيها وكيفية تقبلها للإعاقة، طرق التواصل المتاحة للمعاق في الاندماج مع المحيط، إلى جانب طرق التعليم والتأهيل التي أتيحت له، فالإعاقة لا تتعارض مع التفوق والإبداع والإنتاج العلمي والذهني والمجتمعي، وسواء كانت الإعاقة كلية أو جزئية فتطور مفهوم الذات الموجب يعتمد بشكل كبير علي مدى تفهم الأسر والمجتمع لكيفية التعامل الواعي مع المعاقين.

أوضحت النتائج الواردة في كل من جدول رقم (١١) وجدول رقم (١٢) بأن قيمة (ف) بلغت ٢.٩٠٤ بقيمة احتمالية ٠.٠٠٤٥، مما يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات مستوى مفهوم الذات لصالح منذ الولادة

وتعزى هذه النتيجة إلى أن الإصابة المبكرة بفقدان البصر تجعل المعاق أكثر توافقاً على المستوى الشخصي والاجتماعي، إذ أنه غالباً ما يعمل على تطوير حواسه ومهاراته الأخرى لمحاولة التكيف مع الأمر الواقع، في حين أن الإصابة المتأخرة تصيب المعاق بالصدمة والألم النفسي حيال كثير من الخبرات والمهارات التي فقدها بسبب الإعا قة، ويلزمه وقت طويل ومجهود مضاعف لمحاولة التوافق وتخطي العقبات التي تعترض طريقه.

التوصيات:

١. العمل على تأسيس وحدات متخصصة في الإرشاد والتوجيه النفسي بمدارس واتحادات المعاقين بصرياً لتسهم في تمليك المعاق المهارات والوعي اللازم لمواجهة ما يعترضه من مشكلات.
٢. الاهتمام بدور القياس والاختبارات النفسية كجزء لا يتجزأ من خُطط التأهيل النفسي والاجتماعي للمعاقين بصرياً
٣. الإرشاد الأسري وذلك عبر الالتقاء بأسر المعاقين ضمن البرامج التي تنفذها وحدات الإرشاد النفسي المتخصصة لدورها الفعال في دعم المعاق معنوياً وصقل شخصيته.
٤. السعي الجاد في العمل مع الجهات المختصة لترجمة حقوق المعاقين في التعليم والتأهيل والعمل إلى واقع ملموس.

المقترحات:

تقترح الباحثة **الدراسات التالية:**

١. التوفق النفسي والاجتماعي والصحي والأسري للمعاقين بصرياً.
٢. الضغوط النفسية لدى المعاقين.
٣. دراسة تدخليه لإرشاد وتوجيه اسر الأطفال المعاقين بصرياً.

قائمة المراجع:

١. صالح ، عبد المجي محمود حسن، "**متحدو الإعاقة**"، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٩.

٢. عبد الرحمن، إخلاص محمد، "**أثر الإعاقة البصرية والإعاقة السمعية على شخصية المعاق** "،رسالة دكتوراه غير منشورة ٢٠٠٨.

٣. الحديني ، منى، "**مقدمة في الإعاقة البصرية**"، دار الفكر للطباعة والنشر،عمان، ١٩٨٩.

٤. الظاهر، قحطان أحمد، "**مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق**"، عمان، الأردن ٢٠٠٤.

٥. زهران، حامد عبد السلام، "**الصحة النفسية والعلاج النفسي**"، القاهرة،.٢٠٠١.

٦. فهمي، مصطفى ، "**الصحة النفسية**"، دراسات في سيكولوجية التكيف، القاهرة، ١٩٩٨.

٧. علي ،السيد فهمي ، "**سيكولوجية ذوي الإعاقات،الحركية والسمعية والبصرية والعقلية** "،دار الجامعة الجديدة، القاهرة،٢٠١٠.

٨. بركات، عبد المجيد عبد الرحمن لطفي، "**سيكولوجية الطفل المعوق وتربيته**"، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٧.

٩. الخطيب، جمال،"**مقدمة في التربية الخاصة**"، دار الفكر للطباعة والنشر،عمان، الأردن.

١٠.الصبي، عبد الله محمد، "**الإعاقة البصرية**"، أطفال الخليج ذوي الاحتياجات الخاصة.

١١.محمد، محمود مندوه و حمزة، أحمد عبد الكريم، "**مقدمة في التربية الخاصة** "،مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية،٢٠١٠.

واقع الهجرة من الريف إلى المدينة:دراسة ميدانية بمدينة الأغواط

أ.تهامي محمد/جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر

ملخص :

تسعى هذه الدراسة الى معرفة الأسباب الدافعة إلى هجرة المواطن من الريف اتجاه المدينة حيث تمت الدراسة بمدينة الأغواط محاولين إبراز أهم الأسباب وراء الهجرة اليها من مناطقها الريفية المتعددة ومدى تأثير ذلك سواء على المنطقة المغادر منها أو بالنسبة للمنطقة المهاجر اليها وقد تكون إيجابية بعض الأحيان ، ولكنها يمكن أن تكون سلبية في الأحيان الأخرى ، ففي حين يستفيد المهاجر منها في تحسين دخله أو مستواه المعيشيفأنه قد يواجه خيبة أمل نتيجة عدم تمكنه من الحصول على عمل في مكانه الجديدمما قد يضطره الى العودة إلى المكان الأصل، أو البقاء بدون ع مل لفترة طويلةقد تعرض بعضهم إلى الكسب غير المشروع أو الضغط على الخدمات الاجتماعية ، وربما كان أكبر السبب في الهجرة من الريف إلى المدن، أن أفرادها يطمعون في أن يجدوا في المدن عملا أقل جهدا ومشقة من عمل الزراعة، و في نفس الوقت أكثرأجرا، وهذا الدافع ينشأ أغلب الأمر عند بدء صناعات جديدة في المدن تحتاج إلى أيد عاملة كثيرة ومنه انطلقنا في دراستنا من **السؤال الرئيسي التالي**:ماهي الاسباب التي شكلت دافعا للفرد القاطن في الريف إلى اتخاذ قرار الهجرة نحو المدينة ؟.

مقدمة :

تعتبر الهجرة الريفية من أهم مظاهر حركة السكان في الدول النامية ومنها بلدنا الجزائر الذي شهد هجرة ريفية كبيرة منذ الاستقلال إلى يومنا هذا، وهناك العديد من العوامل التي تقف وراء الهجرة لكن تبقى المحفزات الاقتصادية هي الأهم علاوة على الأنظمة التقليدية لملكية الأراضي وانخفاض الإنتاج الزراعي الذي يسبب الفقر و الجوع وافتقار المناطق الريفية للاستثمارات الصناعية و الخدمات الاجتماعية و الصحية و التعليمية و الثقافية كذلك فان حدوث الكوارث و النكبات و الحروب خاصة الأهلية و تعاقب فترات الجفاف كلها عوامل طرد تدفع الريفيين للهجرة الى المدن ومن جانب آخر تمتاز المدن بجاذبيتها كمراكز لفرص عمل ودخل أعلى و كمراكز للتعليم و الثقافة و النقل و الموصلات وخدمات اجتماعية وصحية أفضل حيث قسمت هاته الدراسة إلى **محورين** المحور الأول ويتمثل في الجانب النظري للدراسة و المحور الثاني و المتمثل في الجانب الميداني للدراسة.

أولا : المحور الأول: الجانب النظري للدراسة :

١) إشكالية الدراسة :

تعد الهجرة من الظواهر السكانية الكفيلة بتغير الهيكل السكاني أو الهرم السكاني لأي مجتمع والهجرة يقصد بها انتقال الأشخاص من منطقة ما إلى منطقة أخرى سواء كان ذلك داخل حدود الدولة وهو ما يطلق عليها الهجرة الداخلية أو الهجرة خارج حدود الدولة وهو ما يطلق عليه الهجرة الخارجية وما يهمنا في هذا البحث الهجرة من الريف إلى المدينة التي تتميز بها البلدان النامية ، الأمر الذي أدي إلى تسبب في مشاكل عمرانية في ضواحي المدن مثل : نمو المدن

والأحياء القصديرية والضواحي التلقائية الغير مخططة كما أن هذه الظاهرة العالمية بدأت في أوروبا مع قيام الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر حيث شهدت أكبر معدلاتها في الفترة ما بين منتصف القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين مما أدى إلى تزايد نسبة سكان المدن في "بريطانيا حيث وصلت إلى 85 % وفي ألمانيا والدنمارك واستراليا والولايات المتحدة الأمريكية 50 % من سكان المدن أما على المستوى العربي فهي في ارتفاع كبير لان معظم الدول العربية هي دول نامية والهجرة من الريف إلى المدن تكون مرتفعة في هذه الدول فقد بلغت نسبة 56 % في عام ١٩٩٨ ثم ارتفعت إلى 69 % في عام ٢٠٠٤ أما في الجزائر فقد ظهرت ظاهرة الهج رة الريفية الحضرية منذ عام ١٩٤٨ حيث بلغت في سنة ١٩٨٨ إلى حوالي 41 % ثم ارتفعت إلى 49 % في عام ٢٠٠٠ "[١]، أما في " مدينة الأغواط نلاحظ أن سكانها في ارتفاع مستمر لعدة أسباب متعددة من بينها الهجرة الريفية الحضرية إلى مدينة الأغواط حيث بلغ عدد سكان مدينة الأغو اط ١٠٧٢٧٣ نسمة وذلك في سنة ١٩٩٨ ثم بلغ ١٣٠٩١٤ نسمة عام ٢٠٠٣ وازداد هذا العدد ليصل إلى ١٤٤٧٤٧ نسمة عام ٢٠٠٧ أما بالنسبة لعدد السكان في ولاية الأغواط وصل إلى ٤٥٥٦٠٢ نسمة عام ٢٠٠٨ "[٢].

ومنه يمكن إيجاز **الأسباب المبدئية للهجرة من الريف إلى المدينة** ببساطة في ما يعرف بعوامل الجذب وعوامل الطرد أو الدفع والتوازن بين هذه العوامل يختلف بطبيعة الحال من فرد إلى فرد أخر ، ومن إقليم إلى إقليم ولو أخذنا عاملا من هذه العوامل وليكن عامل الجذب لوجدنا أنه العديد من سكان القرى والمدن الصغيرة تجذبهم المدن الكبيرة بحياتها الأفضل والأكثر إشرافا وسعادة ويلاحظ أن الهجرة الريفية الحضرية يحركها العامل الاقتصادي بالدرجة الأولى ، أو عامل الطرد كانخفاض الدخل في الريف وتدني مستوى الخدمات الصحية والتعليمية وغيرها ، في الواقع من الممكن القول إن خليطا من عوامل الجذب والطرد تعد من أهم مسببا ت تحرك المهاجرين من الريف إلى المدن وبناء على ماسبق فإن إشكالية بحثنا **تتمحور** حول :

- ماهي الأسباب التي شكلتدافعا للفرد القاطن في الريف إلى اتخاذ قرار الهجرة نحو المدينة ؟

***التساؤلات الفرعية:**

- هل لتوفر فرص العمل وارتفاع الدخل في المدن من الأسباب المؤدية إلى الهجرة من الريف باتجاه المدينة ؟

- هل يعتبر توفر المدينة على المرافق الصحية كالعلاج والأدوية إلى جانب المرافق الاجتماعية منتعليم ونقل ومواصلات إضافة إلى التوصيلات الغاز و الماء والكهرباء وقنوات الصرف الصحي من الدوافع المؤدية إلى الهجرة من الريف إلى المدينة ؟

- هل يمكن اعتبار اللأمن من الأسباب المؤدية إلى الهجرة من الريف نحو المدينة ؟

٢) فرضيات الدراسة :

الفرضية العامة:إن توفر مناصب الشغل وارتفاع الأجر وتوفر الخدمات الصحية مثل العلاج وأماكن بيع الدواء وتنوع المرافق الاجتماعية كالتعلم بالإضافة إلى التوصيلا ت الضرورية كالغاز والكهرباء والماء وتوفر النقل ووسائل المواصلات إلى جانب الأمن الموجود في المدينة كلها أسباب جاذبة للشخص القاطن في الريف إلى الهجرة باتجاه المدينة.

الفرضيات الجزئية:

[١]، هاشم نعمة ، "**الهجرة الريفية الحضرية**"، **www.doroob.com**، ٢٤ / ٠٦ / ٢٠١٠ .

[٢] http: www.ons.dz/collectionsw03، p3.

١. يمكن اعتبار توفر المدينة على مناصب شغل وارتفاع الأجر سببا للهجرة من الريف إلى المدينة.

٢. إن توفر المدينة على المستشفيات والصيدليات إلى جانب المدارس والجامعات والتوسع في التعلم وكذلك سهولة التنقل كل هذه العوامل جعلت المدينة محط أنظار أهل الريف.

٣. يمكن اعتبار فترة العشرية السوداء التي عاشتها الجزائر وعدم توفر الأمن في المناطق الريفية كان دافعا للأشخاص إلى الهجرة باتجاه المدينة.

٣) أهمية الموضوع: يكتسب هذا البحث أهمية من خلال:

– ازدياد ملحوظ ومستمر في انتقال السكان الريفيين إلى المدن.

– كما تأتي الأهمية مما قد تفيده الدراسة في فهم السياسات واتخاذ الإجراءات اللازمة من قبل مسؤولي الدولة.

٤) أهداف الدراسة :

– معرفة أسباب الهجرة من الريف إلى المدن من خلال معرفة أسبابها في ولاية الأغواط ، ومعرفة مدى ارتباطها بالحالة الاقتصادية والاجتماعية وكذا السياسية.

– محاولة إعطاء بعض الحلول المناسبة والتوصيات العلمية للتقليل من الظاهرة.

٥ تحديد مفاهيم الدراسة:

٥-١: المفهوم الإجرائي للهجرة : يقصد بالهجرة انتقال الأفراد من منطقة ما إلى منطقة أخرى ، سواء كان ذلك داخل حدود الدولة وهو ما يطلق عليه الهجرة الداخلية، أو الهجرة خارج حدود الدولة وهو ما يطلق عليه الهجرة الخارجية، وقد تتم الهجرة بشكل قانوني،أو قد تتم من خلال تسرب المهاجر إلى الدولة بطرق غير شرعية مثل ادعاء الدخول بغرض الزيارة ثم الاستمرار في البقاء داخل الدولة بهدف العمل، والهجرة قد تكون دائمة أو مؤقتة.

٥-٢: التعريف الإجرائي للمهاجر: المهاجر هو شخص الذي يقيم بشكل مستمر في دولة أخرى أو إقليم آخر للمدة أكثر من سنة.

٥-٣:التعريف الإجرائي للهجرة الريفية الحضرية : هي تيار من تيارات الهجرة الداخلية وهي تتم داخل حدود الدولة من المناطق الريفية إلى المناطق أو المراكز الحضرية.

٥-٤: التعريف المدينة:"هي حاضرة كبيرة وتحتل مكانة هامة، ويستخدم علماء الاجتماع هذا المصطلح للتعبي ر في إطارها عن البيئة التي يسكن في نطاقها سكان الحضر"[١].

٥-٥: التعريف الاجتماعي للمدينة:"هي مكان كبير بدرجة أن الناس لم يعودوا يعرفون بعضهم البعض ، أو أنه يمتاز بعدم تجانس السكان أو بالطبقة الاجتماعية أو بالحركة السكانية "[٢]

٥_ ٦: مفهوم الريف:"عرفه "**وايت سندرسون**"على أنه صورة الرابطة القائمة بين الأشخاص ومؤسساتهم في منطقة محلية يعيشون فيها على الزراعة في قرية تمثل عادة محور نشاطاتهم "[٣].

---

[١]، ميشيل مان ،ترجمة : عادل مختار الهواري وسعد عبد العزيز مصلوح، "**موسوعة العلوم الاجتماعية** " ،دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩، ص : ١١٠ .

[٢]، جمال حمدان ، "**جغرافية المدن**" ، القاهرة ، عالم الكتب ، ط٢ ، ب س، ص: ١٣ .

[٣]، السيد الحسيني وآخرون ،"**دراسات في التنمية الاجتماعية** "، مصر ، دار المعارف ، ط٣ ، ١٩٨٨ ، ص ص: ١٣ ، ١٤ .

٥-٧: الريفية:"هو مفهوم يشير إلى الحياة الخاصة بالريف بكل ما في هذا المجتمع من مميزات وخصائص وتتباين عن تلك السائدة في المدينة وكما ينظر إليها من جانبها المهني الذي يقوم على الزراعة بمجالاتها المختلفة لكن ليس معناه الانعزال على العالم الأخر فقط من اجل تسهيل الدراسة."[١]

٥-٨: الدخل: هو زيادة في القدرة الشرائية عبر فترة معينة من الزمن وفي نسق السوق يتم الحصول على الدخل ببيع الخدمات المتصلة بعوامل الإنتاج التي يمتلكها فرد ما.

٥-٩:إيجاد فرص عمل:حرفيا هو أي محاولة لرفع مستوي العمالة في أي جماعة، ولكن يشيع إطلاقه بدلالة أكثر تحديدا على برامج خاصة تقدمها الحكومات أو الأجهزة الرسمية لتشجيع إيجاد فرص العمل جديدة

٦) تعريف الهجرة من الريف إلى المدينة :"هي من أشهر أنواع الهجرات و أوضحها تلك التي يتم فيها انتقال الأفراد من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية و تزداد هذه الظاهرة داخل ا لمجتمعات كلما زادت المدن من خصائصها كمراكز جذب، و كلما اتسع نطاق مراكز الصناعة الجديدة في الوقت الذي يزداد فيها سكان المناطق الريفية فيزيد عن حاجة العمل الزراعي الحقيقي"[٢].

" الهجرة من الريف إلى المدينة يتم فيها انتقال الأفراد من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية، و قد أصبحت هذه الهجرة تشكل إحدى المشاكل الكبرى التي تعانيها المجتمعات الصناعية "[٣].

٧) أسباب الهجرة من الريف إلى المدينة :

٧_١ :العوامل الطاردة:

" تلعب العوامل الطبيعية دورا هاما في عملية الهجرة حيث يؤدي المناخ القاسي والتربة الفقيرة إلى صعوبة الحياة مما يؤدي إلى سكان هذه المناطق إلى الهجرة وكذلك تؤدي الكوارث الطبيعية مثل الزلازل والبراكين والفيضانات والأعاصير إلى تشجيع الهجرة.

– تنطوي الطبيعة الموسمية للعمل في الزراعة عادة على فترة فراغ بين زراعة المحصولات وحصدها مما يتيح تلقائيا فرصة الهجرة إلى المدينة

– سوء توزيع الملكية الزراعية مما يؤدي في الغالب إلى هجرة أهل الريف إلى المدن سعيا وراء الرزق.

– يعد التضخم السكاني في المناطق الريفية وعلاقة ذلك بكم الطعام أو العمل المتاح عاملا رئيسيا من عوامل الهجرة من الريف إلى الحضر.

– تضاؤل فرص الحصول على الأرض التي يمكن فلاحتها وتضاؤل فرص العمل لدى الحكومة والمؤسسات"[٤].

٧_٢ : العوامل الجاذبة:

– " الارتفاع النسبي لمستويات الأجور في المناطق الحضرية.

– توفر فرص العمل وتزايد الطلب على القوى العاملة في المدن كانعكاس لبرامج التنمية والتطور العمراني.

١، عاطف محمد عيش ،"**قاموس علم الاجتماع** "، الإسكندرية ، دار المعرفة الاجتماعية ، ب ت ، ص: ٣١ .

٢، علي عبد الرزاق جبلي ، "**علم الاجتماع السكان**" ، مصر ، دار المعرفة الجامعية ، ب ط ، ٢٠٠٥ ، ص: ٢٥٥

٣، موسى سمحة، "**جغرافيا السكان**"، مصر، الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة، ب ط ، ٢٠٠٤، ص: ١٤٩.

٤ محمد الجوهري وعليا شكري، "**علم الاجتماع الريفي والحضري**"، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، ب ط ، ١٩٩٤، ص ص: ٤٣٠،٤٢٩.

– توفر الخدمات كفرص التعليم في المعاهد العليا والجامعات وتوفر الرعاية الاجتماعية والصحة والمستشفيات والعيادات الصحية.

– المظاهر الحضارية والاجتماعية التي تتميز بها أهل المدن على أهل الريف "[1].

٨) الهجرة من الريف إلى المدينة في الجزائر

٨ _ ١ : واقع الهجرة الريفية الحضرية في الجزائر:

- "**المرحلة الأولى**: امتدت هذه مرحلة من ١٩٥٤ إلى سنة ١٩٦٢ حيث شهدت تضاعف عدد سكان المدن في هذه المرحلة بسبب سياسة التدمير المنظم للريف والقرى التي انتهجها الإستعمار، مما اجبر السكان على الزحف نحو ضواحي المدن التي عجزت عن توفير شروط الاستقبال الضروري للنازحين.

- **المرحلة الثانية**: من سنة ١٩٦٢ إلى سنة ١٩٧٠ حيث أصبحت الأرياف غداة الاستقلال بسبب وضعيتها المزرية والتدمير الذي لحق بها أثناء الحرب تطرح صعوبات أمام استقرار السكان وخاصة فئة الشباب التي لجأت إلى المدن هروبا من البطالة وطلبا لحياة أفضل وغالبا ما كان الانتقال إلى المدينة دون عودة.

- **المرحلة الثالثة**: من ١٩٧٠ إلى يومنا هذا أدت مجهودات الانتماء الاقتصادي منذ بداية السبعينات والتي غالبا ما تمركزت في المدن إلى جذب أعداد كبيرة من سكان الأرياف وتضخم المدن مما أدي إلى أزمات حادة

وقد صرح **وزير الداخلية والجماعات المحلية** الجزائري **نور الدين زرهوني** بعد تعداد سنة ٢٠٠٨ أن أكثر من ٨٠ من سكان الجزائر يقطنون في المدن وهذا بسبب تزايد معدلات الزيادة الطبيعية بالإضافة إلى ارتفاع معدلات الهجرة من الريف إلى المدينة"[2].

٨-٢ - أسبابها ودوافها:

- "أول دافع ربما نراه مهما وجوهريا هو سياسة الإبادة والتشريد و النفي التي مارستها السلطات الاستعمارية منذ احتلالها الجزائر.

- نلاحظ بأن السلطة الاستعمارية أصدرت عشرات القوانين كلها تتعلق بمصادرة الأرض وانتزاعها عنوة من أيدي مالكيها الجزائريين من أكتوبر ١٨٤٤ إلى غاية ١٩١٠ أو ١٩١٢ "[3].

- "السياسة الاقتصادية الوطنية وما أحدثته من آثار وتحولات على سوق العمل وعلى التوازن بين الريف والمدينة حيث أن حركة التصنيع التي شهدتها البلاد خلال السبعينات وبداية الثمانينات كانت مسؤولة على حد كبير لهجرة أعداد هائلة من العمال الريفيين على المراكز الحضر ية حيث توجد المركبات الصناعية ذلك بحثا عن فرص العمل المتاحة هناك وبذلك لم تصبح الأرض بشكل عام تستقطب الشباب واليد العاملة المتخصصة خاصة منذ أن ظهرت وظائف التشغيل في مختلف القطاعات الأخرى كالتصنيع والبناء والأشغال العمومية وغيرها.

- الفوارق الكبيرة في الأج ور والخدمات الاجتماعية التي يحظى بها عمال الصناعة وبقية القطاعات الأخرى قد شكلت عوامل جذب قوية بالنسبة للأيدي العاملة الريفية والفلاحية منها خاصة.

١، عبد الحميد دليمي، "**دراسة في العمران (السكن والإسكان)**"، الجزائر ، مخبر الانسان والمدينة، ب ط ، ٢٠٠٧، ص: ١٢٩.

٢، قناة الجزائرية الأرضية ،"**منتدى التلفيزيون**" ،نورالدين يزيد زرهوني، وزير الداخلية والجماعات المحلية، ٢٠٠٨ ، ٢١:٣٠ .

٣، جمال يحياوي ، "**دوافع الهجرة الجزائرية في أعمال الملتقي الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال (٨٣٠ ، ١٩٦٢)**"،وزارة المجاهدين ، ٣٠ – ٣١ أكتوبر ٢٠٠٦ ، الجزائر .

- للخدمات الصحية دور كبير على حركة السكان الداخلية في الجزائر نتيجة انخفاض المستوى الصحي والنقص في المرافق و الخدمات و التغذية وانتشار الأمية بين السكان مما يدفع السكان إلى البحث عن الرعاية الصحية والخدمات الطبية في المناطق التي تتوفر فيها والتي تتركز غالبا في المدن الكبيرة في حين تنعدم في الأرياف.

- للخدمات التعليمية دور فعال على حركة السكان الداخلية خاصة في الد ول النامية ومنها الجزائر التي تتصف بعدم توازن التوزيع الجغرافي في توزيع الخدمات بأنواعها المختلفة وتتركز في المدن الكبيرة والمتوسطة ونادرا ما توجد في المدن الصغيرة والقرى مما يدفع السكان إلى الانتقال للمناطق التي تنتشر بها الخدمات "[1].

٩) **نتائج الهجرة من الريف إلى المدينة :**

- أدت إلى زيادة الكثافة السكانية في المدن نتيجة للهجرة الداخلية من الريف إلى المدينة إلى ظهور كثير من المشاكل الإسكان والمواصلات والصحة العامة والترفيه ومؤسسات الخدمة العامة.

- أدت الهجرة الداخلية من الريف إلى الحضر إلى تفكك الروابط الاجتماعية للفرد"[2].

- "الهجرة من الريف إلى المدينة تشكل عائقا عندما تتجاوز الطاقة الاستيعابية للمدن مما يؤدي إلى عيش السكان في ما يسمي بالإحياء القصديرية التي تفتقر لمقومات العيش الصحي حيث يعيش ٩٢٨ مليون نسمة في مختلف أنحاء العالم حسب تقديرات الأمم المتحدة حو ل مواطن العيش لعام ٢٠٠٣ ، وسوف يتزايد هذا الرقم بشكل متسارع إذا لم يتم اتخاذ إجراءات مناسبة للحد من هذه الظاهرة"[3].

ثانيا : المحور الثاني : الجانب الميداني للدراسة :

١) **مجالات الدراسة :**

١ _ ١ :**المجال المكاني (الجغرافي) :** من أهم المسائل التي تشغل بال أي باحث عن قيامه بدراسة موضوع ما تحديد المكاني للدراسة وقد تم اختيارنا للمدينة الأغواط للقيام بالدراسة الميدانية ، مدينة الأغواط هي إحدى المدن الجزائرية متوسطة الحجم تقع في قلب الجزائر، تبعد عن الجزائر العاصمة حوالي ٤٠٠ كلم ، تقع شمالا على خط عرض ٣٣.٥ وعلى خط طول حوالي ٣ شرقا أما ارتفاعها عن سطح البحر يبلغ ٧٥٠ م على السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي ، بلغ عدد سكان مدينة الأغواط ١٤٦ ٣٦٩ نسمة في مساحة تقدر بـ ٤٠٠ كلم٢ حسب تعداد ٢٠٠٨ .

١ _ ٢ _ **المجال البشري :** ضمت عينة الدراسة ٦٠ مبحوث من سكان **مدينة الأغواط** حيث اقتصرت الدراسة على الذين تمسهم الظاهرة أي الذين هاجروا من الريف إلى مدينة الأغواط.

---

[1] ،١مربعي السعيد ، "**التغيرات السكانية في الجزائر** "، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ب ط ، ١٩٨٤ ، ص ص: ٢٤٢ ، ٢٤٤.

[2] ، ، علي عبد الرزاق جبلي ، مرجع سبق ذكره ، ص ص: ٢٧٧ – ٢٧٨ .

[3] ، نوال نعمة ، ملتقي السياسات الزراعية حول: "**الزراعة والهجرة من الريف إلى المدينة في الدول النامية** " ١٢ كانون الأول ٢٠٠٤، دمشق ، ص: ١ .

قبل الهجرة			بعد الهجرة		
إمكانية العمل	ك	%	إمكانية العمل	ك	%
نعم	٢٩	% 48.33	نعم	٥٧	% 95
لا	٣١	% 51.67	لا	٠٣	% 5
المجموع	٦٠	% 100	المجموع	٦٠	% 100

٢) المنهج والأدوات المستخدمة :

٢ _ ١: المنهج المستخدم :لا توجد طريقة علمية فريدة تقود الباحث للوصول إلى حقيقة وفي الواقع ليس من السهل في العلوم الاجتماعية و الديموغرافية إيجاد المنهج الذي يحدد بدقة حقيقة الظواهر الديموغرافية وبالطبع تختلف المناهج باختلاف المواضيع ، والمنهج مهما اختلف نوعه فهو " **الطريقة التي يسلكها الباحث للوصول إلى نتيجة معينة** "[١].

وكذلك الحصول على معلومات دقيقة قدر الإمكان تصور الواقع الاجتماعي وتسهم في تحليل ظواهره ، ولقد كان المنهج الكمي والكيفي الأكثر لياقة لدراسة هذا الموضوع "**ويعبر المنهج الوصفي عن جمع البيانات بنوعيها الكيفي و الكمي حول الظاهرة محل الدراسة من أجل تحليلها وتفسيرها لاستخلاص النتائج لمعرفة طبيعتها وخصائصها وتحديد العلاقات بين عناصرها وبينها و بين الظواهر الأخرى والوصول إلى تعميمات** "، إلى جانب المنهج الكمي والكيفي الذي أخذ حصة الأسد استخدمنا المنهج التاريخي حتى نعطي خلفية تاريخية للظاهرة الهجرة بصفة عامة وبصفة خاصة ظاهرة الهجرة الريفية الحضرية ، فالتاريخ يوضح للباحث الاجتماعي و الديموغرافي التاري خ الثقافي للهجرة كما يعطيها المعني التاريخي.

٢ - ٢ : الأدوات المستخدمة: الاستمارة : تعرف الاستمارة على أنها مجموعة من الأسئلة أو الفقرات أو العبارات التي يطلب من المبحوث الإجابة عنها بطريقة يحددها الباحث حسب أغراض البحث[٢].

هذا ونشير إلى أن الاستمارة قد احتوت على ٤٠ سؤالاً.

٢) تحليل وتفسير البيانات المتعلقة بالفرضية الأولى :

جدول رقم (٠١):يوضح إمكانية عمل المهاجرين قبل الهجرة وبعد الهجرة.

نلاحظ من الجدول رقم (٠١) الذي يوضح إمكانية عمل أفراد مجتمع البحث قبل الهجرة وبعد الهجرة نلاحظ أنه قبل الهجرة كان هنالك ٥١.٦٧ % لا يعملون و ٤٨.٣٣ % يعملون أما بعد الهجرة فنلاحظ أن نسبة العاملين ارتفعت إلى ٩٥ % في حين انخفضت نسبة الذين لا يزاولن عمل إلى ٥ % وهذا بعد هجرتهم ، ومنه نرى أن نسبة الذين لم يعملوا في الريف أكبر من الذين كانوا يعملون قبل الهجرة وهذا راجع إلى طبيعة المجتمع الريفي القائم على الزراعة مما ينتج عنه بطالة موسمية أجاب أحد المبحوثين في ذلك " العمل في الريف نهار خدام وعشرة قاعد"، أي أن الوضعية المهنية ليست دائمة ومتوقفة على طبيعة العمل والأصل الجغرافي للمنطقة ، أما بعد الهجرة نلاحظ أن هذه النسبة قد تقلصت وأصبح الذين يعملون أكثر بعد هجرتهم إلى المدينة وهذا راجع إلى توفر المدينة على عمل وأجر منتظمين إضافة إلى توفر الخدمات

[١] عمار بوحوش ،"**دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية**"، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ب ط ، ١٩٨٥ ، ص: ٢٣.

[٢] محمد داودي ومحمد بوفاتح ،"**منهجية كتابة البحوث العلمية و الرسائل الجامعية** "، الجلفة، دار و مكتبة الأوراسي، ط١ ، ٢٠٠٧، ص ٨١ ،١٠٧.

المعيشية المختلفة مما يؤدي إلى التحاق العديد من المهاجرين بسوق العمل وذلك لتوفر العمل في مجال الصناعة خاصة الصناعات التقليدية والخفيفة و الأعمال الحرفية والتجارة والخدمات في المدن.

جدول رقم (٠٢) :يوضح نوع عمل أفراد مجتمع البحث قبل الهجرة وبعد الهجرة

قبل الهجرة			بعد الهجرة		
نوع العمل	ك	%	نوع العمل	ك	%
حرفي	٠٦	% 20.69	حرفي	١٠	% 17.54
عامل	١٤	% 48.28	عامل	٢٨	% 49.12
موظف	٠٤	% 13.79	موظف	١٢	% 21.05
إطار سامي	–	–	إطار سامي	٠٢	% 3.51
أخرى	٥	% 17.24	أخرى	٠٥	% 8.78
المجموع	٢٩	% 100	المجموع	٥٧	% 100

نلاحظ من جدول رقم (٠٢) الذي يبين نوع العمل المتداول للأفراد مجتمع الدراسة قيل الهجرة وبعد الهجرة ، فقبل الهجرة كانت نسبة عمال المنخرطين في المهنة (عامل) أكبر نسبة تمثلت في ٤٨.٢٨ % من مجموع العاملين ،ثم يليها الأفراد الذين ينشطون في المهن الحرفية ٢٠.٦٩ % ثم يليها الذين يعملون في المهن المصنفة (بأخرى) بالنسبة ١٧.٢٤ % ثم الأفراد الموظفين فكانت نسبتهم ١٣.٧٩ % ، أما نسبة العاملين في مجال إطار سامي فكانت ٠ % ، أما بعد الهجرة فنلاحظ أن عدد العاملين ارتفع إلى ٥٧ فرد منهم ٤٩.١٢% ينشطون في المهن(عامل) ثم ٢١.٠٥ % يعملون في المهنة (موظف) ويأتي بعدها الأفراد الذين يعملون في المهن الحرفية بالنسبة ١٧.٥٤ % ثم ٨.٧٨ % يعملون في المهن (أخرى) وبلغت نسبة الذين يعملون في المهنة (إطار سامي) ٣.٥١ % ، إن تخلف الحياة العامة في المناطق الريفية ، نظرا إلى افتقارها إلى مقوما ت الحياة العصرية ، وشعور بعض الريفيين خاصة الميسورين منهم بعدم الرضا عن نمط الحياة السائدة في الريف ، مما يدفعهم إلى تركه للاستقرار في الوسط الاجتماعي الحضري المتقدم الذي يزخر بمختلف مظاهر التحضر والتمدن ،وتتعدد فيه مجالات حياة الترف ، كما يتوفر فيه المرافق العامة والخدمات الخاصة وغيرها ، فلا غرور في أن يكون نمط الحياة المتقدم فيه مطلبا لكل إنسان ، ريفي يتطلع إلى مستوى حياة أفضل .

جدول رقم (٠٣) : يوضح إمكانية حصول المهاجر على عمل في المدينة.

العمل في الريف / العمل في المدينة	نعم		لا		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	٢٩	100	28	90.32	57	95

لا	_	_	03	9.67	03	5
المجموع	٢٩	100	31	100	60	100

نلاحظ من خلال الجدول رقم (٠٣) الذي يوضح إمكانية حصول المهاجر على عمل في المدينة أن هناك نسبة ٩٥ % يعملون بعد هجرتهم ودعمت هاته بنسبة ١٠٠% من الذين كانوا يعملون في الريف واستمروا في العمل بعد هجرتهم إلى مدينة الأغواط ومدعمة بنسبة ٩٠.٣٢ % من الذين كانوا لا يعملون في الريف وأصبحوا يعملوا في المدينة ، وهناك نسبة ٥ % من مجموع العينة قد أجابوا بأنهم لا يعملون في المدينة مع العلم أنهم كانوا لا يعملون أيضا قبل هجرتهم أي عندما كانوا في الريف .

وما يمكن ملاحظته أن هناك ٢٨ فرد من أصل ٣١ فرد كانوا لا يعملون في الريف وتحصلوا على عمل بعد هجرتهم وهنا نرى أن هجرة هؤلاء الأفراد ساهمت في الحصول لهم على عمل وذلك يرجع إلى توفر فرص العمل في المدينة التي ساهمت بالتحاق العديد منهم بسوق العمل وذلك لتوفر المدن على مختلف النشاطات والأعمال حيث نجدهم يقومون بالخدمات التي ليؤديها أبناء المدن إما تحاشيا لصعوبتها أو خشونتها ومنها أعمال البناء وتوابعها وإما لتدني درجتها الاجتماعية ومنه أعمال التنظيف العامة أو لتدني مرتباتها من حيث كونها وظائف كأعمال الحراسة ومثال ذلك أيضا : العمل في المقاهي والمطاعم والحدائق العامة والخدمات العامة الحرة (حمالة ، باعة ،خدمات البيوت ...).

ثانيا: تحليل وتفسير البيانات المتعلقة بالفرضية الثانية :

جدول (٠٤): يوضح ما إذا كان سبب الهجرة عدم توفر المؤسسات التعليمية.

توفر المؤسسات التعليمية	ك	%
نعم	18	% 30
لا	42	% 70
المجموع	60	% 100

من خلال الجدول رقم (٠٤) الذي يوضح ما إذا كان سبب الهجرة هو عدم توفر المؤسسات التعليمية نجد ٧٠ % قد أجابوا بأن سبب هجرتهم لا يرجع إلى عدم توفر المؤسسات التعليمية في حين أجاب ٣٠ % بأن سبب الهجرة هو نقص المرافق التعليمية وقد فسر بعضهم ذلك بأنه يدرس مما يحتم عليه ا لهجرة لإكمال الدراسات الجامعية وما بعد التدرج وهناك من أرجعها إلى دراسة أبنائه وعدم توفر المؤسسات التعليمية لذلك خاصة الثانويات ، ومنه يمكن القول أن الذين لم يهاجروا بسبب التعليم أنهم هاجروا لأسباب أخرى كالبحث عن عمل أو من أجل الحصول على أجر أحسن من الذي لثانوا يتقاضوه في الريف إلى أسباب أخرى لتدني الخدمات المختلفة وسبل شغل الوقت أوالى نقص المرافق الصحية والعلاجية في الريف وتوفرها في المدن أو قد يرجع إلى الأسباب الأمنية خاصة في فترة التسعينيات وغيرها من الأسباب الأخرى أما فيما يخص الذين أجابوا بأنهم هاجروا ب سب نقص المرافق التعليمية خاصة الثانويات وانعدام الجامعات ونقص المعرفة العلمية التي تساعده على البقاء وتحسين أحواله وثمة نقص فادح في المناطق الريفية في وسائل الثقافة

والتعليم بالنسبة إلى الجيل الجديد كالمكتبات العامة ، حيث يرجع إلى بعض المشكلات القائمة في المباني المدرسية الغير صالحة للاستعمال وهناك نقص في وسائل التدريس الملائمة ، أو التجهيزات الخاصة بالأنشطة الإضافية وكذلك الترفيهية .

جدول (٠٥): يوضح المسافة بين المنزل والمدرسة في الريف وإمكانية توفر نقل مدرسي.

مدارس الأطفال / توفر نقل مدرسي	بعيدة		قريبة		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	٠٤	17.39	٠٣	8.10	٠٧	11.66
لا	١٩	82.60	٣٤	91.89	٥٣	88.33
المجموع	٢٣	100	٣٧	100	٦٠	100

نلاحظ من خلال الجدول رقم (٠٥) الذي يوضح المسافة و بين مدارس الأطفال وإمكانية توفر نقل مدرسي قبل الهجرة نلاحظ أن هناك نسبة ٨٨.٣٣ % من مجموع العينة قد أجابوا بأنه لا يوجد نقل مدرسي في قريتهم ودعمت هذه النسبة ٩١.٨٩ % من الذين أجابوا بأن المسافة بين المنزل والمدارس قريبة ولا يتوفر نقل مدرسي وأن هناك نسبة ٨٢.٦٠ % أجابوا بأن المسافة بين المنزل ومدارس الأطفال بعيدة ولا يتوفر نقل مدرسي حين أجاب ١١.٦٦ % من مجموع العينة بأنه يوجد نقل مدرسي في قراهم ودعمت هذه النسبة ١٧.٣٩ % أجابوا بأن المسافة بعيدة بن المنزل ومدارس الأطفال وهناك نسبة ٨.١٠ % أجابوا بأن المسافة قريبة ويوجد نقل مدرسي .

وما يمكن ملاحظته أن هناك نسبة كبيرة من الذين أجابوا بأن قراهم لا تتوفر على نقل مدرسي الأمر الذي يبين لنا ما يعرف بالتهميش وغير المبالاة وهذا كله يرجع إلى دور الجهات المسئولة عن ذلك من خلال توفير مدارس قريبة أو توفير وسائل نقل من أجا إيصال الأفراد إلى مدارسهم .

جدول (٠٦): يوضح إمكانية تلبية المستشفيات أو المراكز الطبية لحاجيات المواطنين.

تلبية المشفى لحاجيات المواطنين	التكرارات	النسبة %
نعم	08	% 13.33
لا	52	% 86.66
المجموع	60	% 100

من خلال الجدول رقم (٠٦) الذي يوضح إمكانية تلبية المستشفيات أو المراكز الطبية لحاجيات المواطنين أن هناك نسبة ٨٦.٦٦ % قد أجابوا بأن هذه المراكز و المستشفيات لا تلبي حاجيات المواطنين في حين أجاب ١٣.٣٣ % بأن هذه المستشفيات أو المراكز الطبية تلبي حاجيات المواطنين.

إن تخلف الريف في البيئة الصحية لعدم توفر المياه النقية والمسكن الصحي والتخلص السليم من الفضلات وانتشار الحشرات والقوارض وتلوث الغذاء ، وحرق القمامة وبقايا النباتات في الأراضي الزراعية وقلة الموارد والفقر مما يؤدي لتأثيرات سلبية على الصحة وكذلك التخلف الاجتماعي والاقتصادي وتخلف الوعي الصحي وانتشار العادات الصحية الغير سليمة إن العجز الصارخ في الوحدات الصحية الريفية عن القيام بدورها في تأدية الخدمات الصحية حيث أنها تعاني قصورا شديدا في إمكانياتها المالية أو المادية وأطقم كوادرها الفنية وندرة الدهم الذي تقدمه الحكومة للمستشفيات والوحدات الصحية يساهم في الهجرة إلى المدينة

ثالثا : تفسير وتحليل البيانات المتعلقة بالفرضية الثالثة:

جدول رقم (٠٨): يوضح تأذي أحد أفراد العائلة أو الأصدقاء أو الجيران من الإرهاب.

التأذي من الإرهاب	ك	%
نعم	10	% 16.66
لا	50	% 83.33
المجموع	60	% 100

نلاحظ من خلال الجدول رقم (٠٨) الذي يوضح تأذي أحد أفراد عائلة المهاجر أو أصدقائه أو جيرانه من الارهاب حيث نجد أن هناك نسبة ٨٣.٣٣ % أجابوا بأنه لم يتعرض أي أحد منهم إلى الأذية من طرف الارهاب في حين ١٦.٦٦ % بأنه تأذى أحد أفراد عائلته أو أصدقائه أو جيرانه من الارهاب .

ومنه نرى أن أكبر نسبة شكلت الذين لو يتعرض أي أحد من أفراد عائلاتهم أو أصدقائهم أو جيرانهم من الارهاب إذا فمن المنطقي أن سبب هجرتهم ليس بسبب البحث عن الأمن وإنما لأسباب أخرى كالبحث عن عمل أو من أجل توفر الخدمات التعليمية والصحية وكل متطلبات الض رورية للحياة في المدن أما الذين تعرض أحد أفراد عائلاتهم أو أصدقائهم أو جيرانهم من الارهاب فمن الممكن أن يكون قد سبب ذلك لبعض الأفراد إلى الهجرة من أجل البحث عن الأمان والاطمئنان .

جدول رقم (٠٩): يوضح ما إذا كان سبب الهجرة هو عدم توفر الأمن

الهجرة بسبب عدم توفر الأمن	ك	%
نعم	07	% 11.66
لا	53	% 88.33
المجموع	60	% 100

نلاحظ من خلال الجدول رقم (٠٩) الذي يوضح ما إذا كانت سبب الهجرة هو الأمن حيث نلاحظ أن هناك نسبة ٨٨.٣٣ % قد أجابوا بأنهم لم يهاجروا بسبب الأمن في حين أجاب ١١.٦٦ % بأنهم هاجروا بسب الظروف الأمنية خلال فترة التسعينات.

حيث نلاحظ أن أكبر نسبة لم تهاجر بسبب الأوضاع الأمنية التي عاشتها الجزائر في تلك الفترة وقد يرجع أسباب هجرتهم إلى أسباب أخرى أغلبها تكوم من أجل البحث عن العمل أو من أجل تردي المرافق الخدماتية والتعليمية وحتى الصحية في الريف ، ونلاحظ أن هنالك ٠٧ أفراد من العينة قد هاجرو بسبب الظرف الأمنية ونجد أن كلهم هاجروا خلال السنوات ١٩٩٢-١٩٩٣-١٩٩٤-١٩٩٥-١٩٩٦. وهذا يرجع بطبيعة الحال إلى المشاكل التي عانت منها البلاد من الإرهاب الداخلي خصوصا خلال هذه السنوات وخاصة في المناطق الريفية المنعزلة عن المناطق التي يتواجد فيا مراكز أمنية مما أدى إلى الكثير من سكان هذه المناطق إلى الهجرة باتجاه المدن من أجل البحث عن الأمن والاستقرار.

٤) _ نتائج الدراسة : من خلال ما سبق توصلنا الى النتائج التالية :

بالنسبة لبيانات الفرضية الأولى وجدنا :

_ وجدنا أنه قبل الهجرة كان هنالك ٥١.٦٧ % لا يعملون و ٤٨.٣٣ % يعملون أما بعد الهجرة فنلاحظ أن نسبة العاملين ارتفعت إلى ٩٥ % في حين انخفضت نسبة الذين لا يزاولن عمل إلى ٥ % وهذا بعد هجرتهم .

_ وتوصلنا الى أنه قبل الهجرة كانت نسبة عمال المنخرطين في المهنة (عامل) أكبر نسبة تمثلت في ٤٨.٢٨ % من مجموع العاملين ،ثم يليها الأفراد الذين ينشطون في المهن الحرفية ٢٠.٦٩ % أما بعد الهجرة فنلاحظ أن عدد العاملين ارتفع إلى ٥٧ فرد منهم ٤٩.١٢% ينشطون في المهن(عامل) ثم ٢١.٠٥ % يعملون في المهنة (موظف)

_ ووجدنا أيضاأن هناك نسبة ٩٥ % يعملون بعد هجرتهم ودعمت هاته بنسبة ١٠٠% من الذين كانوا يعملون في الريف واسترمروا في العمل بعد هجرتهم إلى مدينة الأغواط ومدعمة بنسبة ٩٠.٣٢ % من الذين كانوا لا يعملون في الريف وأصبحوا يعملوا في المدينة

وهذا كله يثبت صحة افتراضنا الأول " **يمكن اعتبار توفر المدينة على مناصب شغل وارتفاع الأجر سببا للهجرة من الريف إلى المدينة**".

بالنسبة لبيانات الفرضية الثانية توصلنا إلى :

_ **ووجدنا أن** ٣٠ % من المبحوثين أجابوا بأن سبب الهجرة هو نقص المرافق التعليمية وقد فسر بعضهم ذلك بأنه يدرس مما يحتم عليه الهجرة لإكمال الدراسات الجامعية وما بعد التدرج وهناك من أرجعها إلى دراسة أبنائه وعدم توفر المؤسسات التعليمية لذلك خاصة الثانويات .

_ توصلنا أيضا أنهقبل الهجرة هناك نسبة ٨٨.٣٣ % من مجموع العينة قد أجابوا بأنه لا يوجد نقل مدرسي في قريتهم ودعمت هذه النسبة ٩١.٨٩ % من الذين أجابوا بأن المسافة بين المنزل والمدارس قريبة ولا يتوفر نقل مدرسي وأن هناك نسبة ٨٢.٦٠ % أجابوا بأن المسافة بين المنزل ومدارس الأطفال بعيدة ولا يتوفر نقل مدرسي حين أجاب ١١.٦٦ % من مجموع العينة بأنه يوجد نقل مدرسي في قراهم ودعمت هذه النسبة ١٧.٣٩ % أجابوا بأن المسافة بعيدة بن المنزل ومدارس الأطفال وهناك نسبة ٨.١٠ % أجابوا بأن المسافة قريبة وبوجد نقل مدرسي .

_ هناك نسبة ٨٦.٦٦ % قد أجابوا بأن هذه المراكز و المستشفيات لا تلبي حاجيات المواطنين.

وهذا ما يثبت الفرض القائل **"إن توفر المدينة على المستشفيات والصيدليات إلى جانب المدارس والجامعات والتوسع في التعلم وكذلك سهولة التنقل كل هذه العوامل جعلت المدينة محط أنظار أهل الريف".**

بالنسبة لبيانات الفرضية الثالثة توصلنا الى :

_ هناك نسبة ٤١.٦٦% أجابوا بأن قراهم تأذت خلال فترة الإرهاب .

_ وهناك نسبة ١١.٦٦ % تم إرغامهم على الهجرة فكلهم أجابوا بأن الإرغام كان من طرف الأهل أو العائلة ولكن كل منهم فسر وضعيته على حدي فهناك من أجاب قائلا " تم إرغامي على الهجرة من طرف عائلتي خوفا من الارهاب " وهنا أرجع سبب هجرته إلى إرغامه من طرف عائلته من أجل البحث عن الأمن وهناك من أجاب " تم إرغامي من طرف الأهل من أجل الاقتراب من المراكز الصحية " لأن هذا المبحوث يعاني من مرض و تم إرغامه من طرف عائلته إلى ترك الريف والهجرة إلى المدينة من أجل الاقتراب من المراكز العلاجية.

_ هناك نسبة ١١.٦٦ % بأنهم هاجروا بسب الظروف الأمنية خلال فترة التسعينات.

حيثوجدنا أن هنالك ٠٧ أفراد من العينة قد هاجروا بسبب الظرف الأمنية ونجد أن كلهم هاجروا خلال السنوات ١٩٩٢-١٩٩٣-١٩٩٤-١٩٩٥-١٩٩٦. وهذا يرجع بطبيعة الحال إلى المشاكل التي عانت منها البلاد من الإرهاب الداخلي خصوصا خلال هذه السنوات وخاصة في المناطق الريفية المنعزلة عن المناطق التي يتواجد فيا مراكز أمنية مما أدى إلى الكثير من سكان هذه المناطق إلى الهجرة باتجاه المدن من أجل البحث عن الأمن والاستقرار، هذا ما يثبت صحة الفرضية الثالثة :" **يمكن اعتبار فترة العشرية السوداء التي عاشتها الجزائر وعدم توفر الأمن في المناطق ال ريفية كان دافعا للأشخاص إلى الهجرة باتجاه المدينة".**

٥) التوصيات :

_ ضرورة العمل على تحسين الخدمات الزراعية والاهتمام بها وتوفير كافة المستلزمات للرفع من القدرة الإنتاجية للأيدي العاملة في هذا القطاع بالنسبة للموطن الأصلي لعينة الدراسة و غيرها من المناطق الريفية الأخرى .

_ إعداد خطط واستراتيجيات تنموية ريفية تهدف إلى تثبيت سكان المناطق الريفية في موطنهم الأصلي.

_ الإهتمام بالجانب التعليمي و الصحي خاصة مع تحسن الظروف الأمنية في الريف .

خاتمة :

تعد الهجرة الريفية الحضرية اليوم أهم مظاهر حركة السكان في الدول النامية ومنها بلداننا العربية وخاصة تلك التي مازالت نسبة السكان الأرياف فيها مرتفعة وتحفز هذا النوع من الهجرة كلا من العوامل الطرد في المناطق الريفية وعوامل الجذب في المدن وهناك العديد من العوامل التي تقف وراء الهجرة لكن تبقي المحفزات الاقتصادية هي الأ هم إضافة إلى افتقار المناطق الريفية للاستثمارات والخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية والثقافية ونكبات والحروب كلها تمثل عوامل طردا تدفع الريفيين للهجرة إلى المدن ، بالجانب الأخر تمتاز المدن بجاذبيتها كمراكز للفرص العمل ودخول أعلى وكمراكز للتعليم والثقافة والنقل والمواصلات ولخدمات صحية واجتماعية أفضل ورغم ما ذكر يبقي توفر فرص العمل في المراكز الحضرية هو الجاذب الرئيسي للمهاجرين.

قائمة المراجع:

١ _الكتب :

١- السيد الحسيني وآخرون ،"**دراسات في التنمية الاجتماعية**" ، مصر ، دار المعارف ، ط٣ ، ١٩٨٨ .

٢- جمال حمدان ، "**جغرافية المدن**"، القاهرة ، عالم الكتب ، ط٢، ب س.

٣- عاطف محمد عيش ،"**قاموس علم الاجتماع**" ، الإسكندرية ، دار المعرفة الاجتماعية ، ب ت .

٤_عبد الحميد دليمي، "**دراسة في العمران (السكن والإسكان)**"، الجزائر ، مخبر الانسان والمدينة، ب ط ،٢٠٠٧.

٥- علي عبد الرزاق جبلي ، "**علم الاجتماع السكان**" ، مصر ، دار المعرفة الجامعية ، ب ط ،٢٠٠٥.

٦-عمار بوحوش ، "**دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية** " ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ب ط ،١٩٨٥.

٧_ محمد داودي ومحمد بوفاتح ، "**منهجية كتابة البحوث العلمية و الرسا ئل الجامعية**" ، الجلفة ، دار و مكتبة الاوراسي ، ط١ ، ٢٠٠٧ .

٨_ محمد الجوهري وعليا شكري، "**علم الاجتماع الريفي والحضري** "، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، ب ط ، ١٩٩٤.

٩-مربيعي السعيد ، "**التغيرات السكانية في الجزائر**" ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ب ط ، ١٩٨٤.

١٠- موسى سمحة ، " **جغرافيا السكان** "، مصر ، الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة ، ب ط ، ٢٠٠٤.

١١- ميشيل مان ،ترجمة: عادل مختار الهواري وسعد عبد العزيز مصلوح ، "**موسوعة العلوم الاجتماعية**" ، ب ب ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٩.

٣ مداخلات الملتقيات و الندوات :

١٢- جمال يحياوي، "**دوافع الهجرة الجزائرية في أعمال الملتقي الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال (١٨٣٠ - ١٩٦٢)** "، وزارة المجاهدين ، ٣٠ – ٣١ أكتوبر ٢٠٠٦ ، الجزائر .

١٣- نوال نعمة ، ملتقي السياسات الزراعية حول " **الزراعة والهجرة من الريف إلى المدينة في الدول النامية** " ١٢ كانون الأول ٢٠٠٤ .

ثالثا : البرامج التلفزيونية :

١٤- قناة الجزائرية الأرضية ، "**منتدى التلفيزيون**"، نورالدين يزيد زرهوني ، وزير الداخلية والجماعات المحلية ، ٢٠٠٨ ، ٢١:٣٠ .

رابعا : مواقع الأنترنيت :

١٥- هاشم نعمة ، " **الهجرة الريفية الحضرية** " ، www.doroob.com ، ٢٤ / ٠٦ / ٢٠١٠ :http -
www.ons.dz/collectionsw03-p3

الملاحق:

استمارة الدراسة :

١ _ مكان الميلاد : ☐

٢ _ في أي سنة أتيت إلى مدينة الأغواط :

٣ _ هل كنت تعمل قبل الهجرة :نعم ☐ لا ☐

٤ _ إذا كانت الاجابة نعم حدد نوع العمل المزوال : حرفي ☐ عامل ☐ موظف ☐ سامي ☐ أخرى ☐

حددها .....

٥ _ هل تعمل في المدينة : نعم ☐ لا ☐

٦ _ في حالة الإجابة بنعم حدد نوع المهنة :حرفي ☐ عامل ☐ موظف ☐ إطار سامي ☐ أخرى ☐ حددها ☐

.....

٧ _ ما رأيك في الأجر في المدينة مقارنة بالريف :.....

٨ _هل المسافة ما بين مدارس الأطفال و المنزل : قريبة ☐ بعيدة ☐

٩ _ هل تحتوي قريتك على مشفى أو مركز طبي : نعم ☐ لا ☐

١٠ _ هل هذه المراكز و المستشفيات تلبي حاجيات المواطنين : نعم ☐ لا ☐

١١ _ هل يعد عدم توفر المؤسسات التعليمية سببا في هجرتك نحو المدينة :نعم ☐ لا ☐

١٢ _ هل نقص المرافق الصحية يعد سببا في هجرتك إلى المدينة : نعم ☐ لا ☐

١٣ _ هل تأذت قريتك خلال فترة الارهاب : نعم ☐ لا ☐

١٤ _ هل تأذى أحد أفراد عائلتك أو أصدقائك أو جيرانك من الارهاب : نعم ☐ لا ☐

١٥ _ هل عدم توفر الأمن و الإستقرار يعد سببا في هجرتك من الريف باتجاه المدينة : نعم ☐ لا ☐

١٦ _ ماهي أسباب الهجرة من الريف إلى المدينة حسب رأيك :.....

أسباب صعوبات التعلم و انعكاساتها على التلميذ و أسرته

أ.كوثر زيادة/جامعة قسنطينة ٢ ،الجزائر

ملخص:

تتلخص هذه الدراسة في إبراز أهم الأسباب و الآثار النفسية و الاجتماعية للتلاميذ ذوي صعوبات التعلم و أسرهم، هدفت إلى تسليط الضوء على هذه المشكلة، تحليلها و تفسير نتائجها نظرا لما تخلفه من انعكاسات سلبية على الطفل و أسرته، لوقعها النفسي و الاجتماعي بالاعتماد على عينة مكونة من ٨٠ تلميذ و تلميذه في الصف الرابع و الخامس، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي لدراسة الظاهرة من أبعادها المختلفة، كما تعمدت المقابلة مع المعلمين، التلاميذ و أسرهم، شملت ثلاث مدارس ابتدائية، توصلت الدراسة إلى:

١- وجود بعض المعلمين غير الأكفاء، المتخرجين حديثا في الفترة (٢٠١٢-٢٠١٣)، و نظرا لصغر سنهم (٢٢-٢٤) سنة، لا يملكون الخبرة الكافية في التعليم، يعجزون عن إيصال المعلومة كما ينبغي، مما يخلق نوع من التشويش في فكر التلميذ و بالتالي صعوبة في التعلم.

٢- يتعرض ذوي صعوبات التعلم إلى ضغوط نفسية تترجم في شكل قلق شد يد، الإحباط، الكآبة التوتر العصبي و انخفاض الروح المعنوية، نتيجة لصراعات داخلية مكبوتة.

الكلمات المفتاحية: الآثار النفسية ، الآثار الاجتماعية ، صعوبات التعلم.

مقدمة:

تعد فئة التلاميذ ذوي صعوبات التعلم من الفئات التي يصنفها الكتاب بأنها ذوي المحنة التعل يمية التي لا ترجع إلى سبب واضح و ظاهر،و لكنها تعود إلى سبب كامن و خفي و ليست مثل أي مرض أو عرض لأي مرض مثل الصداع أو غيره يستطيع أن يشكو منه الطفل إلى المحيطين به، و بالتالي يمكنهم اتخاذ اللازم أمام هذه المشكلة الواضحة[١].

والاهتمام بصعوبات التعلم لم يكن منذ القدم، إلا أنه وفي الآونة الأخيرة لاقت الحاجات التربوية الخاصة بهذه الفئة اهتماما كبيرا.

١- الإشكالية:

إن واقع التلاميذ الذين يعانون من صعوبات التعلم في الجزائر يثير القلق من المستقبل الغامض، مما يجعلنا في حاجة إلى أن تتضافر جهودنا على بلورة المشكلة في وقت مبكر، للتخفيف من حدة انتشار هذه الظاهرة .

إذ أن وجود هذه الفئة من ذوي صعوبات التعلم ينتج عنه العديد من المشكلات المدرسية، النفسية و السلوكية من شأنها أن تؤثر على الطفل في الفصل المدرسي، و تسبب اضطرابات نفسية، اجتماعية، أسرية و مدرسية، هذا فضلا على أن صعوبات التعلم، بالإضافة إلى أنها تؤدي إلى ضعف التحصيل، فهي تقدم للمجتمع فردا مشكلا يبدي تضررا

[١] مراد علي عيسى و آخرون:" **الكمبيوتر و صعوبات التعلم (النظرية و التطبيق)**"، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر و التوزيع، ط ١، ٢٠٠٦، ص ١١.

سالبا عن ذاته، و عن خصائص شخصيته بجوانبها المختلفة، وبالتالي يكون أكثر عرضة للمشكلات النفسية و الأكاديمية داخل المجتمع، و من خلال هذه الدراسة سنحاول الإ جابة على **التساؤلات** التالية: **ما هي الأسباب الأساسية المشكلة صعوبة التعلم؟ و ما هي آثارها النفسية و الاجتماعية على التلميذ و أسرته؟**

٢- أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في طبيعة الموضوع و حساسيته في حد ذاته ، باعتباره يرتبط صعوبات التعلم التي يعاني منها التلاميذ ، و تؤثر على الصحة النفسية و الاجتماعية لهم و أسرتهم . كما أن هذه الدراسة ستكون صورة حقيقية و صادقة لواقع التلميذ الذي يعاني من صعوبة التعلم و أسرته.

٣- أهداف الدراسة:

- نهدف من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على ظاهرة استفحلت في المجتمع الجزائري على وجه الخصوص، و قد تأخذ أبعادا خطيرة نظرا لانعكاساتها السلبية على التلميذ و أسرته و بالتالي المجتمع ككل.

- إبراز أهم الأسباب المؤدية لصعوبة التعلم و تحليلها و تفسيرها، للوصول إلى نتائج من شأنها التنبؤ مستقبلا بالطفل مبكرا، و مساعدته للتخفيف من حدة الآثار النفسية و الاجتماعية الناتجة عن صعوبة التعلم للتلميذ و أسرته.

4- فرضيات الدراسة:

١- ترجع أسباب صعوبات التعلم لدى التلاميذ إلى عدة عوامل (بيئية، وراثية...).

٢- تخلف صعوبات التعلم آثار نفسية و اجتماعية سيئة على التلميذ و أسرته.

الإطار النظري للدراسة:

١- الدراسات السابقة:

١- دراسة فابر Faber (١٩٧٦):

بعنوان " **الإيقاع المعرفي لدى التلاميذ ذوي صعوبات التعلم و بطيئي التعلم في المرحلة الابتدائية** "، هدفت الدراسة إلى التعرف على الفروق بين التلاميذ ذوي صعوبات التعلم و العاديين و بطيئي التعلم في الإيقاع المعرفي، و تضمنت الدراسة ١٤٠ تلميذ من ذوي صعوبات التعلم في الصف الرابع ابتدائي، ٢٠ تلميذ من ذوي صعوبات التعلم في الصف السادس ابتدائي، ٢٥ تلميذ من ذوي بطيئي التعلم في الصف الرابع ابتدائي، ٢٥ تلميذ من بطيئي التعلم في الصف السادس ابتدائي، ٥٠ تلميذ من العاديين دون صعو بات التعلم في الصف الرابع ابتدائي، ٥٠ تلميذ من العاديين دون صعوبات التعلم في الصف السادس ابتدائي، و من أهم **نتائج الدراسة** مايلي:

- **بالنسبة لتلاميذ الصف الرابع**: أظهر التلاميذ ذوي صعوبات التعلم بطء و عدم دقة في أدائهم بالمقارنة بالعاديين، أما بالنسبة للسرعة مع الدقة لم يرتبطا بكل من التلاميذ ذوي صعوبات التعلم و العاديين.

- **بالنسبة لتلاميذ الصف السادس ابتدائي** : أظهر التلاميذ ذوي صعوبات التعلم أداء أقل تروبا بالمقارنة بالعاديين، و أظهر التلاميذ ذوي صعوبات التعلم و العاديين زيادة في زمن الكمون و نقص في عدد الأخطاء بزيادة العمر، كما أن بعد الاندفاعية لا يرتبط ارتباطا قويا بصعوبات التعلم، إذ اتسم أدائهم بالبطء و عدم الدقة في الاستجابة بالمقارنة بالعاديين، كما أن التلاميذ ذوي صعوبات التعلم يميلون إلى التروي بتقدم العمر.

- أن بعد التروي من الأبعاد الواضحة لدى التلاميذ العاديين في كل من الصفين الرابع و السادس.

٢- دراسة هيندز Hinds (١٩٧٦):

بعنوان" **الإندفاع السلوكي، الاندفاع العقلي و القلق عند الأطفال ذوي صعوبات التعلم** "،هدفت الدراسة إلى الكشف عن الفروق بين التلاميذ ذوي صعوبات التعلم و العاديين في الأسلوب المعرفي (التروي / الاندفاع)، اعتمد على عينة مكونة من ٣٠ تلميذ من ذوي صعوبات التعلم، و ٣٠ تلميذ من التلاميذ العاديين بمتوسط عمري ٩ سنوات و شهر إلى ١١ سنة (١١-٩.١).

توصلت الدراسة إلى أن التلاميذ ذوي صعوبات التعلم كانوا أكثر اندفاعية بطريقة دالة إحصائيا بالمقارنة بالعاديين ، إذا ما تم تقدير الاندفاعية في ضوء زمن الكمون، بينما لا توجد فروق دالة إحصائيا بين التلاميذ ذوي صعوبات التعلم و العاديين بالنسبة لعدد الأخطاء.

٣- دراسة ديسكر و دي فريز Decker & Defrie :

بعنوان: "**القدرات المعرفية عند أطفال الأسر ذوي صعوبات القراءة** "هدفت الدراسة إلى التعرف على بعض القدرات المعرفية لدى التلاميذ ذوي صعوبات التعلم في القراءة، و اعتمدت الدراسة على ٢٤٨ تلميذ بمتوسط عمري مابين (٧-٨) سنوات من التلاميذ ذوي صعوبات التعلم.

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها أن درجات الآباء و الإخوة و الأخوات بالنسبة للقراءة و سرعة التشفير منخفضة جدا، و كذلك عند الأطفال ذوي صعوبات التعلم مما يدعم الطبيعة الأسرية لدى التلاميذ ذوي صعوبات التعلم في القراءة.

٤- دراسة إبراهيم الشافعي و صفوت عبد الحميد (١٩٨٦):

بعنوان: "**الأخطاء الشائعة في الهجاء و الإملاء بين تلاميذ المرحلة الابتدائية بمنطقة الرياض التعليمية**".

اعتمدت الدراسة على عينة من تلاميذ المرحلة الابتدائية، و هدفت إلى دراسة الأخطاء الشائعة في الهجاء و الإملاء بين تلاميذ المرحلة الابتدائية بمنطقة الرياض التعليمية، و توصلت إلى ما يلي:

- أن هناك سبعة عشر خطا هجائيا و إملائيا، و أن الخطأ الأكثر شيوعا هو التاء المفتوحة، التاء المربوطة و رسم الحرف، و أقل الأخطاء شيوعا هو زيادة حرف وسط الكلمة أو آخرها.

- أن تكرار الأخطاء يزداد بصفة عامة كلما ارتقينا من صف إلى الصف الذي يليه، كما تختلف درجة شيوع الأخطاء من صف لآخر.

٢- معنى صعوبات التعلم و موقعها بين فئات التربية الخاصة:

أولا: تعريف جمعية الأطفال ذوي صعوبات التعلم(١٩٦٧).

إن الطفل ذوي صعوبات التعلم يملك قدرة عقلية مناسبة، و عمليات حسية مناسبة و استقرار انفعالي، إلا أنه لديه عدد من الصعوبات الخاصة بالإدراك و التكامل، و العمليات التعبيرية التي تؤثر بشدة على كفاءته في التعلم، و يتضمن هذا التعريف الأطفال الذين يعانون من خلل وظيفي في الجهاز العصبي المركزي و الذي يؤثر تأثيرا أساسي في كفاءة التعلم[1].

[1] – عصام جدوع: "**صعوبات التعلم**"، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٧، ص ١٨.

ثانيا: تعريف ليرنر: ويتضمن **بعدين** أساسيين هما:

أ- **البعد الطبي:** و يركز هذا البعد على الأسباب الفزيولزجية و العضوية لمظاهر صعوبات التعلم، و التي تتمثل في خلل الجهاز العصبي أو التلف الدماغي البسيط.

ب- **البعد التربوي:** و يشير إلى عدم نمو القدرات العقلية بطريقة منتظمة، مما يؤدي إلى عجز أكاديمي، يتمثل في العجز في القراءة أو الكتابة أو الحساب أو اللغة أو التهجئة، و التي لا تعود إلى ضعف القدرة العقلية أو السمعية أو البصرية، و يركز هذا التعريف على التباين بين التحصيل الأكاديمي و قدرة الفرد العقلية[2].

٣- تاريخ الإهتمام بصعوبات التعلم:

لقد جاء الاهتمام بمجال صعوبات التّعلّم متأخراً، إذا ما قورن بفئات التّربية الخاصّة الأخرى وخصوصاً " الموهوبين"، وعلى الرّغم من هذا الاهتمام المتأخر إلا أنّه كان كبيراً ومتميزاً، خاصةً أنّه لقي اهتماماً كبيراً من أولياء أمور هؤلاء الطّلبة في الولايات المتحدة الأمريكيّة، وتأسيس الجمعيات المتخصّصة التي تضمّ في عضويتها أفراداً من مختلف التخصصات، و التي ساهمت في الضّغط على الحكومات لإصدار تشريعاتٍ خاصةٍ تنص على تقديم الخدمات لتلك الفئة، ففي الولايات المتحدة الأمريكية و في كندا وغيرها من الدّول المتقدمة تنص هذه التّشريعات على حق كل المتعلمين في تلقي الخدمات التّربوية المناسبة لهم

ربما يصحّ القول بأنّ أصول الاهتمامات العلميّة و الفلسفيّة بالتلاميذ ذوي الصّعوبات التّعلّميّة ترجع إلى نشأة هذه العلوم نفسها، غير أنّه لم يذكر شيء قبل محاولات **الطّبيب الفرنسي إيتارد** (Itard) لتعليم صبيٍّ وجده الصّيادون تائهاً في غابات افيرون الفرنسيّة ، ومع أنّ إيتارد قد استخدم جل معارفه وصرف من وقته لتأهيل الصبي وتعليمه اللغة والعادات المدنيّة، إلا أنّه فشل في نهاية المطاف و وصفه بأنّه " **ضعيف عقلياً**" وقد راح **سيجان(Squin)** تلميذ إيتارد يطوّر بحوث أستاذه ويعمّقها وأصبح قائداً مرموقاً في ميدان حركة مسا عدة الأطفال والراشدين المتخلفين عقلياً، وقد ارتحل **سيجان** إلى الولايات المتحدة عام (١٨٤٨) بسبب الاضطرابات التي كانت تشهدها البلدان الأوروبية، وهناك بدأ في إرساء معالم حركة الاهتمام بالمتخلفين عقلياً.

وقد تفاعلت الحركة التي بدأها **إيتارد وسيجان** في مجال التّخلّف العقلي ووجد في فرنسا من حمل لواءها، حتى أنّ **وزارة المعارف الفرنسّية** قامت عام (١٩٠٤) بتكليف لجنة ضمت في عضويّتها **ألفرد بينيه (الواضع الأول لاختبار ستانفورد-بينيه المشهور**) للبحث في طريقة للتمييز بين الأطفال العاديين القادرين على التّعلّم وتمييزهم عن غي رهم من الأطفال ضعاف العقول وكذلك لتمييز الأطفال عسيري التّعلّم عسرة أساسها الإهمال وعدم الانتباه لا ضعف القدرات العقلية،وكنتيجة لهذه الجهود صمم كيرك (**Kirk**,1962) وآخرون برامج لمستوى ما قبل المدرسة ، موجهة نحو مشكلات التّعلّم الخاصة بالأفراد المتخلفين، كما أسهم اهتمام جاستك (**Jastack**,1949) بالموضوع في تطوير الجهود الموجهة نحو التّعرّف إلى مناحي القوة والضّعف داخل الفرد نفسه، وقد أثّر هذا التّغير في التّركيز على الفروق الفردية الداخلية بعمق على تعليم الطّلبة المتخلفين،وكذلك على تعليم ذوي الصّعوبات التعليمة.

لم يظهر مصطلح الصّعوبات التعليمة دفعة واحدة، بل سبقته مصطلحات كثيرة تأثرت بالحقل الطبي الذي كان سائداً منذ عقود طويلة، تلك المصطلحات استخدمت لوصف أولئك الأطفال الذين لا يتوافقون في تعلّمهم وسلوكهم مع فئات الإعاقة الموجودة، حيث فرض التوجه النّظري لكل متخصّص المصطلح الذي يفضله، لكن تلك المصطلحات كانت تحمل

[2] – المرجع السابق: ص ١٨.

معانٍ قليلةٌ، فبإحدى تلك المصطلحات يمكن وصف سلوكات مختلفة أو العكس قد تصف عدة مصطلحات نفس السّلوكات

وفي دراسته للخلل الوظيفي الدّماغي الطّفيف كشف **كليمنتس (Clements)** عن وجود ثمانية وثلاثين مصطلحاً كانت تستخدم مع نفس الأطفال منها : بطء التّعلّم، والإصابة الدّماغيّة، والإعاقة العصبيّة، والإعاقة الأكاديمية، وغيرها .

ولقد حاز **مصطلح الإصابة الدماغية (Brain Injury)** على قبولٍ عام، ولكن الفحوصات لم تظهر وجود إصابة دماغية لدى كثيرٍ من الحالات، وتبين عدم مناسبته للتخطيط التّربوي، وكان مثار نقدٍ وهجومٍ من قبل الكثيرين [1].

أ- صعوبات التعلم و التأخر الدراسي Under-Achievement :

يعتبر التلميذ المتأخر دراسيا، هو ذلك التلميذ الذي يعجز عن مسايرة زملائه في المدرسة لأي سبب من أسباب القصور (عقلية أو جسمية أو نفسية أو اجتماعية)، و يكون ضعيفا في مواد دراسية معينة[1].

و التأخر الدراسي عبارة عن تكوين فرضي لا يمكن ملاحظته مباشرة، و إنما يمكن الاستدلال عليه من آثاره و نتائجه المترتبة عليه، فالمتأخرون دراسيا فئة تقع بين المتوسطين و المتخلفين عقليا[2].

و كذلك فقد يرجع إلى عوامل صح ية أو اجتماعية أو عقلية أو مدرسية، في حين أن هذه الأسباب تختلف عن أسباب صعوبات التعلم[3].

و يختلف **مفهوم صعوبات التعلم** عن **مفهوم التأخر الدراسي** ، الذي يتميز بالعمومية و الشمول، فمصطلح التأخر الدراسي يعني أن عجلة الإنجاز في المواد الدراسية تعاني من وجود بعض [4] المشكلات التي تؤخر التلميذ عن مسايرة محطات الانتقال من فرقة دراسية إلى أخرى، و يحدث التأخر الدراسي نتيجة لوجود أسباب متعددة من بينها وجود صعوبات التعلم، أي أنه مظهر من مظاهر صعوبات التعلم.

ب- صعوبات التعلم و مشكلات التعلم learning Problems:

قد ترجع المشكلات لدى التلاميذ الذين يعانون من مشكلات التعلم إلى قصور في السمع أو البصر أو الانتباه أو التخلف العقلي، مما قد ينعكس عليهم سلبا في شكل اضطرابات سلوكية سببها الفشل الدراسي[5].

فضلا على أن المتأخرين دراسيا أكثر عرضة و قابلية للإصابة بالاضطرابات السلوكية، و يبتعدون عن الأنشطة المدرسية، و أكثر إهمالا، و هذا المصطلح يشمل كل اضطرابات التعلم [6].

---

[1] ، مقالة بعنوان: "**التطور التاريخي لحقل صعوبات التعلم**"،موجودة على الرابط: http://dr hanan،eldesouky.blogspot.com/2012/06/blog-post_19.html

[1] –أنور الشرقاوي: "**العوامل المرتبطة بصعوبات التعلم لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية : بحوث في التربية و التعليم**"، مجلة دراسات الخليج و الجزيرة العربية، العدد٨، الطبعة العصرية، الكويت،١٩٨٣،ص ١٨.

[2] – طلعت حسين عبد الرحيم: "**سيكولوجية التأخر الدراسي**"، دار الفكر العربي، القاهرة،٢٠٠٠، ص،ص ٢٨،٢٧.

[3] – محمود عبد الحليم منسي:" "**التعلم ، المفهوم ، النماذج، التطبيقات**"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،٢٠٠٣، ص ٢٤٦.

[4] ، عبد الوهاب محمد كامل: "**اتجاهات معاصرة في علم النفس**"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،١٩٩٥، ص ٤٧٧.

[5] – محمد عبد الحليم منسي: مرجع سبق ذكره: ص ٢٤٦.

[6] – د. مراد علي عيسى و آخرون: مرجع سبق ذكره، ص١٨.

و ليس لدى كل التلاميذ الذين لديهم مشكلات أكاديمية صعوبات التعلم و إنما كل التلاميذ الذين لديهم صعوبات تعلم لديهم مشكلات تعلم[1].

ج- صعوبات التعلم و التخلف العقلي:

إذا كانت صعوبة التعلم ترجع إلى عوامل نفسية أو إلى ظروف أسرية تؤثر في قدرة الفرد التحصيلية، فإن التخلف العقلي يرجع إلى عدم اكتمال النمو العقلي الذي يظهر بشكل واضح في نسبة الذكاء، و في الأداء العقلي بحيث يكون الفرد عاجزا عن التعلم و التوافق مع البيئة و الحياة، ولذلك فإن المتخلفين عقليا أقل تعلما، و يصعب توافقهم اجتماعيا[2].

وكذلك يظهر الأفراد المتخلفين عقليا انخفاضا ملحوظا في أدائهم الوظيفي في معظم المجالات الأكاديمية و الاجتماعية و النفسية، إن لم يكن جميعها، و الفرق بينهم و بين ذوي صعوبات التعلم هو شمول تلك المشكلات[3].

د- صعوبات التعلم و بطء التعلم:

يعاني بطيؤا التعلم من مستويات ذكاء أقل من المتوسط تتراوح مابين (٨٤،٩١)، مع بطء في التحصيل الأكاديمي، فالطفل بطيء التعلم هو طفل سوي في معظم جوانب النمو النفسي و العاطفي و الحسي و البدني، و لكنه غير سوي في قدرته على التعلم، و فهم و استيعاب المواد الدراسية التي تدرس لإقرانه العاديين ممن هم في نفس مستواه العمري[4].

كذلك يختلف الأطفال ذوو صعوبات التعلم عن بطيئي التعلم، من حيث أن صعوبة التعلم حاجة تعليمية خاصة تظهر في مجال محدد من التعلم، و يكون الطفل في ما عدا ذلك حول المتوسط أو يزيد، في حين أن بطيء التعلم مشكلة عامة ملازمة لجميع قوى التعلم[5].

٥- تصنيف صعوبات التعلم:

إن تصنيف صعوبات التعلم يرتبط بمفهومه، و لا يوجد وجهة نظر واحدة متفق عليها لمفهوم صعوبات التعلم، فقد تعددت المصطلحات في هذا المجال، ووصلت أحيانا إلى خمسين مصطلحا ، كلها تتحدث عن صعوبات التعلم، و قد كانت مشكلة صعوبات التعلم محل اهتمام اختصاصات متعددة مثل عالم التربية، علم النفس، التربية الخاصة و الاختصاصي الاجتماعي.

و لا يوجد اتفاق واضح بين المهتمين في هذا الجانب، على الرغم من أن كثير من المختصين يذكر أن التلف الدماغي هو السبب الرئيسي لهذه المشكلة، و لكن بعض الدراسات توصلت إلى أن التخطيط الدماغي هو السبب الرئيسي لهذه المشكلة، و لكن بعض الدراسات توصلت إلى أن التخطيط الدماغي لمعظم حالات صعوبات التعلم لا يظهر مثل ذلك الاضطراب في الموجات الدماغية مما يعني عدم وجود تلف دماغي إلى غير ذلك من الدراسات.

ولهذا نجد أن صعوبات التعلم[1]:

---

[1] ، زين بن محمد "**استخدام أساليب التفاوت بين القدرات العقلية و التربوية**"" العدد ٢٨، المجلد ٥ ، الأردن، ٢٠٠١، ص ١٨٥.

[2] – خليل ميخائيل عوض: "**القدرات العقلية**"، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٠، ص ٢٨٤.

[3] – خيري المغازي عجاج: "**صعوبات القراءة و الفهم القرائي**"، دار الوفاء المنصورة،٢٠٠٤، ص ٢٤.

[4] – عزة مختار الدعدع و سمير أبو فعلي:" **تعليم الطفل بطيء التعلم**"، دار الفكر للطباعة و النشر، ط ٣، عمان، الأردن، ١٩٩٩، ص ٧.

[5] – نبيل عبد الفتاح حافظ: "**صعوبات التعلم و التعلم العلاجي**"، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،٢٠٠٠، ص ١٥٢.

[1] – ريما خضر، سعاد محمد خالد:"**صعوبات التعلم**"،دار البداية ناشرون و موزعون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص، ص ٣٣،٣٤.

١- ليست ذات مظهر واحد، و ليس بالضرورة أن جميع المظاهر في فرد بذاته.

٢- إن درجاته مختلفة و مظاهره ليست بدرجة واحدة لذا ستتأثر الصعوبة بدرجة مظاهره.

٣- إن أسبابه متعددة قسم أكد على الأسباب البيئية و القسم الآخر أكد على الجوانب الوراثية.

٤- إن المهتمين بصعوبات التعلم لم يكونوا فئة واحدة و إنما فئات مختلفة مثل أخصائي الطب، و علماء الاجتماع، و اختصاصي التربية الخاصة.

إن التصنيف التقليدي لصعوبات التعلم، هي صعوبات التعلم النمائية و الأكاديمية.

أ- صعوبات التعلم النمائية (النفسية):

إن النظرة العلمية الموضوعية للإنسان بأنه كل متكامل، و ليس أجزاء متفرقة لذلك يمكن القول ابتداء بأن أي قصور في أي جانب لا يقتصر أثره في الجانب ذاته، و إنما سينعكس على جوانب أخرى، فالقصور في عمليات التفكير و الإدراك و الانتباه هي عمليات عقلية على غاية من الأهمية، سيكون لها تأثيرها السلبي في اكتساب اللغة و المعرفة.

و هنا تجدر الإشارة أنه لو فرضنا ن السبب واحد سيختلف تأثيرها وفق معيار الزمن، لأن الإنسان خاضع للتطور و الحياة تتطور و درجة التطور تزداد يوما بعد يوم، و ما يحتاجه الإنسان لعملية التكيف أكثر من أي وقت مضى، لذلك سيكون تأثير هذا القصور في الجوانب الأنفة الذكر أكثر و سيزداد تأثيرها بتقدم السنين.

إن العلاقة بين اللغة و التفكير علاقة ديناميكية تؤثر إحداهما في الأخرى لذلك فأن القصور في إحداهما سيؤثر في الثاني.

إن الصعوبات النمائية ستفرز بصداها السلبي على اكتساب القراءة و الكتابة و الحساب، فالانتباه يرتبط ارتباطا وثيقا بالمثيرات الحسية الصادرة من الآخر، و القصور في عملية الانتباه يقلل من الإفادة من هذه المثيرات سواء كانت سمعية أو بصرية أو لمسية، كما تؤثر أيضا في عملية الاتصال مع الآخرين، و التي ترتبط بالتكيف الاجتماعي.

ب- صعوبات التعلم الأكاديمية:

إن صعوبات التعلم الأكاديمية ترتبط بشكل أساسي بصعوبات التعلم النمائية، و يمكن القول في هذا الصدد أنها نتيجة للقصور في عمليات التفكير و الإدراك و الانتباه و التذكر، حيث يتعرض الطفل إلى صعوبات بالقراءة و الكتاب ة و التهجئة و التعبير الكتابي و الإملائي و العمليات الحسابية، لذلك يحدث اللاتوافق بين مستوى ذكاء الطفل الذي يعاني من صعوبات التعلم و المستوى القرائي و الكتابي و الحسابي له.

٦- المداخل النظرية المفسرة لصعوبات التعلم:

لقد تعددت و تنوعت المداخل المفسرة لصعوبات التعلم تبعا لاختلاف المهتمين بهذا المجال من علماء النفس، الأطباء، التربويين و الأخصائيين، نستعرضها كالتالي:

أ- المدخل السلوكي Behavioral Approach:

يمثل هذا المدخل أول المداخل و أكثرها أهمية كإستراتيجية للتدخل أو العلاج، فهو يقوم على التركيز و الاقتحام المباشر للمشكلة أو السلوك ذاته، و محاولة معالجة نمط السلوك غير الفعال أو غير المنتج، أو إحلال أنماط سلوكية فعالة محله، كما يركز هذا المدخل على مفهوم السواء في ضوء مستوى الأداء الوظيفي العام و الحسي، و الوضع الفسيولوجي

الكلي للطفل، فالتلاميذ ذوي صع وبات التعلم هم عاديين تماما عدا الصعوبة النوعية التي يمكن معالجتها و التعامل معها بصورة مباشرة[1].

ب- المدخل النمائي Developmental Approach:

يرى أصحاب هذا المدخل أن صعوبات التعلم تعكس بطئا في نضج العمليات البصرية، الحركية و اللغوية، و عمليات الانتباه التي تميز النمو المعرفي، و نظرا لأن كل طفل يعاني من صعوبات تعلم لديه مظاهر مختلفة من جوانب بطء النضج، فأن كل منهم يختلف في معدل أو أسلوب اجتيازه لمراحل النمو، و نظرا لأن المنهج المدرسي يفوق مستويات استعداد الأطفال الذين يعانون من عدم كفاءة المخ بدرجة ما، فإن هؤلاء الأطفال يفشلون في المدرسة[1].

فضلا عن أن النمائيين يركزوا على تحديد الأسباب النوعية التي تقع خلف صعوبات التعلم، مع التأكيد على السبب أكثر من العرض[2].

جـ- مدخل تجهيز المعلوماتInformation Processing Approach:

تنظر نظرية **تشغيل المعلومات** إلى المخ الإنساني على أنه أشبه بجهاز الحاسب الآلي، فكلاهما يستقبل المعلومات، و يجري عليها بعض العمليات ثم يعطي بعض الاستجابات المناسبة، لذا تركز هذه النظرية على كيفية استقبال المخ للمعلومات، و من ثم تحليلها[3].

فيستخدم التلاميذ ذوو صعوبات التعلم طرقا لتج هيز المعلومات، لا تسمح لهم بالاستفادة الكاملة من كفاءتهم العقلية، أو عدم القدرة على التخلي عن الاستراتيجيات غير الملائمة و استبدالها بأخرى ملائمة، حيث يستخدمون استراتيجيات ضعيفة عند مواجهة المطالب المعقدة للمهام الأكاديمية،و لذلك لا يستطيعون أن يحققوا إمكا ناتهم المتوقعة[4].

و يرى **مصطفى كامل** أن طريقة الأطفال ذوي صعوبات التعلم في تشغيل المعلومات، تعتبر مصدرا رئيسيا في تفسير هذه الصعوبات، حيث يختلف الأطفال الاندفاعيين منهم و المتريثين في أساليب تشغيلهم للمعلومات، حيث يفضل الاندفاعيين النظرة الكلية للأشياء، م ما بتطلب استجابات أقصر زمنا، بينما يفضل المتريثين فحص التفاصيل مما يفسر اختلاف المجموعتين في سرعة إنجاز المهام التعليمية[5].

---

[1] ، فتحي مصطفى الزيات : "**صعوبات التعلم، الأسس النظرية و التشخيصية و العلاجية** "،دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٦٠،١٦١.

[1]، Lerner J.V:Learning disabilities: "**Theories Diagnosis, And Teaching Strategies**", 8th, Houghton Mifflin company: New York 2000; p 187,188.

[2] Coplin j.v.& Morgan,S.B (1988): "**Learning disabilities A Multidimensional Perspective**", Journal Of Disabilities, 21 (10) 614.622

[3] ، Learner: Op Cit, P 200.

[4] – Swanson H. L:" **Information Processing Theory And Learning Disabilities**", An Overview, Journal Of Learning Disabilities, 1987, 20 (1),P3,7.

[5] – مصطفى محمد كامل: "**علاقة الأسلوب المعرفي و مستوى النشاط بصعوبات التعلم لدى تلاميذ المدرسة الابتدائية**"، مجلة التربية المعاصرة،١٩٨٨، العدد التاسع، ص ٢١٩.

و في هذا الصدد يشير **عبد الوهاب كامل** إلى أن صعوبات التعلم ترجع إلى وجود درجة من درجات إصابة المخ و التي تعتبر شرطا معوقا يؤدي إلى ظهور مشكلات في تجهيز المعلومات سواء كانت متتالية أم متأنية، مما ينشأ عنها صعوبات في التعامل مع المعلومات أو المثيرات كوحدة متكاملة، و تؤثر على العمليات المعرفية للتذكر و التفكير و الانتباه[1].

د- المدخل المعرفي Cognitive Approach:

يفتقد التلاميذ ذوو صعوبات التعلم إلى كفاءة التمثيل المعرفي، حيث تظل الوحدات المعرفية و المفاهيم المكتسبة في البناء المعرفي لهم تفتقر إلى التمثيل و المواءمة، نتيجة لعدم إحداث ترابطات معر فية قصدية بها، فأنها لا تلبث أن تتناقص أعدادها بالفقد أو النسيان، و تتحلل آثارها داخل عمليات و نظم التجهيز، و يصبح البناء المعرفي لهم ضحلا،و يؤثر بدوره على التمثيل اللاحق للوحدات المعرفية فتنحسر كفاءة التمثيل المعرفي لدى هؤلاء التلاميذ[2].

هـ- المدخل الطبي Medical Approach:

تنتج صعوبات التعلم من عدم توازن قدرات التجهيز المعرفي لدى التلميذ أكثر من اعتبارها عيوب معرفية، و أن النصف الكروي الأيمن في المخ يختص بتكامل المثيرات البصرية المكانية، و النصف الكروي الأيسر يختص بالتكامل المتتالي للمثيرات اللغوية، و كلا هما ضروريان لعملية التعلم، و أي اختلال وظيفي في أي منهما يؤدي إلى حالة من عدم التوازن[3].

من خلال ما تم عرضه من مداخل نظرية، يمكننا القول بأنها اختلفت في تفسيرها لصعوبات التعلم و الآثار المصاحبة لها، فالمدخل السلوكي يفسرها في ضعف أو قصور في مميزات المواقف ا لسلوكية، في حين أن المدخل النمائي يصرح بأنها قصور في النضج و بعض المناطق العصبية، بينما مدخل تجهيز المعلومات و المدخل المعرفي يفسران صعوبات التعلم بأنها قصور في استراتيجيات المهارات المعرفية، و إلى عدم الملاءمة بين القدرات العقلية و المعلومات الجاهزة، و أخ يرا المدخل الطبي الذي يرجعها إلى وجود خلل وظيفي في المخ و اضطرابات بيولوجية.

٧- أمور يجب مراعاتها في تقييم صعوبات التعلم:

١- التعرف على الفرق أو التباين بين ما تعلمه الطفل فعليا، و بين ما يمكن أن يتعلمه لاحقا لو لم يكن لديه صعوبة في التعلم، و لمعرفة هذا الشيء يجب أن نقيس ما تعلمه الطفل بواسطة اختبارات التحصيل المدرسية المختلفة (أي أن نقيس مستواه التعليمي أو التحصيلي الحالي)أو ما يمكن أن يتعلمه، و نقدره بواسطة استخدام مقياس القدرات و الاستعدادات للتعلم.

٢- التعرف على نوعية صعوبة التعلم و العوامل المؤثرة فيه ا، و هل هي عوامل نضج أم مشكلات في الإدراك أم النمو اللغوي، أو ضعف القدرة على التذكر، أو غير ذلك، و للتعرف على هذه الجوانب يجب على المعلم أن يقوم بإعطاء الطفل الاختبارات اللازمة لهذا الأمر، حيث أن معرفة العوامل المرتبطة بصعوبات التعلم عند الطلاب تساعد في عم لية وضع الخطة العلاجية المناسبة.

٣- التعرف على الكيفية التي يتعلم بها الطفل، (أي كيف يتلقى المعلومات و يستوعبها)، و ما هي نقاط القوة و الضعف في عملية الإدراك لديه ...و هل هي مشكلات سمعية أو بصرية أم غير ذلك، و ما هي الأخطاء التي تتكرر عند الطلاب و

---

[1] – عبد الوهاب محمد كامل: " **علم النفس الفسيولوجي**"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٣١٤.

[2] – فتحي مصطفى الزيات: مرجع سبق ذكره، ص ٢٢١.

[3] ، Coplin j.v.& Morgan,S.B: Op Cit, P614.

التعرف على هذه الجوانب لا بد من ملاحظة الطلاب في مختلف المواقف التعليمية، هذا بالإضافة إلى استخدام الاختبارات الخاصة بذلك.

٤- تحديد المصادر الملائمة للطفل: و هل هي ملاحظات المعلم فقط، أم أنها ملاحظة الأهل، أم المقاييس التربوية المقننة، و غير المقننة، أم أنها الاخ تبارات التحصيلية المختلفة، أم هي دراسة حالة، أم هي المقابلة، أم كل ما ذكر و جميع الوسائل يجب أن تحدد بطريقة مناسبة لجمع كل المعلومات على حدة[1].

ثانيا: الإطار التطبيقي للدراسة:

١-**المنهج:** بما أننا نريد جمع بيانات دقيقة عن موضوع بحثنا، ثم تحليلها من أجل التعر ف على العوامل المحيطة بالموضوع، و الوصول إلى توصيف موضوعي لأسباب صعوبات التعلم و انعكاساتها على التلميذ و أسرته ، لذلك نحتاج إلى استخدام **المنهج الوصفي التحليلي** ، فعن طريق هذا المنهج يمكننا جمع البيانات الكافية عن الموضوع، ثم التفسير الواقعي للعوامل المحيطة به، لأن المنهج الوصفي يهتم بدراسة الحقائق القائمة المرتبطة بالموضوع للتعرف على أبعاده في وقت محدد.

٢- **العينة:** تعتبر العينة من أهم المحاور التي يستخدمها الباحث من خلال بحثه، فاختيار العينة بشكل جيد يساعد على التوصل إلى نتائج ذات مصداقية عالية و كفاءة موثوق بها، فإذا كانت فكرة الباحث تعتبر بمثابة البذرة، فإن المنهج بمثابة التربة كما تعتبر العينة بمثابة السماد، لذلك إذا أحسن الباحث اختيار التربة و السماد الملائمين للبذرة، فسوف ينمو الباحث نموا سليما و يخرج ثمارا لها وزنها و قيمتها[1]، وفي الدراسة الحالية فإن العينة هي عبارة ٨٠ تلميذ يعاني من صعوبات التعلم مقسمين كالتالي:

١- **الصف الرابع:** ٤٠ تلميذ.

أ- **الذكور** : ٢٠ تلميذ.

ب- **الإناث:** ٢٠ تلميذة.

٢- **الصف الخامس:** ٤٠ تلميذ.

أ- **الذكور:** ٢٠ تلميذ.

ب- **الإناث:** ٢٠ تلميذة.

٤- أداة البحث:

١- **المقابلة:** تمت مع عدد من المعلمين في المدارس التي اخترنا منها التلاميذ الذين يعانون من صعوبة التعلم، حيث تم إرشادنا إلى التلاميذ، كما كانت لنا مقابلة أيضا مع عدد من الموظفين الإداريين الذين قدموا لنا عناوين الأحياء التي يسكن فيها التلاميذ، إضافة إلى عدة مقابلات مع أه الي التلاميذ للتوصل إلى توصيف حقيقي عن الآثار النفسية و الاجتماعية التي تخلفها صعوبات التعلم على التلميذ و أسرته.

٢- **الملاحظة:** استخدمت خصوصا في النقاط التالية:

---

[1] – ريما خضر، سعاد محمد خالد: مرجع سبق ذكره، ص ١٢٧.

[1] ، عمار بوحوش: "**منهج البحث العلمي**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،١٩٩٥، ص ٨٩.

- الكشاف المدارس التي يتردد عليها التلاميذ.

- التعرف على واقع و طبيعة ظروف التي يعيش فيها التلاميذ .

- متابعة التلاميذ أثناء الدراسة في الصف و الصعوبات التي يجدونها في (القراءة، الرياضيات، الإملاء...).

٣- **الاستمارة:** شملت الاستمارة ٢٥ سؤالا، تراوحت بين الأسئلة المغلقة و المفتوحة، تم تطبيقها مع المبحوثين، بحضور شخص من عائلته على الأقل، حتى يفيدنا بالمعلومات اللازمة لكون التلاميذ صغار السن و ليسوا بالوعي الذي يؤهلهم ملء استبيان بمفردهم.

٥- مجالات الدراسة:

١- **المجال المكاني:** المدرسة الإبتدائية البستان، المدرسة الإبتدائية بوغرارة رابح و المدرسة الابتدائية الأمير عبد القادر.

٢- **المجال البشري:** هو عبارة عن تلاميذ الصف الرابع٤٠ تلميذ، و تلاميذ الصف الخامس ٤٠ تلميذ يعانون من صعوبات التعلم.

٣- **المجال الزمني:** امتدت هذه الدراسة من ٢٠١٥/٠١/٠١ إلى ٢٠١٥/٠١/٢٥ .

6- نتائج الدراسة الميدانية:

١- إن ما يمثل ٣٠%، من عينة الدراسة تعود صعوبة تعلمهم إلى عامل وراثي، حيث أن وجود أم أو أب أمي بسبب صعوبة التعلم في الأسرة، يؤثر مستقبلا على الأبناء، في حين أن ١٠%، من التلاميذ تعرضت أمهاتهم إلى مشاكل أثناء الحمل ، كارتفاع ضغط الدم مما يؤثر سلبا على الجنين.

٢- تشكل العوامل البيئية دورا مهما، فنشوء بعض التلاميذ في بيئة فقيرة ساعد على وجود صعوبة التعلم بنسبة ٤٠%، فقلة الإمكانيات (سوء التغذية في المراحل الأولى من حياة الطفل، عدم الاستفادة من الدروس الخصوصية)، لمساعدة التلميذ على تجاوز محنته، عمق من حدة المشكلة.

٣- وجود بعض المعلمين غير الأكفاء و المتخرجين حديثا في الفترة (٢٠١٢-٢٠١٣)، و نظرا لصغر سنهم (٢٢-٢٤) سنة، لا يملكون الخبرة الكافية في التعليم، و يعجزون عن إيصال المعلومة كما ينبغي، مما يخلق نوع من التشويش في فكر التلميذ و بالتالي صعوبة في التعلم.

٤- يعد البرنامج الدراسي المكثف عاملا معيقا للتلميذ على استيعابه كل المواد التي تدرس في الصف، مما يخلق نوع من الإرهاق و التعب الدائم، و بالتالي صعوبة في التعلم خاصة في المواد التالية (الرياضيات، التربية العلمية و اللغة الفرنسية).

٥- يتعرض ذوي صعوبات التعلم إلى ضغوط نفسية تترجم في شكل قلق شديد، الإحباط، الكآبة التوتر العصبي و انخفاض الروح المعنوية، نتيجة لصراعات داخلية مكبوتة.

٦- عدم الثقة بنفسه مما صعب على التلميذ بناء صورة ايجابية عن ذاته ، قد ترتب عنها شعور بالدونية التي خلفها الأسلوب أو الطريقة التي تعامل بها المجتمع معه (الأسرة، الأصدقاء و المعارف).

٧- ضعف التواصل الاجتماعي و انعدام ارتباطاته العلائقية مع أقرانه جعله يميل للانعزال و غير قادر على إقامة علاقات ثابتة و مستقرة، لعدم تكيفه مع الواقع و مشاركته للآخرين و بالتالي ضعف القدرة على التأثير في بيئته.

٨- عدم شعوره بشخصيته يجعله يميل للانطواء ، راغبا في العزلة و الحياة الداخلي ة ، و بهذا تتضح العدوانية الموجه نحو الآخرين إضافة إلى ضعف القدرة على ضبط الانفعالات و السيطرة عليها .

٩- تتعرض أسر ذوي صعوبات التعلم إلى ضغوط نفسية، تبدأ منذ بداية اكتشاف المشكلة و عدم استجابة التلميذ للجهود المبذولة من طرف الأسرة لمساعدته.

١٠- يؤثر وجود طفل يعاني من صعوبات التعلم في الأسرة على علاقات الأسرة الخارجية، فقد تسود مشاعر الخجل من إظهار للمجتمع ، مما يقلل من فرص تواصل الأسرة العزلة، لتفادي السؤال عنه حالته.

١١- تتعرض الأسرة أيضا لضغوط اجتماعية أكثر من غيرها من الأسر، و قد ينعكس ذلك على العلاقات الداخلية بين أفراد الأسرة ، نظرا لانشغال الأم بشكل كبير بالطفل الذي يعاني من صعوبة التعلم، مما يقلل من تلبية احتياجات بقية أبنائها، إضافة إلى العلاقة بين الزوجين، و مدى حدوث أزمات وزوجية و مشكلات أسرية، حيث أن كل شخص يلقي اللوم على الآخر في التقصير في أدائه واجباته اتجاه الطفل.

في الأخير و انطلاقا من هذه الدراسة التي اهتمت بإبراز أهم الأسباب و الآثار النفسية و الاجتماعية للتلاميذ ذوي صعوبات التعلم و أسرهم ، نقدم مجموعة من التوصيات كما يلي:

١- التخفيف من كثافة المواد التي تدرس في الصف الرابع و الخامس، بحيث تؤخذ بعين الاعتبار صغر سن التلاميذ و قدرة استيعابهم.

٢- إنشاء مراكز لتكوين المعلمين و مرورهم على امتحان قبل الالتحاق بمنصب التدريس، و القيام بزيارات مفاجئة لمراقبة الأداء من طرف المختصين.

٣- تنظيم برامج الإرشاد النفسي للتلاميذ و أسرهم للتخفيف من حجم الضغوطات التي يتعرضون لها.

٤- فصل التلاميذ ذوي صعوبات التعلم عن التلاميذ العاديين، و تدريسهم من طرف معلمين يملكون من الخبرة و الحنكة ما يؤهلهم لذلك، وفق استراتيجيات مدروسة مسبقا.

قائمة المراجع:

- المراجع باللغة العربية:

١– أنور الشرقاوي:" **العوامل المرتبطة بصعوبات التعلم لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية : بحوث في التربية و التعليم**"، مجلة دراسات الخليج و الجزيرة العربية، العدد٨، الطبعة العصرية، الكويت،١٩٨٣.

[٢]– خليل ميخائيل عوض: "**القدرات العقلية**"، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٠.

[٣]– خيري المغازي عجاج: "**صعوبات القراءة و الفهم القرائي**"، دار الوفاء المنصورة،٢٠٠٤.

[٤]– ريما خضر، سعاد محمد خالد:"**صعوبات التعلم**"،دار البداية ناشرون و موزعون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

[٥]- زين بن محمد: "**استخدام أساليب التفاوت بين القدرات العقلية و التربوية**"، العدد ٢٨، المجلد ٥ ، الأردن، ٢٠٠١.

[٦]– نبيل عبد الفتاح حافظ: "**صعوبات التعلم و التعلم العلاجي**"، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،٢٠٠٠.

[٧]– طلعت حسين عبد الرحيم: "**سيكولوجية التأخر الدراسي**"، دار الفكر العربي، القاهرة،٢٠٠٠.

[٨] – عزة مختار الدعدع و سمير أبو فعلي: "**تعليم الطفل بطيء التعلم**"، دار الفكر للطباعة و النشر، ط ٣، عمان، الأردن، ١٩٩٩.

[٩] – عصام جدوع: "**صعوبات التعلم**"، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٧.

[١٠] - عبد الوهاب محمد كامل: **اتجاهات معاصرة في علم النفس**""، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،١٩٩٥.

[١١] – عبد الوهاب مرحمد كامل: "**علم النفس الفسيولوجي**"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٤.

[١٢] - عمار بوحوش: "**منهج البحث العلمي**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،١٩٩٥.

[١٣] - فتحي مصطفى الزيات : **صعوبات التعلم، الأسس النظرية و التشخيصية و العلاجية** ""، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٩٩٨.

[١٤] – محمود عبد الحليم منسي: "**التعلم - المفهوم - النماذج - التطبيقات**"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،٢٠٠٣.

[١٥] - مراد علي عيسى و آخرون: "**الكمبيوتر و صعوبات التعلم (النظرية و التطبيق)**"، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر و التوزيع، ط ١، ٢٠٠٦.

١٦– مصطفى محمد كامل : " **علاقة الأسلوب المعرفي و مستوى النشاط بصعوبات التعلم لدى تلاميذ المدرسة الابتدائية**"، مجلة التربية المعاصرة،١٩٨٨، العدد التاسع.

- المواقع الإلكترونية:

[ا] - مقالة بعنوان :"**التطور التاريخي لحقل صعوبات التعلم** "،موجودة على الرابط :http://dr-hanan-eldesouky.blogspot.com2012/06/blog-post_19.html،تاريخ زيارة الموقع:٢٠١٥/٠١/٠١،على الساعة:٢١:٠٠سا.

- المواقع باللغة الأجنبية:

[1-] Coplin J.V.& Morgan,S.B (1988): "**Learning Disabilities A Multidimensional Perspective**", Journal Of Disabilities, 21 (10) 614.622.

[2-] Lerner J.V:Learning Disabilities: "**Theories Diagnosis, And Teaching Strategies**", 8th , Houghton Mifflin Company: New York 2000.

4 –Swanson H. L: "**Information Processing Theory And Learning Disabilities**", An Overview, Journal Of Learning Disabilities, 1987, 20 (1).

الصناعة السياحية من البدائل الممكنة للريع الاقتصادي - حالة الجزائر-

أ.ريطاب عزالدين/جامعة قسنطينة ١،الجزائر

مّلخص:

تنحصر مداخيل الجزائر حول مصدر وحيد يتمثل في قطاع المحروقات، بالرغم من الثروات الطبيعية التي تزخر بها الجزائر والمقومات الأساسية للنجاح في تنويع اقتصادها مثل : الطاقات المتجددة، الزراعة والصناعات بمختلف أنواعها، إلا أنها تبقى غير مستغلة أمام إرادة سياسية لا تدخر أدنى جهد لإيجاد بدائل ممكنة للريع الاقتصادي الغير المنتج، كالقطاع السياحي مثلا الذي أصبح صناعة هامة، تقوم عليها اقتصاديات عدة دول بحيث يدر أموال ضخمة تفوق أو توازي عائدات البترول، بمعدل ٢٢٠.٠٠٠ دولار في الثانية.

تملك الجزائر كل الإمكانيات البشرية والمادية التي تسمح لها بالنهوض بهذا القطاع لتنويع اقتصادها، بدءا بتوفرها على مختلف الأنماط السياحية التي تدل على التنوع الثقافي و الأنثروبولوجي، الذي يمتد إلى حقبات ما قبل التاريخ ليدل على الحضارات المتعاقبة على الحياة في الجزائر، وصولا إلى الثروات الطبيعية التي تميزها عن غيرها من الدول، مما جعلها تتضمن مواقع للتراث العالمي ومحميات المحيط الحيوي المصنفين من قبل منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلم و الثقافة.

الكلمات المفتاحية: السياحة، الريع الاقتصادي، البدائل الاقتصادية، الصناعة السياحية.

مقدمة:

يشهد العصر الحديث تسابق جميع الدول إلى تنويع موارد اقتصادياتها الوطنية، دون الاعتماد الكلي على قطاع وحيد دون سواه، و الجزائر باعتبارها من دول العالم الثالث تقدس الريع الاقتصادي الغير منتج، كواقع اقتصادي حتمي تبّين من خلاله نظريتها لكسب الإيرادات المالية،التي بلغت فاتورتها ٦٠ مليار دولار من النفط مقابل فاتورة استيراد مهّولة بلغت نفس قيمة العائدات البترولية، مما جعل صندوق النقد الدولي يطلق تحذيرات دورية حول المستقبل الغامض للاقتصاد الوطني الهش، مما جعل الجزائر مطالبة بمراجعة حس اباتها حول ضرورة تنويع صادراتها خارج قطاع المحروقات، و بالنظر للثروات الكثيرة التي تزخر بها الجزائر يجعل منها قبلة سياحية، تكون بذلك مورد إضافي بديل للريع الاقتصادي.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن إشكالات اعتماد الجزائر على الريع الا قتصادي بصورة حادة، بالرغم من توفر بدائل ممكنة لتنويع صادراتها نحو الخارج، والاهتمام بقطاعات أخرى مهمة الدخل مثل السياحة

أما تساؤلات الدراسة فتتمثل في الإجابة عن التساؤلات التي يطرحها الاقتصاديون و الباحثون الأكاديميون في العلوم القانونية و الاقتصادية، وتتمحور إشكالات الدراسة حول ما يلي:

– ما هي المقومات السياحية التي تتوفر عليها الجزائر؟

– هل تعتبر الصناعة السياحية بديل فعلي لقطاع المحروقات في الجزائر؟

– كم تبلغ حجم التداولات المالية من مداخيل السياحة حول العالم، وما هي حصة الجزائر من ذلك؟

أهمية الدراسة :

تسلط هذه الدراسة الضوء على موضوع جدير بالاهتمام يتمثل في البحث عن موارد مالية جديدة للاقتصاد الوطني الهش، في ظل فشل الحكومات الجزائرية في إنجاح برامج الإصلاح الاقتصادي التي بادرتها منذ أكثر من ثلاث عقود من الزمن، ولم تنجح في الخروج من قوقعة البترول ولا م ن تبعيتها الاقتصادية للخارج في ظل الأزمة المالية العالمية، وتدهور أسعار البترول في البورصات العالمية مما أثر بالسلب على إيرادات الجزائر، التي تحاول في كل مرة تخفيض قيمة عملتها النقدية لامتصاص الأزمات المتتالية التي تنجر على الريع الاقتصادي.

المبحث الأول: مقومات السياحة في الجزائر:

المطلب الأول: تعريف السياحة :

تعلق الإنسان منذ القدم بالتجوال و الترحال نظرا لغريزة حب التطلع و الاستكشاف، جعلت من الدول تخصص ميزانيات ضخمة للنهوض بهذا القطاع، و عرفت المنظمة العالمية للسياحة OMT هذه الصناعة بقولها :" السياحة هي أنشطة المسافر إلى مكان خارج بيئته المألوفة لفترة معينة من الوقت لا تزيد عن السنة بغير انقطاع للراحة أو لأغراض أخر"[1].

و يمكننا **تعريف السياحة** بأنها:" ذلك النشاط الذي يهدف إلى الترويح عن النفس بالراحة والاستجمام خارج محيطه الاعتيادي لمدة معينة من الزمن "، ولم يتطرق المشرع الجزائري إلى مفهوم السياحة، و إنما عرّف النشاط السياحي في المادة ٠٣ فقرة ٠٢ من قانون رقم ٠٣-٠١ المتعلق **بالتنمية المستدامة للسياحة**[2] بأنه:" كل خدمات تسويق أسفار أو استعمال منشآت سياحية بمقابل سواء شمل ذلك الإيواء أو لم يشمله".

المطلب الثاني: أنماط السياحة :

تختلف أشكال السياحة من قارة لأخرى و من بلد لأخر، باحتساب الثروات الطبيعية التي تزخر بها و حجم الاستثمارات القائمة، وسوف نتطرق لجملة الأنماط السياحية الجزائرية المتوفرة للسائح.

١. السياحة الصحراوية :

تشكل الصحراء قبلة سياحية بامتياز للأجانب، وأصبحت تمثل ما نسبة ٢٠ % من حجم الطلبات السياحية حول العالم[3]، نظرا للمناخ الصحراوي الذي يتميز بشمس ساطعة معتدلة في فصلي الشتاء و الربيع، مما يشجع على" السياحة

---

[1] يحي سعيدي، سليم العمراوي، "**مساهمة قطاع السياحة في تحقيق التنمية الاقتصادية /حالة الجزائر**"، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد ٣٦، بغداد، ٢٠١٣، ص ٩٧.

[2] قانون رقم ٠٣،٠١ المؤرخ في ١٦ ذي الحجة ١٤٢٣ الموافق لـ ١٧ فبراير ٢٠٠٣ المتعلق بالتنمية المستدامة للسياحة، **جريدة رسمية** عدد ١١.

[3] جعفري رمضان، "**تيميمون..واحة ساحرة في صحراء الجزائر**"، جريدة الشرق الأوسط، العدد١١٧٤٧، لندن، ٢٠١١. متوفر على الموقع:
http://archive.aawsat.com/details.asp?section=41&article=605453&issueno=11747#.VWSh70ZWV
.og

الشتوية"،[1] فالسائح الأجنبي يستمتع بما تزخر به الصحراء من رسومات تاريخية بكل من جبال الهقار و الطاسيلي، وعرّفها **المشرع الجزائري** في المادة ٠٩ ف١١ من قانون التنمية المستدامة للسياحة بأنها " كل إقامة سياحية في محيط صحراوي تقوم على استغلال مختلف القدرات الطبيعية و التاريخية و الثقافية، مرفقة بأنشطة مرتبطة بهذا المحيط من تسلية و ترفيه و استكشاف".

تشمل الصحراء ٨٠% من إجمالي مساحة الجزائر، وهي توفر أنشطة ترفيهية عديدة مثل : التزلج على الرمال ركوب و التسابق بالجمال...الخ، كما تجذب هواة التصو ير الفوتوغرافي من كل أنحاء العالم لترقب لحظات غروب الشمس التي تعد من بين الأجمل على وجه الأرض، و تتجلى حب الاستكشاف لدى السائح بالاحتكاك بالعادات و التقاليد الصحراوية التي تميز أهالي الصحراء من حيث نمط معيشتهم وكذا اختلاف الهندسة العمرانية الصحراوية الفريدة من نوعها.

٢. السياحة الشاطئية :

تتوفر الجزائر على شريط ساحلي بطول ١٢٠٠كلم على ضفاف البحر الأبيض المتوسط، جعلها تزخر بأكثر من ٦٠٠ شاطئ، ما بين الرملي و الصخري لذلك فإن السياحة لا تنقطع خلال موسم الاصطياف بالجزائر، فهي تمتع بالمناخ المتوسطي المعتدل شبه المداري في المناطق الساحلية، كما تتوفر الشواطئ الجزائري على مناظر طبيعية خلابة، تتجسد في مجموعة من الجزر الطبيعية المترامية على أطراف بعض الشواطئ مثل : **جزيرة العوانة بجيجل، جزيرة بالومة " الحمامة"** بوهران، و جزيرة شقرون بعين تموشنت ...الخ.

وتقدم السياحة ا لشاطئية مجموعة من العروض الترفيهية مثل : ركوب الأمواج، تزلج على الماء وسباقات القوارب، الغوص في أعماق البحر ...الخ، لكن هذا النمط من السياحة يتشكل بصورة كبيرة من المغتربين بالخارج ومن السياح الداخليين.

٣. السياحة الحموية :

تدعى كذلك **بالسياحة العلاجية أو الا ستشفائية**، عرّفها **المشرع الجزائري** في المادة ٠٣ ف ٠٩ من قانون رقم ٠٣-٠١ بأنها: "كل تنقل لأغراض علاجية طبيعية بواسطة مياه المنابع الحموية ذات المزايا الاستشفائية العالية أو بواسطة مياه البحر"، يتعلق هذا النوع بالاستفادة من التركيبات الجيولوجية الكبريتية لمياه الحمامات المعدنية التي تتميز بالسخونة الشديدة التي لا تقل عن ٤٠°، والتي تساعد في علاج الكثير من العلل منها: الأمراض الجلدية،الكلى، المفاصل و الروماتيزم ...الخ.

تتوفر الجزائر على أكثر من ٢٠٠ منبع للمياه الجوفية الحموية أغلبها قابل للاستغلال كمركبات حموي ة عصرية، فالأرقام تشير إلى توفر الجزائر على ٠٧ محطات حموية على التراب الوطني : حمام بوحنيفية بمعسكر، حمام الشلالة بقالمة، حمام ريغة بعن الدفلى، حمام بوغرارة و شيقر بتلمسان، حمام ربي بسعيدة ...الخ، و التي تتوفر على مركبات سياحية و مصحات صحية تقدم خدمات الطبيةة تتمثل في التدليك بالأشعة فوق الحمراء، التدليك تحت الماء، التدليك بالكهرباء، إعادة التأهل الحركي ...الخ،ووجود ما يقارب ٥٠ حمام أخر مستغل بطريقة تقليدية، كما يسمح طول الشريط الساحلي على استغلال مياه البحر للمعالجة الطبيعية و التي تتوفر الجزائر على محطة وحي دة فقط بسدي فرج بالجزائر العاصمة.

[1] خالد كواش، "**مقومات ومؤشرات السياحة في الجزائر، مجلة اقتصاديات شمال افريقيا**"، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، العدد١، ٢٠٠٤، ص٢٢٣.

٤. السياحة البيئية :

تعرّف السياحة البيئية بأنها زيارة الأماكن و المناطق الطبيعية، بغرض الراحة و الاستجمام وحب الاستكشاف التي توفره الثروات الطبيعية التي تملكها الجزائر من "المحميات،الحدائق، الغابات و المجاري المائية الشلالات، الأنهار، الوديان ...الخ"، تتجسد كذلك في زيارة الثروة الغابية و النباتية في الجبال عن طريق التخييم الذي يساهم في التنمية السياحة الجبلية، و التزحلق على ثلوج و تسلق الجبال من قبل المغامرين و ممارسة مختلف الرياضيات في أعالي الجبال، كما تجلب المسطحات المائية السياح لقضاء فترات مريحة على ضفاف الأنهار و الأودية، وتمارس فيها التزلج على الماء و سباق القوارب النهرية، وتضفي الطبيعة مشاهدة الحيوانات التي تشتهر بها تلك المنطقة دون غيرها مثل : " طائر الحبار، النسور القبائلية الكاسرة" أو تلكا لمهددة بالانقراض.

و تتوفر الجزائر على ٠٦ محميات طبيعية مصّنفة من قبل منظمة الأمم المتحدة للتربية للعلم و الثقافة وهي:

أ - محمية المحيط الحيوي الطاسيلي ناجر:

اهتمت الجزائر بالبيئة منذ استقلالها، و أنشأت أول حظيرة وطنية على ترابها في سنة بموجب **القرار الوزاري رقم ١٦٨ الصادر بتاريخ ٢٦ جويلية ١٩٧٢م**،[١] وهي تقع في عمق الصحراء على هضبة عالية قاحلة على ارتفاع ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر،ما بين و ولايتي **تمنراست** و **إليزي** [٢]، تقدر مساحة الحظيرة بـ ٨٠.٠٠٠ كلم^2 وتعد أكبر محمية طبيعية بالجزائر، تتوفر على ثروة حيوانية كبيرة من بينها: الفهد أو النمر الصياد، الكبش البربري، الضأن البربري و غزلان دوركاس المهددين بالانقراض،[٣] كما تتوفر على غطاء نباتي هائل، تتميز بعض أنواعه بنسبة توطن مرتفعة تصل إلى ٥٠% مثل أشجار السرو الصحراوية، وهذا النوع مهدد بالانقراض إذ يعود تاريخ بعضها إلى ٢٤٠٠ سنة، نظرا للأهمية البالغة للثروة الحيوانية و النباتية،تمّ تصنيف الحظيرة الوطنية للطاسيلي ناجر كأول محمية صحراوية في العالم سنة ١٩٨٦ من قبل **منظمة اليونسكو**، وتم إدراج بحيرة اهرير في سنة ٢٠٠١ كمنطقة رطبة عالمية ضمن قائمة معاهدة رامسار الدولية الحكومية للمناطق الرطبة.[٤]

ب - محمية المحيط الحيوي للقالة :

تعد الحظيرة الوطنية **بالقالة (ولاية الطارف)** ثاني أكبر حظيرة وطنية موجودة بالجزائر،وأنشأت سنة ١٩٨٣[٥] على امتداد ٧٦.٤٨٣ هكتار، تشمل المستنقعات، الغابات، الكثبان و البحيرات، مما جعل منها محمية طبيعية مصّنفة من

---

[١] بعيطيش عبد الحميد، **"مظاهر الحضارة النيوليتية بمنطقة الطاسيلي ناجر "**، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، بيروت، العدد ٣، ٢٠١٤، ص١٩٩.

[٢] أنظر موقع رئاسة الجمهورية الجزائرية: http://www.el-mouradia.dz/arabe/algerie/Histoire/tassili/ALG-tassili.htm

[٣] **"برنامج اليونسكو حول الإنسان و المحيط الحيوي"** على الموقع:
http://www.unesco.dz/index.php/ar/sciences-et-technologie-4/programme-man-and-biosphere

[٤] للحفاظ على الأهمية الايكولوجية للمناطق الرطبة حول العالم، تمّ التوقيع على اتفاقيات رامسارإيران في ١٩٧١/٠٢/٠٢، التي تمثل معاهدة دولية حكومية للمحافظة على المناطق الثروات الحيوانية و النباتية في هذه المناطق الحيوية من أجل تحقيق التنمية المستدامة الدولية .__ أمانة اتفاقية رامسار، دليل اتفاقية رامسار بشأن الأراضي الرطبة، الإصدار الرابع، سويسرا، ٢٠٠٧، ص٠١.

[٥] أنشأت بموجب المرسوم رقم ٨٣،٤٦٢ المؤرخ في ١١ شوال عام ١٤٠٣ الموافق لـ ٢٣ يوليو سنة ١٩٨٣، جريدة رسمية، عدد ٣١.

قبل اليونسكو في سنة ١٩٩٠، و تتوفر على غطاء نباتي و حيواني هائل، حيث تعد منطقة رطبة تتوفر على ٥٠ طيور مسجلة في قائمة رامسار للاتفاقيات الدولية حول المناطق الرطبة.

ج - محمية المحيط الحيوي للشريعة :

أنشأت **الحظيرة الوطنية للشريعة بولاية البليدة** ، بموجب المرسوم رقم ٨٣-٤٦١،[١] في قلب جبال الأطلس البليدي بمساحة قدرها ٢٦.٥٨٧ هكتار، و صنفت كمحمية للمحيط الحيوي في سنة ٢٠٠٢ من قبل اليونسكو، للحفاظ على أهمية ثرواتها الطبيعية الهامة التي تقدر بـ ١٣٥٨ نوع من ضمنها:" ٧٠ نوع محمي، من بينها ٥٥ نوع حيواني و ١٥ نوعا نباتيا"، مثل: أرز الأطلس و أزهار الأوركيد، وهي تمثل كذلك وجهة ممتازة للسياحة الشتوية نظرا للتهاطل الكثيف للثلوج على طول الشتاء، و تبلغ أعلى قمة بها ١٦٢٩ متر بجبل كوديات سيدي عبد القادر، لتكون مقصدا للسياحة الجبلية كذلك نظرا لتعدد المجاري المائية بها من وديان و بحيرة واحدة.

د - محمية المحيط الحيوي بجرجرة :

أنشأت الحظيرة الوطنية لجرجرة سنة ١٩٨٣[٢]، و تبلغ مساحتها ١٨.٨٥٠هكتار تقع في منطقة القبائل ما بين ولايتي تيزي وزو و البويرة، بجبال جرجرة التي تبلغ ارتفاع قمة لالة خديجة بـ ٢٣٠٨ متر، التي تكتسيها الثلوج ابتداء من شهر جانفي حتى غاية مارس، صنفت هذه الحظيرة كمحمية للمحيط الحيوي في سنة ١٩٩٧ نظرا للأهمية البالغة التي تميزها، فهي تعد أغنى منطقة نباتية بالجزائر، حيث يقدر غطائها النباتي بـ ١١٠٠ نوع،منها ٢٧ محلية و محدودة التوزيع [٣] كما تأوي على ثروة حيوانية كبيرة من بينها ٢٠ نوع من الثدييات، مثل : القرد المغربي، النمس، الضبع المخطط ...الخ، وعلى طيور ذات أهمية بالغة مثل: العقاب الذهبية، العقاب المصري، النسر الأسمر والنسر الملتحي ...الخ، كما تضم المحمية مجموعة من المواقع التاريخية مثل: مغارة إفري التي توجد بداخلها مومياء تعود للقرن ١٤م.

هـ- محمية المحيط الحيوي لتازا (ولاية جيجل):

أنشأت **الحظيرة الوطنية لتازا** سنة ١٩٨٩،[٤] على مساحة تقدر بـ ٣٨٠٧ هكتار تتمتع بمناظر طبيعية جذابة من المنحدرات، الشواطئ و الغابات ...الخ، المطلة على ضفاف البحر الأبيض المتوسط على امتداد ٠٩ كلم، صّنفت هذه الحظيرة كمحمية للمحيط الحيوي في سن ة ٢٠٠٤، نظرا للتنوع الايكولوجي الكبير بها، حيث تضم الطيور الجزائرية الأصلية "الطيور الكاسرة القبائلية"، وتعد موطن هام لنوع من القردة المهددة بالانقراض [٥]، و تأوي المحمية ١٣١ نوع من الطيور منها ٤٥ محمي، و ١٥ صنف من الثدييات من بينها ١١ محمي[٦].

هـ- محمية المحيط الحيوي لقورايا (ولاية بجاية):

أنشأت **الحظيرة الوطنية لقورايا** سنة ١٩٨٤،[٧] تقدر مساحتها الإجمالية بـ ٢.٠٨٠ هكتار، تنقسم إلى المنطقة البحرية المقدر بـ ١١.٥ كلم التي تطل على البحر الأبيض المتوسط، و المنطقة البحيرية "بحيرة مزايا" التي تبلغ ٠٣ هكتارات،

---

[١] مرسوم رقم ٨٣،٤٦١ المؤرخ في ١٢ شوال عام ١٤٠٣ الموافق لـ ٢٣ يوليو سنة ١٩٨٣ المتضمن إنشاء حظيرةوطنية في الشريعة، ج. ر عدد ٣١.

[٢] أنشأت بموجب المرسوم رقم ٨٣،٤٦٠ المؤرخ في ١١ شوال عام ١٤٠٣ الموافق لـ ٢٣ يوليو سنة ١٩٨٣، **جريدة رسمية**، عدد ٣١.

[٣] نسيمة ياحي، سليمة بن حوحو، "**المناطق النباتية الهامة في جنوب شرق البحر المتوسط**"، الاتحاد الدولي لصون الطبيعة، سويسرا، ٢٠١١، ص ٣٠.

[٤] أنشأت بموجب المرسوم رقم ٨٤،٣٢٨ المؤرخ في ٠٣ نوفمبر ١٩٨٤ المتضمن احداث حظيرة و وطنية بتازا (ولاية جيجل) ، ج.ر عدد ٥٥.

[٥] يونسكو برس، "**مكتب الخدمات الصحفية لمنظمة الأمم المتحدة للتربية و العلم و الثقافة**"، باريس،٢٠٠٤،ص١.

[٦] "**بطاقة وصفية للحظيرة الوطنية لتازة**" ، راجع موقع الديوان الجيجلي للسياحة:www.ojt.dz.

[٧] مرسوم رقم ٨٤،٣٢٧ ا المؤرخ في ٠٣ نوفمبر ١٩٨٤ المتضمن احداث حظيرة وطنية بقورارية (ولاية بجاية)، **جريدة رسمية** عدد ٥٥.

أصبحت هذه ا لحظيرة محمية طبيعية منذ ٢٠٠٤ بسبب الثروة الحيوانية و النباتية الهامة،التي تستدعي الرعاية و الاهتمام بها، حيث تتوفر على : ٨٧ نوع محمي«من بينها ٠٧ أنواع مهددين بالانقراض» تنقسم إلى الثدييات (٣٦ نوع،من بينها ١٦ نوع محمي)، و الطيور (١٥٢ نوع، من بينها ٣٦ نوع محمي)، الحشرات (٤٢٨ نوع، من بينها ١٩ نوع محمي)، الزواحف (١١ نوع، من بينها ٠٢ محميين)، و النباتات (٥٢٦ نوع، من بينها ٣٦ نوع محمي)، كما تعد مقصدا سياحيا هاما نتيجة توفرها على عدة منشآت سياحية و علمية (٠٣ متاحف).

٥. السياحة الثقافية :

عرّفت **المادة ٠٣ فقرة ٠٧ من قانون ٠٣-٠٣**،[١] **السياحة الثقافية** بأنها" كل نشاط استجمام يكون الدافع الرئيسي هو البحث عن المعرفة و الانفعالات من خلال استكشاف تراث عمراني مثل المدن و القرى و المعالم التاريخية و الحدائق و المباني الدينية أو تراث روحي مثل الحفلات التقليدية و التقاليد الوطنية أو المحلية".

تتعلق السياحة الثقافية بزيارة المهتمين بالمدن العتيقة الأثرية، لاكتشاف الحضارات التي عاشتها هذه الدول، والجزائر كغيرها من البلدان تملك مدن تاريخية كاملة تبّين هويتها الحضارية، مما جعل ٠٧ مناطق منها تصّنف كمواقع للتراث العالمي من قبل منظمة اليونسكو، ومحمية وطنيا بموجب قانون ٩٨-٠٤،[٢] ويتعلق الأمر بكل من:

أ - قلعة بن حماد:

تقع هذه القلعة على بعد ٢٠ كلم عن **ولاية المسيلة**، على ارتفاع ١٠٠٠ مترفوق سطح البحر، بنيت ما بين عامي ١٠٠٧ و ١٠٠٨م، على يد حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي البربري مؤسس الدولة ا لحمادية، و بقيت أثارها واضحة كمنارة المسجد،[٣] و صّنفت في سنة ١٩٨٠ كموقع للتراث العالمي من قبل اليونيسكو، شيدت المدينة وفق الطراز المعماري الإسلامي،[٤] و تعتبر مأذنة المسجد الأعظم من أقدم المآذن الجزائرية.

ب - تيمقاد:

شيدت **تيمقاد** أو **تاموقادي**،[٥] على يد الإمبراطور الروماني **ترجان تاريانوس** في عام ١٠٠ بعد الميلاد، كانت في الأصل مستعمرة عسكرية،[٦] لتتحول فيما بعد إلى مدينة حضرية راقية نسج فيها الرومان هندستهم المعمارية الفريدة، على امتداد مساحة ٩١ هكتار بولاية باتنة، نظرا إلى أهمية هذا الإرث التاريخي تمّ تصنيفه في سنة ١٩٨٢ كموقع للتراث العالمي، من قبل اليونسكو و تشكل تيمقاد أخر مستعمرة رومانية بإفريقيا.

ج - جميلة(سطيف):

أسست **مدينة جميلة** أو **كويكول** في عهد الإمبراطور الروماني نيفرا، خلال نهاية القرن الأول ميلادي (٩٦-٩٨ ميلادي)، على ارتفاع ٩٠٠م فوق سطح البحر وتبلغ مساحتها ٣١ هكتار، تمثل هذه المدينة الحياة البرجوازية التي كان يعيشها الرومان، صّنفت كموقع عالمي للتراث سنة ١٩٨٢.[٧]

---

[١] قانون ٠٣،٠٣ المتعلق بمناطق التوسع و المواقع السياحية المؤرخ في ١٦ ذي الحجة ١٤٢٣ الموافق لـ ١٧ فبراير ٢٠٠٣، **جريدة رسمية**، عدد ١١.

[٢] قانون رقم ٩٨،٠٦ المؤرخ في ٢٠ صفر ١٤١٩ الموافق لـ ١٥ يونيو ١٩٩٨ المتعلق بحماية التراث، **جريدة رسمية**، عدد ٤٤.

[٣] موقع مديرية السياحة والصناعات التقليدية لولاية المسيلة: http://dtmsila.dz.com/lang/ar/h%C3%A9sto/hammad

[٤] خالد بلعربي، "**البنية العمرانية لمدينة قلعة بني حماد**"، دورية كانت التاريخية، الكويت، العدد ٠٥، ٢٠٠٩،ص ٢٨.

[٥] تسمى باللغة اللاتينية Colonia Marciana Triana Thamugadi

[٦] محمد العيد مطمر، "**رحلة إلى تيمقاد**"، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر،٢٠١١، ص ٣١.

[٧] http://whc.unesco.org/fr/list/191

د -الطاسيلي ناجر:

يعتبرموقع **الطاسيلي ناجر** أكبر متحف أثري في الهواء الطلق بالعالم، و يشكل فسيفساء لحياة الإنسان عبر التاريخ عن طريق الرسومات، المنحوتات و المنقوشات، التي يبلغ عددها ١٥.٠٠٠ رسم تعود إلى زمن ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد، و تستمر حتى القرون الأولى من عصرنا، تتوفر محمية الط اسيلي كذلك على مجموعة جيولوجية هامة من الكهوف و البراكين الخامدة، التي تشكل ما يعرفبالغابات الحجرية أو الصخرية، صّنفت هذه المحمية في سنة ١٩٨٢ كموقع للتراث العالمي، و أصبحت حظيرة وطنية ثقافية منذ سنة ٢٠١٢[١].

هـ- وادي مزاب (ولاية غرداية):

أسس الأباظيون في الق رن العاشر ميلادي مجموعة من القصور، ذات الهندسة المعمارية الإسلامية الصحراوية على الطريقة الإباضية،[٢] فوق هضبة صخرية كلسية و كانت تعرف المنطقة تجمعات سكنية و قبلية، تعود إلى القرن الثامن و العاشر ميلاديين بسبب القصور و الآثار البربرية التي وجدت قبل مجيء الإبا ظيين إلى المنطقة، مثل: قصر تلزمنت، قصر اولاول، قصر بابا السعد و قصر تمزرت ...الخ، وهي قصور مندثرة لم يبقى منها سوى الأطلال،إلا أنها تتضمن مجوعة هائلة من النقوش التي أرجعتها البحوث العلمية، إلى حقبة ما بين ١٨٠٠٠ و ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد لفترة الليبيكو بربار من عصر البرونز[٣]،و هناك مجموعة من القصور التي صّنفت كتراث وطني سنة ١٩٧١مثل: قصر بريان، قصر متليلي، قصر المنيعة ...الخ،[٤]وصنفت كذلك من قبل منظمة اليونيسكو كموقع للتراث العالمي في سنة ١٩٨٢، وتمّ إعلان المنطقة قطاعا محفوظا من طرف وزارة الثقافة الجزائرية منذ سنة ٢٠٠٥[٥].

و - قصبة الجزائر:

تأسست القصبة الأولى على يد الأمير بولوغين بن زيلاي بن مناد الصنهاجي على أطلال مدينة أكزيوم الرومانية بالجزائر العاصمة في سنة ٩٥٠م، أما قصبة الجزائر الثانية والحالية فأنشأ تبقرار عثماني من قبل " **عروج**" في سنة ١٥١٦م،[٦] و شكلت فسيفساء للنسيج المعماري العثماني الإسلامي، إذا كانت عاصمة الإيالة العثمانية بالجزائر و اتخذت كمقر للسلطان، تشبه أزقة القصبة متاهة لتعدد مداخلها و مخارجها، و أشهرها"**زنقة العرائس**" و "**زنقة مراد نزيم بك**"، وكانت تملك ١٥٠ عين طبيعية تقلّص عددها مع مرور الوقت إلى ٠٧ عيون، أشهرها "العين المالحة و بئر جباح و زوج عيون "، تملك القصبة عدة قصور عثمانية أهمها: قصر الداي، قصر الرياس، قصر خداوج العمياء و دار عزيزة".

و تحتوي القصبة على عدة مساجد عريقة و تاريخية منها : **جامع كتشاوة، الجامع الكبير، الجامع الجديد، جامع السلطان، جامع علي بتشين** ...الخ.

صّنفت القصبة في سنة ١٩٩٢ كموقع للتراث العالمي، نتيجة لأهميتها التاريخية باعتبارها كانت مرفأ بحري للفنقيين[٧]،وتشتهر القصبة بأزقتها الضيقة وحماماتها التركية و آبارها و مساجدها العتيقة و نافورتها و ينابيعها الطبيعية.

---

[١] مرسوم تنفيذي رقم١٢،٢٩٢ مؤرخ في ٢ رمضان عام ١٤٣٣ الموافق لـ ٢١ يوليو من سنة ٢٠١٢، الذي يحدد القانون الأساسي للديوان الوطني للحظيرة الثقافية للطاسيلي ناجر، جريدة رسمية العدد ٤٤.

[٢] ديوان حماية وادي ميزاب و ترقيته، ا"**لعرف في البناء التقليدي بوادي ميزاب**"، وزارة الثقافة، الجزائر، د.ت، ص٠٤.

[٣] ديوان حماية وادي ميزاب و ترقيته، على الموقع: http://www.opvm.dz/ar.

[٤] "**دليل المواقع و المعالم التاريخية لولاية غرداية**"، وزارةالثقافة، الجزائر، ٢٠١٢، ص ١٦.١٧.١٨.

[5] "**Guide des sites et monuments historique de la vallée du M'zab**", l'Union Européen, Barcelone, 2011, p09.

[٦] وداش ضاوية، "**قصبة الجزائر رمز ومعلم الهوية الحضرية** "، أشغال الملتقى الثاني حول "المجالات الاجتماعية التقليدية، جامعة قاصدي مرباح بورقلة، يومي ٢٦،٢٧ مارس ٢٠١٤، ص٢٥.

[٧] Casbah D'Alger sur le site de l'UNESCO : **http://whc.unesco.org/fr/list/565**.

ز - مدينة تيبازة:

تعني كلمة "**تيبازا**" في **اللغة الفينيقية** "**الممر**"، حيث كانت تشكل ميناء بحري قرطاجي و سوق تجاري كبير، احتلتها الإمبراطورية الرومانية فيما بعد و جعلتها قاعدتها العسكرية لفتح الممتلكات الموريتانية ما بين ١٤٥ و ١٥٠ بعد الميلاد، واحتلها البيزنطيين خلال القرن الخ امس،[١] تشكل المدينة مزارا لعدة حضارات تاريخية منها : **الرومانية، البيزنطية، الفينيقية،و المسيحية القديمة**، تجسد كل هذا في الآثار التي مازالت قائمة لحد الآن، لعل أبرزها قبر الرومية الذي يمثل الضريح الموريتاني الملكي الكبير، صّنفت مدينة تيبازة كموقع للتراث العالمي في سنة ١٩٨٢م[٢].

المبحث الثاني: انعكاسات السياحة على الاقتصاد:

نحاول أن نبيّن في هذا المبحث العائدات المالية من الصناعة السياحية حول العالم، من حيث أهميتها البالغة التي تقوم عليها اقتصاديات عدد كبير من الدول.

المطلب الأول: أثر السياحة على اقتصاد العالم:

أصبحت السياحة من أهم القطاعات الاقتصادية الأكثر نموا في العالم خلال العشرية الأخيرة، حيث حققت خلال سنة ٢٠١٣، أرقاما كبيرة بكسبها لإيرادات قدرت بـ ١.١٥٩ مليار دولار، نتيجة تنقل ١.٠٨٧ مليار سائح نحو العالم، و سمحت بخلق ٢٢٦ مليون وظيفة بمعدل ١ من ١١ ممكنة، و ساهمت بما يعادل ٩ % من إجمالي الناتج المحلي الإجمالي في العالم حسب الأرقام الصادرة عن المنظمة السياحة العالمية.

كما سجلت السياحة العالمية أرقاما قياسية في سنة ٢٠١٤، بتحقيقها لمداخيل بلغت ١.٢٤٥ مليار دولار بزيادة قدرها ٤٨ مليار دولار عن سنة ٢٠١٣[٣]،حيث سمحت بتنقل ١.١٣٨ مليار سائح نحو الخارج بزيادة نمو بلغ ٤.٧%، حيث نال القطاع السياحي حصة ٦ %من إجمالي الاستثمارات حول العالم، وسيطرت بنسبة ٣٠% على الاستثمارات الموجهة للخدمات[٤].

أولا: الدول الأوروبية:

احتلت أوروبا صدارة القارات الأكثر زيارة في سنة ٢٠١٤، حيث استقبلت نصف عدد السياح حول العالم بـ ٥٨٨ مليون سائح أجنبي، بمعدل ٢.٧ مليار ليلة سياحية[٥]، و بعائدات بلغت ٥٠٣ مليار دولار، ما نسبته ٤١% من مداخيل السياحة العالمية[٦].

و حافظت فرنسا على ريادتها كأكثر الوجهات السياحية إقبالا في العالم بجذبها لـ ٨٤.٧ مليون سائح في سنة ٢٠١٤، بمعدل ٤٠٢.٩٠ مليون ليلة سياحية، لتحتل المركز الرابع من حيث المداخيل التي بلغت ٤٢ مليار يورو، مما سمح

---

[١] موقع وزارة التجارة لولاية تيبازة:
http://www.dcwtipaza.dz/index.php?option=com_content&view=article&id=122&Itemid=54.

[2] Tipaza sur le site de l'UNESCO : **http://whc.unesco.org/fr/list/193**

[3] Organisation mondiale du tourisme**, "Faits saillants OMT du tourisme"**, Madrid, 2014, p02.

[4] World Tourism Organisation, "**World Tourism Barometer"**, Volume 13, Madrid, 2015, p01.

[5] Eurostat, "**Night spent at tourist accommodation establishments"**,**European Commission,Luxembourg,**2014, p03.

[6] World TourismOrganisation, "**World Tourism Barometer"**,o.p.cit, p03.

بالمساهمة بـ ٧% من الناتج المحلي الإجمالي للجمهورية الفرنسية، [1] و احتلت في المقابل المركز السادس عالميا من حيث السياحة الصادرة منها.

و المملكة الاسبانية تعوّل على القطاع السياحي في عزّ الأزمة الاقتصادية التي عصفت بها، و احتلت المركز الثاني عالميا من حيث الإيرادات السياحية التي بلغت ٦٥ مليار دولار، مقابل ٤٥.٤ مليار يورو في سنة ٢٠١٣ باستقبالها لـ ٦٠.٧ مليون سائح أجنبي، بمعدل ٤٠١.٣٠ مليون ليلة سياحية.[2]

أما **إيطاليا** مازالت تستفيد من الآثار التاريخية للإمبراطورية الرومانية ومن مدينة البندقية العائمة، و احتلت المركز السادس عالميا من حيث المداخيل السياحية، بمعدل ٣٦٩.٩٠ مليون ليلة سياحية، مقابل حجزها للمركز الثامن عالميا من حيث السياحة الصادرة منها،و احتلت المملكة المتحدة المركز السابع عالميا من حيث الإيرادات التي سمحت لها بخلق ١.٧٥ مليون منصب شغل مباشر من الصناعة السياحية[3]، وحجزت في المقابل المركز الرابع عالميا من حيث تصديرها لها بمعدل إنفاق بلغ ٥٨ مليار دولار.

تواجدت **ألمانيا** في المركز الثامن عالميا من حيث المداخيل، التي سمحت باستقبال أكثر من ٣٢.٩ مليون سائح أجنبي بمعدل ٣٦٦.٢٠ مليون ليلة سياحية، تصدرت فيها سياحة الأعمال الريادة بـ ٧٥.٦ مليون ليلة سياحية،وساهمت هذه الأرقام بنسبة ٤.٤% من الناتج المحلي الإجمالي لألمانيا،أكثر من البناء (4,3%)ومن صناعة السيارات (٢.٣%)،[4]كما احتلت المركز الثالث عالميا من حيث تصديرها للسياحة العالمية بـ معدل إنفاق قدر بـ ٩٢ مليار دولار.

ثانيا: الدول الأسيوية:

احتلت القارة الأسيوية الوصافة بأكثر الأماكن زيارة في سنة ٢٠١٤، باستقبالها لـ ٢٤٩.٨ مليون سائح أجنبي حيث نالت الصين المركز الثالث عالميا، من حيث الإيرادات التي بلغت ٥٧ مليار دولار، فيما احتلت "ماكاو" المركز الخامس عالميا من حيث المداخيل السياحية، فيما نجحت كل من تايلندا و هونغ كونغ في احتلال المركزين التاسع و العاشر عالميين على التوالي.

ثالثا: القارة الأمريكية:

استقبلت القارة الأمريكية ١٨١ مليون سائح أجنبي، بمداخيل مالية بلغت ٢٧٦ مليار دولار الموسم الفارط، وحجزت من خلالها الولايات المتحدة الأمريكية ريادة الترتيب العالمي من حيث المداخيل، التي بلغت ١٧٧ مليار دولار مقابل ١٠٥.١ مليار يورو في سنة ٢٠١٣، كما نجحت باستقبال ٦٩.٨ مليون سائح أجنبي مما مكنها من احتلال المركز الثاني عالميا من حيث تصديرها للسياحة بفاتورة قدرت بـ ١١٢ مليار دولار.

---

[1]Mathilde Visseyrias," **La France Toujours première destination touristique au monde"**, Le Figaro, Paris, 2015, Voir le lien : http://www.lefigaro.fr/societes/2015/04/08/20005‹20150408ARTFIG00013‹la‹france‹toujours‹premiere‹destination‹touristique‹au‹monde.php

[2] Isabelle de Foucaud, "**La France sauve de justesse son rang de première destination touristique en Europe"**, Le Figaro, Paris, 2015, Voir le lien : http://www.lefigaro.fr/conso/2015/02/01/05007‹20150201ARTFIG00052‹la‹france‹sauve‹de‹justesse‹son‹rang‹de‹premiere‹destination‹touristique‹en‹europe.php

[3] Oxford Economics," **Tourism: Jobs and growth « The economic contribution of the tourism economy in UK"**, London, 2013, p03.

[4]Mathilde Visseyrias,"**Le tourisme Allemand atteint des records"**, Le Figaro, Paris, 2015, voir le lien :http://www.lefigaro.fr/conjoncture/2015/04/18/20002‹20150418ARTFIG00006‹le‹tourisme‹allemand‹atteint‹des‹records.php

رابعا: القارة الإفريقية :

نجحت دول القارة السمراء في تحقيق مداخيل مالية بلغت ٣٦ مليار يورو في سنة ٢٠١٤، حيث استقبلت ٥٦ مليون سائح أجنبي،بالرغم من تحذيرات منظمة الصحة العالمية حول انتشار فيروس الإيبولا القاتل في عدد من الدول الإفريقية، و نجح القطاع السياحي في خلق ٢٠.٤٨١.٥٠٠ منصب عمل مباشر و غير مباشر، و يتوقع بلوغ رقم ٢٦.٠٢٢.٠٠٠ منصب عمل في أفق ٢٠٢٥، من ضمنها ٨.٦٦٣.٠٠٠ منصب شغل مباشر[١].

المطلب الثاني: أثر السياحة على الاقتصاد المغاربي :

تشكل الوجهات المغاربية قبلة سياحية مفضّلة للكثير من الأجانب (خاصة تونس و المغرب)، نظرا للعروض و الامتيازات المقدمة من قبل هذه الدول لاستقطاب أكبر عدد ممكن من السياح لكسب مداخيل إضافية، و استثنينا من هذه الدراسة الدولة الشقيقة ليبيا نتيجة لتردي الأوضاع الأمنية بها.

أولا: العائدات المالية لدول المغرب العربي :

تتوفر دول **المغرب العربي** على حصة لا بأس بها من السياحة في حوض البحر الأبيض المتوسط،حيث تعتبر المملكة المغربية أفضل وجهة سياحية بشمال إفريقيا حسب تقارير المجلس العالمي للسياحة، إذ استقبلت المملكة وحدها ١٠.٣ مليون سائح خلال سنة ٢٠١٤، بزيادة طفيفة عن سنة ٢٠١٣ التي قدرت بـ ١٠.٠٤٦.٠٠٠ مليون سائح، تتشكل أغلبيتهم من الأجانب بنسبة ٥٣ % مقابل ٤٧% يشكلون الجالية المغربية بالمهجر، نتيجة للموقع الاستراتيجي للمملكة التي تطل على المحيط الأطلسي من جهة، وعلى مياه البحر الأبيض المتوسط الدافئة من جهة أخرى، ساهمت هذه الإيرادات بنسبة ١٢% من الناتج المحلي الإجمالي و سمحت في خلق ٥٥٠.٠٠٠ منصب شغل غير مباشر، ما يعادل ٥% من إجمالي نسبة التشغيل في المغرب[٢].

أما **تونس** فسجلت توافد٦.٠٦٨.٥٩٣ سائح سنة ٢٠١٣، ليرتفع العدد إلى ٦.٢٦٩.٠٠٠سائح في ٢٠١٤[٣]، منهم أكثر من ٥٠% من الأجانب وبلغ عدد السياح الوافدين من المغرب العربي نحو٤٧% بإيرادات مالية تجاوزت ٢ مليار دولار.

ثانيا: العائدات المالية للجزائر:

تحاول الجزائر منذ انزلاق الأوضاع الأمنية إلى محو الصورة المأساوية التي ترسمت لدى الأجانب،بفعل مجموعة الاعتداءات الإرهابية التي استهدفتها منذ مطلع التسعينات، فبالرجوع إلى أرقام وزارة السياحة نجد أن الجزائر استقبلت سنة ٢٠١٤ أكثر من ٠٢ مليون و ٣٠٠ سائح، تتشكل الأغلبية المطلقة منهم من المهاجرين الجزائريين بالخارج مقابل مداخيل مالية لم تتجاوز ٥٠٠ مليون دولار، و الجزائر تحاول منذ ١٠ سنوات الحصول على إيرادات بقيمة ٠١ مليار دولار من القطاع السياحي، فسجلت في السنة ٢٠١١ استقبال ٢.٣٩٥.٠٠٠ مليون سائح بينهم ٩٠١.٦٤٢ ألف سائح أجنبي بإيرادات بلغت ٤٨٠ مليون دولار، ساهمت هذه الأموال بـ ٢.٤% من الناتج الوطني الخام.

أما في سنة ٢٠١٢ فسجل ٢.٦٣٤.٠٥٦ سائح زيارتهم للجزائر، من ضمنهم ٩٨١.٩٥٥ من السياح الأجانب وبإيرادات بلغت ٤٣٠ مليون دولار، وتذيلت الجزائر الترتيب العربي في حجم التوافد الأجنبي للسياح في التقارير الصادرة عن المجلس العالمي للسياحة و الأسفار،باحتلالها المرتبة ١١١ عالميا من بين ١٨٤ دولة في سنة ٢٠١٣، و تجلت الأهمية الاقتصادية و

[1] World travel and tourism council," **Economic impact 2015 Africa"**, London, 2015, p01.

[٢] راجع السياحة في أرقام [**الوفدات السياحية**] على وزارة السياحة المغربية: http://www.tourisme.gov.ma/ar

[٣] أرقام رسمية صادرة عن وزارة السياحة التونسية، راجع الموقع:
15.html،chiffres/stat،en،perspectives/tourisme،et،http://www.tourisme.gov.tn/ar/ryoalisations

الاجتماعية للسياحة بخلقها لـ ٤٦٠.٠٠٠ منصب شغل مباشر وغير مباشر، ليقفز هذا الرقم سنة ٢٠١٤ إلى ٦٦٠.٠٠٠ عمل مباشر وغير مباشر،من ضمنه ٣٣٢.٥٠٠ وظيفة مباشرة، ما يشكل في الواقع الوظيفي ما نسبته ٣% من إجمالي الموظفين بالجزائر، و تشير توقعات الخبراء إلى بلوغ رقم ٦٩٠.٥٠٠ منصب عمل في العام ا لجاري،[1] لتقفز النسبة الإجمالية للشغل إلى مستوى ٤.٦% أما في جانب السياحة الصادرة من الجزائر، يبلغ معدل خروج السياح الجزائريين إلى الخارج مستوى ١.٥ مليون سائح على الأقل سنويا، بمعدل إنفاق يقدر بـ ٥٠٠ يورو على الأقل أي ما يساوي ٧٥٠ مليون يورو على الأقل نحو وجهات عرب ية **(تونس، المغرب، الإمارات العربية المتحدة، لبنان و الأردن** ...الخ)، ونحو وجهات أوروبية (**فرنسا، اسبانيا، ايطاليا، تركيا، ألمانيا** ...الخ)، وحتى زيارة البلدان الأسيوية التي تنامت لدى الجزائريين (**ماليزيا، الصين،تايلاند** ...الخ).

خاتمة:

تملك الجزائر المقومات الأساسية التي تجعل منها قطب سياحي كبير في المستقبل، مما يؤدي إلى تنويع المداخيل المالية دون الحاجة إلى الاعتماد الكلي على الإيرادات النفطية، فهناك دول أخرى مثل فرنسا التي تجاوزت عائداتها السياحية لسنة ٢٠١٤،مداخيل الجزائر البترولية التي قدرت بـ ٦٠ مليار دولار، ومن جملة التوصيات التي تراها جديدة بالاهتمام و الدراسة:

- ضرورة توفر إرادة سياسية حقيقة لتنويع الاقتصاد الوطني بعيدا عن البحبوحة المالية التي خلقها الريع الاقتصادي، بالبحث عن البدائل الممكنة بحسب الإمكانيات البشرية و المادية المتوفرة للنهوض بالقطاع السياحي.

- المراجعة الفورية لقاعدة الاستثمار الأجنبي ٥١/٤٩ مع تعيين المنظومة القانونية لجعلها تتماشى مع متطلبات الحياة الاقتصادية في الجزائر لتشجيع الاستثمار الأجنبي المباشر في القطاع السياحي، والحد من العراقيل و الإجراءات البيروقراطية التي تميّز الإدارة الجزائرية.

- الاهتمام الجاد بالصناعة السياحية و جعلها كمورد أساسي لجلب العملة الصعبة، و لا يتوفر ذلك إلا بتوفير الشروط الأساسية للأمن السياحي في الجزائر خاصة في عمق الصحراء الكبرى.

- إرساء الوعي و الثقافة السياحية لدى أفراد المجتمع للاحتكاك بالأجانب، بإشراك جمي ع أطياف المجتمع المدني بدءا بالمدرسة و دور التربية.

- العمل على الإعلام السياحي للوجهة الجزائرية، من خلال الترويج الفعال من قبل الوكالات السياحة والبعثات الدبلوماسية بالخارج في الصالونات و المحافل السياحية الدولية، و النظر في أمور تسهيل منح تأشيرات دخول الأ جانب للجزائر للحد من البيروقراطية التي تحكم هذا المجال.

قائمة المراجع :

١. يحي سعيدي، سليم العمراوي، " **مساهمة قطاع السياحة في تحقيق التنمية الاقتصادية /حالة الجزائر"**، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد ٣٦، بغداد، ٢٠١٣، ص ٩٧.قانون رقم ٠٣-٠١ المؤرخ في ١٦ ذي الحجة ١٤٢٣ الموافق لـ ١٧ فبراير ٢٠٠٣ المتعلق بالتنمية المستدامة للسياحة، جريدة رسمية عدد ١١.

[1] World travel and tourism council, **"Economic impact 2015 Algeria"**, London, 2015, p04.

٢. جعفري رمضان،" **تيمون..واحة ساحرة في صحراء الجزائر** ،" جريدة الشرق الأوسط، العدد١١٧٤٧، لندن، ٢٠١١. متوفر على الموقع :
http://archive.aawsat.com/details.asp?section=41&article=605453&issueno=11747#.VWSh70ZWVog

٣. خالد كواش، "**مقومات ومؤشرات السياحة في الجزائر**"، مجلة اقتصاديات شمال افريقيا، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، العدد١، ٢٠٠٤.

٤. بعيطيش عبد الحميد ، "**مظاهر الحضارة النيوليتية بمنطقة الطاسيلي ناجر** "، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، بيروت، العدد ٣، ٢٠١٤.

٥. أنظر موقع رئاسة الجمهورية الجزائرية : **http://www.el-mouradia.dz/arabe/algerie/Histoire/tassili/ALG-tassili.htm**

٦. **برنامج اليونسكو حول الإنسان و المحيط الحيوي على الموقع** : **http://www.unesco.dz/index.php/ar/sciences-et-technologie-4/programme-man-and-biospher**

٧. أنشأت بموجب المرسوم رقم ٨٣-٤٦٢ المؤرخ في ١١ شوال عام ١٤٠٣ الموافق لـ ٢٣ يوليو سنة ١٩٨٣، **جريدة رسمية**، عدد ٣١.

٨. مرسوم رقم ٨٣-٤٦١ المؤرخ في ١٢ شوال عام ١٤٠٣ الموافق لـ ٢٣ يوليو سنة ١٩٨٣ المتضمن إنشاء حظيرة وطنية في الشريعة، ج. ر عدد ٣١.

٩. أنشأت بموجب المرسوم رقم ٨٣-٤٦٠ المؤرخ في ١١ شوال عام ١٤٠٣ الموافق لـ ٢٣ يوليو سنة ١٩٨٣، **جريدة رسمية**، عدد ٣١.

١٠. نسيمة ياحي، سليمة بن حوحو، "**المناطق النباتية الهامة في جنوب شرق البحر المتوسط** "،الإتحاد الدولي لصون الطبيعة، سويسرا، ٢٠١١.

١١. أنشأت بموجب المرسوم رقم ٨٤-٣٢٨ المؤرخ في ٠٣ نوفمبر ١٩٨٤ المتضمن إحداث حظيرة و وطنية بتازا (ولاية جيجل) ، ج.ر عدد ٥٥.

١٢. يونسكو برس، "**مكتب الخدمات الصحفية لمنظمة الأمم المتحدة للتربية و العلم و الثقافة**" ،باريس،٢٠٠٤.

١٣. "**بطاقة وصفية للحظيرة الوطنية لتازة**"– راجع موقع الديوان الجيجلي للسياحة: www.ojt.dz

١٤. مرسوم رقم ٨٤-٣٢٧ ا المؤرخ في ٠٣ نوفمبر ١٩٨٤ المتضمن إحداث حظيرة وطنية بقورارة (ولاية بجاية)، **جريدة رسمية** عدد ٥٥.

١٥. قانون ٠٣-٠٣. المتعلق بمناطق التوسع و المواقع السياحية المؤرخ في ١٦ ذي الحجة ١٤٢٣ الموافق لـ ١٧ فبراير ٢٠٠٣، **جريدة رسمية**، عدد ١١.

١٦. قانون رقم ٩٨-٠٦. المؤرخ في ٢٠ صفر ١٤١٩ الموافق لـ ١٥ يونيو ١٩٩٨ المتعلق بحماية التراث، **جريدة رسمية**، عدد ٤٤.

١٧. موقع مديرية السياحة والصناعات التقليدية لولاية المسيلة : http://dtmsila-dz.com/lang/ar/h%C3%A9sto/hammad.

١٨. خالد بلعربي، "**البنية العمرانية لمدينة قلعة بني حماد**"، دورية كانت التاريخية، الكويت، العدد ٠٥، ٢٠٠٩.

١٩. محمد العيد مطمر، "**رحلة إلى تيمقاد**"، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر،٢٠١١.

٢٠. مرسوم تنفيذ يرقم ١٢-٢٩٢ مؤرخ في ٢ رمضان عام ١٤٣٣ الموافق لـ ٢١ يوليو من سنة ٢٠١٢، الذي يحدد القانون الأساسي للديوان الوطني للحظيرة الثقافية للطاسيلي ناجر، جريدة رسمية العدد ٤٤.

٢١. ديوان حماية وادي ميزاب و ترقيته، "**العرف في البناء التقليدي بوادي ميزاب**"، وزارة الثقافة، الجزائر، د.ت.

٢٢. ديوان حماية وادي ميزاب و ترقيته، على الموقع: http://www.opvm.dz/ar.

٢٣. "**دليل المواقع و المعالم التاريخية لولاية غرداية**،" وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠١٢.

٢٤. وداش ضاوية، " **قصبة الجزائر رمز ومعلم الهوية الحضرية** "، أشغال الملتقى الثاني حول "المجالات الاجتماعية التقليدية، جامعة قاصدي مرباح بورقلة، يومي ٢٦-٢٧ مارس ٢٠١٤.

25. Casbah D'Alger sur le site de l'UNESCO : **http://whc.unesco.org/fr/list/565**

26. http://whc.unesco.org/fr/list/191.

27. Tipaza sur le site de l'UNESCO : **http://whc.unesco.org/fr/list/193**.

28. Organisation mondiale du tourisme," **Faits saillants OMT du tourisme**", Madrid, 2014, p02.

29. World Tourism Organisation, **"World Tourism Barometer"**, Volume 13, Madrid, 2015, p01.

30. **"Eurostat, Night spent at tourist accommodation establishments",European Commission,Luxembourg,**2014, p03.

31. Mathilde Visseyrias," **La France Toujours première destination touristique au monde**", Le Figaro, Paris, 2015, Voir le lien : http://www.lefigaro.fr/societes/2015/04/08/20005-20150408ARTFIG00013-la-france-toujours-premiere-destination-touristique-au-monde.php

32. Isabelle de Foucaud," **La France sauve de justesse son rang de première destination touristique en Europe**", Le Figaro, Paris, 2015, Voir le lien : http://www.lefigaro.fr/conso/2015/02/01/05007-20150201ARTFIG00052-la-france-sauve-de-justesse-son-rang-de-premiere-destination-touristique-en-europe.php

33. Oxford Economics," **Tourism: Jobs and growth « The economic contribution of the tourism economy in UK**", London, 2013.

34. Mathilde Visseyrias,"**Le tourisme Allemand atteint des records, Le Figaro**", Paris, 2015, voir le lien :http://www.lefigaro.fr/conjoncture/2015/04/18/20002-20150418ARTFIG00006-le-tourisme-allemand-atteint-des-records.php

35. World travel and tourism council, "**Economic impact 2015 Africa**", London, 2015.

36. "**Guide des sites et monuments historique de la vallée du M'zab**", l'Union Européen, Barcelone, 2011.

٣٧. موقع وزارة التجارة لولاية تيبازة

http://www.dcwtipaza.dz/index.php?option=com_content&view=article&id=122&Itemid=54:

٣٨. راجع السياحة في أرقام [**الوفدات السياحية**] على وزارة السياحة المغربية: http://www.tourisme.gov.ma/ar

٣٩. أرقام رسمية صادرة عن وزارة السياحة التونسية، راجع الموقع:

http://www.tourisme.gov.tn/ar/ryoalisations-et-perspectives/tourisme-en-chiffres/stat-15.html

40.World travel and tourism council," **Economic impact 2015 Algeria**", London, 2015.

الأفكار العقلانية و اللاعقلانية حسب نظرية أليس (Ellis)

أ.ضيف حليمة/جامعة سطيف ٢ ،الجزائر

ملخص :

إن أساس تعامل الفرد مع أحداث الحياة و مواقفها الضاغطة ،هو تقييمه المعرفي لهذه الأحداث و المواقف ،ويتم هذا دون وعي مباشر من الفرد فهو لا يدرك دور التقييمات المعرفية والأفكار في أي اضطراب قد يظهر عليه ،حيث تكون الرابطة بين الموقف و الاضطراب و بالتالي يظن أن الاضطراب الانفعالي ناتج عن الموقف مباشرة ،جاهلا حقيقة أن الاضطراب الانفعالي قد نتج بالفعل عن الفكرة التي توسطت الحدث أو الموقف الضاغط ،و بالتالي تكون الفكرة أو الحديث الداخلي للفرد عن الحدث الضاغط هي التي سببت الاضطراب و ليس الحدث نفسه ،واعتمادا على ذ لك ،فإنه إذا تم تعديل هذه الأفكار غير المنطقية في معظم المواقف ،و استبدالها بأخرى أكثر منطقية في التعامل مع هذه الأحداث ،فإنها قد تخفف من الإضطراب الناتج .

هذا هو الأساس الذي اعتمد عليه ألبرت أليس(**Albert Ellis**) ،و هو من أهم المنظرين لأحد مداخل العلاج المعرفي السلوكي،و هو العلاج العقلاني الانفعالي السلوكي حيث ،يرى أليس (**Ellis**) أن أفكار الفرد و معتقداته هي التي تؤدي إلى اضطرابه النفسي إذا كانت غير منطقية ولاعقلانية ،و على الوجه الآخر إذا كانت أفكاره عقلانية و منطقية ،أو إذا عدلت الأفكار اللاعقلانية و تبنى الفرد بدلا منها أفكارا عقلانية ،فإن ذلك من شأنه أن يساعد على تمتعه بالصحة النفسية و السواء النفسي و قدرته على مواجهة أحداث الحياة .

سيتم تناول هذه النظرية للوقوف على مسلمات و مفاهيم هذه النظرية و نتطرق إلى الشخصية من وجهة نظر أليس إلى جانب تعريف الأفكار العقلانية و اللاعقلانية سمات كل منهما و مصادر اكتسابها كما سنتطرق إلى ذكر الأفكار اللاعقلانية كما أوردها أليس (**Ellis**) في الأخير سنتناول أهم أساليب العلاج العقلاني الانفعالي .

الكلمات المفتاحية :الأفكار العقلانية، الأفكار اللاعقلانية.

مقدمة :

تتكون معتقدات الفرد و ميوله من خلال عملية التفكير، كما أن المشكلات التي تواجه الإنسان تنعكس على سلوكه وانفعالاته وحتى طريقة تفكيره وبالتالي يكون تعامله مع من حوله انطلاقا من معتقدات غير واقعية أو أفكار لاعقلانية ،و لقد أولى **أليس(Ellis)** في هذا الإطار أهمية قصوى للأفكار و المعتقدات في تشكيل حياة الفرد سواء بإكسابها الإيجابية و تحقيق الأهداف أو الشعور بالانهزام والمعاناة،حيث يخلق الإنسان لنفسه و بنفسه اضطراباته الانفعالية بما يتمسك به من أفكار غير عقلانية ،وكذلك يستطيع أن يحقق لنفسه السواء النفسي والاتزان الانفعالي والسعادة والنجاح في مجالات الحياة بالتمسك بالأفكار والمعتقدات العقلانية ورفض ودحض الأفكار اللاعقلانية.

هذا إلى جانب أن للتفكير أهمية كبيرة في مساعدة الفرد على التكيف مع عالمه الخارجي لأنه إحدى الوسائل التي يستخدمها الفرد لتحقيق و تحسين و تنمية ذاته ،كما أنه يساعده في التعبير عن فرديته و تنمية موهبته.[١]

فهو حسب ما أشار إليه كل من **فرانك وبرونو (Franc and Bruno,١٩٨٦)** نشاط عقلي وشكل من أشكال العمليات المعرفية التي تستخدم الإدراك و المفاهيم والرموز والتصورات،وفهم الواقع الخارجي وتمثله.[٢]

لقد اهتمت البشرية بالمعرفة و طبيعتها و العمليات العقلية و النشاط الذهني المستخدم في عمليات الانتباه ،و الإدراك ،والتذكر ،و الاستيعاب وغيرها من أنشطة التفكير باعتبارها وسيلة الإنسان لفهم ذاته و العالم الخارجي المحيط به [٣]،كما يرى المعرفيون أنه عندما تضطرب هذه المعرفة ويحدث تحريف للتفكير عن الذات وعن العالم والمستقبل، يلجأ الفرد إلى تضخيم السلبيات و التقليل من شأن الإيجابيات وتعميم ال فشل وكل هذا يرتبط بالتكوين المعرفي للفرد وكيفية إدراكه وتفسيره.[٤]

وفي هذا الصدد يميز الباحثون في علم النفس المعرفي بين نمطين من الأفكار تتمثل في أفكار عقلانية **Rational ideas** واقعية وايجابية يصاحبها مواقف و أنماط سلوكية ملائمة و مرغوبة تحقق للإنسان مزيدا من التوافق و الصحة النفسية ،و أفكار لاعقلانية **(Rational ideas)** وتشير إلى معتقدات خيالية و سلبية و يصاحبها عواقب انفعالية و أنماط سلوكية غير مرغوبة مثل القلق والغضب و الاكتئاب و العدوانية ،وذلك من خلال التفكير بطريقة غير منطقية تتصف بعدم الموضوعية و تعتمد على تعميمات خاطئة و مجموعة من المعتقدات التي تخلو من العقلانية والمنطق السليم فهي تصورات خاطئة وغير واقعية تسيطر على تفكير الفرد و توجه سلوكه ،و غالبا ما تكون نتاج الخصائص الفطرية و عملية التعلم .

كما دعمت العديد من الدراسات و الأبحاث فرضية **أليس(Ellis)** القائلة بأن نظام الأفكار والمعتقدات غير العقلانية عند الفرد هو المسئول عن السلوك غير المرغوب فيه و عن الاضطرابات النفسية بشكل عام ،و قد أشار الريحاني إلى عدد من الدراسات الميدانية التجريبية التي أكدت صحة نظرية **أليس(Ellis)** و ذلك من خلال وجود علاقة بي ن التفكير اللاعقلاني وعدد من أشكال الاضطراب النفسي و سوء التكيف .كما أثبتت العديد من الدراسات السابقة انتشار التفكير اللاعقلاني سواء في المجتمعات الغربية أو العربية ومن ذلك دراسة **هازليوس و ديفنباتشير Hazaleus & Deffenbacher ,1985)**ودراسة **الريحاني** (١٩٨٥).[٥]

١ - المفاهيم و المسلمات الأساسية لنظرية ألبرت أليس(Albert Ellis):

إن المفاهيم التي توصل إليها **أليس(Ellis)** من خلال خبرته في العلاج النفسي توصل إليها الكثير من الفلاسفة و المعالجين القدامى و المعاصرين و بالرغم من الاختلافات الظاهرة في أسماء المفاهيم و الآراء التي ابتكرها هؤلاء العلماء و

---

[١] عصام علي الطيب ، "**أساليب التفكير نظريات و دراسات و بحوث معاصرة**"، ط ١، القاهرة : عالم الكتب ،٢٠٠٦، ص ١٩.

[٢] غسان المنصور،"**أساليب التفكير و علاقتها بحل المشكلات دراسة ميدانية على عينة من تلامذة الصف السادس الأساسي في مدارس مدينة دمشق الرسمية**"، مجلة جامعة دمشق ،المجلد 23،العدد ٠١، ٢٠٠٧،ص ٤٢١.

[٣] رافع النصير الزغلول ، عماد عبد الرحيم الزغلول، "**علم النفس المعرفي**"،د ط، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع،٢٠٠٣، ص١٧.

[٤] عبد الفتاح عبد القادر محمد أبو شعر،"**الأفكار اللاعقلانية لدى طلبة الجامعات الفلسطينية و علاقتها ببعض المتغيرات** "،رسالة ماجستير غير منشورة ، تخصص علم النفس،كلية التربية فلسطين ،٢٠٠٧، ص ٢.

[٥] غرم الله بن عبد الرزاق بن صالح الغامدي، "**التفكير العقلاني و التفكير اللاعقلاني و مفهوم الذات و دافعية الإنجاز لدى عينة من المراهقين المتفوقين دراسيا و العاديين بمدينتي مكة المكرمة و جدة** "، رسالة دكتوراه غير منشورة ، تخصص إرشاد نفسي ،جامعة أم القرى، ٢٠٠٩ ،ص ٢٠.

المفكرين ،إلا أنها تجمع على أن الاضطرابات النفسية لا يمكن عزلها عن الطريقة التي ينظر بها الفرد لنفسه و للعالم من حوله هذا و قد قدم أليس عددا من **المبادئ و المسلمات المرتبطة** بنظريته و هي :

❖ **العقلانية و اللاعقلانية:** يمكن تعريفها على أنها استخدام المنطق في تحقيق الأهداف القريبة والبعيدة ،و هي تسهم في تحقيق هدفين هامين هما المحافظة على الحياة و الإحساس بالسعادة النفسية و التحرر من الألم ،في ظل التفاعل الملائم مع العواطف[١].

في حين أن اللاعقلانية تشتمل على التفكير بطرق تقف حاجزا في سبيل تحقيق الهدفين السابقين.[٢]

❖ **العقل و الانفعال:** يرى **أليس (Ellis)** أن التفكير و الانفعال الإنساني ليسا عمليتين مختلفتين، و إنما هما عمليتان متداخلتان بشكل كبير و بصورة ذات دلالة تفاعلية تبادلية و تعتبران في بعض الأحيان نفس الشيء ،و يعد الانفعال في حقيقته نوع من التفكير غير العقلاني و هو عملية اتجاهية معرفية حيث يستجيب ا لبشر للمواقف الحياتية المختلفة بشكل ينطوي على حكم حدسي و فكري مسبق ،و بالتالي يأتي القرار النهائي بالاستجابة لتلك المواقف منسجما مع ما يحققه الانفعال الأصلي أو يحول دونه.

❖ **الانفعالات الملائمة وغير الملائمة** : يرى **أليس (Ellis)** أن الانفعالات الملائمة هي تلك ا لمشاعر التي تحقق أهداف الحيات السعيدة و هي مهمة ضرورية للإنسان ،و بدونها لا يستطيع أن يشعر بالسعادة ، أما الانفعالات غير الملائمة فبعضها مهم للإنسان لأنها تحافظ على أساس من الأفكار غير العقلانية ،مما تؤدي إلى إعاقة السلوك الواقعي للإنسان و الانفعالات غير الملائمة لا يكون لها وجود إلا في ظل استدخال الفرد لها بشكل شعوري حيث يصوغها في جمل أو صور لا تخرج عن العبارتين التاليتين (**هذا حسن بالنسبة لي**) أو (**هذا سيئ بالنسبة لي**) ومن هنا فإن السلوك المضطرب هو نتاج الاستمرار بالحديث الداخلي الذاتي الذي يتكون من الأفكار اللاعقلانية.[٣]

❖ **الميول البيولوجية** : يرى **أليس (Ellis)** أن الإنسان يولد و لديه الاستعداد للتصرف بالطريقتين العقلانية و اللاعقلانية ،و يصف ذلك بقوله "إن الأفراد مركبون بيولوجيا على أن يفكروا بطريقة ملتوية في مناسبات عديدة ،أو أن يهزموا أنفسهم و أن يبالغوا في كل شيء ،وأن يشعروا بالإثارة و يتصرفوا بغرابة لأتفه الأسباب و لديهم أيضا استعدادات قوية لأن يفكروا بسهولة و بشكل طبيعي،و هم مبتكرون و يتعلمون من أخطائهم ،و هم يغيرون من أنفسهم مرات عديدة.

٢- الشخصية من وجهة نظر أليس (Ellis):

صاغ أليس **(Ellis)** مجموعة من المفاهيم و الأسس التي تسهم في التعرف على وجهة نظره في الشخصية و منها:

✓ **الأسس البيولوجية :**

يرى أليس **(Ellis)** أن البشر يتشابهون في الجوانب البيولوجية و الفسيولوجية العامة مثل الأكل ، التنفس ،الحركة و لديهم استعداد فطري و ميل لأن يكونوا عقلانيين و غير عقلانيين ،فمن ناحية نجد أن لديهم طاقة هائلة في أن يكونوا مولدين للسعادة و من ناحية أخرى نجد أن لديهم طاقة هائلة في أن يكونوا قاهرين لأنفسهم و يكرروا نفس الأخطاء لكونهم غير عقلاني.

---

[١] ، ناصر عبد العزيز بن عمر الصهقان، "**تقييم فعالية العلاج العقلاني الانفعالي في خفض درجة القلق و الأفكار اللاعقلانية لدى مدمني المخدرات**" ،رسالة ماجيستير غير منشورة تخصص الرعاية و الصحة النفسية ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٥، ص ١٩.

[2] ، **Lan R** Ridgway ,"**Theory and practice Rational Emotive Behavior Therapy**".2 semester 2.7.2005,p 5.

[٣]،أبو شعر، المصدر المذكور سابقا ،ص ١١.

✓ **الأسس الاجتماعية:** يرى أليس **(Ellis)** أن التفكير غير العقلاني و التعود على التدمير الذاتي و عدم المسامحة ترجع في أصولها إلى التعلم المبكر و غير المنطقي ، فالفرد لديه الاستعداد البيولوجي لذلك التعلم ،و الذي يكتسبه من الوالدين بصفة خاصة و غالبا ما يتفاقم التفكير غير العقلاني بسبب تدني المستوى الثقافي و الاجتماعي ،و بسبب تزايد ا لضغوط العائلية و الاجتماعية ،فمن خلال عملية النمو يتعلم الفرد التفكير و الشعور بنفسه و بالآخرين في ظل ما يستدخله أثناء التنشئة الاجتماعية و ما ينميه من أحاديث داخلية[١]

✓ **الأسس النفسية: نموذج ABC (A. B. C Model)** تتمثل الأسس النفسية للشخصية عند أليس **(Ellis)** في نموذج أسماه بقالب**(A.B.C)** و الذي يعتبر الجانب الرئيسي في العلاج العقلاني الانفعالي من الناحية النظرية و التطبيقية.

قدم أليس **(Ellis)** نموذجه **(A.B.C)** الذي يوضح العلاقة بين الأحداث المثيرة و الأفكار اللاعقلانية و الاضطراب الانفعالي و يقوم بتفسي ر الاضطراب لدى الأفراد عندما يخبرون أحداثا منشطة **(Activating events)** غير مرغوبة ،و يليها معتقدات **(Beliefs)** إما عقلانية أو غير عقلانية عن تلك المثيرات،ثم يصيغون بمعتقداتهم نتائج **(Consequences)** انفعالية سلوكية ،إما تكون مناسبة أو غير مناسبة ،وذلك وفقا للمعتقدات سواء كانت عقلانية أو غير عقلانية [٢]

و يعتمد النموذج على جانبين يكمل كل منهما الآخر:

الجانب الأول : A.B.C:(Activating – Beliefs- Consequences) و هو بمثابة الجانب التشخيصي ،و يوضح العوامل الأساسية ،التي تؤدي إلى نشأة الاضطراب الانفعالي.

الجانب الثاني :D.E.F : (Disputing- Enactment- Feed Back)و هو الجانب العلاجي ،و من خلاله يتم توضيح و مناقشة العلاقات بين الأحداث المثيرة ،و الأفكار اللاعقلانية ،و مهاجمة تلك الأفكار الهدامة التي يتبناها العميل ،و استبدالها بأخرى أكثر منطقية ،و محاولة إكساب العميل طرق التفكير السليمة التي من خلالها يستطيع دحض **(Dispute)** و تقييم أفكاره السابقة تجاه الأحداث التي سببت له الاضطراب الانفعالي أو طريقة تفكيره تجاه الأحداث المثيرة التي ستواجهه [٣] و فيما يلي عرض للنقاط التفصيلية التي يعتمد عليها النموذج:

١ – **أحداث نشطة Activating events (A)** وهي الخبرة أو الأحداث النشطة المثيرة للفرد، و التي تسبب له الاضطراب الانفعالي.

٢ – **المعتقدات Beliefs** (B) و هي الاعتقادات أو الأفكار عن الحدث **(A)**،وقد تظهر في صورة أفكار أو حديث داخلي يردده الفرد كتقييم خاطئ للحدث ،أو تفسير محرّف ،مشوّه وخاطئ للحدث المثير للضغط

٣ – **النتائج Conséquences (C)** و هي بمثابة النتيجة أو العواقب،و التي يظن العميل أنها ناتجة عن الحدث **(A)** ولكنها في الحقيقة ناتجة عن **(B)**.

و قد تكون هذه النتيجة انفعالية أو سلوكية ،و قد تظهر في صورة شعور بالتعاسة و البؤس ،أو اضطراب انفعالي [٤]

هذا هو الجانب التشخيصي،و الذي يخص العميل وحده و يأتي الجانب الثاني ليوضح العلاقات السليمة بين الأحداث المثيرة و الأفكار اللاعقلانية، و النتائج أو العواقب المترتبة عليها.

والجانب الثاني من النموذج **D.E.F**،والذي يظهر فيه دور المعالج من خلال مناقشته وإبرازه العلاقات الخفية التي يجهلها العميل بين **(A)**و**(B)**، وأن **(C)** نتجت عن **(B)** وليس عن **(A)** كما يظن العميل[١]، وتفصيل ذلك في الجانب التالي:

---

[١]، أبو شعر، المصدر المذكور سابقا ،ص ١٠.

[2] ، Reivich and shatté."**the resilience factor" . New York :** Broadway Books ,2002 , p10،11.

[3] ، Lan R Ridgway, op cit, p8.

[4] ، Susan A .holt and carol shaw."**A Comparison of rationel Emotive Therapy .internationel".** jornel of behavioral Consultation and Therapy.2013 vol. 7 no.4 ,p9.

٤ – **المناقشة و الدحض Disputing (D)**وهي خطوة المناقشة،حيث يقوم المعالج بتفنيد و مناقشة أفكار لعميل ،لمساعدته على إدراك العلاقة بين **(B)** و **(C)**،و تغلبه على معتقداته غير العقلانية ،و استبدالها بأخرى بمثابة الخطوة التالية.

٥ – **التنفيذ Enactment (E)** وهي خطوة التنفيذ ،و بعد أن ناقش المعالج العميل في الخطوة السابقة تأتي مرحلة إكساب العميل لفلسفته الجديدة ،ليفكر بها بطريقة عقلانية و بناءة ،لا تؤدي به إلى الاضطراب الانفعالي.

٦– **التغذية الراجعة Feed Back (F)** و هي العائد أو التغذية الراجعة للحدث النشط المثير للضغط،وهنا يساعد المعالج العميل أن يكون موضوعيا في أفكاره و نتائجه التي يتوصل إليها.[٢]

٣- تعريف الأفكار العقلانية :

- يرى أليس **(Ellis)** أن الأفكار العقلانية هي تلك الأفكار التي يمكن التحقق منها من خلال الحجج و البراهين
- و حسب **بارون (Baron ,1990)**أن الأفكار العقلانية أقرب إلى الواقعية بعيدا عن التأملية.[٣]
- في حين عرفها **زايد** (٢٠٠٣)بأنها انتصار للعقل في مختلف مجالات الحياة و الوجود في مجال العلم و الحياة الاجتماعية .[٤]

نرى بأن الأفكار العقلانية هي أفكار منطقية، و واقعية تساعد الفرد على تحقيق أهدافه في جميع المجالات فضلا عن أنها تزيد من مشاعر المتعة و السعادة.

٤- تعريف الأفكار اللاعقلانية:

- يعرفها **أليس (Ellis,1977)** بأنها تلك المجموعة من الأفكار الخاطئة و غير المنطقية التي تتميز بعدم موضوعيتها و المبنية على توقعات و تعميمات خاطئة ،و على مزيج من الظن والتنبؤ و المبالغة و التهويل بدرجة لا تتفق و الإمكانات الفعلية للفرد [٥]

- أما **باترسون (Patterson1980)** فيعرفها بأنا المعتقدات و المفاهيم التي يتبناها الفرد من الأحداث و الظروف الخارجية و التي ترجع نشأتها إلى التعلم المبكر و غير المنطقي.[٦]

- أما **ميرازا**(٢٠٠٧) ترى بأن الأفكار اللاعقلانية هي الأفكار والمعتقدات و الألفاظ الذاتية التي ترتبط بتقييم الأحداث على نحو كارثي ،أو تقيم الذات باعتبارها لا تستحق الاحترام ،مما يؤدي إلى الحزن و القلق[٧]

---

[1] ،David, D.,Kangas, M.,Schnur, J.B Montgomery, G.H. REBT Depression Manual/Protocol **"Managing Depression Using Rational Emotive Behavior Therapy":** Romania Babes،Bolyai University (BBU), 2004,p 10.

[٢]، نشوة الدردير، المصدر المذكور سابقا، ص٢٧، ٢٨.

[٣]، صابر، المصدر المذكور سابقا، ص ٦.

[٤]، هديل عبد الله، المصدر المذكور سابقا ،ص ٣٤٦.

[٥]، صابر، المصدر المذكور سابقا، ص ٦.

[٦]، شايع، المصدر المذكور سابقا ،ص ١٩٣.

[٧]، رامي الزقزوق ، "**فاعلية استخدام السيكودراما في خفض مستوى القلق و الأفكار اللاعقلانية لدى طلبة الكليات التقنية في قطاع غزة**" ، غزة ، ماجيستير غير منشورة .تخصص علم النفس. جامعة الأزهر. ٢٠١٣، ص ٤٥.

من خلال التعاريف السابقة نجد أن الأفكار اللاعقلانية تعد نمط من أنماط التفكير الخاطئ والهازم للذات على شكل معتقدات غير منطقية يكتسبها الفرد من خلال الأسرة و المجتمع ويتبناها في تقييمه لذاته ،والأحداث و المواقف التي تواجهه و التي بدورها تقوده إلى مختلف الاضطرابات من قلق و اكتئاب أو شعور بالحزن و العجز.

٥- سمات الأفكار العقلانية :

يرى **أليس(Ellis,1997)** أن المعتقدات العقلانية لها عدة سمات أو مميزات وهي :

-**الموضوعية**: ويتمثل ذلك في أنها تشتق من حقائق و أدلة موضوعية وليس من نظرة شخصية.

-**المرونة** :حيث تتشكل في صورة رغبات و أمنيات و تفضيلات لا تصل إلى المطلقات اللازمة.

- تساعد على تحقيق و إنجاز الأهداف.

- تقلل من الصراعات الداخلية لدى الفرد.

- تقلل من التصادم مع الآخرين المحيطين بالفرد.

- تساعد على التفكير في عدة صيغ من الاحتمالات.[١]

٦- سمات الأفكار اللاعقلانية :

أوردت **هيفاء الأشقر** (٢٠٠٤) أن **دريدن (Dryden, 1994)** قام بتلخيص بعض السمات و **الخصائص** الهامة للمعتقدات اللاعقلانية و هي كالآتي:

١– أنها تتصف بالجمود و التطرف ،وينشأ عنها عادة أفكار لا عقلانية مثل "**أنه أمر فضيع يجب أن لا يحدث أبدا**".

٢ – ينشأ عنها السخط و التذمر و العدوان من الذات و الآخرين.

٣ – تكون دائما في صورة الإثبات و النفي المطلقين، و لا تساعد على التفكير بالاحتمالات.

٤ – غير منطقية و لا تتسق مع الحقيقة و الواقع، كما أنها تعيق الفرد من تحقيق أهدافه ورغباته.

٧- مصادر اكتساب الأفكار اللاعقلانية :

تلعب البيئة المحيطة دورا كبيرا في اكتساب الفرد للأفكار اللاعقلانية، من خلال وسائط التربية و التي منها الوالدين و المعلمين والأصدقاء، و وسائل الإعلام، ومن أسباب ظهور هذه الأفكار اللاعقلانية ما يلي:

❖ **أساليب المعاملة الو الدية السلبية:**

لأساليب المعاملة الو الدية السلبية دورا في نشأة الأفكار اللاعقلانية ،من حيث افتقار العلاقة بين الوالدين و الطفل للتفاعل الإيجابي و الاحترام المتبادل فيشعر الطفل بانهزام الذات ،كما أن المعاملة الو الدية التي تؤكد على الرعاية المبالغ فيها في التنشئة ،هي غير صحيحة لأنها تجعل الطفل لا يتعلم كيف يتعامل مع المشكلات بنفسه و لا يشعر بالاستقلالية ولا يحترم قرارات الوالدين أو أحكامهما خائف من الوقوع في الخطأ وغير قادر على الدفاع عن نفسه ،حيث إن الوالدين الذين يظهرون توقعات عالية جدا تتجه نحو الكمال الزائد يتوقعون من أطفالهم أن يظهروا جوانب قوة متزايدة دون أي جوانب ضعف،مما يشعر الطفل بأنه غير قادر على تلبية توقعاتهم،خاصة عندما يقارنونه على نحو سلبي مع نجاحات الآخرين .

[١]، الغامدي، المصدر المذكور سابقا ،ص ٣٢.

كما اتضح أن الوضع الأسري أو الظروف الأسرية السلبية تلعب دورا في اكتساب الفرد للأفكار اللاعقلانية ،حيث تبين أن بعض المراهقين من الجنسين ممن هم يعيشون في مناخ أسري غير عادي مثل أبناء المطلقين كانت لديهم أفكار لا عقلانية بدرجة مرتفعة و المرتبطة ببعض الأعراض النفسية السلبية مثل الشعور بالاكتئاب النفسي المرتفع [١].

❖ **التربية و التعليم :**

تخلق أساليب التربية و التعليم و المناهج الدراسية طالبا متلقيا معتمدا على التلقين فهي لا تشجع التفكير و الإبداع ،و استخدام الطرق العلمية في حل المشكلات،و إنما تشجع على الحفظ و رفض النقاش،و الالتزام بالقوالب الجامدة المحددة سلفا حتى ينال الطالب استحسان المعلم وهذا ما يساعد على نشأة أفكار لا عقلانية لدى الطلبة. [٢]

❖ **العزلة الاجتماعية :**

تعد العزلة الاجتماعية من الأسباب التي قد تساهم و بشكل كبير في تكوين الأفكار اللاعقلانية،حيث يفتقر الفرد للحكم أو المعيار الاجتماعي على أفكاره و معتقداته ،و في كثير من الأحيان قد تتسم شخصية الفرد المنعزل اجتماعيا ببعض الجمود الذي يمنعه من تقييم أفكاره تقييما سليما وفقا لما يتفق مع الآخرين ،و ما ترتضيه الجماعة التي يعيش فيها و يستمد منها الدعم والمساندة .

❖ **الجمود الفكري :**

اتصاف الأفراد بالجمود من الأسباب التي قد تؤدي إلى سيادة الأفكار اللاعقلانية و ذلك ،من خلال عدم الرغبة في تغيير أفكارهم ،أو استبدالها بأخ رى أكثر عقلانية وأكثر مرونة ومنطقية،فيقع الفرد أسيرا للتفكير المتصلب الجامد حيث يكون تفكيره مظلم يرى من خلاله جانب واحد للحياة ،ولا يرغب في أن يغير فكره، ليرى الجانب الآخر. [٣]

❖ **ثقافة المجتمع :**

إن انتشار أفكار لاعقلانية في المجتمع يفرز أفكار لا عقلانية للأفـراد فتعم هذه الأفكار المجتمع الخارجي أو البيئة ،كما هو الحال في سيادة الأفكار اللاعقلانية المتعلقة بالسحر والشعوذة ،و في هذه الحالة يكون الفرد اللاعقلاني ضحية لبيئته[٤]

تبين الدراسات أن هناك فروق بين الجماعات العرقية على مقياس الأفكار اللاعقلانية حيث توصلت النتائج إلى أن الأمريكيين من أصل آسيوي اتضح لديهم احتمالات أكبر في الاعتقاد بالخرافات التي تتعلق بالحظ أكثر من الأمريكيين غير الآسيويين [٥].

❖ **وسائل الإعلام المختلفة:**

أصبح الإعلام في مجتمعنا و في وقتنا الحاضر غير هادف و غير مسئول يجعل من المتعة اللحظية،و جذب انتباه الشباب لتحقيق أعلى الأرباح هو الهدف الأساسي له ،ومع غياب الرقابة التربوية و الاجتماعية و الأخلاقية تتحول هذه الأعمال إلى وسيلة لإكساب الأفراد أفكارا غير موضوعية و غير عقلانية عن الحياة ب المصدر المذكور سابقا كل جوانبها [٦].

---

[١] ،الغامدي، المصدر المذكور سابقا ، ص ٣٦.

[٢] ، علام، المصدر المذكور سابقا ، ص ١٢٠.

[٣] ،هديل عبد الله ، المصدر المذكور سابقا ،ص٣٥٠.

[٤] ، نشوة الدردير، المصدر المذكور سابقا ،ص ٣٢، ٣٣.

[٥] ، الغامدي، المصدر المذكور سابقا ،ص ٣٧.

[٦] ، علام ، المصدر المذكور سابقا،ص ١٣٦.

كما أن سهولة الوصول إلى المعلومات الغزيرة جدا باستخدام تقنيات في متناول الجميع كشبكة الإنترنت العالمية ،تؤدي إلى ركون الفرد إلى الوسائل و التقنيات دون أن يستخدم تفكيره لذا يجب أن يعتم د الفرد على أساليبه و سماته في التفكير و البحث و أن لا يركن إلى ما هو سهل[١].

٨ - الأفكار اللاعقلانية كما أوردها أليس Ellis:

من خلال الدراسات التي قام أليس(Ellis) للأفكار اللاعقلانية ،فقد تمكن من تمثيلها في إحدى عشرة فكرةً أو قيمةً ليست ذات معنى اعتُبرت حسب نظريته أفكاراً لاعقلانيةً ،وخرافية وشائعة الانتشار في الثقافة الغربية ،وتؤدي إلى الاضطراب النفسي: ،وهذه الأفكار هي

- **الفكرة الأولى :طلب الاستحسان** Demand Of Approval"من الضروري أن يكون الشخص محبوبا أو مرضيا عنه من كل المحيطين به".

نرى أن هذه الفكرة اللاعقلانية قد تسهم في اعتماد الفرد على الآخرين بشكل مبالغ فيه.

- **الفكرة الثانية : ابتغاء الكمال الشخصي Personal Perfection** "يجب أن يكون الفرد على درجة عالية من الكفاءة و المنافسة و أن ينجز ما يمكن أن يعتبر نفسه بسببه ذا قيمة وأهمية ".[٢]

نرى أن سعي الفرد في الوصول إلى حد الكمال في كل شيء يفعله يجعله عرضة للإحباط و الفشل في عمله و في حياته بشكل عام من جراء عدم وصوله إلى الكمال فيما يفعله.

- **الفكرة الثالثة : اللوم القاسي للذات وللآخرين Blame-Proneness**:"بعض الناس أشرار وخبثاء لذلك يجب أن يعاقبوا ويلاموا بشدة على سلوكهم الشرير أو الخبيث".[٣]

نرى في هذه الفكرة اللاعقلانية اختلاف معيار الصواب و الخطأ من مجتمع لآخر فهو متغير و يتأثر ثقافيا.

- **الفكرة الرابعة: توقع المصائب والكوارث Castarophizing** "إنه لمصيبة فادحة أن تسير الأمور على عكس ما يريد الفرد ".[٤]

نرى أنه يجب علينا أن ننظر للأمور من جوانب متعددة فقد تكون هناك جوانب إيجابية لا ننتبه إليها عند حدوثها لأننا نركز على الأمور السلبية و نغفلها و تكون نظرتنا أحادية، و لا نجعل الحصول على الرغبات مطلب أساسي.لتحقيق السعادة

- **الفكرة الخامسة: قصور(اللامبالاة) الانفعالية Emotional Irresponsibility** " المصائب والتعاسة عند الفرد بفعل العوامل الخارجية والتي ليس بمقدوره السيطرة عليها"[٥]

نرى أن هذه الفكرة لا عقلانية فالظروف الخارجية قد تكون سببا في تعاسة الفرد لكنها لا تمثل جميع الأسباب فبعض ما يعانيه الفرد نابع من ذاته ،علما أن الفرد السوي يستطيع التغلب على ظروفه وذلك من خلال تكيفه معها

---

[١]، زياد بركات،"**التفكير الإيجابي و السلبي لدى طلبة الجامعة في ضوء بعض المتغيرات** " ،جامعة القدس المفتوحة، برنامج التربية، منطقة طولكرم التعليمية ، ٢٠٠٦ ص .

[٢]، سناء زهران ، المصدر المذكور سابقا ، ص٧١.

[٣]، الصهقان، المصدر المذكور سابقا ،ص ١٩.

[٤]، شايع عبد اللصدر المذكور سابقا ، ص٢٠٤

[٥]، الزقزوق، المصدر المذكور سابقا ، ص ٨٨.

- **الفكرة السادسة:القلق الزائد Anxious Over Concern** "تستدعي الأشياء الخطيرة أو المخيفة ظهور الهم الكبير والانشغال الدائم في التفكير وينبغي أن يتوقع الفرد احتمال حدوثها يكون ولكن أهبة الاستعداد لمواجهتها والتعامل معها"[1].

ونرى أن هذه الفكرة لا عقلانية، لأنه لدى الفرد الكثير من الرغبات و الأماني، و لكنه من المستحيل تحقيق جميع هذه الأماني

- **الفكرة السابعة:تجنب المشكلات ProblemsAvoidance** "من الأسهل للفرد أن يتجنب بعض الصعوبات والمسؤوليات بدلاً من مواجهتها"[2].

ونرى أن هذه الفكرة لا عقلانية لأننا لا نمتلك معيارا واضحا لمفهوم الصعوبة فهو مفهوم نختلف في تحديدنا له ومواجهة المواقف والمسئوليات أسهل من مواصلة التهرب منها. فمهما طال الهروب سيتوقف الشخص في فترة ما وسيضطر لمواجهتها،كما أن لظهور بعض المصاعب فوائد قد تتمثل في تعلم أساليب جديدة في مواجهتها.

- **الفكرة الثامنة:الاعتمادية Dependency** "يجب أن يعتمد الشخص على الآخرين ، ويجب أن يكون هناك من هو أقوى منه لكي يعتمد عليه."[3]

و نرى أن هذه الفكرة لا عقلانية لأنه على الفرد أن يعتمد على نفسه فهو المسئول الوحيد عن سلوكياته وطريقة حياته.

- **الفكرة التاسعة:الشعور بالعجز و أهمية خبرات الماضي Helplessness**: "تقرر الخبرات والأحداث الماضية السلوك الحاضر ولا يمكن تجاهل أو محو تأثير الماضي"[4]

نرى أن هذه الفكرة اللاعقلانية بما فيها من اهتمام مبالغ فيه بالماضي، إلا أن أثره يعد محدودا في تأثيره على حاضرنا ومستقبلنا.

- **الفكرة العاشرة:الانزعاج لمتاعب الآخرين Upset For People's Problems** "ينبغي أن يحزن الفرد لما يصيب الآخرين من اضطرابات و مشكلات".

نرى أن الاهتمام المعقول أمر لا بأس به ،إلا أن الاهتمام المبالغ فيه أمر غير مرغوب لأنه لن يفيد الآخرين في مواجهة مشكلاتهم

- **الفكرة الحادية عشرة:إغفال الحلول الكاملة Perfect Solutions** "هناك دائماً حل كامل وصحيح يجب التوصل إليه لكل مشكلة ، وإلا ستكون النتائج خطيرة"[5].

نرى أنه لؤمن الفرد في النظر إلى المشكلة من جوانب متعددة لوجد العديد من الحلول الممكنة، و أن لا ينظر إليها من منظور ضيّق كما أن الحل الوحيد المناسب لكل مشكلات البشرية أمر غير ممكن، نظرا لاختلاف الأفراد في إدراكهم لمشكلاتهم .

وقد تمكن الريحاني(١٩٨٠) إلى التوصل في دراسته لتطوير اختبار الأفكار العقلانية و اللاعقلانية إلى إضافة فكرة أخرى أطلق عليها Ellis إلى الأفكار آنفاً ،وشائعة في المجتمع الأردني.

---

[1]، الزهراني، المصدر المذكور سابقا، ص ٤٥.

[2]، علام ، المصدر المذكور سابقا ، ص ٨٨.

[3]،شايع، المصدر المذكور سابقا ، ص ٢٠٥.

[4]، ابراهيم عبد الستار، المصدر المذكور سابقا ، ص٢٠١.

[5]، سناءزهران ،المصدر المذكور سابقا ، ص٧٢

١ - ينبغي أن يتسم الشخص بالرسمية والجدية في التعامل مع الآخرين حتى يكون له قيمة أو مكانة محترمة بين الناس

٢ - لا شك في أن مكانة الرجل هي الأهم فيما يتعلق بعلاقته.مع المرأة

وقد وردت فكرة ثانية عشرة في بعض المراجع(إبراهيم١٩٩٤)، وهذه الفكرة تنص على:"**السعادة البشرية والنجاح أشياء يمكن الوصول إليها دون جهد**"هذه الفكرة لا عقلانية لأن السعادة و النجاح يحتاجان إلى بذل الجهد و الاصرار حتى يصل الفرد لهما ،ويحتاج إلى استمرار ذلك الجهد لاستمرار النجاح و السعادة[١]

وتفيد الأفكار اللاعقلانية في تفسير اضطراباتالشخصية .وفي هذا الصدد يقولأليس(Ellis,1988):"**إنك لست أسير تجاربك الماضية ،وتستطيع هنا ،والآن أن تغير ما تفكر به ولهذا فإن ما تشعر به أنت هو"ما"[٢]تفكر به**

تعليق على نظرية العلاج العقلاني الانفعالي لـ أليس (Ellis) :

١ – تمتاز نظرية العلاج العقلاني الانفعالي لـ **أليس** (Ellis)،و خاصة بعد تطوراته الأخيرة بعد ١٩٩٣ ،أنها تركز على الجوانب المعرفية و الانفعالية و السلوكية.

٢– تعتمد على تعديل النسق الفكري للفرد،أو تعديل الجانب الإدراكي.

٣– جعلت النظرية العميل محور اهتمامها، وركزت على أفكاره التي يتبناها و سببت له الاضطراب.

٤– حاولت الربط ،أو إيجاد صلة بين الأحداث الخارجية و المواقف الضاغطة،و بين الجانب المعرفي للفرد ،و المتمثل في أفكاره و معتقداته حول هذه الأحداث.

٥– قدمت جانب ممكن للعلاج ،فكثير من الاضطرابات عند علاجها من خلا ل البحث عن أسبابها الخارجية التي قد تتصل بمرحلة الطفولة أو تتصل بأفراد آخرين ،أو ظروف خارجة عن إرادة المرشد و المسترشد و التي لا يمكن السيطرة عليها بشكل تام ،فيكون حل المشكلة أو الاضطراب غير جذري ،لأن جوانب عدة من المشكلة لا يمكن السيطرة عليها ،وطالما ذهب العميل إلى المرشد طواعية ،فليس من الصعب إقناعه بالإقلاع عن أفكاره الهدامة و اللاعقلانية و تبنيه لأخرى أكثر عقلانية.[٣]

٩- أساليب العلاج العقلاني الانفعالي:

يستخدم المرشد المتبع للعلاج العقلاني الانفعالي مجموعة من الأساليب المعرفية والانفعالية و السلوكية لإقناع المسترشد بالتخلي عن أفكاره غير العقلانية و استبدالها بأفكار أخرى عقلانية وموضوعية و من هذه **الأساليب** و **الطرق**:

- **الأساليب المعرفية Cognitive Techniques:**

يستخدم المعالج العقلاني الانفعالي مجموعة من الطرق العلاجية المعرفية التي تشتمل على التحليل الفلسفي و النطقي للأفكار غير العقلانية ،و التعليم و التوجيه تفنيد الاستنتاجات غير الواقعية ،ووقف الأفكار و الإيحاءات والتشويه المعرفي [٤]

[١]،علام، المصدر المذكور سابقا ، ص ٩٠.

[٢]، العويضة، المصدر المذكور سابقا، ص ٢١.

[٣]، نشوة الدردير، المصدر المذكور سابقا ، ص ٢٦.

[4] ، David, D, Kangas ,op cit, p8.

وفي صورته المشهورة فإن المعالج العقلاني الانفعالي يحلل الاضطراب الانفعالي السلوكي في ضوء النموذج (A.B.C) أي أن النتائج (C)ليست وليدة الأحداث النشطة التي تسبقها (A) وإنما هي نتيجة نظام التفكير (B) ،ثم الانتقال إلى تفنيد (Disputing) الأفكار اللاعقلانية و يرمز إليه (D) ،الأمر الذي يساعد على تحقيق إعادة بناء الجوانب المعرفية.[١]

- **الأساليب الانفعالية Emotive Techniques:**

يستخدم المرشد في العلاج العقلاني الانفعالي مجموعة من الأساليب التي تتعامل مع مشاعر و انفعالات العميل (المسترشد) ،و من هذه الأساليب أسلوب التقبل غير المشروط ،وأسلوب تمثيل الأدوار ،و كذلك أسلوب المرح ،و أسلوب مهاجمة الشعور بالخزي و الدونية و غيرها من أسالي ب المواجهة التي تساعد المسترشد على إظهار نفسه ،والتعرف على مشاعره السلبية وأن تكون على اتصال بمشاعره الشخصية وأن يحاول تغييرها بالإضافة إلى الجوانب المعرفية والسلوكية.[٢]

- **الأساليب السلوكية Behaviorist Techniques :**

العلاج العقلاني الانفعالي هو نوع من العلاج السلوكي المعرفي و يستخدم **الأساليب السلوكية** المستخدمة:

١ – الواجبات المنزلية النشطة التي يكلف بها المسترشد لمواجهة المواقف التي يخاف أو يخجل منها الفرد [٣]

٢– أساليب الاشتراط الإجرائي مثل التنفير و العقاب و التشكيل [٤]

و بشكل عام فإننا نرى بأن العلا ج العقلاني الانفعالي هو أسلوب فريد من العلاج النفسي مخصص ليتمكن العميل من ملاحظة و فهم الأفكار اللاعقلانية في حياته،و من ثم مهاجمتها ،أو كنتيجة لمناقشة تلك الأفكار اللاعقلانية ،و بالتالي فإن العميل يسعى لاكتساب نظرة واقعية للحياة مما يؤدي إلى تطبيق التفك ير العقلاني على الأمور التي تستجد في المستقبل و ليس فقط تلك التي تحدث في الحاضر.

خاتمة :

تعتبر المعرفة وسيلة الإنسان لفهم ذاته و العالم الخارجي المحيط به ، و عندما تضطرب هذه المعرفة و تشوه فإن الفرد يلجأ إلى تضخيم السلبيات و التقليل من شأن الإيجابيات و تعميم الفشل و لوم الذات و هذا ما يعرف بالأفكار اللاعقلانية الغير منطقية التي تصاحبها اضطرابات انفعالية مرضية في حين أن الأفكار العقلانية هي عبارة عن معتقدات حقيقية ترتبط بالواقع الذي يعيش فيه الإنسان،و هي غير مطلقة ،و محققة للأهداف كما تصاحبها في الغالب حالات وجدانية ملائمة للمواقف و تنتهي بالإنسان إلى مزيد من النضج الانفعالي و الخبرة و العم ل الإيجابي و يعود الفضل الأكبر لـ إليس(Ellis) في دراسة الأفكار اللاعقلانية إذ أنه فتح المجال لكثير من علماء النفس الغربيين الذين أجروا الكثير من الدراسات و الأبحاث حول هذا الموضوع و كذلك في العالم العربي أجريت الكثير من الدراسات و الأبحاث التي تناولت الأفكار اللاعقلانية لدى الأطفال و المراهقين و طلبة الجامعات و شرائح أخرى من المجتمع و أن هذه الدراسات تناولت الأفكار اللاعقلانية و علاقتها بالعديد من المتغيرات و التي كانت من أشهرها الجنس ، وسمة و حالة القلق و تقدير الذات

---

[١] ، بيرني كوروين ترجمة محمود عيد، المصدر المذكور سابقا ،ص ٣٠.

[2] ، Lan R Ridgway, op cit, p 9.

[3] ، Judith S. beck Aaron. **"Cognitive Behavior Therapy. New York, London: The Guilford press. Second"** edition ,2011,p 295.

[٤] ، إبراهيم عبد الستار ، المصدر المذكور سابقا ،ص ٨.

ومن أشهر الباحثين العرب الذين تناولوا الأفكار اللاعقلانية سليمان الريحاني و الذي أجرى العديد من الدراسات حول الأفكار اللاعقلانية لدى طلبة الجامعات الأردنية و الأمريكية و صمم اختبارا لقياس الأفكار اللاعقلانية و ذلك بالاستفادة من الاختبارات الموجودة و التي كانت ترمي لقياس الأفكار اللاعقلانية في المجتمعات الغربية و لكن الريحاني طور اختبارا جديدا لقياس الأفكار اللاعقلانية بحيث يكون مناسبا للبيئة العربية ،ولكي يحقق الفرد النجاح و يحيا حياة متوازنة يجب أن يشمل التغير طريقة حياته و أسلوب تفكيره.

قائمة المراجع :

١-إبراهيم عبد الستار ،"**العلاج النفسي الحديث**"،دط، الكويت : عالم المعرفة، ١٩٨٠.

٢- إبراهيم عبد الستار،الدخيل عبد العزيز بن عبد الله،"**العلاج السلوكي للطفل**"،د ط، الكويت:عالم المعرفة، ١٩٩٣.

٣- الزغلول رافع النصير، الزغلول عماد عبد الرحيم، "**علم النفس المعرفي**"،د ط،عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.

٤- أبو شعر عبد الفتاح عبد القادر محمد، "**الأفكار اللاعقلانية لدى طلبة الجامعات الفلسطينية و علاقتها ببعض المتغيرات**"،رسالة ماجستير غير منشورة،تخصص علم النفس ،كلية التربية،الجامعة الإسلامية،فلسطين،٢٠٠٧.

٥- الزهراني حسن بن علي بن محمد،"**الأفكار اللاعقلانية وعلاقتها بإدارة الوقت لدى عينة من طلاب جامعة حائل**"،رسالة دكتوراه تخصص إرشاد نفسي ، جامعة أم القرى، ٢٠١٠.

٦- الصهقان ناصر عبد العزيز بن عمر،"**تقييم فعالية العلاج العقلاني الانفعالي في خفض درجة القلق و الأفكار اللاعقلانية لدى مدمني المخدرات**"،رسالة ماجستير غير منشورة تخصص الرعاية و الصحة النفسية ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٥.

٧– الطيب عصام علي، "**أساليب التفكير نظريات و دراسات و بحوث معاصرة**"، ط ١ ، القاهرة : عالم الكتب،٢٠٠٦.

٨- العويضة سلطان بن موسى، "**العلاقة بين الافكار العقلانية و اللاعقلانية و مستويات الصحة النفسية عند عينة من طلبة جامعة عمان الأهلية**"،جامعة الملك سعود،مجلة رسالة الخليج العربي،العدد ١١٣،٢٠٠٨ .

٩- الغامدي غرم الله بن عبد الرزاق بن صالح ، "**التفكير العقلاني و التفكير اللاعقلاني و مفهوم الذات و دافعية الإنجاز لدى عينة من المراهقين المتفوقين دراسيا و العاديين بمدينتي مكة المكرمة و جدة** "،رسالة دكتوراه غير منشورة،تخصص إرشاد نفسي،جامعة أم القرى، ٢٠٠٩.

١٠– المنصور غسان، "**أساليب التفكير و علاقتها بحل المشكلات دراسة ميدانية على عينة من تلامذة الصف السادس الأساسي في مدارس مدينة دمشق الرسمية**"،مجلة جامعة دمشق،المجلد23،العدد،٠١،٢٠٠٧.

١١- بركات زياد،"**التفكير الإيجابي و السلبي لدى طلبة الجامعة في ضوء بعض المتغيرات** "،جامعة القدس المفتوحة،برنامج التربية منطقة طولكرم التعليمية،٢٠٠٦.

١٢- بيرني كلورين ،ستيفن بالمرودل بيتر،"**العلاج العرفي السلوكي المختصر**"، ط١،ترجمة محمود عيد مصطفى، القاهرة :دار إيتراك للطباعة و النشر و التوزيع،٢٠٠٨ .

١٣- داهي هديل عبد الله،"**الدلالات الفلسفية للأفكار العقلانية واللاعقلانية بين طلبة جامعة الموصل الممارسين وغير الممارسين للنشاط الرياض**"،مجلة الرافدين للعلوم الرياضية نصف سنوية جامعة الموصل، العراق،المجلد ١٩ ، العدد ٦٠، ٢٠١٣.

١٤- رامي الزقزوق،"**فاعلية استخدام السيكودراما في خفض مستوى القلق و الافكار اللاعقلانية لدى طلبة الكليات التقنية في قطاع غزة**"،ماجستير غير منشورة ،تخصص علم النفس،جامعة الأزهر،غزة،٢٠١٣.

١٥- زهران سناء حامد، "**إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر و معتقدات الاغتراب**"،ط ١،القاهرة:عالم الكتب،٢٠٠٤ .

١٦– شايع عبد الله مجلي،"**الأفكار اللاعقلانية وعلاقتها بالضغوط النفسية لدى طلبة كلية التربية بصعده**،" جامعة عمران ،مجلة جامعة دمشق،المجلد،27 ،٢٠١١.

١٧- علام منتصر،"**الإرشاد النفسي العقلاني الانفعالي السلوكي "النظرية و التطبيق**"،د ط،الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ٢٠١٢ .

١٨- ممدوح صابر،"**الأفكار اللاعقلانية كإحدى إشكالات الأمن الفكري المؤشرة باضطراب الشخصية** "، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري بجامعة الملك سعود،المملكة العربية السعودية في الفترة من ٢٢ – ٢٥ جمادى الأول ٢٠٠٩.

١٩- نشوة كرم عمار أبو بكر الدردير،"**فاعلية برنامج إرشادي عقلاني انفعالي في تنمية أساليب مواجهة الضغوط الناتجة عن الأحداث الحياتية لدى طلبة الجامعة**"،رسالة دكتوراه غير منشورة،تخصص إرشاد نفسي، مصر، ٢٠١٠.

٢- المراجع باللغة الأجنبية:

٢٠- David, D., Kangas, M., Schnur, J.B Montgomery, "G.H. REBT Depression Manual/Protocol **Managing Depression Using Rational Emotive Behavior Therapy":** Romania Babes-Bolyai University (BBU),2004

٢١- Judith S. beck Aaron.."**Cognitive Behavior Therapy", New York, London: The Guilford press. second édition,** 2011

٢٢- Lan R Ridgway."**Theory and practice Rational Emotive Behavior Therapy**",2 semester 2.7. 2005

٢٣**-** Reivich and shatté."**the resilience factor**", **New York :** Broadway Books, 2002

٢٤- Susan A .holt and carol shaw,"**A Comparison of rationel Emotive Therapy .internationel".** jornel of behavioral Consultation and Therapy.2013 vol. 7 no,4 , 2013.

دور الإعلام في التنشئة الاجتماعية للطفل

أ.آمنة لطروش/جامعة عبد الحميد بن باديس،مستغانم،الجزائر

ملخص:

يحتل التلفزيون مكانة جد مرموقة في المجتمع لما يقدمه من برامج تساعد على إعادة صياغة المفاهيم وإعادة تشكيل الثقافات للمشاهدين لاسيما في العصر الذي نعيش فيه، عصر الانفتاح والانفجار التكنولوجي و المعرفي.

وعليه احتل هذا الوسيط بالعاده المختلفة و ميزاته المتعددة المرتبة الأولى من بين وسائل الإعلام الأخرى لما يتميز به من جاذبية للكبار و الصغار على وجه الخصوص

وبهذا التأثير أصبح من المحتوم مراعاة جوانب هامة من تنشئة هذا الجيل و لاسيا لاحتكاكه الدائم بوسائل الإعلام التي أخذت الصدارة في الوقت الراهن. .وتعتبر قضية التنشئة قضية مهمة في تشكيل شخصية الأجيال ومن هذا المنطلق نحن أمام إشكالية دور الإعلام في التنشئة الاجتماعية للطفل؟ التي سنحاول إيجاد لها أجوبة من خلال هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: الطفل، الوالدين، التلفزيون، الشخصية، تكوين الهوية، التنشئة الاجتماعية، المساندة العاطفية.

تمهيد:

إنّ وسائل الإعلام أصبحت جزءا من حياة النّاس، وغدت هذه الوسائل على رأسها التّلفزيون ذات تأثير قوي في صناعة شخصية الفرد وأصبحت هي الموجّه الأوّل لفكره واعتقاداته وخاصّة عند الطّفل في مراحل نموّه المختلفة وبتأثير ثروة المعلومات أصبح من المحتوم مراعاة جوانب مهمّة في تنشئة هذا الجيل وبلورة شخصيته،و لاسيما جانب الإعلام و الاتصال، ولعلّ مؤثّرات هذا الأخير أخذت الصّدارة في وقتنا الرّاهن، فقد سهّلت عمليّة التّواصل بين الأفراد و المجتمعات،و بين الثّقافات والأمم محوّلة بذلك العالم إلى قرية صغيرة،يضمحّل ويتلاشى فيها البعد الزّماني والمكانيّ.ويمثّل التّلفزيون أبرز وسيط إعلامي نركّز عليه في مداخلتنا،وعلاقته بالطّفل لما يحتويه من خصائص ومعايير تميّزه.

فما دور هذا الوسيط الإعلامي في تنشئة الأجيال ؟ وماهي انعكاسات ذلك على الفرد و المجتمع؟

إنّ للطّفل أهميّة كبرى في حياة كل المجتمعات، وكلّما تقدّم المجتمع في الرقيّ زاد اهتمامه بأطفاله وزادت أوجه الرّعاية التي يقدّمها لهم،فحياتهم سلسلة متّصلة الحلقات يؤثّر فيها حاضرهم على مستقبلهم،ولا يخفى علينا ما لمرحلة الطّفولة من أهميّة في حياة الفرد والمجتمع حيث توضع فيها جذور الشخصيّة الأولى ،وما يتلقّاه الطّفل من خبرات يترك بصماته واضحةفي شخصيّته وأدائه مستقبلاً.

فالفرد منذ مراحله الأولى يعيش في أحضان والديه، فيستمدّ منهما خبراته و طاقاته و أفكاره و سلوكاته و لغته أيضا وعليه فإنّ ثقافة الوالدين تؤدّي دورًا مهمّا و رئيسا في توجيه أطفالهم، فهذا البُرعم الصّغير ينتمي إلى هذه الأسرة الّتي ينشأ في ها، ويتربّى بين أحضانها لسنوات،و عليه تجدر الإشارة هنا إلى مفهوم الأسرة و الّذي يختلف ويتباين مفهومه من مجال إلى آخر.

فيعرفها (**تالكوت بارسونز Talcott Parsons**):«هي نسق اجتماعي، لأنّها تربط البناء الاجتماعي بالشّخصية، فالقيم والأدوار عناصر اجتماعية تنظّم العلاقات داخل البناء ،وتؤكّد هذه العناصر علاقة التّداخل والتّفاعل بين الشّخصية والبناء الاجتماعي»[1].

بمعنى أنّ :**الأسرة** هي هيكل منظّم يتشكّل من المجتمع وعلاقته بالشّخصية،فالقيم والعقائد والأخلاق المجسّدة لهذا المجتمع تتجلّى في العلاقات الاجتماعية الموجودة فيه، ّالتي بدورها تشكّل بناءً بإحداث التّفاعل و التّداخل.

و تعرّف أيضا:«وحدة مثالية تتشكّل من ّالرجل والمرأة،تصل بينهما علاقات معنوية متماسكة مع الأطفال و الأقارب، في حين وجودها يكون مُسْتندًا على ّالدوافع الغريزيّة و المصالح المتبادلة والشّعور المشترك ،الّذي يتناسب مع تطلّعات وآمال أفرادها».[2]

ومن خلال هذا التّعريف يتّضح لنا أنّ الأسرة هي وحدة :هي إتّحاد معنوي و جسدي وغريزي بين الرّجل و المرأة في اتّجاه تحقيق آمال و مصالح متبادلة، و قد وصفت بالمثالية بحكم أن التّلاحم المنشود مازال يتطلّع إليه الكثيرون.وهناك من يرى أنّ : «**الأسرة هي تجمّع طبيعي بين أشخاص جمعتهم روابط، فألفوّا وحدة معنويّة و ماديّة ، وهي أصغر الوحدات الاجتماعية ّالتي يعرفها المجتمع الإنساني**».[3]

ومعنى هذا الكلام أنّ الأسرة هي النّواة الأولى للمجتمع ،حيث ترتبط فيها جماعات بعضهم ببعض فينتج عنه ما يعرف بالوحدة المعنوية و الماديّة .

و إذا توجّهنا إلى أهل الإختصاص ،فإن **المنظور السوسيولوجي للأسرة** هو:

« دخول رجل وامرأة في علاقات جنسية يقرّها المجتمع ،وما يترتّب عن ذلك من حقوق وواجبات،كرعاية الأطفال وتربيتهم،فهي تشيرإلى الجماعة المكوّنة من الزّوج والزّوجة وأولادهما غير المتزوجين ّالذين يقيمون معا،في مسكن واحد».[4]

بمعنى أنّ الأسرة هي عشيرة الرّجل،و أهل بيته بالدّرجة الأولى : وهي مفتاح علاقة حميميّة يقرّها و يعترف بها المجتمع و يوجزها أيضًا، بالإضافة إلى المسؤولية المترتّبة عن ذلك ،بحكم أنها البنية ّالتي يولد فيها الطّفل،و ينمو ويكبر حتى يدرك شؤون الحياة،لأنّها منظّمة اجتماعية تتكوّن من أفراد يرتبطون ببعضهم بروابط دمويّة واجتماعيّة وأخلاقيّة وروحيّة، تجعل بالدّرجة الأولى معيشة رجل و امرأة يتّحدان لتوفير الرّعاية للأطفال، ومن أجل تنشئتهم تنشئة تتلاءم مع المجتمع و تتكيّف معه،هذا ما يعرف **بالتنشئة الإجتماعية ، فما المقصود بها وماهي أهمّ مؤسساتها؟ وكيف تتداخل الحياة الأسرية مع الإعلام** ؟

١/التنشئة الإجتماعية: قبل التّطرّق إلى **المعنى الإجرائي للّتنشئة** : لابدّ لنا من سرد معناها **اللّغوي**، فقد جاء في **باب النّون من معجم العين** أنّ: نشء:**النَشْ** ء هي أَحْداث النّاس الصّغار.

فيقال للواحد مثلا:هو **نشء** سوء، و هؤلاء **نشء** سوء ، **الناشِئُ**: الشاب.

(**بارسوتر تالكوت**) parsons talcot ١٩٠٢،١٩٧٩ عالم اجتماعي معاصر أمريكي اهتم بالعلوم الطبيعة و تخصص في علم الاجتماع، من أهم أعماله بنية الفعل الاجتماعي،أبحاث في النظرية السوسيوليوجية و المجتمع الحديث،تطور نظرية الفعل توفي في "ميونيخ".

[1] فرح محمد سعيد،"**البناء الاجتماعي و الشخصية**"،دار المعرفةالجامعية،الإسكندرية،٢٠٠١ ،ب ط،ص ٢٤٦ .

[2] عبد الباسط محمد حسن،"**علم الإجتماع الصناعي**"،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة ١٩٧٠،ص ٥١ .

[3] حسن عماد مكاوي، ليلى حسن السيد،"**الإتصال و نظرياته المعاصرة**"،دار المصرية اللبنانية، القاهرة٢٠٠١،ص ٣٦٠ .

[4] محمد أحمد بيومي، عفاف عبد الحليم،"**علم الاجتماع العائلي**"،دار المعرفة الجامعة الإسكندرية،ب ط ٢٠٠٣،ص ٥٨ .

و الفعل: نشأَ- ينشأُ - نشأَةً،و نشاءةً.[1]

و أنشا الله السّحاب فنشأ أي= ارتفع و علا.

المقصود بالمعنى اللّغوي للفظة «نَنْشأ» هو الإنشاءُ :و التّربية و الإرتفاع و النّماء.

أما اصطلاحًا :

"إنّ الحديث عن التّنشئة الإجتماعية يفترض من الوهلة الأولى وجود طفل مهيّأ للتّربية والتعلّم من جهة، ومجتمع قادر على تلبية هذه المكتسبات من جهة أخرى، ولذلك فهي تعرف بتعلّم أساليب الحياة داخل المجتمع، وعموما فهي المسار الّذي يستبطن من خلاله الطّفل قيم المجتمع ومع ايره ومعتقداته الّتي ينتمي إليها، ويضاف إلى ذلك كلّ المعارف والرّموز وطرق التّفكير والتّصرّف"[2]

بمعنى أنّه لا كلام عن التّنشئة الاجتماعية بمعزل عن الطّفل،فالتّحدّث عنها يوحي بوجود طفل وأبوين بالدّرجة الأولى.اللّذان يعتبران الحجر الأساس لنقل الخبرات والهارف وأساليب التّفكير وطرق التّصرّف في المجتمع.

« هي عمليّة تعلّم و تعليم و تربية،تقوم على التّفاعل الإجتماعي وتهدف إلى إكساب الفرد سلوكاً ومعايير و اتّجاهات مناسبة لأدوار اجتماعيّة،تمكّنه من مسايرة جماعته و التّوافق الاجتماعي معها»[3].

بمعنى أنّ:التّنشئة الإجتماعية هي العمليّة آلتي يتحوّل بها الطّفل من فرد ضعيف إلى فرد قويّ، بما تعلّمه من قيم وعادات ،وما اكتسبه من مهارات اجتماعيّة تجعله أهلاً للتّعامل مع الجماعة .و لا يكون هذا الإكتساب من العدم، فقد سبق ذكرنا أنّ النّواة الأولى المشكلة لهذا الصّغير هي الأسرة الّتي من شأنها تربية الطّفل وتعليمه و توجيهه والإشراف على سلوكاته و ترويضه على عادات الجماعة الّتي ينتمي إليها و الخضوع لمعاييرها و قيمها.

و من هنا يمكننا التّصريح بأن التّنشئة الإجتماعية هي العمليّة الّتي تؤدّيها الأسرة في إكساب طفلها كل م ا يحتاج إليه لمواجهة المجتمع المحيط به ، من اتّجاهات و أفكار و أنماط سلوكيّة معيّنة.

و التّنشئة الإجتماعية في مفهومها الواسع هي : «أكثر شمولا من مجرّد تعلّم الأمور الإجتماعيّة فهي في واقع الحال تنشئة سياسيّة ،وطنيّة ودينيّة وأخلاقيّة و اقتصاديّة وقوميّة و أسريّة ومهنية بحيث تؤدّي إلى تكوين شخصيّة متكاملة و متكيّفة تكيّفا حسنا»[4].

وهذا يعني أنّ الأسرة تقوم بإكساب الطّفل المعرفة الإجتماعيّة و الاتّجاهات الّتي يقبلها المجتمع ،بل و يتعدّى ذلك إلى التّربية السّياسيّة، لأنّ هذا الطّفل سيعيش في محيط تحكمه ق وانين و تسيّره إديولوجيات ،فعليه التجّند من أجل معايشتها و ذلك بالشّعور بالانتماء و حب الوطن والخُلق السّليم النّامي،وكذلك بالمشاركة في بناء هذا الوطن و الدّفاع عنه وحمايته اقتصاديّا وسياسيّا،لأنّ ذلك يجعل الفرد راشدًا وواعيًا ،و هذا يكون بالتّوازي مع ال تّنشئة الدّينيّة ورسم معالم التّوحيد في شخصيّته و حبّ الخير و نبذ كلّ ما هو شرّ و لا أخلاقي، وهذا ما سيجعل منه فردا متكيّفا مع البيئة الّتي يعيش فيها و يعمل فيها مستقبلا.

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهدي،"**معجم العين**"، تحقيق عبد الحميد هنداوي،دار الكتب،بيروت،ط ٢٠٠٣ ،ح٤ باب النون،ص ٢٢٠ .

[2] Guy Rocher, **Introduction à la sociologie générale**, Le Seuil, 1970, P56.

[3] صالح محمد علي أبو جادو،"**التنشئة الإجتماعية في علم النفس الإجتماعي**"،دار المعرفة،ص ٢٢،٢٣ .

[4] عبد الرحمان العساوي، "**التربية النفسية للطفل و المراهق** "، دار الراتب الجامعية ،بيروت، ط ٢٠٠٠ ،ص ١٣ .

و هذا ما يجعلها-الأسرة- أوّل مؤسّسة للتّنشئة الإجتماعية فهي نظام معقّد يتضمّن وظائف متداخلة بين أعضائها ،الّتي من شأنها إحداث تغيّر في الشّكل أو السّلوك،أو بما يسمّى بعمليّة **التّطبيع الإجتماعي**،فكلّ أسرة لها سلوك معيّن تطبّع طفلها عليه ،فعلى سبيل المثال الّدين يتم تلقينه في الأسرة وبالأخصّ الوالدين.

لقوله **(عليه الصلاة والسلام)**:"**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ**".[1]

لذلك فإنّ لتربية الوالدين و ثقافتهما دوراً فعّالا في توجيه الطّفل،و هي تعتمد في إكسابها طفلها على السّلوكات المرغوبة أو غير المرغوبة **على أساليب نذكر منها:**

١- **المساندة العاطفية**:نقصد بها الدّعم العاطفي فكلّما كانت الأسرة تمتاز بعلاقات عاطفيّة متينة ووطيدة،ساعد ذلك على نموّ الشّخصيّة نموّا سويّا،وكلّما كان الطّفل مشبّعا بعاطفة والديه و اهتمامهما،نما متّزنا، يشعر بالثّقة في نفسه و في الآخرين،و ينظر للحياة نظرة تفاؤل في حين أن غياب هذا كلّه يولّد فردًا عدوانيّا تغيب لديه الثّقة فيقال:

«أنّ الآباء السّائدين عاطفيّا لأبنائهم هم ديمقراطيّون و متوافقون مع أنفسهم ومع المحيطين بهم،كما أنّهم يشجّعون أبناءهم على الإستقلال الذّاتي»[2].

وهذا يعني أنّ حرمان الّطفل من عاطفة الوالدين يعرّض شخصيّته للاضطراب، و تزداد مشاعر القلق لديه، فالشّيء إذا نقص،لم يَكْتَمِل،إلاّ أنّ الإفراط فيها قد يُفلت من بين يدينا حبل التّحكم و قد يصل بالطّفل إلى مرحلة " اللاّإكتراثبالوالدين و حتّى بالقواعد و الأنظمة".

٢- **أسلوب الضبط لدى الوالدين** : ويقصد بها تدخّ ل الوالدين في الوقت المناسب لمنع التّسيّب و يكون إمّا بالإقناع أو العقاب البسيط .

٣- **تذبذب الوالدين**:وهذا الأسلوب له مخاطر لأنّه لا يمكّن الطّفل من معرفة الخطأ من الصّواب، فقد يجد والديه يتهاونون حيث يلزم التّشدّد،و يتساهلون حيث لابدّ الحزم، وهذا ما يزعزع الثّقة بالنّفس و يقلّل من التّكيّف الاجتماعي السّليم، فيمتلك الطّفل الشّعور بأنّ والديه ليس لهما نظاما ثابتا في المعاملة،و استجابتهما تتوقّف على المزاج الشّخصي فقط.

٤- **الحماية المفرطة**:يتبنّى بعض الآباء الإفراط في رعاية أبنائهم ، لدرجة التّحكم في جميع تصرّفاتهم و حصرها وتقييدهم في التّفكير و الحديث و اللّعب،لدرجة لا يتاح للطّفل فيها اختيار أنشطة أو علاقات بغيره، و يردّ هذا الأسلوب إمّا لكون الطّفل الأوّل في الأبناء أوالوحيد أو أنّه مصاب بمرض مزمن،أو جاء بعد عدد من الأخوات، وبهذه الحماية المكثّفة تظهر بعض آثار سوء التّكيّف الاجتماعي و الإخفاق في تكوين علاقات اجتماعيّة لدى الأطفال ،كما يطغى على سلوكهم الدّلال و اللاّمبالاة.

٥- **التسلّط**:و يراد به أسلوب التّحكم و التّملك في فرض الآداب و القواعد على الطّفل فهو مرغم على التّلبية دون التّفكير ،وهذا الأسلوب يمحي الشّخصيّة و يطمسها ،فيعيش الطّفل عيشة الإنطواء.

٦- **الإهمال**:وهو عدم اكتراث الوالدين بما يحبّه أطفالهم أو ما يحقّقونه ، لعدم الإنصات إليهم أو نصحهم أو مدحهم في حالة النّجاح ، ويعدّ الإنفصال والطّلاق من أوّل الأسباب المؤدّية للإهمال،فينشغل الوالدان كلّ في ملعبه عن الإهتمام بهذا الطّفل،و يجعلانه يعيش دوامة الضّياع.

---

[1] الإمام "مالك بن أنس، " **الموطأ**" ،ج ١ ،باب جامع ،الجائز الحديث ٥٢ ،ب ط ،ب ت،ص ٢٤١

[2] رشاد صالح الدمنهوري ،عباس محمد عوض، " **التنشئة الاجتماعية و التأخر الدراسي**"،دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥ ،ص ٣٩ .

٧- **نبذ الطّفل**:نقصدبه كرهه،عدم الرّغبة فيه ،ويأخذ مظاهرعديدة كالتّهديد بالطّرد والإذلال ومقارنته بأطفال آخرين، وهذا النّوع من الأساليب يشعر الطّفل بالعداء لكلّ من حوله.

٨- **تفضيل طفل على طفل** : قد يلجأ الكثير من الآباء و الأمّهات إلى التّفريق بين الأولاد في المعاملة وعدم المساواة بينهم،بسبب السّن،الجنس أو التّرتيب وهذا الأسلوب يسيء إلى نفسيّة الطّفل و إلى علاقته بوالديه ،و يزرع الحقد في الطّفل المنبوذ ،و الأنانيّة و الغرور في الطّفل المفضّل فيكبران و تكبر معهما الهوّة والتّفرقة و التّفكك.

٩- **دفء العلاقة بين الأم و الطفل**:تمثّل الأمّ النّواة في تشكيل شخصيّة ابنها، فهو متعلّق بها عاطفيّا من الميلاد إلى الوفاة ، فالمعاملة بين الأمّ العطوفة و الابن تكون عادة ذات نتائج مرغوبة بخلاف ما تفرزه العلاقة بين الطّفل وأ مّ عدائيّة أو جامدة أو باردة ،إن صحّ القول.

بمعنى أنّ المعاملة باختلاف نوعيها يصل صداها للمجتمع فيما بعد.

و استخلاصا لما سلف يتّضح لنا ما تحتلّه الأسرة من مكانة في التّعامل مع الطّفل من خلال أساليب يتّخذها الوالدان في التّعاطي مع أبنائهم،الّتي من شأنها تتّخذ سمات معيّنة كالشّعور بالأمن و الحبّ و التّشجيع و مشاركة الابن أفكاره و رغباته ،وما يحب إعطاءه،ما يحتاج من حريّة واستقلاليّة ، وقد تتّخذ شكل معاكسا سلبيّا يرتكزعلى العقاب والقسوة الزّائدة أوعلى التّحكم و التّسلّط.

يمكننا التّصريح بأنّ الأسلوب المفضّل في التّنشئة الإجتماعية هو الأسلوب المعتدل الّذي يمزج بين التّعادل و التّوازن والثّواب والعقاب ،دون تطرّف إيجابي ولا سلبي.

أمّا تأثير المسجد ودور العبادة في التّنشئة الإجتماعيّة يكمن في ترجمة التّعاليم السماويّة إلى سلوك معياري قابل للمشاهدة، و قابلا للتّطبيق أيضا،كاتّخاذ أساليب التّرغيب و التّرهيب والعقاب،كوسيلة في توجيه السّلوك نحو الأحسن ،وكذلك «تنبذ السّلوكات غير السّويّة،كما تناشد توحيد سلوك الأفراد الإجتماعي،والتّقريب بين الطّبقات الاجتماعية».[1]

١٠- **الأصدقاء**:هم أصدقاء ورفاق الطّفل المتقاربون في السّن و الهوايات والميول،و الطّفل عند انضمامه لهذه الجماعة يجد فيها نماذج قد تمثّل لديه مثله الأعلى وبالتّالي يمتصّ السّلوك و الصّفات، وهذا ما يجعل دور الآباء أشد في مساعدة أطفالهم اختيار رفاق متخلّقين،إذ كثيرا ما تؤدّي الصّداقة الخاطئة إلى أنواع مخت لفة من الإنحراف،وجماعة الرفاق تؤدّي دورا مهمّا في التّنشئة الإجتماعيّة، فهي تؤثّر في العادات و السّلوك و القيم،وتساعده أيضا على تحمّل المسؤوليّة و الإعتماد على النّفس وحبّ الإنتماء[2].

وقد يكون التّأثير سلبيّا و لا سيّما إن اطّلع الطّفل على أشياء من رفاقه ،تصّنف سريّة في منزله، وقد يعتاد على أنماط جديدة تعتبر منبوذة في عائلته ،وقد يشاهد برامج لا يسمح بها في سنّه مع مراهقين أوبالغين إن صح القول،تهزّ شخصيّته وعقيدته و مرجعيّته الفكرية على وجه الخصوص.

و بهذا فالأسرة تمثل أول **المؤسّسات الاجتماعية** الّتي يشكّلها المجتمع من أجل تنمية استعدادات الأفراد الفطريّة ،و من أجل تدريبهم على تلبية حاجاتهم في المستقبل و يليها ويشاركها في التّوجيه مؤسّسات اجتماعية أخرى نذكر منها : **المدرسة والمسجد والأصدقاء و وسائل الإعلام** .

---

[1] عباس عوض و آخرين ،"**علم النفس الاجتماعي** "، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٥، ص ٧٧،ص٨٠

[2] انتصار يونس،"**السلوك الإنساني** "،مطبعة الإسكندرية، ١٩٧٨ ،ص ٢٧٣ بالتصرف.

أ- **المدرسة:**و هي مكان التّعليم والتعلّم، و " تعدّ مؤسّسة اجتماعيّة رسميّة تقوم بوظائف التّربية ونقل الثّقافة وتوفير الظّروف المناسبة للنّموّ"[1]، فدخول الطّفل إلى المدرسة يوسّع دائرة الإتّصال لديه، فتجعله يغيّر ما تعوّد عليه قبل دخوله إليها أي ما ألفه في بيته لاختلاف القوانين بين المؤسستين.

وبالتالّي يمكن للمدرسة تقويم ما إعْوَجَ من سلوك لدى الطّفل و تعديله عن طريق المعلّم الّذي هو الموجّه الرّسمي فيها.

«كما يساعد المعلّم أو المربّي الطّفل على التّخلّص من الأساليب السّلوكيّة الشاذّة ،ودمجه في جماعة الرّفاق ومساعدته على التّواصل الإجتماعي البنّاء »[2].

ب- **المسجد:** أو ما قد يعرف عند بعض بدور العبادة، وهو المكان المتخصّص للجانب الرّوحي و التّغذية الرّوحيّة و علاقة الفرد بالخالق «فالنّموّ الدّيني يتكوّن تدريجيّا حسب مراحل العمر،فيكون في البداية غير مفهوم وغير قابل للإدراك و لاسيما ما تعلّق بالمعنويات المجرّدة كالخير و الشرّ و التّقوى و غيرها».[3]

فالطّفل يدرك فقط الأمور الحسيّة الملموسة، وغالبا ما يلجأ الفرد إلى مكان العبادة فنجد المسجد و الكتاتيب والزّوايا و المدارس القرآنيّة و الجمعيّات الدّينيّة كدعامة أساسيّة في الدّين و تقابلها الكنائس و الإسلاميّ ، المحاريب في الدّيانات الأخرى كالمسيحيّة و اليهوديّة،أمّا الوثنيين فيلجؤون إلى المعابد أو البيوت الخاصّة.

و يعتبر المسجد في ديننا الحنيف مركز إشعاع و توجيه، فغالبا ما يلجأ الطّفل الصّغ ير إليه أو إلى الدّعاء كعلامة أو وسيلة تديّنيّة من أجل البحث عن السّلام الدّاخلي.

ج- **الرّوضة:**هي تلك المؤسّسة التّربوية الإجتماعية الّتي ينضمّ إليها الأطفال من سنّ الثّالثة إلى السّادسة من العمر، تمثّل الرّوضة مؤسّسة تربويّة مهمّة تساهم في تربية الطّ فل و تنشئته،فهي تشارك في تأهيل الطّفل جسديا و تجهيزه نفسيّا واجتماعيّا وأخلاقيّا، وتعلّم الأطفال آداب الجلوس والكلام والتّعامل الأوليّ،بالإضافة إلى الإهتمام باللّعب والأناشيد ،وكما تهيّء الجوّ النّفسي للطّفل للإستقرار الوجداني، و يقرّ"**عباس عوض**"في قوله:

«أثبتت الدّراسات التّربويّة أنّ الطّفل الّذي يلتحق برياض الأطفال تنمو لديه العديد من المواهب و القدرات الّتي لا تتوفّر لمن حرموا من الإلتحاق بها ، لأنّه يمارس العديد من الهوايات و الأنشطة الّتي تنمّيهم نموّا متكاملا».[4]

بمعنى أنّ طفل الرّوضة، طفل متحمّس، شغوف إلى المعرفة،مشتاق إلى إشباع حاجاته و هذه الحاجات تلبّى له داخل الرّوضة، و في رحاب أنشطتها المتكاملة، و الطّفل يحاول بهذا السّلوك معرفة الأشياء الّتي تثير انتباهه،و فهم الخبرات الّتي يمرّ بها .

د- **وسائل الإعلام:**تمثّل هي الأخرى مؤسّسة من مؤسّسات التّنشئة الإجتماعيّة ، فوسائل الإعلام من إذاعة وتلفزيون وصحافة و مجلاّت وكتب و ما تقدّمه من معارف وحقائق وأفكار تؤثّر على التّنشئة الإجتماعيّة ،ولها أهميّة بإتاحة فرصة التّرفيه و التّروح وغيرها والتّلفزيون يقلّل من فروق الطّبقة الإجتماعيّة في المعلومات العامّة و اللّغوية، والأطفال الصّغار يحصلون على تلبية حاجاتهم الخياليّة وغالبا ما يتوقّف تأثير وسائل الإعلام في عمليةّ التّنشئة الإجتماعية[5] على :

---

[1] Martine Segalen, **Sociologie de la famille**,© Armand Colin, 2006 ,P87

[2] مختار حمزة ،"**أسس علم النفسي الاجتماعي**"، ط ٢ ،دار البيان العربي جدة ١٩٨٢،ص٢٣٥ .

[3] عباس عوض و آخرون،"**علم النفس الاجتماعي**،ص ٧٤ .

[4] المرجع السابق،ص ٢٥٧ .

[5] ينظر: مختار حمزة،" **أسس علم النفس الاجتماعي**"،ط ٢ ،دار البيان العربي، جدة ١٩٨٢، ص ٢٤١،٢٤٠ .

- نوع وسيلة الإعلام المتاحة للفرد.

-ردود الفعل المتوقّفة على شخصيات المتلقّين.

- خصائص المتلقّين و مستواهم المعرفي و الإجتماعية.

و أمّا الّذي نستخلصه مما سلف هو أن التّنشئة الإجتماعية تسعى لتحقيق **أهداف** نذكر أهمّها :

- إكساب المعرفة و العلم و القيم و كافة أنماط السّلوك.
- اكتساب العناصر الثّقافيّة للجماعة بحيث تصبح جزءًا من تكوينه الشّخصي.
- تكوين القيم الرّوحيّة و الوجدانيّة و الخُلقيّة .
- تحقيق النّضج النّفسي ،حيث اتّزان العلاقة بين الوالدين و أعضاء الأسرة يفرز لنا الإستقرار النّفسي المؤدّي إلى النّضج المنشود و إن حدث العكس تعثّر الطّفل نفسيّا.
- إدماج الطّفل في العلاقات الإجتماعيّة، مما يكسبه من مهارات التّعاون و الإشتراك في نش اطات متعدّدة، مختلفة و تعليمه أدواره ، ماله و ما عليه.

٣/ دور وسائل الإعلام في تنشئة الطّفل:

كما سبق وأن تكلّمنا عن أهميّة التّنشئة الإجتماعية و حدّدنا أنّها العمليّة الّتي يتم بها تشكيل الطّفل عبر تفاعله مع المحيط المنتمي إليه، ليكون فردا اجتماعيّا متكاملا، فإن كانت مهمّتها دمج الفرد في المجتمع من جهة، و دمج ثقافة هذا المجتمع في الفرد من جهة أخرى، فإنّه لابد علينا الأخذ بعين الإعتبار أهميّة وسائل الإعلام في تحقيق التّواصل الإجتماعي ، بين الأفراد وثقافة المجتمع.**فما هو دور الإعلام في التّنشئة الإجتماعيّة؟**

على هذا الأساس أشعلت فاعليّة التّلفزيون وتأثيراته على التّنشئة الإجتماعية للطّفل اه تمام الباحثين و انقسموا بدورهم بين مؤيّد و معارض، و للّ منهم آراؤه وحجه، فمنهم من يرى التّلفزيون عاملا في إنماء النّمو الإجتماعي للطّفل،وفي المقابل يرى المعارضون أنّ تأثيرات التّلفزيون السّلبية عامل في تدهور تنشئته الإجتماعيّة ،وهذا ما سنعرضه في طيّات هذه الورقة البحثية.

أ- التلفزيون من جانب إيجابي :يرى البعض أنّ وظيفة التّلفزيون التّربوية تندرج تحت المفهوم الشّامل و العامّ للتّنشئة الإجتماعيّة ، بحيث ترى أنّ برامج التّلفزيون تحتوي على موادّ تخضع لقوانين العمل التربوي و قواعده، لما تطرحه من مبادئ و أساليب تربويّة .

و يحدّدها " **مراد زعيمي**" في قوله:

« يؤدّي التّلفزيون دورا مهمّا في عمليّة التّنشئة الإجتماعيّة والنّمو الإجتماعي للفرد والجماعات من خلال الوظيفة التّربويّة الّتي يؤدّيها ،وتبدو وظيفة التّلفزيون التّربويّة في:التّأثير في القناعات والعقائد و السّلوك و في اللّغة».[1]

بمعنى أنّ التّلفزيون يعرض برامج في جوهرها تربويّة، تجذب الصّغار و تشّد انتباههم و ذلك ما يرفع نسبة معارفهم وميولهم ،ولا سيّما برامج الكرتون الموجّهة إلى الطّفل توجيها خاصّا فهي تتميّز بقدرتها الفائقة بالتّأثير في اللّغة، و في تشكيل سلوك الطّفل و تعديل نظرته للحياة .

[1] مراد زعمي،"**مؤسسات التنشئة الاجتماعية**"، منشورات جامعة باجي مختار،عنابة،ب ت ،ص ١٧٥ .

و يعتبر التّلفزيون أيضا مّهما لاستخدامه الصّورة والحركة والصّوت والألوان ويمكنه كوسيلة تعليميّة أن يقدّم الخبرات المباشرة و غير المباشرة،و يقرّب المسافات للتّلميذ و يسمح له برؤية الأشياء وفهمها عن قرب ،و ذلك ما يعدّل السّلوك إذا ما سلّما بما أجمع به علماء النّفس أنّ التّعليم هو تغيير دائم في السّلوك، فإنّ وسائل الإعلام تغيّر السّلوك وبالتّالي تحقّق مبدأ التّعلم.

ويرى" **مراد زعيمي**" أيضًا :« أنّ التّلفزيون يشبّع حاجات الطّفل بأن يصبح له كيان و يشبّع روح المغامرة لديه،و التّ حرّر من القيود، والاتّصال بعالم الكبار».[1]

بمعنى أنّ له خاصّية إيجابية و هي إشباع الحاجات المكبوتة و إبرازها للعيان في سلوكات مختلفة.

يستطيع التّلفزيون من خلال برامجه تغيير السّلوك الإجتماعي والتّربوي عند المتعلّمين «فسلوك المتعلّم قد يتغيّر من سلوك انفعالي لاعقلاني،والهروب من المسؤولية والجهل وضيق التّفكير- ولا سيما في فترة المراهقة- إلى سلوك موشوم بالمثاليّة والعقلانيّة و تحمّل المسؤوليّة والإدراك بالقضايا والأمور المحيطة به، و هذا لا يكون إلّا ببرمجة التّلفزيون نشاطات إعلاميّة تثقيفيّة».[2]

وقد يكون ذلك عن طريق التّمثيليات،والأمثال، والحكم الشّعبيّة والوطنيّة، فيزرع القيم والممارسات الّتي تجعل من الطّفل محبّا و مسالمًا.

و يوضّح "**رمضان البلاوي**" في قوله :"لا تهدف برامج التّربية الأخلاقيّة والجماليّة إلى إثراء حياة الأطفال بنظام القيم و المثل والإتّجاهات الإنسانيّة الخلاّقة ،أمّا البرامج التعّليميّة فتهدف ليس إلى تدعيم المعرفة المدرسيّة فحسب ،ولكن أيضا إلى توسيعها و تعميقها والإنطلاق بها إلى آفاق أبعد".[3]

و هذا يعني أنّ البرامج التّربويّة تساعد الطّفل على النّمو الأخلاقي السّوي ،والبرامج الإعلامية التّعليميّة هادفة إلى تدعيم المعرفة ،و توسيع نطاقها و تعميقها معنًى و سلوكًا.

وكذا من شأن المشاهدة الجماعية لبرنامج تلفزيوني، تهيئة أفراد العائلة و جمعهم لقضاء أوقات مع بعضهم.

كما يمكن التّلفزيون أن يعلّم الطّفل قيم ودروس في الحياة من خلال م غزى البرنامج، وغالبا ما تكشف البرامج التّلفزيونيّة عن قضايا جدليّة وحسّاسة،الّتي يسهل على الآباء مناقشتها مع أطفالهم فيما بعد ،هذا بالإضافة إلى الأشرطة الوثائقيّة المساعدة على تنمية مهارات التّفكير النّاقد لدى الطّفل إزّاء مجتمعه و عالمه عامّة.

- استخدام التّلفزيون كوسيلة أساسيّة للتّعلّم،حيث يستفاد منه من برنامج التّعلم بالمشاهدة والملاحظة أثناء عرض البرنامج ،كتعلّم الألوان أو الحرف أو الأشكال.

" التّعلّم بالاستماع، بحيث نضيف إلى الطّفل خبرة جديدة حول الطّبيعة وما بها من كائنات و بشر في مختلف البيئات وهذا يغني رصيده اللّغوي أيضا."[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص ١٧٧ .

[2] إحسان محمد حسن،"**علم الاجتماع التربوي**"، دار وائل للنشر و التوزيع ، عمان ،٢٠٠٥ ،ص٢٩٦ – ص٢٩٧ .

[3] رمضان،كافية و البلاوي،"**ثقافة الطفل**"،الكويت ١٩٨٤،ب ط، ص ٣٨٠.

[4] أنس بدري حبيب،"**تأثيرالتلفزيون على الطفل**"، مكتبة الأنوار، دمشق، ١٩٩٢ ص ٦٤.

وقد يكون للتّلفزيون آثار إيجابية من تنمية قدرات التّخيل والتّوعية بأهمّية دورالبنات والأولاد وهذا ما يساهم في بناء القيم الإجتماعيّة الإيجابيّة كبرّ الوالدين وحبّ الخير والتّعاون،والصّدقة من خلال مشاهد تثير جانبهم الوجداني الخيري، وكذا تعليم الأطفال الحوار ومخاطبة الكبار وعدم الكذب و غير ذلك من القيم الاجتماعية[1]

وكذلك البرامج الدّينيّة،تبصّر المُشاهد بأمور الدّين، وتقدّم له بعض الآيات القرآنية وتفسيرها، عن طريق أطفال يقدّمونها، و هكذا تكون الرّسالة أكثر استقطابا و أضمن وصولاً.

فالبرامج الإعلامية الهادفة كما أسماها أنصارالتّلفزيون والمخطط لها بدقة يمكنها أن تنمّي الوعي بالعادات الصّحيحة و قد تحارب تلك الدّخيلة على أعرافنا.

ويمكن إضافة أمر مهمّ في إيجابيات الإعلام ألا وهو :«إطّلاع الطّفل على الأحداث التّاريخيّة ممّا يذكّره بالماضي المجيد ولاسيّما سلسلة السّيرة المحمديّة المعمولة باللغةّ العربيّة، ذات محتوى جيّد، ولها دور هامّ في غرس القيم الدّينيّة و التّربويّة عند أطفالنا».[2]

أي بتقديمها أمثلة واقعيّة تطبيقيّة للصّدق و الأمانة،ونشر الإسلام ومحاربة الوثنيّة هذا بالإضافة إلى :"تنمية الحسّ الجمالي لدى الأطفال بإعطائهم الحسّ باللّون والشّكل والإيقاع الصّوتي الجميل، وتناسق الحركة و ملاءمة المشاهد، وهذا كلّه تلبية لحاجة الطّفل الخياليّة وتغذية ميولاته القصصيّة والدّراميّة و الخروج من الواقع أحيانا».[3]

والحق أنّ الخيال و الإبداع حاجة أساسيّة من حاجات أولادنا، شريطة أن يحمل قيمة ويغرس فضيلة.

ويمكن أن نضيف تنمية حبّ الوطن والشّعور الوطنيّ،من خلال برامج توضّح ذلك أو رؤية العلم الوطني يرفرف في شاشته الصّغيرة ،قد يشعره بالانتماء و حبّ العطاء.

هذا بالإضافة إلى زيادة الثّروة اللّغوية للّطفل من خلال البرامج الإعلامية ذات اللّغة الفصحى بأكثر ما تزيده الكتب ودروس النّحو ،فكثيرا ما يفاجؤنا صغارنا بجمل فصيحة ، ترسم الإبتسامة على وجوهنا.

وعلى الأساس هذا نجد أحد الباحثين يقول :

«عموما إذا كان الطّفل يهتمّ بواجبه المنزليّ،و يقضي وقته مع أصدقائه خارج المنزل،و يأتي للعشاء ، ويذهب إلى فراشه في الموعد المحدّد، فإنّني أميل إلى تركه يقضي ما يشاء من وقت المساء أمام التّلفزيون وفق اختياره».[4]

بمعنى أنّ التّلفزيون يلبّي حاجة ناقصة للطّفل،حتّى و إن قام بكلّ ما عليه، يبقى ال شّعور بوجود شيء ناقص لا تكمّله إلاّ مشاهدة برنامج ترفيهي يعيد الأمور إلى نشاطها الأوّل.

ويضيف" **غريب عبد السميع** ":«التلفزيون عامل أساسي في نشر الأفكار العصريّة وإشاعة المعلومات، و يكمّل ثقافة الأطفال الّذين يتركون التّعليم الرّسمي في سن مبكّرة ،أو الفاشلي ن منهم فهو إحدى المؤسّسات المكمّلة لدور المدرسة التّربوي».[5]

---

[1] يرظر :محمد زكرياء عبد العزيز، "**التلفزيون و القيم الاجتماعية للشباب و المراهقين**"، مركز الإسكندرية للكتب، ٢٠٠٢ ص ١٥٣ .

[2] حامد عبد السلام زهران،" **الصحة النفسية و العلاج النفسي**"، علم الكتب القاهرة، ط ٣، ١٩٩٧ ص ١٢ .

[3] حنان عبد الحميد العناني،" **الطفل و الأسرة و المجتمع**"،دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان ،ط ١، ٢٠٠٠ ،ص ١٢٣ .

[4] ماري وين،" **الأطفال و الإدمان التلفزيون** "،ترجمة عبد الفتاح صبحي، المجلس الوطني و الفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠ ص١٥ .

[5] غريب عبد السميع غريب،"**الإتصال و العلاقات العامة في المجتمع المعاصر**"، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، ١٩٩٦ ص٨٣،٨٢ .

وهذا يعني أنّ التّلفزيون بما يقدّمه من برامج للطّفل يمثّل وسيلة مكمّة لدور المدرسة،وأداة تثقيفيّة وعامل لنشرالتّفكير العصري ،وإذاعة المعلومات حتّى للّذين لم يكملوا تعليمهم أو انصرفوا في سنّ مبكّرة.

ب-**التّلفزيون عامل سلبي**:أمّا اللّذين يعتبرون التّلفزيون صدمة انفعاليّة واجتماعيّة للطّفل تهزّه، و يكون أمامها متفرّجا منفعلا ومتابعا نشيطا-على حدّ رأيهم- الإعلام يؤدّي دورا مهمّا في صياغة الفرد وعلاقته بمجتمعه، بحيث أضحى أداة التّوجيه الأولى الّتي تراجع أمامها دور الأسرة و تناقص دورالمدرسة ، فأصبحت كلّ من المدرسة والأسرة في قبضة الإعلام فهي- وسائل الإعلام- تمثّل الينابيع الّتي يرتوي منها أطفالنا القيم و العادات والاتجاهات وبحكم أنّ التّلفاز يشمل مقوّمات العمليّة الإعلاميّة،كالصّوت والصّورة و ا لحركة و اللّون و الإيماءة،كان أكثر الوسائل تأثيرًا ولمّا كانت الطّفولة ناشدة للّهو و التّرفيه،قابلة للانقياد والتّوجيه،وجدت في هذا الصّندوق العجيب- على حدّ رأي أجدادنا - بديلا مؤنسا عن أمّ تخلت أو أب مشغولا.

فأصبحت مشاهدة التّلفاز ثاني أهمّ النّشا طات في حياة الطّفل بعد النّوم ، لدرجة نجد أطفالنا لا يعرفون الشّارع ولا يتفاعلون معه،ولا مع المدرسة ،ومادّته المعرفيّة وثقافته مصدرها وسائل الإعلام،ولذلك صنّف التّلفزيون من أخطر المؤثّرات على النّاشئة وأقواها، بل إنّ الوسائل الإعلاميّة السّمعيّة البصريّة، تؤدّي وظيفة ثقافيّة وتربويّة حتّى بالنّسبة إلى الّذي يجهل الكتابة والقراءة،والّذي لم يتعلّم في مدرسة، بحيث أنّ الباحثين الأمريكيّين أطلقوا عليه لقب :«**الأب الروحي للطفل**»، وأطلقوا على أطفال اليوم لقب «**جيل التلفزيون**»والمعنى من هذا أن الأطفال يتلقّون تربيتهم على أيدي ثالوث تربوي يتمثّل في : الأب و الأمّ والتّلفزيون .

فقد أصبح التّلفزيون اليوم يحطّم الرّوابط العائليّة،و يعمل على توسيع الفجوات بين عناصر الأسرة،و يحدث تصدّعات بين العادات والتّقاليد،و بين الظّروف والمتغيّرات الموجودة ،و يهدّد بلا شك الهويّة ك كلّ،حيث أنّ الكثير من البرامج التّلفزيونيّة الّتي تعرضها القنوات العربيّة مستوردة ولا تنسجم دائما مع البيئة العربيّة، والأطفال يصبحون قادة أنفسهم في استهلاك البرامج الخاصّة بهم،في غياب تام للآباء و لرقابتهم ،و قد يزيد الأمر صعوبة وجود أكثر من تلفاز لدى الأسرة الواحدة.

وعلى هذا الأساس أصبحت مهمّة التّلفاز سدّ ثغرات و فجوات تركها الآباء، و لعلّه يمثّل تعويضا لا شعوريّا عند هؤلاء الأطفال المحرومين عاطفيّا،فنجد علاقة ودودة بين الطّفل وجهازه الّذي يبثّ له كل ما يتعلّق بالبطولات و اللّون و الحركة المغامرات ،يقول **جان كرم**: « تفوق قدرة الصّورة الفوتوغرافيّة و السّينمائيّة في قدرتها على الإنطباع في الذّهن وبها بقائها فيه»[1]

وهذا يعني أنّ التّلفزيون جمع بين سحر الحركة و الصّوت واللّون ليشكّل منفذًا إلى عقول الأطفال خاصّة.

فطفل ما قبل المدرسة ينسجم مع عمليّة المشاهدة و يُعدّ نفسه فردا منها : فالطّفل في مراحله المختلفة و حتى سنّ الثالثة عشر من عمره،يستمتع بالصّور المتحرّكة التي فيها إثارة وحيويّة ونشاط و لاسيّما مشاهدة الحيوانات الّتي تتصرّف كالإنسان في برامجه الكرتونية.

ويميل أيضا إلى قصص الشّجاعة و البطولات،وتغلّب الخير على نقيضه و هذا ما يغرس حبّ العدل في شخصيّته، ولكن للأسف تغيّرت هذه المثل في برامج اليوم وأضحى الشرّ هو الذي ينتصر في كلّ حلقة،و يوصف صاحبه بالقويّ أو الخارق، فالتّلفزيون هو مدرسة لا يغلق بابها و لا يتغيّب معلّموها، لذا وجب علينا التّحفّظ في اقتنائها فكثرة المعلومات المقدّمة للطّفل من قبل الإعلام و تنوّعها وغزارتها يؤدّي بنا إلى فقدان الثّقة بها،فهناك مشاهد تخالف ما يعلّمه الوالدان

[1] جان جيران كرم،"**التلفزيون و الطفل**"،دار الجيل،بيروت، ١٩٨٨، ص٩ .

والمدرسة ،الأمر الّذي يفرز لنا التناقض والإضطراب النّفسي والعاطفي والتّ ربوي لأطفالنا لأنّه :« من شأنه أن يلبّي عند الإنسان نزعة فطريّة لا حدود لها في معرفة الحدث كما هو ،دون إضافة أو تزوير».[1]

أي أنّ الطّفل يتلقّى المشهد كما هو دون حذف ولا تحفّظ ،وعلى حدّ تعبير **"هيملويث"**:« إنّ التّلفزيون يمارس تأثيره حينما يعرض الصّور والآراء مرارا و تكرارا،و كلّما تكرّر عرض نفس القيم و نفس الآراء، كان تأثيرها أشدّ فاعليّة».[2]

وهنا يكمن سلطان التّلفزيون على بلورة فكر الطّفل و إيديولوجيّاته،بحكم أنّ الطّفل الصّغير لا يحتاج إلى معرفة القراءة،لأنّه مخاطب مباشرة بالكلمة والصّورة ،فهو يستقبل ألوانًا من المعرفة لم تتشكّل لديه سابقا.

وذلك ما يحتّم على طفلنا شربها و تمثّلها بيسر وعلى هذا الأساس يقول **جان كرم** :

«إن التّلفزيون مدرسة أخرى للطّفل،بل هو المدرسة الأغنى والأكثر حيويّة وتسلية وترفيها وهو فوق ذلك كلّه دائم البثّ و العطاء».[3]

فمن الملاحظ أن هنّاك معركة أو صراع بين الأسرة و الإعلام و يصعب التكهّن بالنّتائج والعواقب ،لأن المؤكّد هو قدرة الإعلام على تعطيل الحوار الأسري،و خلق أجواء التّوتر على الدّوام بالنّسبة إلى الكثير من الأسر،فمساحة الك لام و الحديث العائليّ الحميميّ صادره التّلفزيون وأصبح نادرا جّدا إيجاد أسرة يتحاور أعضاؤها، فالصّمت الّذي فرضه هذا الخصم أضحى نمطا تعيشه أسرنا و يذهب ضحيّته أطفالنا.

بل وقد نصادف تشاجر أفراد العائلة أمام رغبة كل واحد مشاهدة برنامجه المفضّل ،هذا إن لم ننسى تقصير الآباء في واجبهم الأسرى نحو أطفالهم ، ونحو التزاماتهم الأخرى، فغالبا ما ينصرف الآباء إلى التّلفاز غير مهتمّين بشؤون أطفالهم أو مشكلاتهم أومشاعرهم أو رغبتهم في التّحاور مع الآباء و الأخذ و العطاء معهم

فأين هو الجوّ الّذي وجدت من أجله الأسرة ؟و كيف نقول أنّنا مجتمع ينشيء الأجيال و في طيّاته أسر متصارعة؟ تبحث عن السّلام.

هذا بالإضافة إلى جوانب **سلبية أخرى** وهي:جسديّة و انفعاليّة و معرفيّة واجتماعيّة بحيث يلاحظ الباحثون أنّ الجلوس المطوّل أمام الّتلفزيون يضرّ بالعيون و الجملة العصبيّة وبنية الجس د فالمشاهد الصّغير على حد **"محمود منسي"** :

« إنّ الأطفال يأكلون أثناء مشاهدتهم البرامج التّلفزيونيّة كميّة من الطّعام أكثر ممّا يحتاجون إليه دون مضغ جيّد، مما يؤدّي بالطّفل إلى السّمنة ».[4]

و كذلك إكساب الطّفل عادة سيّئة و هي عدم الانضمام إلى الجماعة أثناء الأكل،وعدم احترامه الأماكن المخصّصة لتناول الطّعام .

وتضيف **"هيملويت"**:« أنّ مشاهدة التّلفزيون لأوقات طويلة تكون على حساب وقت النّوم ومن شأن ذلك أن ينعكس سلبا على صحّة الأطفال عافيتهم»[1].

---

[1] مجموعة من علماء النفس،"**علم النفس الاجتماعي و القضايا الإعلام و الداعية**" ،تغريب نزار عيون السود، دار دمشق، ١٩٧٨ ص٣٥ .

[2] هيلد.ت.هيملويث ،"**التلفزيون و الطفل**"،**دراسة تجريبة لآثاالتلفزيون على النشء** "ت،عريب أحمد سعيد عبد الحليم ومحمود شكري العدوي ،سجل العرب، القاهرة١٩٦٧، ص٦.

[3] جان جبران كرم، "**التلفزيون و الطفل** "، ص٣٥.

[4] محمود منسي، "**النظام الاعلامي الجديد** " ،عالم المعرفة ، الكويت، ١٩٨٥،ص١٠٠.

وهذا يعنى أنّ الطّفل سيشتكي من آلام في الرّأس لقلّة النّوم، ومن اضطرا ب التّركيز و إلى قلق كبير لاسيّما إن شاهد برامج مخيفة ، وإلى أحلام مزعجة تفقده نشوة النّوم االهاديء.

و يلاحظ الباحثون أنّ الفترة الزّمنيّة الّتي يقضيها الطّفل مشدودا أمام التّلفزيون تكون على حساب نشاطه الحركي الجسدي المتجسّد في اللّعب والمرح،الّذي يؤدّي غيابه في عرقلة النّمو الفيزيولوجي.

و يرى **جبران كرم**:« أنّ أيّة معرفة يتلقّاها الطّفل وهوغير مهيّ لها يمكن أن ينعكس سلبا على حياته النّفسيّة والرّوحيّة»[٢]، بمعنى أن ما يشاهده الفرد لابدّ أن يوازي و يناسب سنّه ومستواه و جنسه أيضا ،لأنّ أيّ انحراف قد يؤدّي إلى نضج مبكّر سابق لأوانه عند الطّفل.

و يتجلّى التّأثير السّلبي على الجانب المعرفي في نزوح الطّفل على القراءة وهجرها وهذا ما يؤثّر في ابتكاره و تصوّراته،و يتجلّى أيضا في تأثّر الطّفل بمشاهد العنف والجريمة و الدّعاية و الإعلانات،فكلّنا نعلم أنّ هوس الطّفل بالسّلع المعلن عنها في التّلفزيون يتزايد و يتضاخم بحيث أنّ السّعادة الحقيقيّة له،في تلبية تلك الرّغبة بحكم أنّ الإعلان مركّز على الخيال لجذب الانتباه مستعينا بكلمات وشخصيّات بطوليّة كرتونيّة،أو أبطال رياضيّين بغية جذب الطّفل وإيقاعه في المصيدة،ولكن قلّما تلبّى تلك الحاجة، لأنّ الآباء قد تواجههم صعوبة ماديّة في اقتناء ما اختاره الأولاد، الآمرالّذي يصعب توضيحه للطّفل،وهذا ما يولّد الإحباط و يخلق آثار نفسية وسلوكيّة،على العلاقة بين الطّفل ووالديه ، يقول **جان كرم**:«مسكين هذا الطّفل المخدوع، وذلك لأنّ إدر اكه المحدود يجعله يتصوّر أنّ الحياة هي كما هي عليه في الشّاشة الصّغيرة ».[٣]

بمعنى أنّ الطّفل يخلط بين الواقع و الخيال، فهو ينخدع بالمشاهد والحركات و يصدّق كلّ ما يتلقّاه دون فرز ولا تمحيص ،فالتّلفزيون لابدّ أن يعكس المجتمع، إلاّ أنّه للأسف مرآة مقعّرة تعكس صورة مشوّهة لهذا المجتمع، توجّهها للطّفل دون أن يفهمها فهما صحيحا ، فالطّفل يفسّر الصور بناءًا على إدراكه و خبراته الخاصّة.

وكما يمثّل الإنفعال جانبا للطّاقة النّفسيّة،بالنّسبة للكائن البشري على العموم،كالحب والخوف و الغضب و الهيجان والقلق،وهي مظاهر ملازمة للسّلوك الإنساني،ولكن تزايد حالات هذه المظاهر الإنفعاليّة هو ما قد يؤدّي إلى اضطرابات تشير إلى خلل في بنيته الشّخصيّة، وهذا ما يؤدّيه الإفراط في المشاهدة التّلفزيونيّة ،و لاسيّما على نفسيّة الطّفل وتوازنه الإنفعالي.

و من المظاهر الّتي تظهر للجميع في هذا العصر هي الميول العدوانيّة عند أطفالنا وحالات القلق والتّوتر الّتي يعانونها ، فالطّفل يتفاعل مع ما يعرض بقلق وتوتّرج السا على الأرض قريبا من التّلفاز، متجاوبا مع الحوادث مهمّشا لما يدور في منزله أوما يطلب منه،مقلّدا للحركات والأصوات المعروضة عليه،وهنا يتبيّن قول **جان كرم** « بأنّ أيّ سلوك أو معرفة يتلقّاها الطّفل وهو غير مهيّء لها يمكن أن ينعكس سلبا على حياته النّفسيّة و الرّوحيّة».[٤]

فالتّلفزيون يجيب على أسئلة لم يفكّر الطّفل فيها مسبقا، فالعروض التّلفزيونيّة كعرض مسائل الموت والحياة، والحبّ وتجسّداته ومسألة الجنس وتجلّياته،وهي أمور تتخطّى دائرة اهتمام الطّفل واحتياجاته، بل تدفع به إلى القلق والتّوتر على المستوى الإنفعالي وهذا مايعارض المبدأ التّربوي المناشد لأهميّة خفض حالة توتّر الأطفال النّفسي

---

[١].هيلد .ت هيملويث، "**التلفزيون و الطفل**" ،ص ١٩٤ .

[2] جان جبران كرم، "**التلفزيون و الطفل** "، ص ١٩٤ .

[3] المرجع نفسه، صُ ٤٤.

[4] المرجع السّابق، ص ٩٦

فلنتصور معا حالة طفل يشاهد بطله المفضّل في خطر،علما أنّ التّلفزيون يجسّم المنظر المرعب ويضفي عليه الواقعيّة ، وهذا من شأنه التّأثير سلبا على نفسيّة طفلنا،قد يصرخ وقد ينفعل وقد يغضب، وقد يبكي وقد يحزن ويلازمه الشّعور بالأسف،حتّى بعد انتهاء ما كان يشاهد إلى درجة عدم القدرة على النّوم،كما تؤكّد "**هيملويت**":

«لقد تأكّد لدينا أن النّوم يتعذّر على الأطفال وأنّهم يعانون من أحلامهم المزعجة عندما يذهبون إلى الفراش بعد مشاهدة برامج معيّنة».[1]

بمعنى أنّ النّوم يصبح متوفّرا للأطفال نظرا لانزعاجهم من الكوابيس المؤرّقة لهم، وهذا كلّه يسببه التّلفزيون و برامجه ،هذا بالإضافة إلى الإستشارة العاطفيّة،فوسائل الإعلام وبالأحرى التّلفزيون يتعمد استثارة مشاعر السّخط و التّمرد من خلال التّركيز على مشاهد الغرائز من أجل سهولة التّحكم بالأفكار و ردود الأفعال

وقد أصبح العالم في عصر المعلوماتيّة هذا يشكل حيّزًا ضيّقا يواجه فيه البشر إشكالية التّعايش والتفاعل مع الآخر في طيّات هذا البذخ الإعلامي، و في الوقت نفسه محاولة الحفاظ على الهويّة الثّقافيّة لـلمجتمع، ولاشكّ أنّ الفيض المنتشر من صور وأفلام و رموز وألفاظ مرتبطة بثقافات غير عربيّة،الّذي يصل إلى صغارنا عبر شاشتهم الصّغيرة لن يدعّم التّنشئة الإجتماعيّة الّتي يحاول بناءها الوالدان و المدرسة و المسجد

يمكننا مما سبق عرضه أن نقرّ باختلاف تأثير الإعلام والتّلفزيون على وجه الخصوص في التّربيّة الإجتماعيّة للفرد ،فهو يحدث دورًا مهمّا باعتباره رسالة ناقلة للمعلومات وعرضا جيدًّا و أخّاذًا للمعرفة ولعلّه كان أكثر تأثيرا على الطّفل نظرا لتعلّقه بالصّورة والصّوت و الحركة وغيرها من الفنون الخاصّة.

و بالطّبع هذه المزايا تترك انطباعًا وآثارًا نفسيّة واجتماعيّة و أخلاقية،سلبية وإيجابية فالمعارضون ركّزوا على الصّدمة المتلقّاة أثناء العروض المتعلّقة بالإجرام والعنف،ممّا يؤدّي إلى التّقليد،بالإضافة إلى ما يعرض من تشوّهات للقيم والمعايير وما ينعكس على الطّفل من ممارسات أخرى.

أما المؤيّدون فكانت حججهم في كون التّلفزيون مُوسِعٌ للآفاق،و ينمّي الأفكار ويثري الخيال والتّصوّر وكذلك القاموس اللّغوي و المعرفي، و ما يمكن اقتراحه في دمج الجانبين أو الجهتين المعارضة و المؤيّدة هو:

- مساعدة الأبناء على اختيار البرام ج عن وعي مع مشاركتهم في المشاهدة و تعليمهم الأطفال مهارات النّقد وتخصيص أوقات محدّدة لبرامج معيّنة.
- تبنّي نشاطات بديلة لوسائل الإعلام ومحاولة خلق بيئة خالية من وسائل الإعلام في غرف نوم الأطفال.
- اختيار البرامج ذات المغزى التّعليمي والاهتمام بتوفير الدّعم ال عاطفي للأولاد،كوظيفة مكمّلة لمهام التّنشئة الإجتماعية.
- مقاومة كلّ ما يتعارض مع القيم الدّينيّة والاجتماعية والقاعدة الأخلاقيّة الإنسانية والمشاركة الفعّالة في شرح ذلك لأبنائنا،وأن يجعل استخدام التّلفزيون نشاطا عائليّا،ومناقشة ما يرون و ما يسمعون و ما يقرؤون.

و من هنا تظهر أهميّة التّفاعل الواعي مع الإعلام التّلفزيوني من خلال التّعامل معه بصفة انتقائيّة والاعتراض على استمراريّة العبث في المعنى و القيم و قمع ما يخالف القواعد الدّينيّة والأخلاقيّة بمجتمعنا المسلم

[1] هيلد.ت هيملويت ،"**التلفزيون و الطفل** "، ص ١٩٧ .

قائمة المراجع:

١) إحسان محمد حسن،"**علم الاجتماع التربوي**"،دار وائل للنشر و التوزيع،عمان،٢٠٠٥.

٢) الإمام مالك بن أنس،"**الموطأ**"،ج ١،باب جامع،الجائز الحديث ٥٢،ب ط،ب ت.

٣) انتصار يونس،"**السلوك الإنساني** "،مطبعة الإسكندرية، ١٩٧٨.

٤) انس بدري حبيب،"**تأثيرالتلفزيون على الطفل**"،مكتبة الأنوار،دمشق،١٩٩٢.

٥) حامد عبد السلام زهران،"**الصحة النفسية و العلاج النفسي**"، علم الكتب القاهرة،ط ١٩٩٧،٣.

٦) حسن عماد مكاوي،ليلى حسن السيد،"**الإتصال ونظرياته المعاصرة**"،دار المصرية اللبنانية، القاهرة٢٠٠١.

٧) حنان عبد الحميد العناني،"**الطفل و الأسرة و المجتمع**"،دار صفاء للنشر والتوزيع،عمان،ط ١،٢٠٠٠.

٨) مختار حمزة ،"**أسس علم النفس الاجتماعي**"،ط ٢،دار البيان العربي،جدة ١٩٨٢.

٩) الخليل بن أحمد الفراهدي،"**معجم العين**"،تحقيق عبد الحميد هنداوي،دار الكتب،بيروت،ط٢٠٠٣،ح٤،باب النون.

١٠) رشاد صالح الدمنهوري ،عباس محمد عوض، "**التنشئة الاجتماعية و التأخر الدراسي** "،دار المعارف الجامعية ، الإسكندرية،١٩٩٥.

١١) رمضان،كافية و البيلاوي،" **ثقافة الطفل**"،الكويت ١٩٨٤،ب ط.

١٢) صالح محمد علي أبو جادو،"**التنشئة الإجتماعية في علم النفس الإجتماعي**"،دار المعرفة.

١٣) عباس عوض و آخرين،"**علم النفس الاجتماعي**"،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية،١٩٨٥.

١٤) عبد الباسط محمد حسن ،"**علم الإجتماع الصناعي**"، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة ١٩٧٠.

١٥) عبد الرحمان العساوي،"**التربية النفسية للطفل و المراهق**"،دار الراتب الجامعية،بيروت،٢٠٠٠.

١٦) غريب عبد السميع غريب، "**الإتصال و العلاقات العامة في المجتمع المعاصر** "،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية،١٩٩٦.

١٧) فرح محمد سعيد،"**البناء الاجتماعي و الشخصية**"،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،٢٠٠١،ب ط .

١٨) ماري وين، "**الأطفال و الإدمان التلفزيون** "،ترجمة عبد الفتاح صبحي،المجلس الوطني والفنون و الآداب،الكويت،١٩٩٠.

١٩) مجموعة من علماء النفس، "**علم النفس الاجتماعي و القضايا الإعلام و الداع ية**"،تغريب نزار عيون السود،دار دمشق،١٩٧٨

٢٠) محمد أحمد بيومي،عفاف عبد الحليم،"علم الاجتماع العائلي"،دار المعرفة الجامعة الإسكندرية ،ب ط ٢٠٠٣.

٢١) محمود منسي،"**النظام الاعلامي الجديد**"،عالم المعرفة،الكويت،١٩٨٥.

٢٢) مختار حمزة،"**أسس علم النفسي الاجتماعي**"،ط ٢،دار البيان العربي،جدة، ١٩٨٢.

٢٣) مراد زعمي،"**مؤسسات التنشئة الاجتماعية** "،منشورات جامعة باجي مختار،عنابة،ب ت.

٢٤) هيلدت.هيملويث،"**التلفزيون و الطفل:دراسة تجريبة لآثارالتلفزيون على النشء**"ت،عريب أحمد.

٢٥) سعيد عبد الحليم ومحمود شكري العدوي،سجل العرب، القاهرة،١٩٦٧.

٢٦)محمد زكرياء عبد العزيز، "**التلفزيون و القيم الاجتماعية للشباب و المراهقين**"مركز الإسكندرية للكتب، ٢٠٠٢.

27.Guy Rocher, **Introduction à la sociologie générale**, Le Seuil, 1970

28.Martine Segalen**, Sociologie de la famille**, © Armand Colin, 2006

إسهامات التدريب في نجاح عملية التجديد في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الجزائرية: دراسة ميدانية

أ.ليليا عين سوية/جامعة باجي مختار،عنابة،الجزائر

ملخص:

إن نجاح عملية التجديد في المؤسسة مرهون بتوفير جميع الإمكانيات والموارد اللازمة لذلك، والتي من أهمها الم وارد البشرية حيث برز جليا مدى أهمية تدريبها وتأهيلها لمواكبة التطورات، ويعتبر التدريب المستمر للموارد البشرية أهم مستلزمات التطوير وإيجاد فئة من الكفاءات القادرة على مواكبة التجديدات والتكيف مع ظروف المنافسة في محيط المؤسسة. فقد تم التوصل إلى أن الإدارة الجيدة للموارد البشرية تكون عن طريق التدريب والتطوير المستمر وبالتالي تكون نقطة قوة بالنسبة للمؤسسة لضمان نجاح عملية التجديد فيها. لأن التطورات الذي يشهدها المحيط الخارجي للمؤسسة يفرض علي هذه الأخيرة إدماج التجديد ضمن استراتيجيتها.

الكلمات المفتاحية: التدريب، الموارد البشرية، التجديد، المؤسسات الصغيرة والمتوسطة.

الإشكالية :

إن التحديات والتهديدات التي أصبحت تواجهها المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الجزائرية في ظل سياسات الانفتاح الاقتصادي ورفع الحماية الجمركية وسياسات تشجيع الاستثمار الأجنبي، واكتساب الاقتصاد الجزائري لصفات الاقتصاد العالمي المرتكز على المعرفة وتكنولوجيا المعلوم ات والاتصال وظهور التجديد كحتمية لضمان استمرار هذه المؤسسات في السوق.

فالمؤسسات مطالبة بمواكبة التقدم والتطور، الذي زاد من الحاجة إلى توفير كفاءات تحسن التعامل مع التغييرات التي تحصل في المؤسسة، فهذه الأخيرة أمام هذا التطور الهائل في مجالاته المختلفة، لا تعاني الفقر في المعلومات وإنما في تشغيلها وتحليلها وبرمجتها في جل أنشطتها، من هنا تظهر لنا أهمية الاستثمار في المورد البشري نظرا للوعي بأن الفعالية الإنتاجية، الربحية قائمة على أساس موارد بشرية فعالة كأصل أساسي من أصول المؤسسة.

وتعتبر إدارة الموارد ال بشرية من الموضوعات ذات الأهمية المتزايدة في عصرنا الحديث الذي يتسم بالتغيرات التكنولوجية والاقتصادية والإدارية، التي تدفع كافة المؤسسات إلى اتخاذ الإجراءات والوسائل التي تكفل الاستجابة السريعة لهذه التغيرات على النحو الذي يرفع من قدرتها التنافسية في سوق ال عمل وبين المؤسسات المماثلة، لذا فإن الموارد البشرية تمثل أحد العناصر الأساسية لنجاح المؤسسات، كما يعتبر العنصر البشري جزء من أصول المؤسسة ومن أهم ما تملكه، حيث يمثل الأداة الحقيقية للعمل والإنتاج، وأن المؤسسة التي لا تمتلك العنصر البشري الفعال تكون غير قادرة على القيام بالأداء المتميز والجودة العالية، وأن نجاح المؤسسة يتوقف على كفاءة عمالها . لذلك لا بد من توفير أساليب ووسائل تحفيز العاملين حتى يمكن استثمار قدراتهم ومواهبهم لتحقيق أهداف المؤسسة والفرد على حد سواء

فالمؤسسات الجزائرية تبقى بعيدة عن تلك التحولات والتغيرات الاقتصادية، ذلك ما يظهر من خلال الجمود الذي يميز سياستها وأساليبها الإدارية وحتى منتجاتها وأساليب إدارتها، خاصة عدم اهتمامها بتدريب مواردها البشرية لضمان الارتقاء بمستوى كفاءة أداء عمالها ومدى المساهمة في تفعيل وتعزيز التجديد في المؤسسة. فهذه الأخيرة أدركت أن العامل

الوحيد الذي يوفر لها الميزة التنافسية يكمن في الموارد البشرية التي تملكها، ومن هنا فقد حرصت الكثير من المؤسسات على العناية بالتدريب من خلال اعتباره أحد الأدوات الأساسية لرفع مستوى الأداء وزيادة الكفاءة وإعداد العاملين على اختلاف مستوياتهم للقيام بواجبات أعمالهم والمهام الموكلة إليهم على أحسن وجه، إضافة إلى تهيئتهم لتحمل المزيد من المسؤوليات من خلال قدراتهم على مواجهة المهام المعقدة في الحاضر والمستقبل .لذا أصبح ينظر إلى التدريب على أنه وسيلة للاستثمار الذي تلجأ إليه المؤسسات لتحقيق أهدافها باعتباره عنصرا حيويا لا بد منه لبناء الخبرات والمهارات المتجددة بغرض رفع كفاءة وفعالية الأداء في المؤسسة.

وانطلاقًا مما تقدم فإن التساؤل الجوهري الذي نحاول الإجابة عنه هو: **هل يساهم التدريب في نجاح عملية التجديد في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة ؟**

قبل التطرق لإجراءات الدراسة الميدانية ارتأيت أن أتعرض إلى مفهوم التجديد ضمن المدخل النظري الذي سأتناول فيه **المحاور** التالية :

- ✓ مفهوم التدريب وأهميته .
- ✓ التجديد ودوره في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة.
- ✓ علاقة التدريب بعملية التجديد.

أولا: مفهوم التدريب

بالرغم من أهمية الموارد المادية والتقنية في أي مؤسسة فإن المورد البشري يعتبر المحور الذي تقوم عليه المؤسسة إذ أنه المسؤول عن استخدام الموارد السابقة بأكبر قدر من الفعالية والكفاءة . فالتدريب يعتبر من بين أهم الوسائل المستعملة في تحسين أداء العمال، فقد أدى بالمؤسسات إلى الاهتمام به والاعتماد على الأسلوب العلمي في تطبيقه وذلك في ظل التغييرات التكنولوجية والاقتصادية والتسييرية التي يعرفها المحيط والتي تؤثر بدرجة كبيرة على أهداف المؤسسة . فأهميته بالنسبة للفرد تكمن باعتباره وسيلة لزيادة المعارف والمهارات، أم ا بالنسبة للمؤسسة فتظهر في عدة أشكال كتحسين الجودة، ونجاح عملية التجديد. ومن أجل توضيح مفهوم التدريب سوف نتطرق إلى أهم **التعاريف** المتعلقة به وهي كالتالي:

يعرف **فليبو"FLIPPO"**التدريب بأنه « هو العملية التي من خلالها يتم تزويد العاملين بالمعرفة والمهارة لأدا ء وتنفيذ عمل معين»[1]

ويعرف **التدريب** أيضا على أنه مجموعة من العمليات والوسائل والتقنيات المخططة التي من خلالها يتمكن الأفراد من تحسين معارفهم والتغيير في سلوكهم وعاداتهم والاستغلال الأمثل لطاقاتهم، بغرض تحقيق أهداف المؤسسة بالدرجة الأولى، وأهدافهم الشخصية بالدرجة الثانية، كما يهدف إلى جعل الأفراد يتأقلمون مع المحيط الذي يعيشون فيه، كما يساهم أيضا بجعلهم يقومون بإتمام العمل بالشكل الذي يناسب الحاضر والمستقبل معا.[2]

وكذلك يري معظم المختصين " أن التدريب والتطوير يتضمنان كل خبرات التعلم التي يزود بها العاملون من أجل إحداث تغيير في السلوك يؤدي إلى تحقيق أغراض وأهداف المؤسسة."[1]

---

[1] محمد فالح صالح،" **إدارة الموارد البشرية**"، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤، ص.١٠١.

[2] Sekiou et autre, **Gestion des ressources humaines**, ed De Beock université, Cannada, 2001, p.336.

[1] ويليام رتريسي، ترجمة سعد أحمد الجبالي،" **تصميم نظم التدريب والتطوير**"، معهد الإدارة العامة، الرياض، ٢٠٠٤، ص١٥.

ومنه نستنتج أن التدريب يعتبر مجموعة من الجهود المخططة باستمرار تهدف إلى رفع كفاءة الفرد عن طريق زيادة معارفه وتنمية مهاراته وتغيير اتجاهاته حتى يتمكن من أداء عمله بالمستوى المطلوب من الكفاءة، فالحاجة إلى التدريب تفرض وضعها عندما تكون هناك فجوة بين المهارات والمعارف الحالية والمهارات والمعارف التي تتطلبها الوظيفة التي يؤديها.

١ – ١ - أهمية التدريب وحاجة المؤسسة له:

يهدف التدريب إلى رفع قدرات العاملين للوصول إلى المعايير المطلوبة لتحقيق الأداء المتميز، ومن هذا المنطلق يعتبر التدريب نشاطا حيويا مؤثرا ي تحديد مستوى الكفاءة والفعالية في أية مؤسسة، ومن أبرز مزايا التدريب:[2]

- تحسين أداء الموارد البشرية، حيث يساعد التدريب المستمر للعاملين على زيادة مستوى أدائهم للأعمال المسندة إليهم، بما يؤدي في النهاية إلى زيادة الإنتاج سواء في شكل كمي أو نوعي بسبب زيادة المهارة والمعرفة عن العمل
- تكوين الاتجاهات، إذ أنه من الأهداف العامة لبرامج تدريب المؤسسة هو تكوين اتجاه معين لدى الموارد البشرية عن المؤسسة لتحقيق تأييد لأنشطتها وسياستها والحصول على تعاون أوسع وولاء حقيقي تجاهها.
- توفير الاحتياجات من العمال، فقد تواجه إحدى المؤسسات مشكلة صعوبة توفير عاملين على درجة معينة من المهارة، لذلك نجد السهولة أن تحل مشكلة العمالة هذه عن طريق التدريب خاصة في الأجل الطويل، وذلك عن طريق إنشاء برامج تدريب مهني خاص.

وبالتالي تحتاج كل المؤسسة إلى امتلاك يد عاملة من الخبرة والمهارة حتى تتمكن من تحقيق أهدافها المخططة والحفاظ على مكانتها السوقية، ومن هنا تبرز ضرورة التدريب كنشاط أساسي يتم من خلاله سد النقص في المهارات واكتساب أخرى جديدة حسب ما يستنجد من تكنولوجيا وحسب ما يتطلبه العمل .فالاحتياجات التدريبية تعبر عن العمال المطلوب تدريبهم، وه ذا لمواجهة تحديات تواجهها المؤسسة أو للرفع من قدراتهم على إنجاز عملهم بشكل ملائم، نظرا للقصور المسجل في أدائهم . وتعبر الحاجة إلى التدريب عن " الفارق في الكفاءات الذي تم تحديده وتحليله مقارنة بمتطلبات الوظيفة."[1]

ويتعين على مسيري المؤسسة تحديد الكفاءة، أي بين تلك التي يمتلكها الأفراد والمفترض امتلاكها للقيام بواجباتهم، ثم العمل على "ملأ هذه الفوارق بواسطة التدريب الذي يتم بناءه انطلاقا من أهداف دقيقة ومحددة "[2] فالارتقاء بأداء المؤسسة في ظل المنافسة الشديدة مرهون بقدر كبير بأداء مختلف عمالها، وعلى هذا الأساس يتعين بذل المزيد من المجهودات واتخاذ الكثير من الإجراءات والتدابير التي من شأنها الرفع من جودة أداء العاملين لتحقيق أهداف المؤسسة لضمان البقاء والاستمرار والنمو.

وبالتالي أصبح ينظر في الوقت الحالي إلى التدريب على أنه عملية إستراتيجية، بحيث تتكون هذه الإ ستراتيجية من مجموعة مخططة من برامج التدريب البشرية المستمرة، هدفها السعي إلى تحسين وتطوير أداء كل من يعمل في المؤسسة وتعليمه كل جديد بشكل مستمر، وكذلك التأقلم والتكيف مع التغيرات التي تحدث في المحيط، لأن التجديد في المؤسسة يحتاج إلى تعلم واكتساب مواردها البشرية مهارات جديدة ومتنوعة للتكيف معها، فهذه المهارات تساعد إلى حد كبير في تخفيف الضغوط التي تشكلها التغييرات على الموارد البشرية . وبالتالي فالتدريب أصبح حتمية في المؤسسة وليس عملية اختيارية.

---

[2] جمال الدين محمد المرسي،" **الإدارة الإستراتيجية للموارد البشرية**"، الدار الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣، ص ص٣٣٤– ٣٣٥ .

[1] JEAN-MARIE PERETTI, dictionnaire des ressources humaines, paris, ed Vuibert, 2001,p.29.

[2] JOEL STRIEF, plan et besoin de formation, ed Eska, paris, 1993, p.29.

١ -٢ - التدريب ودوره في ترسيخ ثقافة التجديد في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة:

للتدريب أهمية كبيرة في عصرنا الحالي حيث أن التغييرات والتطورات بما فيها التكنولوجية والعلمية باتت سريعة فالمؤسسات بحاجة لتعلم مهارات وعلوم جديدة في مختلف المجالات باستمرار، ويحتل التدريب مكانة هامة في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الهادفة إلى رفع كفاءة أداء العاملين وتحسين أساليب العمل بغية نجاح عملية التجديد في المؤسسة. وللتدريب أهمية كبيرة في بناء قوة بشرية ذات أداء فعال وكفء، فالمسير الناجح هو الذي يهتم بتوفير الوسائل والطرق الجيدة لعملية التدريب لتحقيق أهداف المؤسسة . ولكي تتمكن هذه الأخيرة م ن إدماج التجديد عليها أن تمارس دورا جديدا تعمل من خلاله على تطوير الموارد البشرية وتنميتها من خلال توفير المدخلات الضرورية لتغيير الثقافة السائدة في المؤسسة، وبالتالي فإن اختيار المؤسسة لعملية التجديد هو العمل على تغيير ثقافة المؤسسة السائدة وترسيخ ثقافة مساندة للتجديد وتشجع على التطور وإحداث تغييرات تتميز بالجدة والحداثة (**nouveauté la**) مناسبة للعمل الحالي في المؤسسة وقائمة على مرتكزات أساسية يحتاجها هذا التطبيق.

ثانيا: التجديد ودوره في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة :

إن التحول نحو التجديد والمنافسة القائمة على التجديدات لم يأت بالصدفة وإنما كانت نتيجة تطور كبير حسب خصائص كل مرحلة زمنية، ويعود السبب في ذلك إلى حقيقة أن المؤسسات أصبحت تمتلك الإمكانيات الكبيرة والتقنيات العالية والخبرات الفنية والإدارية المتعلقة بالتج ديد باعتباره نشاطاً مميزاً، والأهم من ذلك هو امتلاك هذه المؤسسات رؤية إستراتيجية للتجديد تحققها من خلال مزاياها التنافسية . فالتجديد كما نستخدمه هو ترجمة لكلمة **Innovation** فيعرف حسب المفهوم الشائع والأكثر تداولاً إلى أنه «**التوصل إلى ما هو جديد**»،[1] وعرف **Jared Lipworth** التجديد بأنه « تقديم شيء جديد»،[2] وأشار إلى مفهوم التجديد بأنه « **العملية التي تحول المعرفة إلى القيمة**».[3]

ويعرف **التجديد** حسب كل من **Egri** و**Daft** بأنه «... تغير وتجديد يمكن أن يحدث في جوانب تقنية " تقنيات جديدة لخلق المنتجات والخدمات " أو جوانب إنتاج ية " تعديلات وإيجاد منتجات أو تطوير خطوط المنتج الجديد "، أو جوانب إدارية " تغير في الهياكل التنظيمية الأهداف، الأنظمة "، أو جوانب شخصية " تغييرات في القدرات، في القيادة للأفراد، الاتصال، حل المشكلات، المهارات " (**Thomas, Hanknes**,2005,63)، أما **جوزيف ألويس شوم بيتر Joseph Allois Schumpeter** فقد أشار إلى مفهوم التجديد على أنه «منتجات جديدة، طرق إنتاج جديدة، مصادر تموين جيدة، استكشاف السوق الجديدة، طرق جيدة للتنظيم العمل».[4]

ويمكن القول أن المؤسسات المجددة تقوم على مبادئ تتماشى مع عصر المعرفة والتجديد وبقاء المؤسسات في ظل المنافسة الشديدة، بالإضافة إلى أن جل المؤسسات تتمتع بخصائص أهلتها للبقاء والاستمرار، وقيامها على الفعل والتجربة والقرب من الزبائن لتلبية حاجاتها مع منح الحرية التامة للعاملين، يساهم التجديد في المؤسسات في إدخال مفاهيم جديدة تعمل على تحسين المحيط الداخلي وأداء المؤسسة،يساعد هذا في أن يظل التجديد المصدر المتجدد

---

[1] نجم، عبود نجم، "**إدارة الابتكار: المفاهيم والخصائص الحديثة**"، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣، ص ١٩.

[2] Malcolm Gladwell, **Spark of innovation**, educationbrodcating corporation new York, www.thertenn.org, 2004, P. 01.

[3] Sheila Martin, **Innovation: Oregon innovation index** , Oregon economic and community Develepenents. institute for Portland state university,2007 . www.orgoninc.org/about.htm.pdforwww.econ.orgon.gov 3/2/2008, P. 01.

[4] Draft, **Innovation Definition comparative assessment** ,developedunderGnu.free Documentation hptt:/www.gnu.org, 2005, P. 08.

للميزة التنافسية في المؤسسات الرائدة ليظل التجديد ضرورة لابد منها ومصدراً قوياً ومتجدداً حاضراً و مستقبلاً. ويفرض الواقع الجديد عدة متغيرات تجعل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة تقف على مفترق الطرق[1]:

- ❖ فإما أن تتكيف مع ما يحدث من تغيرات عالمية وتندمج في الجو الجديد
- ❖ وإما أن تهمش، لذا علينا أن نتعلم كيف نتعامل مع المتغيرات الجذرية التي يشهدها الاقتصاد العالمي . ولا بد أن تتكيف معها إذا أرادت الاستمرار، ويحدث هذا إذا استطاعت الاستفادة من تحرير الأسواق، والتقدم التكنولوجي خصوصا في مجال المعلومات وتطبيقات التكنولوجيا الجديدة وزيادة تعبئة عوامل الإنتاج، ومنها نلمس دور التجديد التكنولوجي الذي يمكننا من ذلك.

ففي ظل الظروف المتغيرة التي تعيشها المؤسسات اليوم، سواء أكانت ظروف سياسية أو ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية يتحتم على المؤسسات الاستجابة لهذه المتغيرات بأسلوب تجديدي يضمن بقاءها أو ستكون نهايتها الفشل والاختفاء، وبذلك أصبح التغيير حقيقة في حياة المجتمعات والمؤسسات، فمحيط المؤسسات اليوم أصبح يتسم بالحركة والديناميكية، لذا فالمؤسسات الجامدة يجب أن تجد الوسائل والأساليب التي تمكنها من تجديد نشاطها والاستفادة من قدراتها، وهي إشارة ضمنية إلى أهمية التجديد كأحد وسائل التغيير . فقد تم الربط بين عملية التغيير والتجديد باعتبار التغيير عملية تجديدية قبل أن تكون نوعاً من أنواع التطوير، فالتغيير ما هو إلا أحد مظاهر التجديد التي تعبر عنه . كما تظهر أهمية التجديد والحاجة إليه عندما يدرك مسيرو المؤسسة أن هناك تفاوتاً بين أداء المؤسسة الفعل ي والأداء المرغوب تحقيقه، هذا يؤدي إلى تبني طرق وأساليب جديدة، أي أن على المؤسسة إدماج التجديد ضمن إستراتيجيتها، واستخدامها كأداة للتغيير والتطوير وحل المشاكل التي قد تعاني منها المؤسسة لتحسين أداءها وتحقيق أهدافها بفعالية.

ومن الظروف التي تستدعي الحاجة إلى التجديد وتفرضه التغيرات في محيط المؤسسة، تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال، انفتاح الأسواق، اشتداد المنافسة، متطلبات المستهلك التي تتغير باستمرار ، فإذا أدركت المؤسسات أن هناك فجوة بين السلوك الحالي والسلوك المرغوب فإنها ستحا ول سد أو تقليص الفجوة، و يكون ذلك من خلال التجديد، فعلى المؤسسات الحديثة أن تكتشف وتتبنى طرقا وأساليب جديدة من خلال عمليات البحث والتطوير، ولكي تحسن أداءها يجب عليها أن تراقب محيطها من أجل التنبؤ بالمطالب الجديدة والاحتياط لمواجهتها. وكذلك تظهر أهمية التجديد في **المجالات** الآتية:

- يطور قدرة الفرد على استنباط الأفكار الجديدة، و يساعده في الوصول للحل الناجح للمشكلة بطريقة أصيلة.

- يعد مهارة يمارسها الفرد يوميا، ويمكن تطويرها من خلال عملية التدريب.

- يؤدي إلى الانفتاح على الأفكار الجديدة، والاستجابة بفاعلية للفرص والتحديات والمسؤوليات لإدارة المخاطر والتكيف مع المتغيرات.

- يساهم في تحفيز المؤسسات لتكوين محيط ملائم لاكتشاف المواهب والعمل على تنميتها من خلال توفير برامج متخصصة.

٢-٢ - الأساليب التدريبية المستعملة في عملية التجديد:

يقوم المدرب باستخدام العديد من الأساليب الفنية التي تمكنه من عرض الأفكار وتثبيتها في ذهن المتدرب من ضمنها:

[1] نبيل جواد، "**إدارة وتنمية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة**"، مجد للمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧، ص٢١٠.

٢-٢-١ -تقنية **Brainstorming** * : يعني عصف الذهن بالأفكار الجديدة . وهي تقنية تعتمد على تكوين فرق من عدة أعضاء يجتمعون من أجل إيجاد حلول لمشاكل معينة بحيث يتداولن النقاش حول موضوع ما بكل حرية . بعد تحديد الموضوع يطلب منشط الحلقة من أفرادها إبداء آرائهم بكل حرية ودون تخوف من النقد أو التقييم الأولي للفكرة، فتطرح العديد من الأفكار في هذه الحلقة قد تصل إلى ٢٠٠ فكرة في الساعة بالنسبة للحلقة الناجحة . وتعتبر من التقنيات الشائعة لتوليد الأفكار التجديدية، فهو " استخدام قدرة التفكير الجماعي لعدد من الأفراد بهدف اقتراح أفكار تجديدية خلاقة قد لا يتمكن كل منهم من الوصول إليها منفردا "[1]

٢-٢-٢- تقنية **Delphi** ** : تقوم على أساس اختيار أحد الأفراد كمنسق على شرط أن يكون على دراية كبيرة بكي فية تطبيق هذه التقنية، وكذلك يتم اختيار مجموعة من الخبراء في الموضوع أو الفكرة المطروحة للتقييم، ويستلم المنسق إجابات الخبراء المنفردة ويفرغها في جداول وأشكال بيانية بين مدى الاتفاق أو الاختلاف في أراء الخبراء الذين لا يعرفون بعضهم، حيث يكون الاتصال مع المنسق فقط ثم يقوم هذا الأخير بإعداد ملخص للنتائج المتحصل عليها، ويرسله إلى كل خبير ويسأله عن وجهة نظره الجديدة في المشكلة، ويقوم المنسق بتكرار هذه العملية إلى أن يصل إلى درجة من الثبات النسبي في الإجابات مما يؤدي إلى الوصول إلى حل المشكلة المعروضة أو تقييم الفكرة المطروحة.[1]

٢ – ٢ -٣- تقنية اقتراح التجديدات **système de suggestion a l'innovation**: هي تقنية قائمة على اقتراحات العمال داخل المؤسسة وذلك بتكوين آلية خاصة بذلك، حيث يستطيع كل عامل تقديم أي اقتراح . كل اقتراح يثبت نجاحه يؤجر صاحبه على شكل علاوات أو ترقية أو نسبة من أرباحه أو شكل أخر يتم الاتفاق عليه

ثانيا: علاقة التدريب بعملية التجديد :

يعتبر التجديد عنصرا أساسيا في الوقت الحالي ومكونا فعالا للتفوق التنافسي للمؤسسة ومجالا ملائما للتكيف مع التطورات، لذلك يجب أن يكون هناك محيط يلائم التجديد ليكون شرطا أساسيا لنجاح أنشطة التحسين المستمر، فإدماج التجديد يتطلب توفير الظروف الملائمة له . فوجود محيط ملائم للتجديد يتطلب توفر العديد من **المقومات (الدعائم)** منها:

- دعم مسيري المؤسسة لعملية التجديد.
- تعزيز التفاعل بين المؤسسة ومحيطها الخارجي.
- توفر نشاط البحث والتطوير في المؤسسة.
- تحفيز العمال نحو الأفكار التجديدية.

ويتجه أسلوب ال[1]تجديد نحو ضرورة وعي المؤسسة أن التعامل مع المشاكل بكونها فرصا للتطوير والتحسين، لأنها تنمي التفكير التجديدي عن طريق زيادة ثقة الموارد البشرية في المؤسسة مع إتباع المنهجية العلمية في التفكير، وبالتالي يؤدي هذا تمكن المورد البشري على توليد الأفكار وتنشيط العمليات المعرفية المختلفة والتي تقوم عليها عملية التجديد . حيث يعتبر التدريب من أهم المجالات التي يمكن الاستفادة منها في تنمية الموارد البشرية للقيام بعملية التجديد في المؤسسة، حيث

---

* تقنية **Brainstorming** مقترحة من طرف Alex Osborne سنة **١٩٦٣**.

[1] Neil Glass, **management "les 10 défis"**, traduit par Tyacklignot, Edition d'organisation, Paris,2000, p.99.

** هذه التقنية طورت من طرف **Utterback**. سنة **١٩٨٢**

[1] Marjolaine de Ramecourt ,François Pons, **l'innovation à tous les étages**, Comment associer les salariers à une démarche d'innovation, Edition d'organisation, Paris, 2001, p.30.

يعمل التدريب على إعداد العمال الجدد لمواجهة التحديات التي تواجههم في العمل، كما يساعد أيضا على تطوير معارف ومهارات العاملين القدامى. ومن أجل الوصول إلى تدريب فعال يمكن من نجاح عملية التجديد في المؤسسة ويجب أن يتميز البرنامج التدريبي بالمرونة لمواكبة التغييرات، من خلال تمكين الموارد البشرية من استيعاب هذا التغير . ولضمان فعالية التدريب لا بد من مراعاة أربع أسس تشمل ما يلي:[1]

١ – **المشاركة:** لا تؤدي مشاركة المتعلم إلى المتعلم إلى سرعة التعلم فقط، وإنما تؤدي أيضا إلى رسوخ ما تعلمه الفرد لفترة أطول، فالمتدرب الذي يشارك في الحوار والمناقشة والاستفسار تكون فرصته في التعلم (التدريب) أفضل.

٢ – **التكرار:** حيث يساعد التكرار على تثبيت ما تعلمه الفرد، ويرى علماء الإدارة وعلماء النفس أن التكرار يجب أن يكون موزعا على فترة طويلة نسبيا حتى تكون له فعاليته.

٣ – **تطبيق ما تعلمه المتدرب في الواقع العلمي:** فالمتدرب يكون فعالا عندما يستطيع المتدرب الاستفادة بما تعلمه خلال فترة التدريب في الواقع الفعلي للعمل، ومن العوامل المساعدة على ذلك هو أسلوب محاكاة ظروف العمل الفعلية و الأدوات التي تستخدم في العمل أثناء التدريب.

٤ – **المعلومات المرتدة:** يحتاج المتعلم إلى مستوى معين من المعلومات المرتدة من نتيجة سلوكه (أدائه) للوقوف على مدى فعالية التدريب، فمثلا : هل أحد التدريب تعديلا على أدائه؟ وما هي نقاط الضعف التي يجب تصحيحها؟ وبدون مثل هذه المعلومات لا يمكن تقييم أو الحكم على فعالية العملية التدريبية.

ومنه نستنتج أن عملية التدريب ضرورية لكل مؤسسة تسعى لإدماج التجديد ضمن إستراتيجيتها، وبالتالي فهي تستطيع بذلك مواكبة التغييرات وهي ضرورة ملحة نظرا للمزايا التي يظهرها التدريب والمتمثلة في:

–تطوير معارف ومهارات الموارد البشرية.

–تنمية المستوى السلوكي للموارد البشرية في المؤسسة.

–تعزيز الانتماء التنظيمي لدى الموارد البشرية.

–زيادة القدرات التجديدية للموارد البشرية وتبنيها كمنهج وثقافة لدى المؤسسة تدمجها مع القيم الموجودة لديها، وبالتالي الإيمان بفكرة مواكبة التطورات والتغييرات مهما كان مستواها وتأثيرها.

–تفعيل التجديد من خلال تطوير الأداء البشري عن طريق التدريب المستمر والفعال.

وتظهر أهمية التجديد في التدريب من جانبين أساسيين الأول يتمثل في الأسباب التي دفعت المؤسسات للاهتمام بالتجديد،حيث دفعت التغييرات والتطورات التي تعيشها المؤسسات اليوم للاستجابة لها والتكيف معها باللجوء للتجديد لضمان الاستمرار في السوق . فضلا عن التطور في مجال السلع والخدمات وطرق إنتاجها يفرض عل المؤسسات تغيرات في الهيكل وأسلوب العمل والإدارة بطرق تجديدية، أما الجانب الآخر فيتمثل من خلال تحقيق **الفوائد** التالية:[1]

–زيادة قدرة المؤسسة على المنافسة.

–تحسين صورة المؤسسة وجعل مكانتها مقبولة لدى الزبائن.

–زيادة سلامة محيط العمل والتقليل من المخاطر.

---

[1] رفاعي محمد رفاعي، إسماعيل علي بسيوني، "**إدراك السلوك في المنظمات**"، دار المريخ للنشر،الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٤، ص١٠٧.

[1] حريم حسين،" **إدارة المؤسسات منظور كلي**"، دار حامد للنشر، عمان، ٢٠٠٣، ص٣١٣.

–نجاح المؤسسة بشكل كبير ويمكن أن تكون قائدة في السوق.

ومنه نستنتج أن استمرارية المؤسسة مرهون بإدماج التجديد ضمن إستراتيجيتها، والهدف من التدريب هو مساعدة العاملين على التكيف مع عملية التجديد وتدعيم قدراتهم لخدمة أهداف المؤسسة . ويهدف التدريب إلى تزويد المتدربين بالمعلومات والمهارات والأساليب المختلفة المتجددة كما يهدف إلى تغيير اتجاهاتهم وسلوكهم بما يتوافق مع متطلبات التجديد في المؤسسة. وهذا بغرض مصلحة المؤسسة والعمال معا.

الدراسة الميدانية:

أهداف الدراسة: إن الهدف من هذه الدراسة هو محاولة معرفة مدى العلاقة بين التدريب وعملية التجديد، ومدى اهتمام مسيرو المؤسسات الصغيرة والمتوسطة بهذه العلاقة. ولهذا يمكن تلخيص بعض الأهداف الرئيسية كما يلي:

–إبراز العلاقة بين التدريب كمصدر أساسي لتنمية الموارد البشرية وعملية التجديد.

–محاولة معرفة مدى مساهمة التدريب في نجاح عملية التجديد داخل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الجزائرية.

المجال المكاني: أجريت هذه الدراسة بمؤسسة محبوبة الذي تنتمي إلى قطاع المؤسسات الصغيرة والمتوسطة تنشط في مجال إنتاج العجائن الغذائية أنشأت سنة ٢٠٠٠ مقرها المنطقة الصناعية في برحال- عنابة-، وقد اخترت هذه المؤسسة كمجال للدراسة لأنها:

- مؤسسة تدخل ضمن قطاع المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر، وبالتالي تتوفر على شروط الدراسة، خاصة وأن التجديد لم نجده في معظم المؤسسات التي زرناها.

المجال الزمني: تم الشروع في هذه الدراسة نهاية سنة ٢٠١٤، وهذه الأخيرة - فترة الانجاز- إلى جانبين:

- **جانب نظري:** استمر البحث فيه طوال الفترة الممتدة من أكتوبر إلى غاية ديسمبر ٢٠١٤.
- **جانب ميداني :** شرع فيه ابتداء من شهر جانفي إلى غاية نهاية مارس ٢٠١٥ ، وقد مر إنجازنا للجانب الميداني بمرحلتين:

- **مرحلة الزيارات الاستطلاعية**: انطلقت من ديسمبر ٢٠١٤ إلى غاية مارس ٢٠١٥، وقد تم فيها تجميع بعض المعلومات الأولية عن موضوع الدراسة.

- **مرحلة جمع البيانات** : وامتدت من جانفي إلى غاية مارس ٢٠١٥،وتم فيها إجراء المقابلات مع بعض العمال كرئيس مصلحة الجودة، المحاسبة، الموارد البشرية وكذا رئيس مصلحة التسويق.

المنهج: نظرا لاختلاف المواضيع المدروسة من قبل الباح ثين فإن المناهج كذلك تختلف باختلاف هذه المواضيع، وذلك باعتبار أن المنهج هو الطريقة التي يسلكها الباحث للوصول إلى نتيجة معينة وعلى هذا الأساس وتماشيا مع طبيعة الموضوع فإن الدراسة تدخل ضمن **الدراسات الوصفية** والمنهج المتبع فيها هو **المنهج المسحي** الذي يتعلق بالوضع الراهن أو الواقع الحالي والتعرف على جوانب القوه والضعف فيه من اجل معرفة مدى صلاحية هذا الوضع أو مدى حاجته إلى إحداث تغييرات جزئية أو أساسية فيه . وقد اعتمدنا في دراستنا على هذا المنهج من أجل التوصل إلى جمع المعلومات والبيانات على الوحدة التي اخترناها للد راسة،ألا و هي مؤسسة "**محبوبة**"من أجل الكشف علاقة التدريب بعملية التجديد في هذه المؤسسة.

مجتمع البحث: إن المنهج الذي نتبعه في دراستنا يفرض علينا الاعتماد على العينة القصدية، حيث اتجهنا عن قصد إلى عمال مؤسسة محبوبة وقمنا بمسح شامل لعمال المؤسسة نظرا لسهولة الو صول إليهم والتحكم فيهم، حيث يبلغ عددهم ١٦٠ عاملا.

ولجمع المعلومات استعملنا عدة **أدوات** والتي تتمثل في:

١ - **الملاحظة:** حيث تعد من الأدوات المهمة التي ساعدتنا في جمع البيانات وتسجيل ووصف الحقائق والأحداث، من خلال الزيارات الميدانية للمؤسسة فقد مكنتنا من التحقق من أمور قد تكون مبالغ فيها من طرف العمال كالتعرف على ظروف عملهم مثلا وإدراك مدى سعي مسيري المؤسسة نحو تحفيز العمال والتنسيق فيما بينهم، وبالتالي تجنبنا الملاحظة الوقوع في الأخطاء التي قد تصاحب جمع البيانات وذلك من خلال ملاحظة الانفعالات التي تدل على الصحة في الرد على الأسئلة.

٢ - **المقابلة:** لقد تطلبت منا عملية جمع البيانات إجراء العديد من المقابلات والتي كانت من بين الم صادر الأساسية التي اعتمدنا عليها للحصول على المعلومات الميدانية اللازمة، فقد قمنا باستخدام هذه الأداة مع رؤساء الأقسام في المؤسسة وهم كالأتي قسم الجودة، التسويق، المستخدمين (الموارد البشرية)، المحاسبة والمالية. بهدف جمع بيانات دقيقة وواضحة خالية من الأخطاء وذلك بتبسيط وتوضيح الأسئلة للعمال من أجل إعطاء إجابات وافية.

٣- **الاستمارة:** تعد من أهم الوسائل المستعملة والأكثر شيوعا في جمع المعلومات خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، إذ تعتبر من بين المصادر الأساسية التي تم الاعتماد عليها للحصول على المعلومات الميدانية المطلوبة في هذه الدراسة، فقد تم تصميم نموذج من هذه الاستمارة ليتم توجيهها إلى عمال المؤسسة محل الدراسة في فيفري ٢٠١٥، قصد الوقوف على حقيقة إدراك العلاقة بين التدريب وعملية التجديد من قبل العمال . وقد تضمنت هذه الاستمارة على **ثلاثة** محاور للإجابة على تساؤل الدراسة، وهي:

المحور الأول: يحتوي على ١٠ أسئلة لتبين علاقة التدريب بالتجديد.

المحور الثاني: يحتوي على ٠٧ أسئلة لتبين كيفية التخطيط لعملية التدريب.

تحليل بيانات الدراسة :

الجدول رقم ٠١: نتائج إجابات العمال حول أهمية التدريب في المؤسسة

الرقم	العبارات	التكرارات		النسبة المئوية %		المجموع	
		نعم	لا	نعم	لا	العمال	%
٠١	- تقوم المؤسسة بتدريب العمال كلما حدث أي تجديد.	66	94	41.25	58.75	١٦٠	١٠٠
٠٢	- يوفر مسيرو المؤسسة الموارد البشرية المؤهلة للقيام بعملية التجديد.	١٢٠	٤٠	75	25	١٦٠	١٠٠
٠٣	- يتم تحديد الاحتياجات التدريبية من خلال مقارنة بين القدرات الحالية	110	50	68.75	31.25	١٦٠	١٠٠

	للعاملين ومتطلبات العمل الجديدة.						
٠٤	- يؤدي التدريب إلى زيادة كفاءة العمال في المؤسسة.	٧٠	٩٠	43.75	56.25	١٦٠	١٠٠
٠٥	- يتم تحديد المتدربين في المؤسسة بناء على تجديد المهارات والمعارف اللازمة لممارسة وظائفهم.	54	106	33.75	66.25	١٦٠	١٠٠
٠٦	- يمكن التدريب العمال من تقديم أفكار جديدة لتحسين العمل.	88	72	55	45	١٦٠	١٠٠
٠٧	- يؤدي التدريب إلى تجديد أساليب العمل في المؤسسة.	89	62	61.25	38.75	١٦٠	١٠٠
٠٨	- يمكن التدريب من استخدام العمال للأساليب العلمية في تنفيذ المهام الموكلة إليهم.	104	56	65	35	١٦٠	١٠٠
٠٩	- يؤدي التدريب إلى تحسين العمل.	148	12	92.5	7.5	١٦٠	١٠٠
١٠	- التدريب ضمن أولويات المؤسسة.	٣٤	١٢٦	21.25	78.75	١٦٠	١٠٠

المصدر: هذه الدراسة.

يتضح لنا من خلال **الجدول رقم**٠١ أن نسبة 75،58% من العمال يروا أن المؤسسة لا تقوم بتدريب العمال كلما حدث أي تجديد، ونسبة ٧٥% يروا أن مسيرو المؤسسة يوفرون الموارد البشرية المؤهلة للقيام بعملية التجديد، ونسبة ٦٨,٧٥% تؤكد أن الاحتياجات التدريبية يتم تحديدها من خلال مقارنة بين القدرات الحالية للعاملين ومتطلبات العمل الجديدة، بينما نسبة ٥٦,٢٥% ترى بأن التدريب لا يؤدي إلى زيادة كفاءة العمال في المؤسسة، في حين نسبة ٦٦,٢٥ % ترى بأن تحديد المتدربين في المؤسسة لا يتم بناء على تجديد المهارات والمعارف اللازمة لممارسة وظائفهم، ونسبة ٥٥% ترى بأن لتدريب العمال بإم كانه من تقديم أفكار جديدة لتحسين العمل، ونسبة ٦١,٢٥ % ترى بإمكانية التدريب تجديد أساليب العمل في المؤسسة، ونسبة ٦٥ % ترى أن التدريب يمكن العمال من استخدام الأساليب العلمية في تنفيذ المهام الموكلة إليهم، ونسبة ٩٢,٥ % تؤكد أن التدريب يؤدي إلى تحسين العمل، ون سبة ٧٨,٧٥ % تبين أن التدريب لا يدخل ضمن أولويات مؤسسة محبوبة محل الدراسة.

فنتائج الجدول رقم ٠١ تؤكد ما توصلنا له في الجانب النظري فالتوجه نحو التجديد من أجل ضمان استمرارية مؤسسة محبوبة وتطويرها يتم بالاعتماد على العديد من العوامل لضمان نجاح عملية التجديد داخل المؤسسة.ومن بين هذه العوامل التدريب الذي يعتبر من أهم العناصر التي تساعد العمال على مواكبة التطورات والتغييرات، ومن الأدوات المهمة التي تستخدمها المؤسسة لتطوير فعالية مواردها البشرية من خلال تزويد العمال بالمهارات والمعارف العلمية والسلوكية اللازمة لأداء العمل وتحقيق الأهداف . ويتطلب نجاح عملية التجديد الاهتمام بتزويد العامل ين بالمهارات

والقدرات اللازمة لتطبيقها ونجاحها، وذلك من خلال العمل على تدريب هؤلاء العمال عن طريق توفير برامج تدريبية مؤهلة قادرة على إيصال المعلومات والمهارات بصورة إيجابية تنعكس على أداء العمال وقدراتهم، وللتدريب مكانة مهمة في إدماج عملية التجديد في المؤسسة حيث يساعد على تحقيق الأهداف التالية:

–تزويد العمال بمعلومات متجددة عن طبيعة الأعمال والأساليب الجديدة.

–إعطاء العمال فرص كافية لتطبيق هذه المعلومات والمهارات وكذلك تقديم أفكارهم.

الجدول رقم ٠٢: نتائج إجابات العمال حول التخطيط لدورات التدريب

الرقم	العبارات	التكرارات		النسبة المئوية %		المجموع	
		نعم	لا	نعم	لا	العمال	%
١١	- تلعب الوساطة دورا في اختيار المتدربين.	124	36	77.5	22.5	١٦٠	١٠٠
١٢	- يتم اختيار المتدربين حسب معايير واضحة.	12	148	7.5	92.5	١٦٠	١٠٠
١٣	- المؤهل العلمي له الأفضلية للاختيار بالدورات التدريبية.	52	108	32.5	67.5	١٦٠	١٠٠
١٤	- يوفر مسيرو المؤسسة ميزانية كافية للتدريب.	٤٤	١١٦	27.5	72.5	١٦٠	١٠٠
١٥	- يتم تقديم مادة الدورات التدريبية وفقا لاحتياجات العمل.	١٢٠	٤٠	75	25	١٦٠	١٠٠
١٦	- مسيرو المؤسسة لديهم القناعة بتبني أفكار جديدة حول الأنشطة التدريبية.	34	126	21.25	78.75	١٦٠	١٠٠
١٧	- يهتم مسيرو المؤسسة بتنويع أساليب التدريب التي يقدمونها للعمال لديهم.	16	144	10	90	١٦٠	١٠٠

المصدر: هذه الدراسة.

يتضح لنا من خلال **الجدول رقم ٠٢** أن نسبة ٧٧,٥ % من العمال يروا بأن تلعب الوساطة دورا في اختيار المتدربين، ونسبة ٩٢,٥ % ترى بأن المتدربين لا يتم اختيارهم حسب معايير واضحة، بينما نسبة ٦٧,٥% ترى بأن المؤهل العلمي ليس له الأفضلية للاختيار بالدورات التدريبية، ونسبة ٧٢,٥% تؤكد أن مسيرو المؤسسة لا يوفرون ميزانية كافية للتدريب، في حين نسبة ٧٥ % تعتبر أن تقديم مادة الدورات التدريبية يتم وفقا لاحتياجات العمل، وكذلك نسبة ٧٨,٧٥ % تبين أن

مسيري المؤسسة ليست لديهم القناعة بتبني أفكار جديدة حول الأنشطة التدريبية، وأخيرا نسبة ٩٠ % تؤكد أن مسيري المؤسسة لا يهتمون بتنويع أساليب التدريب التي يقدمونها للعمال لديهم.

فمن خلال نتائج **الجدول رقم ٠٢** تؤكد ما توصلنا له في الجانب النظري، إن نجاح المؤسسة يعتمد على تطبيق إستراتيجية التدريب، وهو يرتبط بدعم مسيري المؤسسة وتبنيهم لفلسفة التدريب في كل الأنشطة والعمليات التي تمارسها المؤسسة، كما أن ممارسة المؤسسة لنشاطات مخطط لها تساهم في تزويد المتدربين في المؤسسة لمعارف معينة تعمل على تحسين وتطوير مهاراتهم وتغيير سلوكياتهم بشكل إيجابي بما يتوافق مع متطلبات التجديد في المؤسسة . فبرامج التدريب الغرض منها تنمية قدرات العمال ومهاراتهم بهدف رفع مستوى أدائهم لمهامهم وقيامهم بوظائفهم وإكسابهم القدرة على التعامل مع التغييرات والتطورات التي تحصل في المؤس سة ويجب أن يكون ذلك وفق برامج محددة . ويكون ذلك عن طريق التخطيط وتنظيم عملية التدريب، وتوفير الإمكانيات المادية والبشرية اللازمة وكذا المتابعة الحقيقية لهذا النشاط والتقييم لإنجازاته ومدى فعاليته لضمان تحقيق أهداف المؤسسة.

نتائج الدراسة:

وقد توصلت هذه الدراسة إلى **عدة نتائج أهمها** مايلي:

١. إن التدريب مهم بالنسبة للمؤسسة والعمال على حد سواء، حيث يمكن العامل من اكتساب مهارات ومعارف جديدة أما بالنسبة للمؤسسة فهو يحقق أهدافها المتعلقة بنجاح عملية التجديد وتحسين الجودة وزيادة الإنتاج، إلا أن مؤسسة محبوبة لا تهتم بنشاط التدريب هذا ما أكدته نتائج الدراسة . وبالتالي فهذا الأخير عبارة عن عملية مستمرة، فلا تكفي مجموعة من البرامج تقدمها المؤسسة لعمالها، وإنما على المؤسسة أن تعمل جاهدة لتخصص الإمكانيات المادية اللازمة، وكذلك توفير الموارد البشرية المؤهلة لمواكبة التطورات التكنولوجية ولمواجهة المنافسة في السوق.

٢. ضرورة اعتماد المؤسسة عملية التجديد كأسلوب إداري متطور بدلا من الأساليب التقليدية للإدارة من أجل الوصول إلى التحسين المستمر في جميع مستويات النشاط بالمؤسسة وأن تعمل عل كيفية التأقلم معه بالتركيز على تنمية مواردها البشرية.

٣. دلت نتائج الدراسة على أن أسلوب اختيار المتدربين غير فعال بدرجة كافية حيث لا توجد معايير واضحة لاختيار المتدربين كما أن للوساطة والآراء الشخصية دور في اختيار المتدربين مما ينعكس بالسلب على العملية التدريبية . فعليه يجب إعادة النظر في سياسة اختيار العمال للالتحاق بالدورات التدريبية وذلك بوضع معايير محددة ومعلنة للجميع.

٤. العمل على زيادة الاهتمام بتقييم العملية التدريبية حتى يتم تحقيق الأهداف المطلوبة من العملية التدريبية بما يخدم أهداف المؤسسة التي تسعى لتحقيقها، لذا على مؤسسة محبوبة أن تضع نشاط التدريب ضمن أولوياتها لما له من أهمية في نجاح عملية التجديد في المؤسسة . فالتركيز في تصميم الدورات التدريبية على الأساليب الحديثة بما يتلاءم مع التطورات الحديثة في العمل الإداري، وأن تعمل على تنويع أساليب التدريب التي تقدمها للعاملين لديها لما لهذه الأساليب من أثر في تطوير أدائهم.

٥. من خلال النتائج يتضح أنه لكي يحدث التدريب أثره في تنمية المورد البشري وتزويده بالمهارات والسلوكيات الجديدة لتفعيل التجديد يتطلب ذلك تنفيذ برامج تدريبية مبنية على أسس علمية، ووضع نظام لقياس فاعلية التدريب . واعتبار هذا الأخير عملية مستمرة وحيوية مرتبطة بفلسفة وجود المؤسسة، يجب ربطها بالتجديد حتى تتعاظم فرص النجاح في الاندماج والتفاعل الايجابي مع متغيرات ومستجدات المحيط.

٦. من خلال النتائج يجب أن تسبق عملية التدريب عملية التجديد في المؤسسة، حتى يكون العمال مؤهلين للقيام بالوظائف الجديدة، ولكي يكون في المؤسسات المهارات والحوافز اللازمة للقيام بعملية التجديد، ولعل الخطأ الذي فيه المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الجزائرية في كثير من الأحيان هو القيام بعملية التدريب بعد التجديد.

خاتمة:

إن المؤسسات الصغيرة والمتوسطة اليوم أمام حتمية التجديد لضمان استمراريتها وبقاءها في السوق . لذا وجب عليها توفير المورد البشري المؤهل والعمل الدائم على تدريبهم وللارتقاء بمستواهم وكفاءتهم لضمان نجاح عم لية التجديد في المؤسسة. فالتطورات التي يشهدها عالم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة اليوم يفرض عليها تبني مفاهيم الإدارة الحديثة إذا أرادت التقدم والاستمرار في ظل المنافسة الشديدة في السوق.

فتطور المؤسسة يعتمد أساسا على نجاح البرامج التدريبية المقدمة للموا رد البشرية في مختلف المجالات، وبالتالي ففعالية البرامج التدريبية تؤدي إلى نجاح عملية التجديد في المؤسسة.

قائمة المراجع:

١- جمال الدين محمد المرسي، "**الإدارة الإستراتيجية للموارد البشرية**"، الدار الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣.

٢- رفاعي محمد رفاعي، إسماعيل علي بسيوني، "**إدراك السلوك في المنظمات**"، دار المريخ للنشر،الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٤.

٣- محمد فالح صالح، "**إدارة الموارد البشرية**"،دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤.

٤- نبيل جواد، "**إدارة وتنمية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة**"،مجد للمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧.

٥- نجم، عبود نجم، إدارة الابتكار"**المفاهيم والخصائص الحديثة**"، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣.

٦- ويليام رتريسي، ترجمة سعد أحمد الجبالي،"**تصميم نظم التدريب والتطوير**"، معهد الإدارة العامة، الرياض، ٢٠٠٤.

1- Draft, **Innovation Definition comparative assessment, developedunderGnu** . free Documentation hptt:/www.gnu.org, 2005 .

2- JEAN-MARIE PERETTI, **dictionnaire des ressources humaines**, paris, ed Vuibert, 2001.

3- JOEL STRIEF**, plan et besoin de formation**, ed Eska, paris, 1993.

4- Malcolm Gladwell, **Spark of innovation**, educationbrodcating corporation new York, www.thertenn.org, 2004.

5- Marjolaine de Ramecourt ,François Pons, **l'innovation à tous les étages**, Comment associer les salariers à une démarche d'innovation, Edition d'organisation, Paris, 2001.

6- Neil Glass, **management "les 10 défis"**, traduit par Tyacklignot, Edition d'organisation, Paris,2000.

7- Sekiou et autre, **Gestion des ressources humaines**, ed De Beock université, Cannada, 2001.

8- Sheila Martin, **Innovation: Oregon innovation index** , Oregon economic and community Develepenents. institute for Portland state university,2007 . www.orgoninc.org/about.htm.pdforwww.econ.orgon.gov 3/2/2008.

الدور الوظيفي للأواني الحجرية

د.زينب عبد التواب رياض/جامعة أسوان،مصر

ملخص :

يلقى هذا المقال الضوء على الدور الدنيوي والديني والجنائزي والفني للأواني الحجرية، وذلك للوقوف على أهميتها والغرض منها.

وكما هي عادة المصري القديم في التنوع والإبداع، تنوعت استخدامات الأواني الحجرية تبعاً لتنوع متطلبات الحياة، فكثيراً ما عثر على أوانى حجرية أكدت على أهميتها في حياة المصري القديم،ليس فقط أهمية آخروية وإنما أيضا أهمية حياتية ، ولقد كان المصري القديم فى **دنياه** يستعمل نوعان من الأواني:

أ- **الأواني الفاخرة**: وكانت تصنع من الحجر لاسيما حجر الشست الأسود أو الأزرق،ومن الرخام الأبيض، والألباستر ونادراً ما كانت تصنع من الرخام الأحمر وهذه الأنواع الحجرية كان يتم تصنيع الأواني الحجرية صغيرة الحجم منها، أما الأواني كبيرة الحجم فكانت تصنع من الجرانيت والألباستر أيضاً

ب- **الأواني العادية**: وكانت غالبا من الفخار وفيها يتم غرف الطعام.

نستطيع الحكم من واقع صور الأواني التي جاءت على جدران المقابر والمعابد، ومن واقع الأنواع الكثيرة المخ تلفة المصورة بالنقوش الهيروغليفية، وما تشير إليه من مدلولات لغوية، بل ومن خلال ما عثر عليه من أنماط وأشكال مختلفة للأواني الحجرية،بأن الأواني المصرية القديمة كانت متعددة الأشكال وملائمة لشتى استعمالاتها.

خدمت الأواني الحجرية أغراض دينية وطقسية فكان منه ا أواني حفظ الأحشاء ، أواني الحب سد ، وأواني طقسة سكب الماء إلى غير ذلك من أغراض وظيفية أخرى ذات سمات جنائزية .

مقدمة :

كان من الغريب أن يتحمل المصري القديم مشاق تصنيع إناء حجري، ويحرص على تفريغه ونحته وصقل جوانبه بحيث تكاد تكشف جدرانه في كثير من الأحيان ع ما بداخلها،فهذا أمر ملفت للانتبا ه، ومثير للدهشة، خاصة وأنه كان لديه البديل من أوانٍ فخارية ومعدنية مختلفة.

وإمعاناً فى التحدي لم يكتف المصري القديم بمجرد التصنيع، بل أجاد فى الإبداع، وأخرج من بين أصابعه أوانٍ قاربت فى أشكالها لوحات مجسمة، قلد فيها هيئاتٍ ع دة وأنماطٍ مختلفة من الطبيعة المحيطة به، وكأنه يشكل صلصال لا ينحت فى حجر.

ولقد اهتم المصري القديم بنحت واستعمال الأواني الحجرية في أغرضٍ واستخداماتٍ عدة بخلاف أغراض الطعام والشراب أو ما شابه ذلك من أغراض أخرى يفسرها معنى كلمة إناء، إذ كثيراً ما عثر على أطباق وسلاطين وأواني استعملت كمصابيح ومشاعل، أو كمحارق للبخور، أو كأهوان ومدق ات أو كمكاييل وموازين، وما إلى ذلك من أغراضٍ حياتية أخرى.

–كان للأواني الحجرية أهميتها لدى المصري القديم، وتنوعت أهمية الأواني الحجرية ما بين " **الجنائزية**" و " **الدينية**" و " **الدنيوية**" و"**التاريخية**" و"**الفنية**".

لم يقتصر الدور الوظيفي للأواني الحجرية على الن احية العملية فحسب، وإنما كان لتلك الأواني أهميتها الدينية والجنائزية بل والفنية، إلى جانب دورها العملي المعتاد لها،ومن ثم رأت الدارسة ضرورة إلقاء ضوء بشيء من الإيجاز على **الدور الوظيفي للأواني الحجرية** من شتى جوانبه، وذلك لمحاولة رسم صورة واضحة عن الغرض من م ثل هذا الكم الهائل الذي عثر عليه من الأواني الحجرية.

أولا: الدور الجنائزي للأواني الحجرية:

فهم المصريين القدماء الحياة أحسن فهم، ودفعهم فناء الحياة الدنيا إلى التفكير في الآخرة، وفي نفس الوقت التعلق بها، ومن أجل ذلك لم يكن ما أودعوه دور الآخرة من متاع الدنيا وزخرفها، إلا نتيجة حبهم لها، فكانت المقبرة بما فيها بمثابة صورة صادقة لما يقوم في حياة الناس العامة والخاصة،فملئت جدران القبور بالرسوم والصور الدنيوية، إلى جانب مناظر الحياة الأخروية، وحرص المصري القديم على أن يحفظ بها أدواته وأوانيه سواء الفخارية أ و الحجرية، وما إلى ذلك من متاع حرص على استخدامها في عالمه الآخر[١].

ولم تكن أهمية الأواني الحجرية نابعة من كونها أوعية فقط،ولم توضع في المقابر كجزء من الأثاث الجنائزي نظراً لما تحويه بداخلها فقط،بل على العكس من ذلك، فإن الأواني الحجرية كانت جزء من القربان الذي يقدم للمتوفي، يطلبه ويبغي منه " **ألف إناء**" هكذا كانت تذكر صيغ تقديم القربان في الدولة القديمة[٢]

فلقد كانت الأواني الحجرية من الأهمية بحيث يحرص المتوفي على التزود بها في رحلته إلى العالم الآخر، ولذلك نجد آلاف من الأواني الحجرية كانت تدفن مع ملوك عصر بداية الأسرات كأحد أهم مستلزمات الأثاث الجنائزي [٣]، وامتد ذلك التقليد حتى عصر الدولة القديمة،وتؤكد ذلك مختلف النصوص التي جاءت على جدران مقابر ذلك العصر[٤].

وكانت الأواني الحجرية تعد من أهم النعم والمنح الملكية التي يقدمها الملك لرجال دولته ضمن تجهيزات الدفن [٥]، وقد تجلت آية تلك الهبات الجنزية منذ طلائع التاريخ المصري في **مقبرة حماكا**[*]، حيث كانت جمهرة الجرار من آنية النبيذ في مقبرته تحمل أختاما باسم" **أوديمو**" والقليل منها بخاتم " **حماكا**"ذاته، وفي ذلك دليل على مصدر هذا المتاع الجنزي الذي أسهم فيه الملك هبة وفضل من عنده على وزيرة الراحل[٦].

---

(1) عبد الحميد زايد،" **التجميل عند قدماء المصريين**" ، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني عشر، القاهرة، ١٩٦٤–١٩٦٥، ص٧.

(2) Saad, Z.Y, **"A preliminary report on the Excavations at Saqqara**, 1939- 1940" in: **ASAE**, 40, 1940, pp. 675-693.

(3) Reisner, G**., "Mycerinus, the temples of the third Pyramid at Giza"**, Cambridge. 1931 , p.130-177.

(4) Abu-Bakr, A., excavations at Giza , 1953, Cairo.
,p .9.

(5) Kees, H., "**Kulurageschichte des Älten Orient"s,** München, 1933, p.195.

(*) كان حماكا من كبار موظفي الدولة في عهد الملك " **دن**" **أو** " **أوديمو**" – عصر الأسرة الأولى– تقع مقبرته شمال جبانة سقارة، وقد عثر بها على العديد من الأواني الحجرية اشتمل البعض منها على نقوش وكتابات بالحبر باسم ما تحويه بداخلها من أشياء :

Engelbach , R., **the tomb of Hemaka "** in: introduction to Egyptian Archaeology, Cairo, 1961, p.91-92.

(6) أحمد عبد الحميد يوسف، رسالة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة القاهرة، "**العادات والشعائر الجنزية في الدولة القديمة عند الأفراد**"، ١٩٦٦، ص١٠٨.

ومن خلال ما توضحه حصيلة ما عثر عليه من أوانٍ حج رية في العديد من المقابر يمكن لنا أن نتحقق من تلك الأهمية الجنائزية، ففي **جبانة حلوان** جاءت شواهد الإهتمام بالأواني الحجرية، وضرورة تزويد المقابر بها، وتنوعت حصيلة تلك الأواني ووضح بها دقة الصناعة [١]، وكانت هذه الأواني الحجرية على اختلافها توضع مع المتوفي ف ي المقبرة في مكان مخصص لها، وذلك كما في (**شكل:** ٦١١) إلى (**شكل:** ٦١٤) وأحيانا كانت توضع بجوار المتوفي في نفس مكان الدفن [٢]، ولقد كان لمقابر الأثرياء الغلبة في هذا الشأن [٣]هناك من الأوانى الحجرية ما ارتبط بالفعل بأغراض أو شعائر جنائزية مثل أواني حفظ الأحشاء وأواني حفظ الزيوت السبعة المقدسة والأواني المستخدمة في الطقوس المختلفة مثل طقسة فتح الفم[٤].

ثانياً : الدور الديني للأواني الحجرية:

كانت للأواني الحجرية أهميتها الدينية، فنظراً لمعتقدات دينية خاصة، كثيرا ما كان يتم تحطيم هذه الأوانى عمداً قبل دفنها مع المتوفي (**شكل:**٦١٥)، بل إن كثيرا ما كان الإناء يصنع من جزئين منفصلين من الحجر، وفي أحيان أخرى كان كل جزء من الإناء يصنع من مادة تختلف عن مادة صناعة الجزء الآخر، الأمر الذي يؤكد أن بعض أنواع الأواني الحجرية لعبت دوراً طقسياً في الإعداد للعالم الآخر للمتوفي، فتحطيمها إنما يعني خروج كاوات "**أرواح**" هذه الأواني، فيصبح من اليسير استفادة "**روح**" أو "**كا**" المتوفى من كاوات أو أرواح هذه الأواني [٥].

وفي صناعتها من جزئيين منفصلين من الحجر لاسيما "**الحجر الأبيض والأسود**"، رأي بعض الباحثين ربط ذلك برمزية اللونين الأبيض والأسود وهما لوني الحجر المستخدم في صناعة بعض ما عثر عليه من أوانٍ حجرية، فللألوان بعض الدلالات الرمزية المتصلة بالوظيفة لاسيما الوظيفة الشعائرية أو الطقسية للإناء، فعلى سبيل المثال، ارتبط اللون الأسود بخصوبة الأرض والعالم السفلي وإعادة البعث، فكل عام يفيض فيه الن يل يأتي بالطمي الأسود تتجدد الحياة، ورمز اللون الأبيض للنور والضياء والصفاء، وارتبط اللون الأحمر بالغموض والصحراء والموت، وكان لكل تلك الرمزيات دلالتها ومغزاها السحري، في العقيدة المصرية القديمة [٦]، وكان من أمثلة ما عثر عليه من أوانٍ حجرية مصنوعة من جزئيين مختلفين من الحجر[*]، ثلاثة من الأواني عثر عليها **بمنشأة أبو عمر**، تؤرخ بنهاية عصر ما قبل **الأسرات (شكل** ٦١٧) و(**شكل:** ٦١٨)، صنعت هذه الأواني من **حجر الشست والحجر الجيري** معاً، بحيث كان الجزء العلوي من حجر الشست والسفلي من الحجر الجيري، وقد تم لصقهما مع بعضهما البعض عند أوسع جزء من جسم الإناء [٧].

ولقد أنكر بعض الباحثين وجود مغزى ديني لهذه الأواني وأرجع ذلك إلى مغزى عملي يتعلق بطريقة التصنيع.

---

[1] زكي سعد، الحفائر الملكية بحلوان، ص٤٣.

[2] Köhler, E. C**," Ezpet El-Walda"** in: **ASAE**, 77,2003, p.84.

[3] Radwan, A., **Recent excavation of the Cairo University At Abusir A cemetery of the 1st dynasty"** in: Kessler, D, Schulz,, R., gedenkschtrift für W. Barta, 1995, p.313.

[4] Arnold, D**.,"Gefässe"** in: **LÄ** ,II, 1977,col.484.

[٥] عبد العزيز صالح، " **مداخل الروح (الأبواب الوهمية) وتطوراتها حتى أواخر الدولة القديمة"**، حوليات كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد ٢٢، العدد الأول، ١٩٦٠، هامش ص٩٩.

[6] Sowada, K.N., **"Black-topped ware in early dynastic contexts"** in: **JEA**, 85, PP.101-102.

[*] ربما كان ذلك بمثابة تقليد لما عرف من قبل في صناعة الأواني الفخارية ذات الفوهة السوداء

[7] Kroeper,K., and Wildung, D., "**Some stone vessels from Minshat Abu Omer"**, vol. 1, Nr. 1-2, 1985, p.51-55, Fig. 1-5.

هذا وقد عثر على مئات الأجزاء من الأواني الحجرية، جاء الكثير منها حاملا كتابات هيراطيقية بالحبر الأسود والأحمر [*]، وذلك في الهرم المدرج بسقارة، وأجزاء أخرى من أوانٍ حجرية حملت نقوش هيروغليفية [١]، هذا بخلاف آلاف الأجزاء من الأواني الحجرية من مختلف أنواع الأحجار،كان قد عثر عليها أيضا في **سقارة**[٢]، و**أبيدوس** وجبانات أخرى عديدة..،ففي إحدى مقابر جبانة الكاب، عثر على آلاف الأجزاء من الأواني الحجرية المختلفة، كانت قد جمعت معاً في حجرة صغيرة بالقرب من مقبرة اشتملت على دفنة لاثنين من الموتى تؤرخ بعصر الأسرة الثالثة [٣]، ويبدو أن تلك الأواني قد حطمت ودفنت عمدا في هذه المقبرة.

وقد عثر على مئات بل آلاف الأجزاء من أواني حجرية في مقابر عدة بجبانات تؤرخ بعصر بداية الأسرات كانت قد كومت أعلى بعضها البعض، وكانت بوجه عام مكسورة أو محطمة عن عمد، وربما كان هذا جزء متمم للعادات أو التقاليد والشعائر الجنائزية المتبعة وقتها بالجبانة [٤]، وتكرر الأمر نفسه في جبانة أبيدوس، إذ عثر بترى على آلاف الأجزاء من الحجرية من مختلف الأحجار، وذلك في المقابر الملكية المؤرخة بعصر بداية الأسرات، وقد بلغت حصيلة هذه الأجزاء حوالي ٢٠٠٠٠ جزء من أواني حجرية مختلفة[٥].

وكان ما عثر عليه ببعض المعابد المصرية القديمة من أوانٍ حجرية، يدل على صلتها الدينية أو استخدامها الطقسي أو الشعائري آنذاك ، ففي معبد "**نخن**" عثر على العديد من الأواني الحجرية ضخمة الحجم في أماكن مختلفة من المعبد ، بعضها كان يحمل نقش بأسماء ملوك عصر بداية الأسرات، وبعضها الآخر قد جاء بهيئات زخرفية رائعة لمعبودات بعينها، وقد نحتت أغلب هذه الأواني من أحجار صلدة لاسيما الصخر البورفيري والجرانيت[٦]، وكانت لها دلالتها الطقسية.

وكان أيضا من دلائل الأهمية الدينية للأواني بوجه عام،أن اتخذت بعض الآلهة المصرية القديمة مسميات أو مخصصات باسم أو هيئة الإناء، وذلك مثل الإله "**خنوم**" [*]، الذي كان يصور عادة بهيئة بشرية ورأس كبش وكان يصور أحيانا حاملاً على رأسه إناء الماء hmm وهو عبارة عن علامة صوتية تعبر عن اسم المعبود خنوم، وربما كان ذلك إشارة إلى بقاء النيل دائما فوق قرونة [٧]، ويعبر عن ذلك بشكل الإناء كجزء يعبر عن كل.

---

[*] قارن بين ذلك وبين نصوص اللعنة والتعاويذ السحرية التي كانت تكتب بالهيراطيقية على أوان فخارية – من الفخار الأحمر– وعلى هيئات أدمية لأسرى صنعت من مواد مختلفة، وكانت تلك النصوص تمثل دعوات كتبها الكهنة (السحرة) ليصبوا فيها اللعنة على أسماء أسيوية وعدد من الشيوخ الليبية، ويقوم الكهنة بجمع تلك القدور والتماثيل بأسمائها الملعونة ويتلو عليها قراءات سحرية معينة ثم يحطمونها في حفل خاص أملاً أن يؤدي تحطيمها إلى تحطيم عزائم أسماء المذكورين عليهم، وقد ثبت وجود ذلك منذ عصر الدولة القديمة بالتحديد عصر الأسرة السادسة:

– نيفين نزار ذكريا، مفهوم النوم عند المصري القديم في الحياة اليومية والمعتقدات الدينية حتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة ٢٠٠٨، ص٣١٥.

(1) Gunn,B., **Inscription from the step pyramid sits",** in : **ASAE**,28,1928, PL. II- III –IV.
(2) Emery, W.**," royal tombs of 1st dynasty"**, vol. II, p.19-pl. L111, fig-224.
(3) Limme, L., **"Report on the Archaeological work at El- Kab, 1999 season"** in: **ASAE**, 75, 1999-2000, p. 108.
(4) Hayes, w., C., Op .Cit., p.41.
(5) Hendrickx, S., and others**, "Excavation in the Museum: the stone vessel fragments from royal tombs at umm- El- Qaab", MDAIK**, 57, 2001, p.73-108.
(6) Adams, B., "**Ancient Nekhen, England"**, 1995, P.63, 75.

(*) خنوم :هو المعبود الرئيسي في جزيرة الفنتين بأسوان، امتدت جذور عبادته إلى عصر بداية الأسرات.

Wilkinson, R.H., "**The complete Gods and Goddesses"**,London,2003, P. 194.

(٧) دعاء إبراهيم عبد المنعم الجعار، "**تيجان الآلهة ورموز الرأس المقدسة منذ أقدم العصور حتى نهاية التاريخ المصري القديم**"، دراسة مقارنة بالتيجان الملكية ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار ، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥،ص ٨٢.

ولقد فسر **Otto** وجود مخصص الإناء في اسم المعبود "**خنوم**" بأن هذا الإناء هو الإناء الذي كان يقوم خنوم بتشكيل الناس فيه باعتبار أن خنوم عند المصري القديم هو المعبود الخالق للبشر[١].

وكذلك كانت المعبودة "**نوت**" ربة السماء، تصور كسيدة عارية وعلى رأسها إناء الـ "**نو**" "**nw**"، الذي ا تخذت منه مخصص في كتابة اسمها وذلك لاعتباره إناء لحفظ السوائل بما فيها الماء[٢].

كتب اسم المعبودة "**باستت**" أيضا بمخصص إناء اسطواني في هيئة قدح " إناء العطر أو الزيت العطري ، وكتب إما بمفرده أو مع الحروف الأخيرة من اسمها[٣].

وكان أيضا من دلائل الأهمية العقائدية للأواني الحجرية في الفكر المصري القديم، أنه كثيراً ما كان المصري القديم يوجه لها التحية والترحيب في نصوصه قائلا : **التحية لك (السلام لك) أيها الإناء**"[٤]، بل وكان هناك طقسة تؤدي بنوع معين من الأواني الخاصة بسكب الماء ألا و هى أواني النمست التي كانت تستخدم كأواني للتحية فيما يسمى " التحية بأواني **النمست**" التي انتشرت في الطقوس والشعائر، فيلاحظ أن الملك كان يسكب ما في الإناء أمام الألهة، وكان ذلك يعبر عن التحية وكانت هذه الطقسة تستخدم في تحية بداية العام الجديد [٥].

ثالثاً : الدور الدنيوي للأواني الحجرية

كانت الأواني الحجرية شائعة الاستخدام في مصر القديمة، سواء في الحياة الدنيا،أو كمتاع ضمن الأثاث الجنائزي بالمقابر، وكانت تصنع من مختلف أنواع الأحجار بمهارة فائقة، وكان المصري القديم يستخدم الأواني الحجرية البسيطة التي تفتقر إلى الزخرفة في الحياة اليومية، بينما كان يستخدم الأواني ذات الزخرفة الصريحة لاحتواء الدهون والعطور والزيوت المقدسة أي لأغراضٍ جنائزية، وعثر بالفعل على نماذج منها اشتملت على بقايا الدهون الطبيعية والزيوت التي كانت مستخدمة.[٦]

ولا يمكن لنا التعرف على الأهمية الدنيوية للأواني الحجرية إلا من خلال دراسة ما عثر عليه بالمقابر، إذ اعتقد المصري القديم أن الحياة الآخرة هي صورة مطابقة للحياة الدنيا، وأن ما كان يستعمله في دنياه، يمكن أن يستعمله في آخرته، ومن ثم نجد كثيراً من الأدوات والأواني المنزلية المستعملة قد و ضعت في القبر مع المتوفى ليستمر استعمالها في الآخرة، لذلك إذا تكلمنا عن أثاث المتوفى في قبره، فإنما نتكلم عن أثاثه في بيته، إذ كان الأول صورة من الثاني[٧].

---

(1) Otto, E., " **Chnum**" in : **LÄ**, 1, cols.950-951.

(2) Barta, W., "**götter symbol**" in: **LÄ** , II, col.714; Armour, R., gods and Myths of Ancient Egypt, Cairo 1989, P. 23-24.

(3) Murray, M.A., **"The Splendour that was Egypt**", London, 1984, p. 96, Fig. 4; Du Buisson, M., les Noms et Singes Egyptiens Designant des Vases au Objects Similaries, Paris, 1935, p.97.

(4) كريم عبد الله حافظ بركات، "**التحية والترحيب في مصر القديمة منذ بداية الأسرات وحتى نهاية الدولة الحديثة**"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٢٢.

(٥) المرجع السابق، ص١٢٦.

(6) Engelbach, R., "**Stone vases**" in: introduction to Egyptian Archaeology, p. 298.

(٧) سليم حسن ، "**مصر القديمة**"، جـ٢، ص٣٤٥.

فما من شك أن معظم هذا الأثاث قد صنع على غرار ما كانت تحتويه القصور والبيوت من أثاث، فضلا عن أن م ا صور من قطع الأثاث هذه على جدران القبور، إنما يمثل كذلك ما استخدمه المصريون في سكنهم من فراش وأثاث[١].

ولقد تنوعت أواني الاستخدام اليومي ما بين الفخارية والحجرية وتنوعت أشكالها وأحجامها ما بين الكبيرة والصغيرة [٢]، وكذلك تعددت استخداماتها ما بين قدور وأواني للتخزين وأخرى لحفظ مواد الزينة أو ما إلى ذلك من أوجه الاستخدام اليومي [٣]، وكانت هذه الأواني تشكل في أساسها جزءا من أثاث البيوت[٤] **(شكل: ٦١٩)**.

ونظراً لتعرض المساكن والمدن المصرية القديمة للتدمير والاندثار، فإن ما عثرنا عليه من أواني حجرية، قد جاء أغلبة بالمقابر التي زودتنا بمادة طيبة عرفنا منها الكثير، ففي حوزتنا الآن كنزاً طيباً من الآثار الجميلة المختلفة والمتباينة، فمن أوانٍ فخارية كبيرة الحجم إلى أطباق وموائد وأوان حجرية مختلفة كان التنوع في الاستخدام، و الروعة في الصناعة والإتقان لحد يتضاءل أمامه ما نراه اليوم من أوانٍ من نفس المادة، إلا أنها أقل في الجودة رغم التقدم في تقنية الصنع والآلات الحديثة المستخدمة.

ولقد وضح ذلك التنوع في العديد من المقابر، ففي المقبرة رقم (٦) **بجبانة طره**، عثر على حفرة مبطنة م قسمة إلى قسمين، كانت تلك الحفرة بمثابة مخزن مزدوج اشتمل على ستة من الأطباق المصنوعة من الألباستر، وستة من جرار النبيذ واثنين من جرار حفظ الطعام، كانت جميعا قد وضعت برفقة صاحب المقبرة كي ينتفع بها في عالمه الآخر تماما كما كان ينتفع بها في دنياه، تؤرخ المقبرة بنهاية عصر الأسرة الأولى أو ما بعدها تقريبا[٥].

ولعل كنز **حتب حرس- والدة الملك خوفو** - ومتاعها وأثاثها الجنزي ليعد صورة ناطقة لأهمية الأواني الحجرية ليست الجنائزية فحسب بل والدنيوية، إذ أن معظم أوانيها وأدواتها التي عثر عليها بمقبرتها كانت قد نقلت من قصرها الخاص لتكون معها في قبرها- مقرها الأخير- وقد تنوعت مقتنيات مقبرتها ما بين أواني مرمرية وأباريق وقناني وأواني لحفظ الدهون وما إلى ذلك من أواني استخدمتها في حياتها الدنيا[٦].

رابعاً : الدور التاريخي للأواني الحجرية :

لم تتوقف الأهمية الدنيوية للأواني الحجرية عند حد الانتفاع بها كوسيلة لتناول الطعام والشراب والاحتفاظ به، وإنما كان لها استخدامات أخرى يصعب حصرها في تلك الصفحات القلائل، فكثيرا ما حملت الأواني الحجرية نقوشاً تأريخية جعلتها أشبه بكتاب مفتوح، وجعلت منها مادة هامة لسرد أحداث بعينها، أو تحديد سنوات حكم ملك أواخر، أو كانت بمثابة أواني تذكارية لأحداثٍ تاريخية هامة، كالاحتفال بعيد السد أو بترقي العرش ، أو حملت أسماء وألقاب الملوك المصريين لتبين ملكيتها بل وأحياناً قيمتها والغرض منها.

---

[١] أدولف إرمان، وهرمان رانكه، **"مصر والحياة المصرية في العصور القديمة"**، مترجم، القاهرة ١٩٥٣، ص ١٩٩، محمد أنور شكري، **"العمارة في مصر القديمة"**، القاهرة، ١٩٧٠، ص١٥٢.

[2] Arnold, D., Op. Cit., col. 484.

[٣] جورج بوزنر، معجم الحضارة، ص٤٤.

[٤] أدولف إرمان، مرجع سابق، ص ١٩٩.

[5] EL-Khouli, A., **"Preliminary report on the excavation at Tura, 1963-64"** in: **ASAE**, 60, 1968, P.74.

[٦] عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، ج٢،ص٣٣٠

ولقد تضمنت النقوش التي سجلها المصري القديم- لاسيما في عصر بداية الأسرات- على بعض أوانية الحجرية عناصر ورموز كثيرة أصبح لها شأنها في التقاليد السياسية والدينية للعصور التي تلت عصرهم رغم الإيجاز الشديد الذي كانت عليه[١].

خامساً: الدور الفني للأواني الحجرية :

تعد الأواني الحجرية واحدة من أهم الصناعات الحجرية التي كانت مجالاً للإبداع الفني للمصريين القدماء، خاصة في عصر ما قبل وبداية الأسرات، واستمرت صناعة الأواني الحجرية طوال العصور التاريخية، إلا أنها ركزت على الجانب النفعي في أغلب الأحيان.

وقد تجلت أعظم آيات قدرة المصريين القدماء الفنية في صناعة الأواني الحجرية فيما عثر عليه من كميات ضخمة من الأواني الحجرية متنوعة الأشكال والأحجام، حقق بها المصري القديم انتصاراً في جمال الذوق والتصميم، وروعة في التنفيذ تثير الدهشة والإعجاب لاسيما في عصر بداية الأسرات[٢] **(شكل:٦٢٠).**

فكثيراً ما عثر على أطباق وطاسات من الصخر البلوري ومن أحجار صلبة، انثنت أطرافها إلى الداخل أو إلى الخارج كما تنثني أو تنطوي أوراق الرسم في سهولة ويسر، وعثر على أواني أخرى تكاد تكشف سطوحها الخارجية عن دواخلها من شدة جودة الصقل والنحت، ورأينا كيف أبدع المصري القديم في إخراج وتصميم أواني حجرية بهيئات زخرفية متنوعة، دلت على حسن الذوق وترف أصحابها[٣] **(شكل:٦٢١).**

وتؤكد تلك الحصيلة الضخمة على ما كان عليه المصري القديم من دقة،وما كان يتمتع به من هبات فنية عظيمة ونشاط جم وخيال واسع يخدم به في الوقت نفسه الجانب العملي للح ياة،ومع أن مصر غنية بما كان المصريون القدماء يحتاجون إليه من مواد طبيعية، إلا أن طبيعة الحياة فيها كانت تضطرهم إلى الكفاح والعمل المتواصل، وقد تعودوا العمل الشاق منذ العصر الحجري الحديث [٤]، ومن ثم فلا غرابة أن نعثر على هذا الكم الهائل من الأواني الحجرية ال تي قام المصري القديم بتصنيعها من أصلد أنواع الأحجار والتي برؤيتها ترتسم الدهشة على الوجوه، فكيف له أن وصل إلى هذا الحد من الدقة في الصناعة والجودة في الفن والروعة في الاتقان؟ ولكنها كانت طبيعة المصري القديم الذي استطاع بعبقريته أن يشعل شرارة الإبداع، ويصل ببساطة أدواته إلى مرحلة فنية متقدمة.

فقد تكون الأواني الحجرية بوجهة النظر العامة مجرد صناعة حجرية ولكنها تكشف في داخلها على حدث طواه الماضي، ولكن لا تزال انعكاساته تثير التساؤلات لدى عقول الدارسين.

ففي دراسة عملية حديثة لمحاولة تقييم أو تحديد الفترة الزمنية التي تستغرقها عملية نحت وتصنيع إناء حجري من **الألباستر** - مثلاً - بارتفاع ٢٩ سم واتساع ١٦ سم تبين أنه يحتاج لتصنيعه حوالي سبعة أيام، هذا بالنسبة لإناء من الألباستر وهو حجر سهل التشكيل، فما بال إ ناء من البازلت الصلد؟ ! لابد وأنه سيحتاج إلى عام على الأقل لتصنيعه، لاسيما وأن نحت الإناء الحجري متوسط الحجم من الحجر الجيري يحتاج على الأقل إلى أسبوع[٥]

---

(١) عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها في الاتجاهات الحضارية، ص ٣٢٣.

(2) Stocks, A.D**, "Experiments in Egyptian Archaeology"**, P. 139-140.

(3) Iskander, Z**., "Brief history of Pharaonic Egypt"**, Cairo, 1975, p.272.

(4) محمد أنور شكري، **"الفن المصري القديم"**، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٨.

(5) Mallory, L.M**.," Predynastic and first dynasty Egyptian Basalt vessels"**, Toronto, 2000 P. 174.

فكيف إذاً تسنى للمصري القديم ببداءة أدواته أن يصنع آلاف من الأواني الحجرية على اختلاف أنواعها وأحجا مها وأشكالها بل واختلاف ماد الصنع،وكما قال **توينبي** إن السهولة عدو الحضارة والتقدم [١] ، هكذا كان شعار المصري القديم، الذي لم يكتفي فقط بصناعة الأواني الحجرية، بل والوصول بها إلى جعلها لوحات فنية، طوع فيها أصلد أنواع الأحجار لرغبته وذلك منذ عصور ما قبل التاريخ[٢]، مستوحياً من الطبيعة عناصر أعماله الفنية، فجاءت بعض الأواني بهيئات تقليدية معتادة سبق ظهورها في تصنيع الأواني الفخارية، وجاءت بعض الأواني الأخرى بهيئات وأنماط مختلفة سواء زخرفية أو غير معتادة، بل وتفنن في إخراجها صابغاً عليها خبراته الذاتية وأثره الشخصي

وبوضوح يمكن للمرء أن يرى مدى تعدد الأشكال وغرابة التفكير في الإخراج، وتساوي النسب بين أجزاء هذه الأواني الحجرية التي يتبين فى مراعاتها علماً هندسياً رائعاً، وليس هذا فحسب، ولكننا نجد أن الصانع المصري القديم لم يكن يقوم بعمله كما يقوم العامل المسخر، بل كان له ولع بعمله يحفزه على إتقانه، وتنفيذ الرسم والتصميم الذي أعطاه له المصمم النابغة الذي ما كان ليستطيع أن يرسم هذه الأشكال الجميلة إلا إذا كانت له روح فنان مبدع[٣].

هذا ولقد دفعت عقائد الديانة المصرية فنون أهلها دفعاً حثيثاً متصلاً وكانت أوضحها أثراً في هذا الدفع عقيدة البعث والخلود، فقد اندفع المصريون تحت تأثيرها إلى الاهتمام البالغ سواء بعمارة مقابرهم باعتبارها من بيوت الأبدية، أو بحرصهم على تزويد مقابرهم بأفخر أدوات الترف والزينة والأواني المختلفة حتى لا ينقصهم شيئ منها في سفرهم الأخر الطويل[٤].

ومن ثم كان التنوع في إخراج بعض الأواني الحجرية بهيئات ودلالات رمزية معروفة مثل علامة **العنخ** أو علامة "**الكا**" أو بهيئات أخرى نباتية أو حيوانية أو بهيئات تشبه السلال المجدولة أو القوارب [٥]، يتخيل المرء عند رؤيتها أنها نسجت من الحجر.

فلا يمكن الفصل إذاً بين الأهمية الفنية للأواني الحجرية، وبين دورها الجنزي أو الديني، إذ ان وضع الأواني بالمقبرة كجزء من الأثاث الجنائزي يتوقف على الاعتقاد الديني لصاحب المقبرة بفائدتها بالنسبة له في العالم الأخر، وضرورة أن تكون على أكمل ما يرام فحرص على إخراجها في أجمل صورة ولا غرابة أن عثر على العديد من القطع الفنية لأدوات مأتمية في مختلف المقابر، منها ما كان المصري القديم قد استعمله بالفعل في حياته الدنيا ومنه ما صنع خصيصاً كي يأخذه معه في عالمه الأخر، وقد حرص فيه الفنان على دقة الصنع وروعة الزخرف.

فكأن العلاقة إذا ثلاثية بين الدين والدنيا والفن وقد وضحت تلك العلاقة الثلاثية من خلال ما عثر عليه بمختلف المقابر، وما أودعه المصري القديم فيها من أواني حجرية رائعة الصنع وفائقة الجودة، إذ كان وضع الأثاث الجنائزي يتوقف على الاعتقادات الدينية لصاحب المقبرة، وقد استطاع الفنان المصري القديم أن يحقق أهدافه الفنية والدينية جنباً إلى جنب مع معاني العظمة والخلود والسمو فيما أودعه دور الآخره من أثاث جنائزي اشتمل على العديد من الأدوات والأواني الحجرية الرائعة.

---

(١) فؤاد محمد شبل، "**توينبي مبتدع المنهج التاريخي الحديث القاهرة**"، ١٩٧٥، ص ٣٩.

(2) Jaros-Deckert, B., **"Stein Gefässe"** in: **LÄ** ,5, 1985, col. 1283-1287.

(٣) زكي سعد، مرجع سابق، ص٤٤.

(٤) أحمد عبد الحميد يوسف، مرجع سابق، ص ٢٨٣.

(5) Malek, J., **"In the Shadow of the Pyramids"**, Cairo, 1986, P.32.

خاتمة :

كان للأواني الحجرية أهميتها لدى المصري القديم، وتنوعت أهمية الأواني الحجرية ما بين " **الجنائزية**" و " **الدينية**" و " **الدنيوية**" و" **التاريخية**" و"**الفنية**".

يصعب حصر استخدام العديد من الأواني الحجرية، وذلك لغياب النقش في أغلبها فنحن نتعامل مع مادة صامته ونطبق من خلال ما عرف منها لنتوصل إلى ما لم يعرف بعد ، فقد نخطئ وقد نصيب وما علينا إلى المحاولة.

–تنوعت **وظائف واستخدامات الأواني الحجرية** ما بين :

–أواني الاستخدام اليومي: كأواني المائدة والتخزين والطهو " **أواني الطعام والشراب**".

–أواني حفظ السوائل المختلفة: ومن خلال النقوش واللغة عرفنا منها الكثير.

–أواني حفظ مواد التجميل:وقد تنوعت ما بين أواني حفظ الكحل والعطر والدهان.

–وأواني الاغتسال وهي أيضا من أواني الاستخدام اليومي التي حرص المصري القديم على استعمالها سواء في حياته الدنيا أو في العالم الآخر.

–كان هناك استخداماتٍ أخرى للأواني الحجرية تنوعت ما بين "**المباخر- المصابيح والمشاعل**"، وبعض الأغراض الأخرى النادرة.

–هناك من الأواني الحجرية ما كان له دلالته الجنائزية وذلك للعثور عليه ضمن الأثاث الجنائزي بالمقابر.

–وهناك من الأواني الحجرية ما كان له دلالته الشعائرية وذلك مثل الأواني التي عثر عليها في ودائع أساسات المعابد.

–ومن الأواني الحجرية ما كان له دلالته الدينية،كتلك الأواني التي ارتبطت بهيئات مقدسة لاسيما حيوانية، أو برموز تدل على أهميتها العقائدية.

قائمة المراجع:

١. أحمد عبد الحميد يوسف، "**العادات والشعائر الجنزية في الدولة القديمة عند الأفراد**"،رسالة دكتوراه غير منشورة،كلية الآداب،جامعة القاهرة، ١٩٦٦.

٢. أدولف إرمان، وهرمان رانكه،"**مصر والحياة المصرية في العصور القديمة**"، مترجم، القاهرة ١٩٥٣.

٣. جورج بوزنر،"**معجم الحضارة**"،١٩٨٨ .

٤. دعاء إبراهيم عبد المنعم الجعار، "**تيجان الآلهة ورموز الرأس المقدسة منذ أقدم العصور حتى نهاية التاريخ المصري القديم،دراسة مقارنة بالتيجان الملكية**"، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥.

٥. زكي سعد،"**الحفائر الملكية بحلوان – الفن والحضارة فى الأسرتين الأولى والثانية**"،القاهرة،١٩٥٣ .

٦. سليم حسن،"**مصر القديمة**"،ج٢،القاهرة،١٩٦٢ .

٧. عبد الحميد زايد،" **التجميل عند قدماء المصريين**"، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني عشر، القاهرة، ١٩٦٤-١٩٦٥.

٨. عبد العزيز صالح، "**مداخل الروح (الأبواب الوهمية) وتطوراتها حتى أواخر الدولة القديمة** "،حوليات كلية الآداب،جامعة القاهرةالمجلد ٢٢،العدد الأول، ١٩٦٠.

٩. عبد العزيز صالح، "**حضارة مصر القديمة وآثارها في الاتجاهات الحضارية**"،القاهرة، ١٩٩٢.

١٠.فؤاد محمد شبل،"**توينبي مبتدع المنهج التاريخي الحديث القاهرة**"، ١٩٧٥.

١١.كريم عبد الله حافظ بركات، "**التحية والترحيب في مصر القديمة منذ بداية الأسرات وحتى نهاية الدولة الحديثة** "، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة،٢٠٠٧.

١٢.محمد أنور شكري،"**العمارة في مصر القديمة**"، القاهرة، ١٩٧٠.

١٣.محمد أنور شكري، "**الفن المصري القديم**"، القاهرة، ١٩٦٥.

١٤. نيفين نزار ذكريا، "**مفهوم النوم عند المصري القديم في الحياة اليومية والمعتقدات الدينية حتى نهاية الدولة الحديثة**"،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة ٢٠٠٨ .

15. Abu-Bakr, **"A., excavations at Giza"**, Cairo, 1953.

16. -Adams, "**B., Ancient Nekhen, England"**, 1995.

17. -Armour, **"., gods and Myths of Ancient Egypt"**, Cairo 1989.

18. Arnold, D**.,"Gefässe"** in: **LÄ**, II, 1977.

19. Barta, W., **"götter symbol"** in: **LÄ**, II

20. Du Buisson, **"M., les Noms et Singes Egyptiens Designant des Vases au Objects Similaries"**, Paris, 1935

21. EL-Khouli, A., **"Preliminary report on the excavation at Tura, 1963-64"** in: **ASAE**, 60, 1968.

22. Emery, "**W., royal tombs of 1st dynasty**", vol. II, London, 1940.

23. Engelbach , R., **" the tomb of Hemaka** " in: introduction to Egyptian Archaeology, Cairo, 1961.

24. Engelbach, R., **"Stone Vases"** in: introduction to Egyptian Archaeology, Cairo, 1961.

25. Gunn,B., **"Inscription from the step pyramid sits"**, in : **ASAE**,28,1928

26. Hayes, W.C., "**The Scepter of Egypt"**, vol. 1, New York, 1959.

27. Hendrickx, S., and others, **"Excavation in the Museum: the stone vessel fragments from royal tombs at umm- El- Qaab", MDAIK**, 57, 2001

28. Iskander, Z., "**Brief history of Pharaonic Egypt"**, Cairo, 1975

29. Jaros-Deckert, B., **"Stein Gefässe"** in: **LÄ, 5**, 1985

30. Kees, H., "**Kulurageschichte des Älten Orients"**, München, 1933.

31. Köhler, E. C**," Ezpet El-Walda**" in: **ASAE**, 77, 2003

32. Kroeper,"**K., and Wildung"**, D., Some stone vessels from Minshat Abu Omer, vol. 1, Nr. 1-2, 1985.

33. Limme, L., "Report on the Archaeological work at El- Kab, 1999 season" in: **ASAE**, 75, 1999-2000.

34. Malek, J., In the Shadow of the Pyramids, Cairo, 1986.

35. Mallory, L.M., Predynastic and first dynasty Egyptian Basalt vessels, Toronto, 2000

36. Murray, M.A., **"The Splendour that was Egypt**", London, 1984

37. Otto, E., **" Chnum"** in : **LÄ**, 1.

38. Radwan, A., "**Recent excavation of the Cairo University At Abusir A cemetery of the 1st dynasty**" in: Kessler, D, Schulz,, R., gedenkschtrift für W. Barta, 1995.

39. Reisner, G., Mycerinus, **"the temples of the third Pyramid at Giza**", Cambridge. 1931.

40. Saad, Z.Y, **“A preliminary report on the Excavations at Saqqara, 1939- 1940"** in: **ASAE**, 40, 1940.

41. Sowada, K.N., **"Black-topped ware in early dynastic contexts**" in: **JEA**, 85.

42. Stocks, D.A., "**Experiments in Egyptian Archaeology"**, London, 2003.

43. -Wilkinson, R.H., "**The complete Gods and Goddesses",** London, 2003.

جميع الحقوق محفوظة

لمركز جيل البحث العلمي © 2015

ISSN 2311-5181